

الإمام  
الدكتور عبد الحليم محمود



# الرعاية لحقوق الله

لأبي عبد الله الطائفة المحاسبي



# الرِّعَايَةُ لِحُقُوقِ اللَّهِ

لِلْأَيُّ عِبْدِ اللَّهِ الْحَارِثِ الْمُحَاسِبِيِّ

الدكتور عبد الحلیم محمود

# الزَّعَا لِحَقِّهِ وَاللَّهِ

للأئی عبد الله الحارث المحاسبي

الطبعة الثالثة



دار المعارف

الناشر: دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج.م.ع.  
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: [maaret@idsc.net.eg](mailto:maaret@idsc.net.eg)

---

## مقدمة

بقلم الدكتور عبد الحليم محمود

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين .

روى صاحب طبقات الصوفية بسنده ، عن الحارث بن أسد الحماسي بسنده أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « أنقل ما يوضع في الميزان : حسن الخلق » .  
ولقد وضع الحماسي هدفاً له في الحياة يسعى إلى تحقيقه ، هو « حسن الخلق » . لقد وضعه هدفاً يعمل على تحقيقه في نفسه ، ووضعه هدفاً يعمل على تحقيقه في مجتمعه . أما فيما يتعلق بنفسه ، فإنه أخذها بتحقيق صفة العبودية على أساس من القرآن والسنة لا يبعد عنه .  
وإنه ليعبر عن شعاره في ذلك ، فيقول هذه الكلمة التي تصفه حالاً ومقالاً : « إذا أنت لم تسمع نداء الله ، فكيف نجيب داعي الله ؟ ومن استغنى بشيء دون الله ، جهل قدر الله » .  
ولم يجهل الحماسي قدر الله ، فلم يستغن بشيء دونه سبحانه .  
وأما فيما يتعلق بالمجتمع ، فإن الحماسي أخذ في نشر حسن الخلق فيه بسمته ، واتباعه للسنة ، وهدروسه التي كانت تفعل الأعاجيب في القلوب ويكتبه التي تبين حسن الخلق : وسائل وغايات ، والتي لا يزال لها إلى الآن أريج عطري يتجدد على مر الزمن ، فيهدى الحيارى ، وينير الطريق أمام السالكين .

• • •

ولكن من هو الحماسي ؟ وما لنا نتعجل ، فتحدث عن الحماسي في القصة قبل أن نبدأ معه من البداية ؟

إنه الحارث بن أسد الحماسي ، وكنيته : أبو عبد الله .  
ولقد نشأ بالبصرة ، واستمر بها سنوات لا يتأتى لنا تحديداتها في يقين جازم . ثم ذهب إلى بغداد ، ويبدو أنه ذهب إليها في سن مبكرة ، واستقر به المقام فيها .

•

## منى ولد؟

إننا لا نعلم بالضبط تاريخ ميلاده إذ أن الكتب القديمة التي تحدثت عنه ، لم تذكر ذلك ، بيد أن الملاحظات ترشد إلى أنه ولد - على التقريب - في العقد السابع من القرن الثاني الهجري . أما وفاته فإن الكتب التي أرخت له تحدد سنة ٢٤٣ هـ ثلاث وأربعين ومائتين للهجرة . وحياته الشخصية لا نكاد نعلم عنها شيئاً ، وقد يمكننا أن نقول : « استتاجا » إنه قضى طفولته في شيء من اليسر والرخاء ، ذلك أن والده حينما توفي ترك ثروة تقدر بسبعين ألف درهم . ويروى المؤرخون أن المحاسبي حينما توفي والده لم يأخذ من هذه الثروة شيئاً تورعاً ، ذلك أن والده كان يقول بالقدر : أى أنه كان قدرياً يدين بمذهب المعتزلة . فلم يستسغ المحاسبي أن يشترك في الميراث ، توسعاً في تطبيق القاعدة الإسلامية التي تحرم التوارث بين أهل دينين مختلفين . وما من شك في أن المحاسبي امتنع عن ذلك لمجرد الورع ، والزهد فيما تجره الثروة وتستتبعه من تفكير فيها ، وتدمير لها ، وتسمية وحفظ .

هذه الحادثة ترشد إلى أمور :

**الأمر الأول :** هو أن أسرة المحاسبي كانت أسرة ميسورة .

**الأمر الثاني :** هو أن والد المحاسبي كان من الذين اشتركوا في الثقافة الدينية ، والجدل الكلامي ، وساهم في ذلك بنصيب وحدد المسكر الذي يقف جندياً في جيشه . وما من ريب في أن العامة حينئذ لم يكونوا في صف المعتزلة ، وما كان الذي يدين بما يدين به المعتزلة يفعل ذلك إلا بعد دراسة واختبار ، وأن الطريق التقليدي الذي كان يتبعه الجمهور الأعظم من الأمة إنما هو طريق أهل السنة .

**والأمر الثالث الذي ترشد إليه الحادثة :** هو ورع المحاسبي الذي حمله على أن يزهد في الميراث مع حاجته إليه : تورعاً وتقوى .

ونبأ آخر نتبين منه شيئاً عن شخصية المحاسبي . يقول الجنيد : كنت كثيراً أقول للحارث : عزلقى أنسى .

فيقول : كم تقول عزلقى أنسى ! ؟ لو أن نصف الخلق تقربوا منى ما وجدت بهم أنساً ، ولو أن نصف الخلق الآخر نأى عنى ما استوحشت لبعدهم .

هذه القصة ترشدنا إلى قوة شخصية الإمام المحاسبي ، والواقع أن الظروف والأحوال الثقافية التي أحاطت بالمحاسبي ، وموقف المحاسبي منها ، وحديث تلاميذه عنه - وإن كان نادراً - كل

ذلك يرشد إلى أنه كان صاحب شخصية إيجابية قوية .  
 وبما يستأنس به تأييداً للقصة السابقة ، وإشارة إلى ما للمحاسبى من شخصية قوية ، وبياناً  
 عابراً عن بعض أساليبه فى تأليف كتبه ، ما رواه الجنيد أيضاً بقوله : كان الحارث المحاسبى يحىء  
 إلى منزلنا ، ليقول : اخرج معى نصحر . ( نذهب إلى الصحراء ) فأقول له :  
 تخرجنى عن عزلتى وأمنى على نفسى ، إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات ؟ فيقول  
 « اخرج معى ، ولا خوف عليك ، فأخرج معى ، فكأن الطريق فارغ من كل شىء ، لا نرى شيئاً  
 نكرهه » .

فإذا حصلت معه فى المكان الذى يجلس فيه قال لى :  
 سلنى .  
 فأقول له : ما عندى سؤال أسأله .  
 فيقول : سلنى عما يقع فى نفسك .  
 تتناول على السؤالات ، فأسأله عنها ، فيجيبنى عليها للوقت .  
 ثم يمضى إلى منزله فيعملها كتاباً .  
 ترشد هذه القصة إلى أن المحاسبى لم يكن يخشى : « الطرقات والآفات ورؤية الشهوات » ،  
 وأنه لم يكن يؤثر العزلة وما فيها من أمن على النفس وعدم تشتيت للفكر ، كلا ، إنه يجابه الحياة  
 محاولاً السير بها إلى ما يراه حقاً وإصلاحاً .  
 أما فيما يتعلق بطريقته فى التأليف : فإنه يعمل أحياناً على تلبية ما يرغب المتحدثون الإجابة  
 عنه ، وهى طريقة حية : إنها استجابة لما يحب المجتمع أن يرى الرأى الصريح فيه .  
 ولم تكن كتبه كلها على هذا النسق فإن بعضها كان إسهاماً فى الحركة المقاومة لحركة الاعتزال ،  
 وكان بعضها حلقات فى التخطيط الذى رسمه المحاسبى للإصلاح الأخلاقى فى المجتمع .

• • •

على أننا قد تعجلنا الحوادث مرة أخرى فتحدثنا عن المحاسبى فى القمة ولم نتدرج معه تدرجاً  
 طبيعياً .  
 ولنعُد إلى المحاسبى أول مقدمه بغداد : كان ذلك فيما يبدو فى سن مبكرة نسبياً .  
 وكانت بغداد حينئذ تموج بمختلف التيارات الفكرية : ثقافة يونانية وافدة تريد أن تأخذ حن  
 الإقامة سيدة متقلبة .

وثقافة فارسية يحاول نشرها الفرس بما لهم من تأثير ونفوذ ، بما لهم من مال وثراء ، وبما لديهم من ترف فكري ، وبما في نفوسهم من كبت لزوال ملكهم يحاول أن يتنفس - شاعرًا أو غير شاعر - في صورة ثقافة تنافس الثقافة الإسلامية البحتة .

وثقافة عربية مشوبة بثقافات أخرى ، تريد أن تجد حلاً للتعارض والتنافس بين مختلف الألوان والأجواء الثقافية .

وثقافة إسلامية بحتة ، تجاهد في أن تفوز في قيادة المجتمع إلى الهداية الربانية والرشاد الإلهي .  
وجاء المحاسبي بغداد متعلماً ، ومثقفًا ، أو مستزيدًا من العلم والثقافة : يبتغي السير على السن المستقيم ؟

وأخذ في الدرس في جهد واجتهاد : فتشعبت به الطرق ، وتجاذبت الثقافات المختلفة ، تحاول كل منها ، أن تستأثر به وحدها ولكل منها مغرباتها ، ولكل منها متعلقها .  
ووقف المحاسبي مستوعبًا ، متأملًا ، مترويًا .

هل طال به الوقوف ؟

متى خرج من تأمله ؟

متى استقر به الاتجاه ؟

ذلك حالاً نعلمه ، إذا نظرنا إلى الزمن .

يبد أن المحاسبي ، وإن لم يكن بالتأريخ لحياته ، تأريخاً زمنياً ، فإنه ترك لنا أثرًا نفسيًا ، أبان فيه عن بعض أحوال معاصريه ، وتحدث فيه عن حيرته الفكرية وعن أسبابها ، وعن كيفية خروجه منها .

وهذا الأثر نعتبره ، أساساً لكتاب : « المنقذ من الضلال » راسماً للإمام الغزالي تخطيطه ، موجهاً له إلى كتابته ، بل راسماً له الطريق في حياته الروحية .

ولعل التشابه بين هذا النص الذي نثبته الآن ، وكتاب : « المنقذ من الضلال » يجعلنا نستنتج أن التشابه قوى بين المحاسبي ، والغزالي في حياتهما .

ولأهمية هذا النص بالنسبة للمحاسبي ولعصره ، وبالنسبة لصلته بكتاب المنقذ من الضلال صلة وثيقة نثبته بأكمله ، وإن كان فيه بعض الطول ، وقد كتبه المحاسبي مقدمه لكتابه : « الوصايا » الذي طبع أخيراً بالقاهرة ، يقول المحاسبي - في مفتتح كتابه ، الوصايا - بعد مقدمة موجزة :



« أما بعد : فقد انتهى إلينا : أن هذه الأمة تفتقر على بضع وسبعين فرقة ، منها : فرقة ناجية والله أعلم بسائرهما .

فلم أزل ، برهة من عمرى أنظر اختلاف الأمة ، وألحس المنهاج الراضح ، والسبيل القاصد وأطلب من العلم والعمل وأستدل على طريق الآخرة بإرشاد العلماء ، وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل ، بتأويل الفقهاء .

وتدبرت أحوال الأمة ونظرت في مذاهبها وأقاويلها ، فعقلت من ذلك ما قدر لى . ورأيت اختلافهم بجرأ عميقاً قد غرق فيه ناس كثير ، وسلم منه عصابة قليلة ورأيت كل صنف منهم يزعم أن النجاة فيمن تبعهم ، وأن المالك من خالفهم ، ثم رأيت الناس أصنافاً : فمنهم العالم بأمر الآخرة لقاؤه عسير ووجوده عزيز . ومنهم الجاهل ، فالبعد عنه غنمة ، ومنهم المتشبه بالعلماء مشغوف بدينه ، مؤثر لها .

ومنهم حامل علم منسوب إلى الدين ، ملتزم بعلمه التنظيم والعلو ، ينال بالدين من عرض الدنيا .

ومنهم متشبه بالنسك ، متجر بالخير ، لا غناء عنده ، ولا بقاء لعلمه ، ولا معتمد على رأيه . ومنهم حامل علم ، لا يعلم تأويل ما حمل .

ومنهم منسوب إلى العقل والدهاء ، مفقود الورع والتقى .

ومنهم متوادون : على الهوى يتفقون ، وللدنيا يتباذلون ، ورياستها يطلبون .

ومنهم شياطين الإنس عن الآخرة يصدون ، وعلى الدنيا يتكالبون ، وإلى جمعها يهرعون ، وفي الاستكثار منها يرغبون ، فهم في الدنيا أحياء وعن العرف موتى ، بل العرف عندهم منكر والموت معروف ، فضقدت في الأصناف نفسى ، وضقت بذلك ذرعاً .

فقصدت إلى هدى المهتدين ، بطلب السداد والهدى ، واسترشدت العلم ، وأعملت الفكر وأطلت النظر ، فتبين لى ، في كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ، وإجماع الأمة : أن اتباع الهوى يعنى عن الرشده ، ويضل عن الحق ، وبطيل المكش فى العمى !!

فبدأت بإسقاط الهوى عن قلبى ، ووقفت عند اختلاف الأمة مرتاداً لطلب الفرقة الناجية ، حذراً من الأهواء المردية والفرقة الهالكة ، متحرزاً من الاقتحام قبل البيان ، والتمست سبيل النجاة لمهجة نفسى .

ثم وجدت باجتماع الأمة في كتاب الله المنزل ، أن سبيل النجاة : في التمسك بتقوى الله ،

وأداء فرائضه ، والورع في حلاله وحرامه ، وجميع حدوده والإخلاص لله تعالى بطاعته ،  
والتأسي برسوله ﷺ ، فطلبت معرفة الفرائض والسنن عند العلماء في الآثار ، فرأيت اجتهادًا  
واختلافًا ، ووجدت جميعهم مجتمعين على أن علم الفرائض والسنن : عند العلماء بالله وأمره .  
وأن الفقهاء عند الله ، العاملين برضوانه ، الورعين عن محارمه ، المتأسيين برسوله ﷺ ،  
المؤثرين الآخرة على الدنيا ، أولئك المتمسكون بأمر الله ورسوله المرسلين .

فالتجست من بين الأمة هذا الصنف المجتمع عليهم والموصوفين ، أفقر آثارهم ، وأتبع من  
علمهم ، فرأيتهم أقل من القليل ، ورأيت علمهم مندرمًا كما قال رسول الله ﷺ :  
« بدأ الإسلام غريبًا ، وسيعود غريبًا كما بدأ فطوني للغريباء » .

وهم : المنفردون بدينهم .

فعظمت مصيبي بفقد الأدلاء الأتقياء ، وخشيت بغتة الموت أن يفاجئني ، على اضطراب  
من عمري ، لاختلاف الأمة ، فانكشت في طلب عالم ، لم أجده لي من معرفته بدءًا ، لم أقصر في  
الاحتياط ولم أزل في النصيح .

فقبض لي الرعوف بمباده ، قومًا وجدت فيهم دلائل التقوى ، وأعلام الورع ، وإثار الآخرة  
على الدنيا .

ووجدت إرشادهم ووصاياهم موافقة لأفَاعِيل أئمة الهدى ، ووجدتهم مجتمعين على نصيح  
الأمة لا يرجون أحدًا في معصيته ، ولا يقنطون أحدًا من رحمته .

يرضون أبدًا بالصبر على البأساء والضراء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء .  
يحجبون الله تعالى ، إلى العباد ، بذكرهم أياديه وإحسانه ، ويحثون العباد على الإنابة إلى الله  
تعالى .

علماء بعظمة الله تعالى ، وعظم قدرته ، وعلماء بكتابته وسمته ، فقهاء في دينه ، علماء  
بما يجب ويكره ، ورعين عن البدع والأهواء ، تاركين التعمق والإغلاء ، مبغضين للجدال  
والمرء ، متورعين عن الاغتياب والظلم والأذى ، مخالفين لأهوائهم ، محاسبين لأنفسهم ، مالكون  
لجرارحهم ، ورعين في مطاعهم وملايسهم ، وجميع أحوالهم ، بجانبين للشبهات ، تاركين  
للشهوات ، مجتريين بالبلغة من الأقوات ، متقلبين من المباح ، زاهدين في الحلال ، مشفقين من  
الحساب ، وجلين من المعاد ، مشغولين بشأنهم ، مؤثرين على أنفسهم من دون غيرهم ، لكل  
أمرئ منهم شأن يغنيه .

عند ، بأمر الآخرة وأهدويل لقيمة وحريل الثواب ، وأليم لعقاب ذلك أورشهم اخرون الدائم ، وألهم المصبي ، فشعروا عن مرور الدنيا وبعيمها .

ولقد وصعوا للآداب صفات وحددوا للورع حدوداً ، ضاق لها صدرى وعمت أن آداب الدين وصدق الورع : بحر لا يجوس العرق فيه شبيه ، ولا يقوم بحدوده مثلي ، قتيبي لي فضلهم وتضيق لي بصحهم ، وأبقت أنهم العاملون بطريق الآخرة والمتأسون بالمرسلين ، والمصابيح لمن استضاء بهم ، والمهتدون لمن استرشدهم فأصبحت راعياً في مذهبهم ، معسماً من هوائهم . قالوا لأداسهم ، محلاً لطاعتهم ، لا أعدل بهم شيئاً ، ولا أؤثر عليهم شيئاً .

هتج الله في علماً تصح في برهانه واندر في قصده ، ورحوت سبحانه لمن أقر به أو نتجته ، وثقت دعوت لمن عمل به ، ورأت الانحراح فيمن حاضره ، ورأت البرس مراكم على قلب من جهله وجحدته ، ورأت الخجة لبايع لمن فهمه ، ورأت انتحانه والعمل بحدوده وحباً على

فاعتدته في سريري . وانطويت عليه بصمري وجعلته أساس ديني ، وبنت عليه أعمالي ونقست فيه بأحوالي .

وسألت الله عز وجل أن يورعني شكره نعم به عليّ ، وأن يقويني على القيام بحدوده عوفي به ، مع معرفتي بتقصيري في ذلك وأني لا أدرك شكره أبداً . اهـ

ووجدت الخاسي نفسه حشيد في معسكر أهل السنة على وجه العموم ، وفي تيار الصوفية منهم على وجه الخصوص

ولم يكن محاسني داطعة سليبه ، فكان لابد من أن يدخل المعركة ، ودخل المعركة في قوة قوية مسلحاً بالعلم والتقوى

ومن أجل ذلك كان ذا أثر مردوح

لقد أثر باعتباره قسوة وأسوة وأثر باعتباره عالماً باحثاً

وأثره كعالم ، كان يظهر في دروسه ومناقشاته ، ويظهر في كتبه

كتبه :

أما كتبه فإنها من الكثرة بحيث قدرها بعضهم بمائتي مصنف ، حسبما روى السكي في « طبقات الشاذلية » والمناوي في « الكواكب الدرية »

وهذه الكتب في أغرب لأعم ، إنما هي في هداية النفوس ، وترقيق القلوب ، وسير  
بالأرواح إلى عالم فلاح ، إنها في أغلبها في علم التصوف وسلوك  
يعول التيسير كما جاء في الكواكب الدرية - عن المحاسبي .  
« هر إمام المسمى في الفقه ، والتصوف ، والحديث والكلام »  
ولقد كتب المحاسبي في هذه العلوم جميعها . بيد أن مسحته الظاهرة وترعته الواضحة والكثرة  
الكثيرة من كتبه ، إنما كانت في التصوف والكلام  
أما كتبه في الكلام ، فإنها قد فقدت ، ولقد رأينا قطعة لا بأس بها من كتبه في الكلام الذي  
فقد والذي كان عنوانه : « فهم القرآن »  
ومبهم في الكتاب ، يفهم من عنوانه ، إنه كان يرجع إلى القرآن في الرد ويتحدث منه مرشدًا  
وهاديًا .

وبل السب في إهمال كتبه الكلامية وفقدتها هو حجة الإمام أحمد بن حنبل عليه  
يقول خطيب بغدادى ، في كتابه « تاريخ بغداد » ( جزء ٨ ص ١١٤ )  
« وكان أحمد بن حنبل ، يكره للحارث نظره في الكلام ، وتصنيفه الكتب فيه ، ويصد  
الس عنه »

ويذكر هذه المسألة الإمام الغزالي في كتابه « المنتقى من الضلال » ويعصل الرأي فيها ويحسم  
المسألة بحل موفى يقول :

لقد أنكر أحمد بن حنبل على الحارث المحاسبي - رحمه الله - تصنيفه في الرد على المعتزلة  
فقال الحارث

« الرد على البدعة فرص »

فقال ، أحمد :

نعم ، ولكن حكيمة شتهتهم أولاً ثم أحتت عنها ، فم نأمن أن يطاع الشبهة من تعلق بفهمه  
ولا يلتفت إلى الجواب ، أو يظفر إلى الجواب ولا يفهم كنهه ؟

وما ذكره أحمد . حق ، ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشتهر فأما إذا انتشرت ، فالجواب عنها  
واجب ، ولا يمكن الجواب عنها إلا بعد الحكاية ، ولقد أصاب الإمام التوفيق في رأيه .

وما من شك في أن المعتزلة إذا كانوا يعمدون جاهلين على نشر بدعتهم وأن بدعتهم كانت  
معروفة مشهورة

ومنها يكس من شيء ، فقد كان الإمامان أحمد والمحاسبي متعاصرين ، وحدث بينهما اختلاف في الرأي يتعلق بالكتابة في المسائل الكلامية ، وحمل الإمام أحمد على كتب الإمام المحاسبي في علم الكلام فقلّ تداول الناس لها فيما يبدو واختصت شيئا فشيئا ، وليس بعضها لا يزال موجودا ، بيد أننا لا نعلم عنها شيئا

على أن رأى المحاسبي في المسائل الكلامية معروف تحدث عنه الشهرستاني وغيره عن كتبها في الملل والنحل ، وهو الرأي السلفي ، ولم تكن حجة الإمام أحمد عليه لرأيه وعقيدته ، فذلك أمر يتفق فيه الإمامان ، وإنما كان إنكار الإمام أحمد عليه للأسلوب والطريقة التي ينصر بها الدين ، وما من رب في أن ما قام به الإمام المحاسبي في الرد على المعتزلة وغيرهم من أهل الانحراف إنما هو في الوقت نفسه انتصار للإمام أحمد بن حنبل وبقوة به ، وعود على بلوغه غايته ، رضي الله عنها

\* \* \*

أما كنه في أدب النفس وتركيبها وفي الإجابة إلى الله والرجوع إليه وفي الرعاية لحقوق الله وفي التصوف على وجه العموم فقد بقى منها كثير عرفنا عنه حمله صالحه لا تزال مخطوخته ، وطبع البعض في أوروبا والقاهرة ، وسوريا .  
وتحدث هنا في إنجاز عن بعض هذه المؤلفات ، ثم يفصل القول في كتاب الرعاية

#### ١ - كتاب الوهم

يؤن ما طبع للمحاسبي « كتاب الوهم » طبع في القاهرة سنة ١٩٣٧ م وقد عني الدكتور ا.ح. أريري ، وكتب مقدمته الدكتور أحمد أمين ، وفي المقدمة يقول عن الكتاب : « يحاكيه معنى طريف يدل عليه اسمه فلم يقتصر على ما ورد من الأخبار في الخوف والرجاء ، كما فعل غيره ، بل استعمل توهمه ومعبرة أخرى حياله - في وصف شعور أهل الجنة وأهل النار وما يقعون من سعادة وشقاء ونعيم وعذاب ، وأسدى لخياله الفريدة فتحيل ما تخيل وصور ما صور فهي لوحة جميلة لفنان أجاد ألوانها أو رواية رائعة لكاتب حمل مظهرها وفصل مواقفها وخصف لغتها ، حتى يؤثر بالحقيقة التي تنصمها في نفوس القارئ والمستمع أكبر الأثر وأبعد »

## ٢ - رسالة المسترشدين

وصح له في حلب رسالة المسترشدين وحفظه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الفتاح أبو عده ، وهذه الرسالة اللطيفة لحجم يوجه فيها المحاسبي الإرشاد للمسترشدين الذين يريدون أن يكونوا من ذوي الألباب العالمين بالله وبأمره ومباح ذوي الألباب كما تحدد الرسالة : « ما هو رعاية صدور الشريعة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وما اجتماع المهتدون من الأئمة وهذا هو الصراط المستقيم الذي دعا إليه عباده وقاب حل وعمر ( وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن مسيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون )

وقاب رسول الله ﷺ : « عليكم بسني وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عصوا عنيما بالسوادة والرسالة إلى هي إشارات توضح بغض رواية هذا المسجع فهي تتحدث عن النوبة والتقوى واحتطرات والحلف من الله والنصر والرصا ، وغير ذلك من أحوال اللائذين إلى الله لسالكين إليه

## ٣ - كتاب الوصايا

وطبع في القاهرة « حيز » « كتاب الوصايا » ، تحقيق وتقديم عبد القادر أحمد عطا والعنوان مكتوب هكذا : « الوصايا أو النصائح الدينية والنفحات القلبية لنفع جميع لبرية » ، وموضوعه هو موضوع الكتاب السابق ، وإن كان على صورة أوسع ، وبأسلوب متن الخفة ، وهو أقل تعمقاً وحرارة من أسلوب الكتاب السابق

## ٤ - كتاب الرعاية لحقوق الله عز وجل

وكتاب الرعاية هو أكبر الكتب التي بين أيدي من كتب المحاسبي ، مخطوطة كانت تلك الكتب أم مطبوعة ، وربما لا يوجد في فقد من كتبه ما هو أكبر منه ، وينفع في جوان أربعة وستين صحيفة من القطع الكبير وهو على كل حال أهم كتبه في نظر القدماء والمحدثين ، حتى لقد عرف به ، وربما لم يذكر أحد المؤرخين القدماء من كتب المحاسبي إلا كتاباً واحداً بأنه يكون « الرعاية » وهو بالنسبة للمحاسبي ، كإهداء علوم الدين « السنة للعرابي ، وقد حاول المحاسبي أن يشرح فيه الطريق الذي يحقق الرعاية لحقوق الله تعالى

وبدأ المحاسنى ، كتاب « الرعاية » بالحمد والثناء على الله سبحانه وتعالى ، ثم تحدث عن  
حسن الاستماع

« فقدم حسن الاستماع لك ، لما أحبتك به فعل الله عز وجل أن يسمعك تفهم ما أحنت  
عنه من الرعاية لحقوق الله عز وجل والقيام به ، فإن الله ببارك ومعاني ، أحبرنا في كتابه أنه  
من استمع كما يحب الله ويرضى - كان له في يستمع إليه ذكرى ، يعنى انتماظاً ثم يذكر  
محاسنى آيات الدلالة على هذا والأحاديت

ويرى القارئ في هذا النص الذى نقلناه من الصحيفة لأولى للكتاب أمرين  
الأمر الأول أن المحاسنى ، يحرص مخاطباً بحاطبه ، أوساتلاً يسأله والمحاسنى يحبه  
والموقع أن الكتاب كله يسير على هذا نسق أسئلة من مخاطب وإجابات من المؤلف  
وما من شك في أن بعض الأسئلة التى أوردها المحاسنى قد مثلها بالفعل ، وقد سبق أن أشرنا  
إلى أن بعض كتب المحاسنى ألف استجابة لأسئلة

يبدأ أن كتاب « الرعاية » يظهر فيه - في أوصوح من التناقض والترتيب واسطيط ما يعد  
لظن بأنه ألف استجابة - مجرد استجابة - لأسئلة وقتية  
أما الأمر الثانى الذى يتنبه الإنسان من النص ، فهو أن محاسنى يرجع إلى الكتاب الكريم ،  
سند إليه في آرائه ، إنه يقول

« فإن الله تبارك وتعالى أحبرنا في كتابه »

وهذا التعبير ، أو ما في معناه ، سار في جميع أجزاء الكتاب ، ويضاف إليه الاستناد إلى  
السنة

وقد كان المحاسنى من المحدثين ، تلقى الحديث على أعلام لسنة ، وتلقى عنه أعلام لسنة  
وبعد أن قدم المحاسنى ، ضرورة حسن الاستماع ، بدأ في شرح معنى  
الرعاية لحقوق الله ، وهى « أمر عظيم أصبح عامة الناس كما يقول المحاسنى - له مصيحين  
وما من شك في أن « كل ما أمر الله عز وجل بالقيام به ، قد أمر برعايته » « وكل حتى أوجبه  
الله حل وعمر على عاده في خاصة أنفسهم ، أو ما أوجب لبعضهم على بعض عقد أمرهم بحفظه  
والقيام به ، وذلك رعاية حقه الذى افترضه عليهم »

وسواء أقلت الرعاية لحقوق الله أم قلت « التقوى » فإن معنى لا يكاد يختلف ، ذلك أن  
التقوى إنما هى اتقاء الشرك لما دونه من دس ، من كل ما سبى الله عنه واتقاء نصيب واجب

فما عترضه الله والرعاية والتقوى هما . الاستجابة إلى الأمر والانتفاء عما بهى الله عنه  
ومن أجل ذلك تحدث لمخاسبي عن التقوى بعد شرحه لمعنى الرعاية توصيماً للرعاية وبيناً  
لها ، ومن جراء المتقين وأهمهم ( في مقام أمين ) ، ويقاد هم عن الخيانة ، ( ادخلها سلام  
آمين )

وليس دائماً يريدون الأمور محدودة مرسومة ، فيسألون عن الخطوة الأولى التي يخطوها من  
يريد أن يسلك الطريق إلى الله ؟ وعن كيفية البدء في الإعداد للمقام بين يديه سبحانه ؟  
« عليك أول ما تبدأ به من لعدة لذلك المقام تقوى الله عز وجل ، في السر والعلانية ،  
ليأمن قلبك في ذلك المقام مع قلوب المتقين حين يسجد لهم ما وعدهم من الأمن والنعمة  
والسرور »

فالتقوى أول منزلة العالدين ، ونها يتركون أعلاها وما تركوا عما هم لأن الله عز وجل لا يقبل  
عملاً إلا ما أريد به وجهه  
ولكن الإنسان قد يكون مغترّاً بخلوعاً بعبادته :

فكم من متقشف في لباسه ، متدلل في نموه ، أحد من حطام الدنيا اليسير ؟ ومن مصلح  
وصائم وعار وحاح ومالك وداع ومظهر بلعادة في الدنيا ، ورفص ها ، على غير صدق  
ولا إخلاص ولا صلاح حقيق ؟

وإذا ما أراد إنسان من هؤلاء ، أن يزي أعماله بمرارين الدين ، إذا استيقظ فؤاده فأراد أن  
يعرف أين هو من محاصير ؟ فعليه أن يرجع إلى نفسه ويعرض نفسه التي حلت من عمره في عبادته  
ويسطر هل أتى عبه يوم ما حفظ فيه حوارحه وقلبه عما كره الله ، وهل سم من الحب  
والكبر والحسد والشهامة وصوم الطل ؟؟ ونطه بعد هذا لعرص يتواضع ويبدأ في إصلاح أمره

على أن التقوى وإن كانت أول سائر السالكين ، فإنها معنى عام ، يبدأ أول ما يبدأ حين يعلم  
الإنسان أنه عبد مريب « لأن أول ما يلزمك في صلاح نفسك الذي لإصلاح لها في غيره ، وهو  
أول الرعاية أن تعلم أنها مربية متعددة ، وقد عمت دنك عمت أنه لا حاجة للمريب المتعد  
إلا بطاعة ربه وعولاه »

والطاعة سبيل النجاة

والعلم هو الدليل على السبيل



ولا بد للتقوى من المحاسبة . وقد كان محاسبى كثير المحاسبة لنفسه ، من إنه لم يسم لمحاسبى إلا هذه المحاسبة . وقد روى عن النبي ﷺ

« الكيس من دان نفسه ، وحمل لما بعد الموت » وقوله : « فان نفسه ، يعنى حاسب نفسه » ولقد قال سيدنا عمر رضى الله عنه « حاسبو أنفسكم قل أن تمأسوا » وروا أعمالكم بل أن تورنوا ، وتبينوا للعرض الأكبر » .

وكتب إلى أبى موسى . « حاسب نفسك فى الرخاء قبل حساب الشدة » هذه الذى قدماهه للآن يعبره المحاسبى كالمقدمات العامة للموضوع ثم يأخذ فى وصف « منابر الشرائع » ويبين فيه خلاف لفطر والحالات فى الناس من مثا على الخير ، فرعيه حقوق الله عز وجل عليه أسهل ، ومهم نائب بعد صوته ، وراجع إلى الله عن جهاته ، وبه ليدخل فى نطاق قوله تعالى .

(والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)

أما الثالث « أنه المصير على ديه المصير عن سيناته إنه » محتاج إلى ما محل به عقود الإصرار من قلبه فيتوب إلى ربه من ديه ، فحق مصاحبه اللذين من قبله - الناشئ على غير صوره ، والمسب بالتوبة إلى حاله تعالى ما الذى بعثه على التوبة وترك الإصرار ؟ أما الذى بعثه على التوبة وترك الإصرار فهو الخوف والرجاء ، يقول تعالى :

(وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى بناوى)

فأحبر عز وجل أنه ما خاف ربه سوى نفسه عن الهوى ولقد وصف الله أوليائه بأنهم يلجونه رغبا ورهبا . أى ربحين حائمين وبين الخوف والرجاء ، بأن تصبح المعرفة بعظم قدر الوعد والوعيد واضحه سافرة ، والله سبحانه قد خوفها بالعقاب لحرف أنصب ورحانا لرحيها ، وبما يعين على ذلك وقد أمرنا الله به أن نفكر فى المعاد وهجوم ملوت ، وعظم حق الله عز وجل ، ووجوب طاعته

وحقا إن الفكر فى ذلك ثقل على النفس بيد أنه مما يحفه عم الإنسان بعظم قدر ما يبان بالمعركة من المنافع فى الدن والآخره . دلث أن فى معى الطاعة فى الدنيا والظفر بمعى الآخره سعادة لا تعدها بدء المعاصى

ولن يتذكر متذكر أو هكر فى المعاد والنجاة معكر ما لم يجتمع هم . فطريق المعركة ومفتاحها إنما هو « اجتماع الهم مع المطالبة بالعقل والتوكل على الرب لا على العقل »

واسماع بهم وكما هو بعدم تثبت القلب وخوارج في مباحين اللعب وسهو يقول بن مسعود رضي الله عنه « طوبى من يجعل قلبه عند ربي عينا ، ولم يس ذكر ربه كما تسبح آداه »  
على ان المصير في منار سى ، فهم من كثرت ذنوبه ومهم من قلت ذنوبه ، ومهم ثالث من بعض ذنوبه وهو مصر عن انفس الآخر

وعلاج كل ذلك هو ايمان الصكر بالتخويف كابداء إذا أعرض لم يربأ صاحبه إلا بدوم التداوى ، وإدمان الصكر بالتخويف بسمر إلى أن تسخن نفسه بالذنوب الخائصة للصالح التي يوقن فيها أنها كانت علة ربه ونقضه سبحانه لا يقونه هو ، فستأهل بذلك الرأى من الله عز وجل ، لأنه يقول

( لئن شكرتم لأزيدنكم )

وفي التفسير لأزيدنكم من طاعتي على أنه إذا سحت نفسه بالذنوب فتأبى عليه يجب أن يستمر في تيمظه وحلوه ، فإن لاهتمام وخذلان الزمير قلبه يوقظاه فيما يستعمل من عمره ، فإذا استمر على توبته دخل تحت قوله تعالى  
( رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه )

ومما لا مارة فيه أنه لابد للحلن أجمعين من معرفة حقوق الله ، عز وجل بأسباب وأوقاتها وعملها وإرادتها ووجوبها وهم هي ؟  
وأيا بدأ الله عز وجل به خلقه ؟

فعلى العبد أن يبدأ بما بدأ الله عز وجل به ، فيبدأ برعايته حقوق الله عز وجل في نفسه ، بدءاً بكون أعمال الخوارج وحمل حقوق الله عز وجل في القلب ثلاث اعتقاد للإيمان ومحاسنه بكثرة ، واعتقاد السنة ومحاسنه السدعة ، واعتقاد لصدع ومحاسنه الإصرار على ما نكره الله عز وجل من عمل قلب وبدن وحمل حقوق الله عز وجل في الخوارج القيم بالحركات في واجب الله تعالى ، وترك الحركات وهو اسكوب عما نكره الله عز وجل  
على أنه مع كل ذلك لابد من مراعاة حقوق الله عز وجل عند خطرات القلب الداعية إلى كل خير وشر

وقد تكون الخطرات من هوى النفس ، والله سبحانه وتعالى يقول :

( إن النفس لأمارة بالسوء )

وقد تكون خيراً

ومنها يكن من شيء - فإنه إذا عرضت المخاطر عرضها على الكتاب والسنة فما وافق منه وما خالف رفضه - يجب أن يشهد له العلم ، أن الله عز وجل قد أمر بها ونهى إليها أو أذن فيها بنسائها ، وحللها ، ووقفها ، ورادتها فيها ، فإنه قد يضل الخطرة يرى أنها داعية إلى سنة وهي بدعة ، وقد يرى أنها داعية إلى طاعة وهي معصية ، وقد يرى أنها داعية إلى خير وهي شر .

كالمخاطرة بدعو إلى الإخلاص وترك العمل ، وإلى السره عن الخلق بالمكر ، وإلى الرجاء على العمل بالعجب والاعتراف ، وإلى المداومة بالحمد ، وإلى العصب لله عز وجل سمي سلاء في الدين والديار للمسلمين واعتقاد استحلال ما حرم الله عز وجل منهم ، وهو ديث من الخطر وهو القدر .

تنبيه الله عز وجل وإلى رأى جهنم " نبي شبيه وإلى تشبيه نبي رى جهنم ، وإلى الاعتراض بتثبيت الوعد ، وإلى الخروج بالسيف بالعصب لله عز وجل ، وإلى لاجء بتعظيم الأقدار وتبريه الأعداء من النقصان

وقد يحظر خطره بدعو إلى مدعه في الحملة بحسب سنة ، وقد يدس على ذلك أن قلوب أهل بدع إذا خطر بها خطرات مدعوهم إلى بدعة عدوهم سنة فكذلك أهل السنة من بدع العدو أن يدعوهم إلى البدع عند عيادهم من حيث لا يشعرون

ولولا ذلك ما انتدع أحد بدعة بعد اعتقاده بالسنة في عادية ولا غيرها ، لأنه قد بدعه العدو إلى الانداع في رده وفي رصائه وبوكله ، فيحالف رهد الأئمة المتقدمين وبوكلهم ورصاءهم ويقسم بمحالته لسنة واعتقاده البدعة وهو يرى أنها سنة ، كما عتقد قوم الزهد في الدنيا بتصبح العيال وبرك وجوب حق الوالد ، والتوكل وترك الاكتساب على الأهل والأولاد ، والخروج في سفر بلا دناءة رصا بالسرور سلاء ، داووق بالمسلمين ، ومحريم بدوء بدوء انتهى رصا صي لم تكن ، وبلاشتع باله عز وجل بترك الفرائض وترك النبوة ، ودعوى البصائر واستاره القلوب بادعاء عيم العيوب من القطع على ما صائر لخلق وما يسرون ويكتفون ، ويحتجون في ديث بآثار مثل قوله ﷺ : « المؤمن ينظر بنور الله »

وكل فرقة من ذكرنا تختص بالآثار والكتابات والمقاييس ولكن بطور ذكرها ، وما أردنا بحديث حجتها ليعرفها العالم المثبت بالكتاب والسنة

(١) القلوب بالتقدير هو القول بحرية الإرادة أي أن الإنسان حر في أن يفعل ما يشاء وليس مجبوراً من الله على عمل من الأعمال

(٢) رأى جهنم في الصعات ، عز أن الصعات هي الدواب

وكذلك الخطرات التي تدعو إلى تدبير القلوب من غير مجادات بالأعمال كالقدر  
ورأى حهم ، والرفض والاعتزال ، ونحوه ، فإن يميز العبد بين ذلك وبين ما أحب الله عز  
وجل من الأعمال والسنن إلا بشاهد العلم ،  
لقد نعتنا نقل هذا النص السابق بطوله لأنه يدل على اتجاه المحاسبي في الخاب العقدي ،  
أي إنه يحدد اتجاهه بالنسبة للفرق الموجودة في عصره ، وهو نص غاية في الأهمية من الناحية  
الصوفية ومن الناحية الكلامية

ثم من الناحية الصوفية فإن المحاسبي يحمل على من يدعو إلى الإحلاص بترك العمل وإلى التره  
عن الخلق بالعكر ، ويرى أن ذلك خطرات شيطانية وكذلك الأمر في كل حطرة تدعو إلى نوع من  
الزهد والرضا والتوكل الذي يخالف ربه الأئمة ورضاهم وتوكلهم وقيهم ، أي تخالف السنة  
ومن أمثال ذلك اعتقاد قوم الزهد في الدنيا بتفسيح العيال وبترك وجوب حق الوالدين  
وبه من الانحراف الشيطاني فما يرى أن يتمتع قوم عن الاكتساب على الأهل والأولاد  
أو الخروج في السفر بلا زاد تحت ثعلة التوكل ، أو أن يرصى بالبلاء يقع باسلمين ويحرم اللواء  
ويمتنع عن الدعاء وكل ذلك تحت نعت الرضا  
إلى آخر ما ذكره المحاسبي من ذلك

أما من ناحية الكلامية فإن هذا النص يبين أن المحاسبي لا يسب إلى معتزلة ولا إلى  
المهنية ، ولا يقول بالشيء ولا بالتعطين ، ولا برجوت تحقق الوعيد ، وأنه ليس من المرجئة  
وليس من الشيعة

إن هذا النص الذي جاء في صورة عبارة بشرى بعض ما كان يمكن أن يفصل لو أننا عثرنا  
على الكتب التي فقدت ، ولكن أهميته لا تقل سبب إجماله ، إذ هو واضح كل الوضوح في بيان  
موقف المحاسبي من الفرق الكلامية ، ومن الانحرافات المحرفة في التصوف  
ثم بعد هذا يأخذ المحاسبي في شرح ما ابتدئ به الإنسان من أداء العروص وترتيب ذلك ، فإذا  
عرض للعبد أمران جاران في وقت واحد ، يد بأوجهيه ، مثال ذلك ، في لوالدين «إن انعد  
يبدأ بحاجة والدته لأن برها مقدم في سنة النبي ﷺ ، وكذلك إذا وجب عليه الحج بالاستطاعة  
انائية وعليه دين حل مواعده ، فيؤد إلى الدائس حقه  
وإذا عرض له واجبان لأحدهما وقت يموت والآخر لا يموت وقته ، بدأ بما يموت وقته قبل

لآخر ، كالرجل يريد الحج في وقت فيه سعة من الأيام فيأمره والداه أن يقيم إلى آخر الوقت للحج وليطمئنها

وإذا كان في فرض فحرص له فرض دونه لم يخرج منه إلى ما هو دونه حتى يتمه ، كما إذا كان في الحج المفروض عموماً به فكثرت إليه والداه بالحضور فليتمه ولا يخرج منه وإذا كان في فرض فحرص له فرض أوجب منه ، قطعه بعد ما يحل فيه كالصلاة ، وكذا إذا أمره والداه ألا يخرج من بلدهما ، فيحصر الصغير لظهور اشتركي على استثنى وليس في وجوههم من يقوم بقتالهم فيه الخروج وترك المقام

وإن عرست له نافذة وهو في واجب لم يقطعه من أهلها وكذلك الفضل والتصرع يبدأ بالأفضل فالأفضل على أن الواجب أن يبادر الإنسان بالعمل على حياة نفسه حتى لا يكون مثله كمثل من قال الله عز وجل فيه

( حتى إذا جاء أحدهم الموت فإن رب ارجعوه لعل أعمل صالحاً فيها تركت )

قال الله عز وجل يحيياً .

( كلا إنها كلمة هو قاتلها ومن ورائهم برح إلى يوم يبعثون )

قال عبد الرحمن بن يزيد لرجل يعظه : يا فلان هل أنت على حال ترضى فيها الموت ؟

قال : لا

قال : فهل أجمعت للنقلة إلى حال ترضى فيها الموت ؟

فقال : لا ما سحت نفسي بذلك بعد

قال : فهل بعد الموت دار فيها مستحب ؟

فقال : لا

قال : فهل تأمن بغنة الموت ؟

فقال : لا

قال : ما رأيت مثل هذا الحال رضي بها عاقل

والعاقل هو الذي يتوب قبل الموت أي على الفور - توبة طاهرة عن الذنوب والخطايا ، من

توب قبل له إنك تموت الساعة فإنه لا يجد عمله ذنباً يحتاج إلى التوبة منه فيسأل النظر من أحبه

ولقد أجاد سيدنا عمر بن عبد العزيز في الحس على الذكر والفكر حيناً قال في خطبته -

« ألا يرون أنهم يتقربون في أسلاك الملائكين ، ويرثونها منكم للباقيون ، كذلك حتى يردون إلى حيز الوترين ، وأنهم تحمرون كل يوم غداً أو رثناً إلى الله عز وجل ، يصعدون في صدع الأرض ثم في بطن صدع ، قد توسد التراب وحطف الأحباب ، وقطع الأسباب موجه بالحساب على عما حجب ، صير إلى ما قدم »

ثم يبدأ المحاسبي شرح وتحليل الرذائل النفسه ووصف العلاج لها تلك الرذائل التي يحبط الأعمال وتنتهي الإخلاص

وأول هذه الرذائل هو « الرياء » ويستعصم المحاسبي في الحديث عن الرياء استعصامة تناسب مع بطلانه في النفوس . وشعبه بحث يظهر في لا يكاد يخص من الأعمال على أن جميع أعماله في عروضة لأن بعضه في رياء فتصبح كسراب بديعة ومن أجل كل ذلك كتب عنه المحاسبي نحو خمس وعشرين ومائة صفحة ، أي ما يريد قليلاً على ربع الكتاب ووصفه بحث عدوان كتاب « الرياء »

وسبب المحاسبي كتاب الرياء على مصوره ابعاده في كتاب الرعاية ، كله سؤال وإجابة مؤلف

قلت قد وصفت في مرقبه الله عز وجل وذكر الرعاية لمعقوف الله عز وجل ووجوه طلبها

ولاول من الرغب والفصل فما حجاب على إن قلت لذلك ؟

قار احاف عليك ان تصده في يظل ثوبه في آخرتك وينهب بحلاوته من قبك قلت ذلك أعظم للحصره ان أنعي ثم يحبط ويبطل عملي وما ذلك بلعي ؟ اه وما يحبط عمل المتني ان يحب ، ان يحمد ويؤخر سبب عبادته ، ولابد من الإخلاص التام حتى يصل الإنسان إلى منزله خاصه ومن شئت في أن الإخلاص سرية لأقوياء وخاصة من العابدين ولكن الجميع مطالبون به ، وعلى قدر إخلاصهم يكون ثوابهم

وقد سألت حل رسول الله ﷺ

فقال يا رسول الله فيم لحياء

فقال « ألا تعمل بما أمرك الله به تريد الناس »

فسأله عن بخته في أعماله فأجبه بترك الرياء

لا غنى للعبد إداً عن تركه ، فإذا سألت الآن عن مفهوم الرياء فإنه : « إرادة العبد الصادق بطاعة ربه »

يصور تعالى

( مَنْ كَانَ يَرْيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِيتَهَا نُوفًا إِلَيْهِمْ أَعْمَاهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ أُولَئِكَ الْمَسْمُومُونَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَبَعُوا فِيهَا وَيَظُنُّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ )

وقد روى عن معاوية بن أبي سفيان وروى عن مجاهد في تفسير هذه الآية قولا : « هم المرءون »

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية وكلام الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في التحذير من الرياء لا يكاد يحصى

ومن أشد ما يروى في ذلك حديث رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه روى عنه مسلم سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يا أيها الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فاعترف ، قال : لم عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ، وبكث فأتيت لأن يدرى حري ، قال : صدق ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فاعترف .

قال : فما علمت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وقرأت فيك القرآن

قال : كذبت ، ولكنت تعلمت يقال عالم وقراب القرآن بقدر قدرته ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف ثلث فأتى به فعرفه نعمه فاعترف .

قال : فما علمت فيها ؟

قال : ما تركت من سبيل تحب أن يرضى فيها إلا اعففت بها لك

قال : كذبت ولكنت فعلت : يقال حواد فقد قبل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار »

وفي رواية أن النبي ﷺ حط عن محمد أبي هريرة وقاب : « يا أيها هريرة ، أولئك أول خلق الله عز وجل تسع بهم نار جهنم يوم القيامة » فذلك أعظم الرياء عند الله عز وجل وإذا كان هذا إرادة غير الله بالطاعة فإن من أنواع المرائين من يريد الله ويريد الناس أيضا ، وذلك أقل من السابق ولكنه أيضا رياء

يقول تعالى ( من كان يرحو لواء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً )  
ويقول عليه السلام في حديث قدسي عن الله عز وجل : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل  
في عملاً وأشرك معي شريكاً ودعت بصبي لشريكى »  
ومن أخس أنواع الرياء : أن يتظاهر الإنسان بالعبادة طمعاً فيما في أيدي الناس ، وحقاً في أن  
يبروه بما يظهر من طاعة ربه

لا بد إذن من المهادنة والمكابدة والتبسط عند حل شيطان النفس الأماره ، وليس ذلك  
سهل في مبدأ الأمر ، والناس في هذه متفاوتون ، ولكن الله سبحانه وعده بأن يُعين الذي يبدأ  
مخلصاً في السِّر إليه حيث قال سبحانه :  
( والذين جاهدوا فينا لنهذبهم صبلاً . )

ثم يأخذ المحاسبي في وصف ألوان من الرياء عديدة تأتي على شكل خطرات تتردد في النفس ،  
ليكون الإنسان منها على حذر ، ويبين امرأة في العروص والمرأة في السن  
ثم يتحدث عن بعض ما يشأ عن لرياء من الأخلاق مردولة المسمومة ، ومن هذه الأخلاق  
انتي تشأ عن الرياء مثل المهادنة بالعلم والعمل والتفاخر بالدين والدنيا وحب الغلبة  
أما علامة المرئى فهي حب الحمد والثناء وإظهار العمل من أجل الاحترام والتبجيل  
والمح

ومن أحل كل ذلك لابد من إخلاص الية ، ولابد أن يصل الإنسان إلى أن يكون ممن وصف  
الله من عباده مادحاً هم فقال عز وجل  
( يومئذ ينادى ويخافون يوماً كان شره مستطيراً . ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً  
وأسيراً ، بما بطعمكم لوجه الله لا يريد منكم حسرة ولا شكوراً . يا نوحا من ربنا يوماً عبوساً  
قطريراً ، فواقهم الله شر ذلك ليوم ليقاهم بصرة وسروراً وجراهم عما صبروا حنة وسحريراً )  
أما من تحدث إلى الناس عما عمل من الطاعة يريد بذلك وجه الله ، وحبهم على الافتداء  
به ، فليس من الرياء في شيء ، ولأن يهتدى الله بلب رجلاً حبر لث من الدنيا وما فيها  
وقد حتم محاسبي كتاب الرياء بقوله . « وقد روى أن ابن السكك قد لحارية له ما إذا  
أثبت بغداد تمحت لي الحكمة ؟ قالت له جاريته : يشهد لسانك الطمع »  
وصدقت إن العبد يكثر الكلام بالخير عند الذي ما لم يتكلم به عند الفقير يبيجه الطمع على  
ذلك أو يعظيجه للدنيا ، وكذلك يظهر الخشوع وغيره من الطاعات



ويبدأ المحاسب بعد ذلك في « كتاب الإحسان ومعرفة النفس » ولا يقصد المحاسب أن يتكلم في هذا الباب على الصداقة وشروطها وواجباتها ، أو عن النفس من ناحية التصور الفلسفي لها جوهرًا ، كانت أم عرضًا ، وقديمة أم حديثة ، كلا ، وإنما يريد أن يتحدث في الموضوع من ناحية الإعانة على ذكر الله والتقوى ، فقد بترك الإنسان الرياء فترة من الزمن عارمًا على ألا يعود إليه ، ثم تعود عريته ويتكثف في طريقه .

ولأجل ألا يحصل ذلك لابد من قطع كل سبب يكون عنه الزلل والعتنة فإذا دارل مع ذلك فلابد من المسارعة إلى الإقلاع قبل أن تألف النفس المعصية وتتمكن في انقب حلاوة الشهوة وقد يكون من أسباب الزلل محاسبة ندين لا يسلم الإنسان معهم - بسبب محاسنتهم من الزلل ، وعمل صاحب السوء ، كمثل صاحب الكبر - يعنى الحداد - إن لم يحرقك بشره - يعنى بك من ربحه

ولقد قال سيدنا عمر - أحد صديقك إلا الأمل من الأقوم ، لا أمل إلا من حقى الله ، كل هذا إذا أس من نفسه ضعفًا ، أما إذا كان يمكنه أن يعبر اتجاه أصحابه ويتعلم على تباركهم فيوجههم إلى الخير فذلك حسن يقول إبراهيم التيمي :

« إن الرجل ليأى القوم وهم يخوضون في الباطل ، فيصرفهم إلى الذكر فيكون له أجره وأجرهم » .

وبعد هذا الكتاب ، كتاب آخر يرتبط به ارتباطًا وثيقًا ، حتى لقد كان يمكن أن يكونا كتابًا واحدًا ، ويكُونَا بذلك وحدة متحدة ، ذلك هو « كتاب تنبيه على معرفة النفس وسوء أفعالها ودعائها إلى هواها » ويكتفى في هذا بما ذكرناه سابقًا

ومن الرذائل الخبيثة في النفس « العجب » بسببه هلك ثمة الصلابة ، وبالعجب تكبر المتكبرون ، واضعروا المستحرون ، واختال المختابون

ولقد روى عن رسول الله ﷺ « ثلاث مهنكات شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه »

وقد يكون العجب بالدين :

والعجب بالدير بوجوه أربعة : بالعمل والعلم ، والرأى الصواب ، والرأى الخطأ

فالعلم : ما حفظ وفهم من الكتاب والسنة وقول علماء الأمة

وأما الرأي الصواب في استنبط قياساً ، على الكتاب والسنة وإجماع ، مشيهاً بها حكمه مثل حكمه

وأما الرأي الخاطئ في كبر من غير استنباط من كتاب ولا سنة ولا إجماع لأمة ، و كما هو تأويل غير الحق و محذور له على صييل الخهل من قبل هوى النفس مع اعتراض من نظر أنه حق

فأما الإجماع بالعمل والعلم والرأي الصواب ، فهي واحد لأنه كله منه من الله عز وجل ، ونعمة منه

فجملة العجب بالدين حمد النفس على ما عرفت أو عرفت ، وسيان النعم من الله عز وجل عليك بذلك ، فحمد النفس وسيان شعم هو العجب بالدين أما إذا رأى الإنسان أن ما به من نعمة - حالاً أو قوة أو عظمة أو سداداً في الرأي أو طاعة وعبادة لله - فإنه بذلك ينشأ العجب عن نفسه ، يقول تعالى :  
( ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد شيء )

ويستعصى بالحديث عن العجب ما الدنيا وأعمال الطاعة والعلم والنفس وبالغضب ، مع أن الله تعالى يقول :

( إن أكرمكم عند الله أتقاكم )

ومع قول رسول الله ﷺ لا يبتدأ بعلمته وبإفلاحة بيت محمد وبإصفيته عند مطيب عمة رسول الله ﷺ ، عملاً لأمره كما نرى لا أعني عكسها من الله سبحانه ويتحدث المحاسبي عن العجب بكثرة العدد ويذكر رداً على ذلك قول الكاهن عن أكثر أموالاً وأولاداً

ثم يلحد المحاسبي في « كتاب الكبير » والكبر . من علامات النفس لا يؤمنون بالآخرة ، يقول تعالى :

( فأنذرتهم بالآخرة فلوهم منكروا وهم مستكبرون )

وما أتحد كثير من المحدثين ، بحرف كثير من المتحرفين إلا بسب الكبير ، والله يصرفهم عن رؤية آله ، ولا اعتبار بها بسب كبيرهم

( سأنصرف عن آثاني الذين يتكبرون في الأرض غير الحق )

وإن الله سبحانه وتعالى ، « يطيع عن كل قلب متكبر جبار »

وقد سبَّ الكبر عن المحبة في الدين بالعم والنسب ، فإذا كان من قبل العم فإن لعالم إد  
 محبة بعمه أخرجه محبة إلى الكبر عظمًا على العباد فيكبر على العم . وإن كان بعضهم أتى  
 لله عز وجل منه

ودنَّ الذي خافه عمر رضي الله عنه على العلماء حين قال : « تواضعوا لمن تعلمونه  
 ولا تكونوا من حبايرة لعلماء ، فلا يقوم عليكم عند الله بجهنكم » . أي لا يركو عند الله إد  
 بكمتم به

ومن بعد قوم صلاب قد جمعوا إلى اتصال بكم لا يرون أن أحدًا يقول حتى على الله عز  
 وجل غيرهم ، وأنه لا مهدي في الأرض غيرهم ، وهم الذين يقولون إن القرآب مخلوق ، وهم  
 الذين يقولون بالوقف ، والذين يقولون باللفظ ، والذين يكذبون بالهدر ، والذين يكفرون أن الله  
 عز وجل يرى في الآخرة ، والذين يعطون موارد ، ومهم الرافضة والرجثة والحرورية ، والذين  
 يكذبون بالشعاعة ، ويشتمون أصحاب رسول الله ﷺ ، والذين يشتمون عائشة أم المؤمنين أميرة  
 من الإنك رضي الله عنها

وبولا ما أكفروه أن يطول الكتاب بذكرهم لذكرتهم ، فكل هذه الفرق آفة جائرة عن  
 الطريق ، لا يرون أحدًا يقول بالحق وأنه لا مهدي في الأرض غيرهم جهلا بالله عز وجل وتكبراً  
 على عباده كما يرى الناس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « يكون عود يهراؤن لقرآن  
 لا يحاور حناجرهم ، يقولون قد قرأنا بقرآن من أقرأ ما ؟ ومن أعلم ما ؟ ثم يصمت سبي  
 ﷺ - إلى أصحابه فقال أولئك منكم أيها الأمة ، أولئك هم وعود النار »  
 وقد يكون الكبر عن الرياء

ويجب على كل إنسان أن يعلم ، أن أصل من آدم من التراب الذي يؤطأ بالأقدام إنه من  
 حمء مسنون ، والله سبحانه وتعالى يقول .

( قتل الإنسان ما أكفره : من أي شيء خلقه ١٩ من بطة خلقه فقصره )

ثم إن الله تعالى لا يحب المستكبرين ، ويقول ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال  
 حبة من خردل من كبر » .

ثم يتحدث المحاسبي عن : « لعرة بالله عز وجل » ويُميز بين لعرة والرجاء فبعض المختبرين يظن  
 أن اللعرة منه رجاء فينبغي عن معاصي الله عز وجل ، ويظن ذلك حسن الظن منه ، وليس ذلك  
 بحسن ، كما قال وهب : حسن الظن بالله ما جاب العرة

وقيل للحسن إن قومًا يقولون . برحوا الله عز وجل ، ويضيعون العمل لقال هيات هيات تلك أمانهم يترحمون فيها من رجا شيئًا طلبه ، ومن حاف شيئًا هرب منه ويتحدث الخامس في : « كتاب العرة » عن عرة أهل النسك ، وعره الفقهاء وعره الوعاظ ، وعره المتكلمين

ثم يأخذ في شرح الحسد أسبابه ومصادره ، وما من ريب في أن جعله الحسد المحرم : أن يكره الحاسد ما يرى من غيره من النعم ويحب رواها عنه . وأما المذاق في حيرى الدنيا والآخرة ، وأن يحب ما يرى بعينه من النعم أن يكون له مثل عبطه منه دون أن يكره لغيره ما يرى به من النعم فهذا لا بأس به بل إنه مما يحسن ، ومن هنا كان قوله عليه السلام : « لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله عز وجل ما لا فسلطه علىهلكته في الحق ، ورجل آتاه الله عز وجل علما فهو يعمل به ويعلمه الناس » ذلك الذي هو المناصة في الخير

ويتم الخامس « كتاب الرعاية » - « كتاب تأدية المريد » يذكر فيه حيرة المريد في ساعات الليل والنهار . إنه يرسم فيه المتمرد الذي يسير عليه المسلم في حياته حين يحرم على أن يلحد السمات الإسلامية الصحيح .

وهو يقول الخامس . فعود بالله من الحيرة بعد الهدى ، ومن العمى بعد البصر ، ومن الإعراض عن الله تعالى بعد الإقبال إليه ، وسأله السلامة والنعم على ما يحب ويرضى

### الرابع الخامس وكتابه « الرعاية » في الفكر الإسلامي

إن تأثير الخامس في لأحيال ثابته لا ينكر به من الواضح أن تلميذه الأكبر وإن لم يلتق به - كان الإمام العراقي .

إن الإمام العراقي يعرف بأنه قرأ كتب الحارث الخامس ، قال ذلك في كتابه « المنقذ من الضلال »

ولقد قرأ أيضًا سيرة الحارث الخامس ، ويتحدث عن الخلاف الذي كان بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل ، ثم إنه نقل عنه في كتابه « الإحياء » كثيرًا من الآراء والنصوص . وفي كتاب « الإحياء » يقول عنه الإمام العراقي دون تحفظ ولا استثناء هذا التقدير المائل . « الخامس خير الأمة في علم المعامنة ، وله السبق على جميع الباحثين عن عجوب النفس وآفات الأعمال وأغوار العبادات ، وكلامه حدير بأن يحكى على وجهه » اهـ

هذه الشهادة أو التقدير من الإمام العزلى كان له تركيز في كتاب « الإحياء » ، لدى بعض تقريباً كتاب « الرعاية »

وكلمة الشيخ الكوثري رحمه الله سبى أن ذكرناها في المقدمة التي كتبناها لكتاب « الرعاية »  
 رد يقول « لقد تبطن الإمام العزلى كتاب الرعاية في كتابه الإحياء »  
 ولكن أثر المحاسنى كان أيضاً كبيراً قبل الإمام العزلى ، يقول السكى عنه « عالم العارفين في  
 زمانه وأستاذ السائرين الجامع بين علمى الباطن والظاهر »  
 يقول الشعرافى عنه « إنه أستاذ أكثر البعداديين »

لقد كان رحمه الله عليه أستاذ أكثر البعداديين وعم العارفين في زمانه ، وامتد تأثيره إلى الإمام  
 العزلى وإلى الصوفية من بعده ، واستمر هذا التأثير قرناً قروناً ، واستمر تقدير العلماء الصوفية له  
 قرناً قروناً حتى إذا كان القرن الحادى عشر الهجرى ، وكان المناوى صاحب التأليف الكثيرة  
 المشهورة المعروفة كتب عن المحاسنى في كتابه « الكواكب الدرية » يقول « المحاسنى البصيرى : علم  
 العارفين في زمانه ، وأستاذ السائرين في أوانه ، عالم سار به فضله ، وصوفى طار به ، برع في  
 عدة فنون ، وتكلم على الناس فأزهم الجوهر ، مكتوب راحي القلوب بوعظه ، وشفى الأسماع بسر  
 لفظه ، بصايبه مدونة مسطورة ، وأقربه محبوبه مشهورة ، وأحبه مصححة مذكورة ، وكان  
 في علم الأصول راسخاً راجحاً ، وعرف الخوص في الفصوص جاحلاً ، وللمحالين الرافعين قامعاً  
 وناطحاً ، وللمريدن مرياً وناصحاً

قال الشيخ هو إمام المسلمين في الفقه والتصوف والحديث والكلام  
 وقال غيره « المصنفات النافعة الحجة بحيث تنبع بحوائث مؤلف ، ودهيك برعيه وكنه  
 في هذه العلوم أصول لمن صنف فيها

قال في الإحياء المحاسنى خير الأمة في علم المعاماة . وله السبق على جميع الباحثين عن  
 عيوب النفس ، وآفات الأعمال ، وأعو العادات ، وكلامه حدير بأن يحكى على وجهه  
 على أن التقدير الذى نحب أن نعطه هنا هو ما كتبه لأستاذ لويس مسينيون عن كتاب  
 « الرعاية » في كتابه « مصطلحات التصوف » .

إن المحاسنى سمى فيه « بتحليل النفس إلى مرتبة لا يحد لها مثيلاً في الآداب العادية إلا نادراً

السَّعَايَةُ لِجُتُوْقِ اللَّهِ

للحَارِثِ الْحَاسِبِي

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على محمد وآله وسلم ، وناقه أَسْتَعِي ، الحمد لله حق حمده

قال أبو عبد الله الحارث بن أسد الطحاسبى رحمه الله :

الحمد لله قبل كل مقال ، وأمام كل رعة ومزال ، فكل أمر مهم دى بال لم يبدأ فيه محمد

الله وذكره فهو أقطع من القول ، غير دى اتصال ، وكذلك بروى عن النبي ﷺ

الحمد لله الأول القديم ، الذى لم يزل ، ولا يستحق هذا الوصف غيره ، ولا يليق سواه ،

لأنه لم يزل وحده لا شىء معه ، ثم ابتدأ خلق الأشياء لا من شىء كان معه قليماً ، فاخترع

الأشياء وأنشأها وقدرها كما أراد ، فليس له شريك فى الملك ، وكل شىء به مملوك ، بدأ منه

«سم بعضاً» وبالأبداى لى لا تحصى كرمًا وحرًا ، لله الحمد كما هو أهله وكما يسعى لكرم

وجهه وعز جلاله ، وبناه يستهدى ، وبه يستعين ، وعيه يتوكل ، وصلى الله على محمد بيه ،

وعلى آله وسلم

ثم عن أثر ذلك فإن قد فهمتُ جميع ما سألت عنه وقد أحببتُ قبل جوانى إياك عما سألتُ

عنه ، أن أحصلك على حسن الاستماع ، لتدرك به الفهم من الله عز وجل ، فى كل ما دعاك إليه

فقدّم حسن الاستماع منك لما أجبك به ، لعل الله عز وجل ، أن يصعك بفهم ما أجبك

عنه من الرعاية لحقوق الله عز وجل ، والقيام بها ، فإن الله تبارك وتعالى أخبرنا فى كتابه - أنه

من استمع كما يحب الله ويرضى ، كان له مما يستمع إليه ذكرى يعى اتعاطاً ، وإذا سمى الله ، عز

وجل ، لأحد من خلقه شيئاً فهو كما سمى ، وهو واصل إليه كما أخبر

قال الله ، برك وبعدى ( رَأَى دَيْتَ يَذْكُرُ مَنْ كَانَ لَهُ قَبْلُ أَوْ أَلْفَى سَمِعَ )

فيل فى التصير . له عمل «أو ألقى السمع وهو شهيد» قال محمد شاهد القلب لا يحدث

بسمه بشىء ، وليس بغالب القلب

من استمع إلى كتاب الله عز وجل ، أو إلى حكمة ، أو إلى علم ، أو إلى موعظة لا يحدث عنه شيء غير ما يستمع إليه ، قد أشهد قلبه ما يستمع إليه ، يريد الله عز وجل بذلك ، كان له فيه ذكرى ، لأن الله تبارك اسمه ، قال ذلك ، وهو كما قال عز وجل : **وذلك وصف المؤمنين وأمرهم به ، فقال ، عز وجل ،**

( **الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ فَتَقُونَ أَلْسِنَهُ أَوْ يَبْغُونَ فِي الْأَذَانِ** )<sup>(١)</sup>

وقال تعالى : ( **وَلَمَّا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا** )<sup>(٢)</sup>

وإن كان ذلك في الصلاة ، أو الخطة ، فهو أدب لكل من سمع إلى خير ووصف الله تعالى مؤمنين الحق بذلك حين سمعوا النبي ﷺ ، يقرأ سجدته ، وقيل بمكانه فقال تعالى : ( **فَمَا خَصَّوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا** )<sup>(٣)</sup>

فأمر بالاستماع لكتابه ، مع برك الكلام ، بحضور العقل ، بينا عبادته بذلك الفهم عنه ودم من حاله ذلك فقال عز وجل :

( **سَحَرُ أَعْلَمُ مَا يَسْمَعُونَ بِهِ وَذُ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَحْوِي** )

فمدح الناصت له ، لأن يستمع عنه كلامه مع حضور العقل وأمر عز وجل عبده بذلك أدناهم ، لأن بآلوا بذلك الفهم عنه وروى عن وهب بن منبه ، أنه قال : من أدب الاستماع سكوت الجوارح ، وعص البصر ، والإصغاء بالسمع ، وحضور العقل ، والعزم على العمل ، وذلك هو الاستماع ، كما يحبه الله تعالى أن يكف العبد حواره أن يشغل قلبه عما يستمع ، وبعض طرفه لئلا يلهو قلبه بما يرى ويحصر عمله فلا يحدث عنه شيء سوى ما يستمع إليه ، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما يفهم ، لأن أول ما داب الله به عز وجل عباده المؤمنين أن يهدموا الإرادة والعزم على طلب الفهم عنه ، ثم يستمعوا به يحصر عقولهم ، ويباينهم في ذلك أن يفهموا عنه فيعملوا له بما يفهمون عنه

(١) ٣٩ ١٨

(٢) ٧ ٢٠٤

(٣) ٤٦ ٢٩

(٤) ١٧ ٤٧

(٥) في روايه اخرى لطوي



حدثنا العلاء قال سمعت سفيان بن عيينة يقول أول العلم حسن الاستماع ثم الفهم ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر ، وصرح بعض الحكماء مثلاً لحدث كله فقال  
إن البادر خرج ببدرة ، وملاً منه كمة قدر ، فوقع منه شيء على ظهر الطريق فلم يلبث أن انحط الطير عليه فاحتطفه ، ووقع منه شيء على صفا ، يعنى حجرًا أجلس عليه نواب يسير ، وبنى قليل ، فت ، حتى إذا وصلت عروقه إلى الصفا لم يجد مساعاً يهد فيه فيس ، ووقع منه شيء في أرض طيبة فيها شوك نابت ، فبست البذر فلما ارتفع حنقه الشوك فأفسده واحتلط به ووقع منه شيء على أرض طيبة لس على ظهر الطريق ، ولا على صفا ، ولا فيها شوك ، فبست ونما وصنع

مثل النادر ، كمثل الحكيم ، ومثل النذر كمثل صواب الكلام ، يتكلم به الحكيم ، ومثل ما وقع على ظهر الصريق مثل الرجل يستمع الكلام وهو لا يريد أن يستمعه ، فلا يلبث الشيطان أن يحتطفه من قبله فبساه ، ومثل الذي وقع على الصفا مثل الرجل يستمع الكلام فيستمعه ويستحسنه ، ثم يهوى إلى قلب ليس فيه عزم على العمل ، فيتمسح من قلبه ، ومثل الذي وقع في أرض طيبة فيها شوك مثل الرجل يستمع إلى الكلام وهو يوى أن يعمل به ، فإذ عجزت له الشهوات عند مواقع الأعمال حمته ، فأفسدته فترك استعمال ما يوى أن يعمل به ، ومثل الذي وقع في أرض طيبة لس على ظهر طريق ، ولا فيها شوك ولا على صفا مثل الرجل يستمع إلى الكلام وهو يوى أن يعمل به فيهممه ، ثم يصبر على العمل به عند مواقع الأعمال ، ويحارب الشهوات قال أبو عبد الله فلقد ضرب هذا المثل ، فما عادر ما يحب الله ، عز وجل ، أن يذل عليه ، بما أذّب الله عز وجل به عباده ، لأنه أدهم بالاستماع والإبصار والنية على الطاعة ، والصبر عليها عند مواقع الأعمال ومحابه الشهوات ، والأهواء المزيلة عن الطاعة وتفسدها ، وإن ادّوها بجوارحهم

فاستمع ما أحببتك به ، على ما صنعت من الاستماع ، فإنك إذا استمعت كذلك يعطيك الله تعالى مما أحببتك به ، لأن العبد إذا استمع كما يحب الله عز وجل ، أفهمه الله تبارك وتعالى

(١) في هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ إن مثل ما يعشقه الله به من العبد كمثل غيث أصاب أرضاً بها ماء ، فأنزل الله عليه طيباً من الماء ، فأنبت للكل والعشب الكثير وكان من أحببت الله ، فسمع الله تعالى بها الناس فشرى بها وسهر ورعو ، وأصاب طائفه منها أخرى يغا من قيمان لا تحس ماء ولا تبت كلاً ، فذلك مثل من لله في دين الله تعالى ونفعه ما يعطى الله تعالى به علم وحكم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الأنى أرسلت به

كما يحب ؛ لأنه عام كما يستمع به المستمعون ، مطلع على إدراكهم وهمهم ، ناظر إلى جورحهم ،  
 ألم تسمعه تعالى يعيب من لا يريد الفهم عنه ، فإنه بذلك عام مهم ، إذ يقول حل وعمر  
 ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَحْوِي ' )  
 فالله حل وعز مطلع عليك ، يرى هممك وما تريد ، فالزم قلبك ما يحب الله تبارك وتعالى ،  
 عند بطرك إلى ما كتبته لك ، واستناحك إلى ما أجبتك عنه يورثك ذلك القيام لله عز وجل بحقه  
 ياديه وتوفيقه ولطفه إن شاء الله

## باب الرعاية لحقوق الله عز وجل والقيام بها

ثم ما سألت عنه من الرعاية لحقوق الله عز وجل والقيام بها ، فحدث سألت عن أمر عظيم أصبح عامة أهل زمانك له مصيبين ، وهو الأمر الذي تولى الله عليه أنبياءه وأحباؤه لأنهم رعوا هذه وحفظوا وصيته

وحدث جاء الحديث عن النبي ﷺ ، روى عنه محمد بن علي بن حسين بن فاطمة أمية النبي ﷺ ، أنه قال سم الملك العظيم ، في الوقت الذي آمنوا فيه من كل ما كانوا يجاهلون ، وحلوا في كل ما كانوا يأملون ، وفيما هم تنغمه مالمهم في المقعد الصدق الذي وعدهم فيه بأن يريهم وجهه ويلمعهم عبية الكرامة من رؤيته ورحمته ، فقال لهم في ذلك المقعد الذي ليس هرقه منزلة ، ولا بعده عاية كرامة

«مرحباً بعبادي وروزي وحيرتي من حلتي ، الذين رعوا عهدي وحفظوا وصيتي ، وحافظوني بالغيب » لأنهم حفظوا ما استرعاهم واستودعهم ، وكل ما أمر الله عز وجل بالقيام به ، قد أمر برعايته ، ألا ترى إلى قول النبي ﷺ «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»

على العدد ان يقوموا بما أوجب الله تعالى عليهم في أنفسهم ، وفيما استرعوه ، فالإمام راع على الناس ، يجب عليه حفظ ما استرعى من أمورهم ، وكذلك الخاصة والعامة ، ألا ترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، يقول :

لو أن سحلة<sup>(١)</sup> ضاعت بشاطئ الفرات خشبت أن يسألني الله عز وجل عنها وكل حق أوجب الله حل وعمر على صاده في حاشية أنفسهم أو فيما أوجب بعضهم على بعض ، فقد أمرهم بحفظه والقيام به ، وذلك رعايته حقه الذي افترضه عليهم ، والقيام به ولقد دم الله جل وعز ، قوماً من بني إسرائيل ، ابتدعوا رهبانية لم يؤمروا بها ، فلم يرعوها حق رعايتها ، فقال تعالى

(وَهَبْنَاهُ أَتَذَكُّرُهُمْ مَا كُتِبَ لَهُ عَلَيْهِمْ<sup>(١)</sup>)

وقد احتلف في هذا الحرف فقال محمد .

( مَا كُتِبَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ إِلَّا الْإِتِّقَاءُ بِرُضْوَى اللَّهِ )

عليهم أي كتبها عليهم ابتداء برضوان الله

وقال أبو أمامة وغيره ما كتبها عليهم ، أي ما كتبها عليهم ولم يبتدعوها ، لا اسماء

رضوان الله ، فعسى الله عز وجل يتركها وهذا أولى التفسيرين بخلاف شاء الله ، وعنه أكثر

علماء الأمة فقال الله عز وجل

(فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا)

فدعهم الله تعالى يترك رعيته ما لم يقتصر ، ولم يوجب عليهم إلا فكيف عن صبيح رعايته

حقوقه ، الواجب ، التي أوجب في تصيبتها عصبه وعقابه وجعل الدين بها مفتاحاً لكل خير في

الدنيا والآخرة ، وهي التقوى ، ولأهلها أعد الجنة ولأهلها جعل الأمن في الآخرة ، وبإياهم وعد

فيون الأعمال ، وبإياهم مسمى بالولاية ، ورفع عنهم الخوف والحد في يوم المخافة والأحرار ،

لا نار ،<sup>(٢)</sup> أهدوا لهم الخلائق وهم جعل نصر في الدنيا ويعونه على طاعته ، وهم جعل

خرج من كل ما صاى على العباد وهم صمس الرزي من غير الوجوه التي يختصيها

فقال تبارك وتعالى ( وَحَقَّتْ عَرْشُهَا سَمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعْلِنَتْ سَمْعُهَا<sup>(٣)</sup> )

فهل ترى فيها موصفاً لغير متق ؟

(١) ٥٧ ٢٧

(٢) جمع تارده بمعنى مره

(٣) ٣ ١٣٦

## باب معرفة التقوى وما هي

والتقوى التي أَعَدَّ الله عز وجل ، الحجة لأهلها ، انتهاء الشرك لما دونه ، من دس ، من كل ما سوى الله عنه ، أو تصحيح واجب مما افترضه الله  
 قال تعالى ( وَلَعَذَابُ أَلِيمٍ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ أَلِفُوا اللَّهَ )  
 وهي وصية الله عز وجل في الأولين والآخريين  
 قال تعالى ( أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا  
 يَتَّقُونَ <sup>(١)</sup> )

وقد رُوي في الحديث . إن المأدب ينادي يوم القيمة  
 ( يا عبدي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ) فرفع خلائقهم يهزون عن عدد  
 الله عز وجل  
 ثم ينادي الثانية : ( الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ) ، فيكس الكفار رؤوسهم ، ويس  
 لموحلون راعهم رؤوسهم  
 ثم ينادي الثالثة ( الذين آمنوا وكانوا يتقون ) ، فيكس أهل الكفار رؤوسهم ، ويبقى أهل  
 التقوى رؤوسهم ، قد أزر الكرم عنهم الخوف وخرجت كؤوسهم ، لأنه كرم  
 الأكرمين لا يجدون وليه ولا يسمة عند اهلكه  
 قال تعالى ( إِنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي مَقَامٍ أَلِيمٍ <sup>(٢)</sup> )

لأن التقوى إذا كان أصلها الخوف والحد من الله جل وعز  
 وكذلك يقول الله عز وجل . ( وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ <sup>(٣)</sup> )  
 ( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَسَى الْإِنْسَانَ عَنِ الْغَى )

(١) ٤ ١٣٦

(٢) ١ ٦٢ ٦٣

(٣) ٤٤ ٥

(٤) ٥٥ ٤٦

فأخبر العليم أن الخوف كان قبل التقوى

والعرب مجمعه في لغتها على أنه إذا أمر بعضها بعضاً بالانتهاء من شيء قال احذر السبع ،  
احذر الخلد ، احذر البئر ، أي احذر ، فتجنب ما أخطرك  
فما كان أصل التقوى لله تعالى الخوف منه ، وعندهم الأمن عوصاً مما أخطروا أنفسهم به من  
عصاه فقال حل وعمر : ( إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ )  
وقال : ( أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ )<sup>(١)</sup>

وقال تعالى ( أَفَسَوْا يَلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ )<sup>(٢)</sup>

وبذلك جاء الخبر ، أنه يقول حل وعمر يوم القسمة ، وعرف وجلال لا أجمع اليوم بعدى  
أمين ، ولا أجمع عليه خوفين ، من حامي في الدنيا أمته اليوم ، ومن أسمى في الدنيا أخفه  
ليوم ، فما طنت بالله عز وجل يقولها ؟

وقلت لا يخلو في ذلك الوقت أن يكون أحد قسري - إما قلباً كان في الدنيا لله تعالى حائفاً ،  
فاستطار روحاً لما سمع الله ، عز وجل ، يقول عبدة وسروراً ، لما رأى من عواقب الصبر ،  
وما حل في قلبه من الأمن ، وما سمع من الخصوصية له من الله جل وعز بالأس والرضاء على  
رؤوس أهل الجمع ، وإما قلباً كان في الدنيا عافلاً مغترّاً آمناً ، فاستطار قرعاً ورعاً ، وعنت  
عليه الندامة ، والحسرة ، حين رأى سوء عواقب عقلته واعتزازه ، ولزم قلبه يقين بأن عصاه  
الله عز وجل قد حل به ، وأنه لن يسحو من عذاب الله جل وعز ، نصعفه ، وما حصه الله ببارك  
اسمه به من نشقاء ، والعداوة من الندم - لحسه له على رؤوس أهل الجمع

يا حي إلى أندرل ونصبي مقاماً عنت فيه الرجوة ، وحشعت فيه لأصواب ، ودل في  
الحارون ، وتصعصع فيه المنكروون ، واستسلم فيه الأولون والآخرون بالذل والسمكة ، وخصوع  
لرب العالمين ، وقد جمعهم الواحد القهار الذي لا ثاني له في الهبة ، ولا مشارك في حكمه ،  
جمعهم بعد طول انبى للعص والفضاء ، في يوم آتى فيه على نفسه ألا يترك فيه عدداً أمره في  
الدنيا وسماه حتى يسأله عن عمله في سره وعلايته ١١

فاظر بأى مدن تقف بين يديه ، وأعداً للسؤال جواباً ولبواب صواباً ، فإنه لا يصدق  
إلا الصادقين ، ولا يكذب إلا الكاذبين

## باب معرفة ما يبدأ به العبد من العدة للمقام بين الله تعالى

طبيخ أو ما تبدأ به من العدة لذلك انقام تقوى الله عز وجل ، و السر والعلايه ، ليؤم  
قديك في ذلك انعام مع قلوب المتقين ، حين يعجزهم ، و عدهم من الأمن والعبطة والسرور  
وما تركهم الطيف في الدنيا ، مع ما يعطيهم في الآخرة ، حتى أثار هم قلوبهم ، و عجزهم  
أنفسهم ، و عدهم به عن حلقه ، و عظم مطاعته ، فترم قلوبهم مع الخوف منه حسن الظن  
به ، والأمن في رحائه ، ثم علا ذلك بالشوق إليه جل وعز ، وإلى حبه ، فقلهم من انكاده  
في السمع بطاعته والسرور بها ، وفتنهم من الدنيا باليسير منها ، فطلب فيها عيشهم ، و أحسن فيها  
نصرهم ومعونتهم وذلك الذي وعدهم ، فقال : عز وجل :

( إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ )

بهل عن من كان الله عز وجل ، معه بالسرور والمعونة صميم أو خدلان ؟ فهم أعر الخلاق  
نفساً ، ونورهم قلوباً ، و أعانهم به عي ، و طيبهم عيشاً ، حرهم مما يُسر به الناس ،  
وسرورهم مما يحزن به الناس ، و طيبهم لما يهرب منه الناس ، و هربهم مما يربح فيه غيرهم من أهل  
لعلة و ليرة ، يستأبسون إذ سئوحتش الدس ، إذ كان نسهم بالله ، جل وعز وحده متكالا  
مداحاته ، فعده يصعرون شرهم ، وإله يصرعون في حورنهم ، قد اعدوه حرراً و حنّة و كنهها ،  
و تقو به دود حلقه ، و يقطعوا إليه عز وجل ، عن كل قاطع يقطعهم عنه ، فاستوحشوا حين  
استأنس الناس استيعاشاً من الخلاق و استئناساً بهم

فهذه موارب التقوى ، لأنها أسس لعمل ، وأصل الطاعة ، وهي أول مرلة العاقلين  
وأعلاها لأن العمل بعدها ، ولا تقبل دافلة إلا بها ومعها ، وهي التي أصبح عامة الفراء لها  
مصيبين ، وقد أمر الله جل ثناؤه ، في كتابه في آيات كثيرة بها ، وعظم قدرها وقدر القائمين بها ،  
ويبها التي ﷺ يسته ، وعظم قدرها ، و انعماء من بعده إلى عصرنا هذا

فأما تفسير ما أمر الله جل وعز به في كتابه فإنه حدثنا سيدنا دود عن حجاج عن  
أبي جعفر عن ابريق عن أبي العالية في قوله تعالى

(وَتَقَاتُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ) (١)

قال : البر : ما أمرتم به ، والتقوى ما هيتم عنه

وحدثنا الوليد بن شعاع عن صمرة عن رجاء بن أبي سعدة عن يونس بن عبيد عن الحسن

قال : ما عبد الله العابدون بشيء أفضل من ترك ما نهاهم عنه

حدثنا الوليد . قال حدثنا عمر بن حفص بن ثابت الأنصاري عن سفيان الثوري عن رجل

عن الحسن قال (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)

قال اتقوا الله جل ثناؤه فيما نهاهم عنه ، وأحسنوا فيما أمرهم عليهم

وحدثنا سيد بن داود قال حدثنا حجاج عن ابن جريج عن معمر بن عمار عن معمر بن عمار عن معمر بن عمار

(وَإِذَا فِى أَيْمَانِهِمْ أَنْ يَنْصَرُوا إِلَيْكُمْ فَمَا فَعَلْتُمْ وَمَا خِفْتُمْ مِنْهُمْ فَمَا فَعَلْتُمْ) (٢)

قال من أديب ، فأوجب الرحمة بترك الدنوب

وحدثنا أبو اسير عن شعبة عن منصور عن إبراهيم بن محمد عن معمر بن عمار عن معمر بن عمار

(وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ) (٣)

قال يريد أن يدب ، أو يهيم فيحاف ربه فيدعه

وحدثنا سيد عن حجاج عن ابن جريج عن معمر بن عمار عن معمر بن عمار عن معمر بن عمار

(وَمَا تُحْفَى الْمُنْتَوَرُ) (٤)

قال تحدث به النفس

وحدثنا عبيد الله بن موسى ، قال أخبرني هشام بن عروة أنه ذكره عن أبيه

قال لما ولي أبو بكر الصديق ، رضى الله عنه حمد الله فأنشأ عليه ثم قال أما الناس ،

قد ولست بحبركم ، ولكن من القوآن ومن الضعفاء ، وعلمنا فاعلمنا ، واعلموا أن

أكس الكس التقى ، وأن أحمق الحمق ، والعجور ، وأن أقوى القوى الضعيف حتى آخذ له

بحقه ، وأن أضعفكم عدى أقوى حتى آخذ منه الحق ، أما الناس وما أنا مثليع وبس مبتدعاً

فإذا أنصت فاعصوا ، وإن رعت فقوموا

(١) ٢ ٥

(٢) ٣٦ ١٥

(٣) ٥٥ ١٦

(٤) ٤١ ١٩



## باب شرح التقوى

قلت فما التقوى ؟

قال الحذر بالخائبة لما كره الله ، عز وجل .

قلت . الحذر من ماذا ؟

قال الحذر من الله عز وجل

قلت في ماذا ؟

قال في غَضَلَيْهِ بضميم وفتح حقه ، وركوب ما حُرِّمَ وهي عنه في السر والعلانية ،

وجمع ذلك خَصْلَتَانِ القديم ما أُوحى الله عز وجل لله ، وبرك ما هيى الله عز وجل عنه لله تبارك وتعالى

ركد ذلك يروى . أن الفتنه لما وقعت قال طلق بن حبيب اتقوها بالتقوى فقال له بكر بن

عبد الله المرنى صف لنا التقوى ، فقال : التقوى أن تعمل بطاعة الله عز وجل ، على نور من الله عز وجل ، ترجو ثواب الله عز وجل

والتقوى : ترك معاصي الله على نور من الله ، مخافة عذاب الله عز وجل .

والتقوى : حقيقتها في الخوارج انقياد بالخلق وترك المعاصي

والتقوى حقيقتها في الصبر بإرادة الديار في العرص ، وإحلاص العمل به في العمل

بالحياء والأحرار والصلاة والصيام ، وجميع أعمال لطاعات مما مدد الله عز وجل إليها عباده ، ولم يجزئها عنهم ، رغبة بهم ورحمة لهم

ولا يقل ما ندب إليه إلا بالتقوى ، حتى يخلص له الإرادة به

ومن لتقوى كان الورع ، لأنه لما اتقى الله عز وجل تورع

قلت ما الورع ؟

قال محابة ما كره الله جل وعز ، ومنه قول عمر رضي الله عنه ورعوا اللص ولا تراعه

يقول اطروده وحبيوه رجالكم ، ولا ترصدوه حتى يقع ، ومنه قول العرب ورع الابل ، أي حبها

فالتقوى أول مرتبة العائدين ، وسأ يذكر كون أعلاها ، وسأ يركب أعينهم ؛ لأن الله جل وعز ، لا يقبل عملاً إلا ما أريد به وجهه ، والله ما رضى كثير من المتقين بما لله تعالى ، وحدها ، حتى أعطوه المجهود من الصواب والأدب ، وبدلو له المنهج من الهدى والأموال ! فاعطى رحمتك الله أين أنت منهم ؟

وبعد حشيت أن تكون عامه أهل زماننا من العائدين بخدوعين ، معترين ، فكم من مصنف في لباسه متدلل في نفسه آخذ من حطام الدنيا اليسير ، ومن مصلٍّ وصائم ، وعارٍ وحاج ، وبائس ودع ، ومظهر لنزاهة في الدنيا والرفص في علي غير صدق من الصمير رب العالمين عز وجل ، يتصنع لعباد ما يظهر من الطاعات ، ويبري أنه من المخلصين وجورحه مع ذلك منتشره . من عين تظفر إلى ما كره الله ، ولسان يتكلم بما لا يحب الله جل وعز عند غضبه وعند أسفه بالناس ومحادثته بالغيبه وغيرها .

## باب في تعريف المغتر بنفسه وطول غرته

قلت فكيف ظننا المغتر بظهور طاعته ، أن يعرف نفسه وطول غرته ، في أيام الدنيا ، بقرانه ؟

فإن يرجع هذا القارئ المتصف إلى نفسه ، ثم يعرض أيامه التي خلعت من عمره في نفسه وترهده ، هل أن عليه يوم منها ، طلعت عليه فيه الشمس ثم غابت عنه ، حفظ فيه حارحة من جورحه مما كرهه الله عز وجل وسبى عنه ، وقام بها فيما أوجب الله عز وجل واعتصمه عليه فلو فعل ذلك فاعتصمها حارحة جارحه هل يعرف يوماً إلى الليل ، حفظ فيه لسانه ، لم يتكلم بكلمة تسخط الله جل وعز ، ولم يسكب عن كلمة أوجبها عليه ربه حتى أمسى ، الخشيت ألا يجد ذلك اليوم فيما مضى من أيام قراءته دون أيام جهالته وكذلك بصره وسمعه وخطاه ، وجميع جورحه

ولو وجد من نفسه أنه حفظ الله عز وجل ، جورحه أيام مرته ، أو يوماً حلا منها ثم رجع إلى قلبه ، قد ذكر هل يعرف يوماً من أيام قراءته مع حفظه حوارحه هل تعقد فيه قلبه فعلم أنه قد كان حذرًا من اطلاع الله عز وجل على ما يصمر فيه وكان عقله حارسًا لهواه في يومه ذلك ، لم يحطر خطره يكرهها الله عز وجل ، من الرياء والتصنع ، عمله بلا عرفها وكرهها ، وسم من جميع خطرات هواه ، أو عدوه في يومه ذلك ، حتى عرف أنه قد أحلص يوماً إلى ليل ، يتفقد ذلك من غير عفة ولا عزة ، الخشيت ألا يجد ذلك .

ولقد خشيت أن لو وجد ذلك ألا يكون يعلم مما سوى ذلك مما كرهه الله عز وجل ، في صميره ، من المحب والكبر والحسد والشبهة وسوء الظن وغيره لأن عامة قراء زماننا معززون بخدوع ، بعد أنفسنا المتعصبين المتسكين ولعننا عبد الله من الفاحرين الفاسقين !!! وكيف نأمن أن نكون كذلك ، ونحن لا يأتينا يوم إلا جدد فيه دنوبنا ، لم يكن من قبل أنفسنا ، إلى ما خلا من الدنوب بالأمس ، من دنوب الحوارح ، ودنوب الضمير من الكبر والحسد والشبهة وسوء الظن والعجب والرياء وغير ذلك ، فكل يوم من أعمارنا نكتسب فيه دنوبًا جديدة بخوارحنا وقلوبنا ، نضمها إلى الدنوب التي كانت بالأمس جمعًا جمعًا

فلن نخلو من إحدى مرتبتين أن نكون عند الله عز وجل ، من أهل العفو والتجاوز والصمح ، فكل يوم مرداد بتحديد الذنوب مع تحديد الأيام والليالي طول مقام بين يدي الله عز وجل ، وكثرة سؤال ودوام حذر وكثرة تعب غير موصوف أُرشد نكون من أهل العداوة والعصب ، فكل يوم مرداد فيه بتحديد الذنوب زياده في العذاب بالتصنيف والتدليل والظهور ، فلا تخلو دنوتنا من أن مرداد بها كثرة سؤال أو شدة عذاب ، لأن أول ذنب اكتسبناه عند البلوغ والإدراك استوجب به العذاب ، ثم كل ذنب بعده زياده في العذاب بالتصنيف إلا أن يعرفه الرحيم الجواد الكريم ، وإن يعرف فأول ذنب أدبناه عند البلوغ ، وحسب عيب التوقيف عليه بين يدي الله عز وجل ، وسؤال عنه ، ثم كل ذنب بعده مرداد به بوقفاً عليه وكثرة سؤال عنه يا أخي قلنكى التقوى من يادك ، ههنا رأس مالك ، والسؤال بعد ذلك ربحك ، وليس بتاجر عاقل ولا حصيف لبيب من بعدك ربحاً دون أن يكلل رأس ماله

## باب في أول ما يجب على العبد معرفته والفكر فيه

قلت فما أول ما تأمرني أن أبدأ به ؟

قاب : نعم أنت عبد مريد ، لا نجاء لك إلا تتقوى سيدك حل وعمر ومولاك ، ولا هيكلة عبيد بعدها ، فتذكر وتفكر لأى شيء خلقت ؟ ومن وضعت في هذه اندار القاصه ؟ فتعلم أنك لم تُخلق عبثاً ، ولم يترك مدى ، وإنما حسب ووصعت في هذه مدار النبوى والاحتدار ، لتطيع الله عز وجل ، أو تعصى فتنتقل من هذه اندار إلى عذاب الأبد أو نعم الأبد

فإذا علمت أنك عبد مريد ، ثم عرفتَ بِمَ خلقت ؟ ولماذا عُرِّضت ؟ وإن أى شيء لا محالة مصيرك إلى عذاب الأبد ، أو الثواب ، ونعم الأبد ؟ كان ذلك أول ما يجب عليك أن تبدأ به ، لأن أول ما يلزمك في صلاح نفسك الذى لا صلاح لها في غيره وهو أول الرعايه أن تعلم أنها مريونة متعلقة ، فإذا علمت ذلك علمت أنه لا نجاة للمريد المتعبد إلا بطاعة ربه ومولاه ، وأن الدليل على طاعة ربه ومولاه عز وجل ، العلم ثم العمل بأمره ونهيه ، في موضعه وعمله وأسلوبه ، وإن نجد ذلك إلا في كتاب ربه وصية نبيه ﷺ ، لأن الطاعة سبيل النجاح ، ونعم هو الدليل على السبيل ، فأصل الطاعة الورع ، وأصل الورع التقى ، وأصل التقوى محاسبة النفس ، وأصل محاسبة النفس الحرف والرجاء

والدليل على محاسبة النفس العلم بما تعبد الله عز وجل به حقيقه في قلوبهم وحواسهم . وكذلك أهل الدي لا يعالجون الأعمار ، ولا يتكلمون التجارات ، إلا سحر قد تقدم بهم . وعلم بما يعملون ، وما يتناحون ويسبون

## باب في محاسبة النفس في مستقبل الأعمال

قلت . وما الخامسة ؟

قال النظر والتثبت بالخير ما كره الله عز وجل ، مما أحب . ثم هي على وجهين أحدهما في مستقبل الاعمال ، والآخر في مستديرها ، فاما الخامسة في مستقبل الأعمال ، فقد ذكر عليها الكتاب والسنة وأجمع عليها علماء الأمة

فاما ما دل عليها من لكتاب فقونه عز وجل ( وَتَقُوا اللَّهَ تَعْلَمُكُمْ تُفَحِّحُونَ <sup>(١)</sup> )

أي اتقوا الله عز وجل . في أداء فرائضه واجتناب سيئه ، وكذا فسره المفسرون في غير موضع من كتاب الله عز وجل

وقونه . ( يَغْنَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاخْذَرُوهُ <sup>(٢)</sup> )

وقوله جل وعز . ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَتَعْلَمُ مَا يُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ <sup>(٣)</sup> )

ودلت تقديره ل . وتنبه على ذكر الله عز وجل . وطلاعة على ما في قلوبنا

وقوله . ( إِنْ صَرَّيْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَسْبُوا <sup>(٤)</sup> )

وقونه تعالى . ( وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ <sup>(٥)</sup> )

وقال تعالى ( يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُلَاةِ وَالْعُسَى يُرِيدُونَ وَجْهَهُ <sup>(٦)</sup> )

ووصف ضمير الصادقين . فقال جل وعز

( إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا <sup>(٧)</sup> )

قيل في التفسير : لا يريد منكم مكافأة ولا ثناء

وقال جل وعز : ( فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ <sup>(٨)</sup> )

قيل في التفسير . الذي لا يشوبه شيء

(٥) ٣٠ ٣٩

(٦) ٩ ٥٢

(٧) ٧٩ ٩

(٨) ٣٩ ٢ ٣

(١) ٣ ١٣٠

(٢) ٢ ٢٣٥

(٣) ٥١ ٩٦

(٤) ١ ٩٤ وفي قوله أخرى ( فتسبوا )

وقال تعالى (الَّذِينَ يُتَّقُونَ أَفْوَاجَهُمْ آتِئَاتُهُمْ مَرْضَاتٌ وَاللَّهُ وَشِيئًا مِنْ أَنْصَابِهِمْ<sup>(١)</sup>)

قال الحسن : كان أحدهم إذا أراد أن يتصدق بصدقة ينظر ويتب . فإن كان لله حل وعمر . أمصاها . وقال الحسن : رحم الله عبدًا وقف عنه همه فليس يعمل عبد حتى يهيم . فإن كان له معي ، وإن كان عليه تأخر

وقال في حديث سعد ، حين أوصاه سلمان الفارسي فقال : اتق الله عند همتك إذا همت ، وعند حركتك إذا حركت . فإن الحسن : رحم الله العوم كانوا فقهاء . علموا أنه لا يكون عمل حتى يكون بدؤه همتًا ، وكذلك المؤمن هو الوقيف

وقال محمد بن عيسى رضي الله عنه : إن المؤمن وفاء متأن بعبادته همه لله حل وعمر . سس كحاصب ليل

والآي في ردت كثير . هو صف الله حل وعمر محاسنهم لأنفسهم ، وإن أعمال جورحهم وصنائير قلوبهم بالإخلاص له

وأما النسبة التي دلت على ذلك فإن النبي ﷺ ، قال : إنما لأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما بوى . رواه عنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه

وقال ابن مسعود : من هاجر يمتي شيئًا فهو له

وقال النبي ﷺ : « من غرا لا يوى إلا عقلا فله ما بوى » رواه عنه عباد بن الصامت

وسأله رجل أن يوصيه ويعطه ، فقال : « إذا أردت أمرًا فتدبر عاقبته ، فإن كان رشدًا فامضه ، وإن كان غيًا فانت عنه » رواه طبرسي

وقال لقمان : إن المؤمن أبصر العاقبة ، فأمّن الندامة

وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون العقل عاليًا للهوى فلا تعجل بقضاء الشهوة حتى تطر في عاقبة ، فإنه كان يقال : إن مكث الندامة في القلب بارتكاب الشهوة أكثر مكثًا من دوام الفرح في القلب بانقضاء الشهوة

وروى شاذ بن أوس عن النبي ﷺ ، أنه قال : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت » وقوله « دان نفسه » يعني حاسب نفسه ، وهي الحاسبة في لغة العرب

ودل على ذلك قول الله جل وعمر (تُكَذَّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ<sup>(٢)</sup>)

(١) ٢ ٢٦٧٥

(٢) ٨٢ ١١

أَيُّ يَوْمِ الْحِسَابِ وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ( أَتَانَا لَمَدِينُونَ ) (١)

أَيُّ الْحَسَابِ وَكَذَلِكَ يَقُولُ الْعَرَبُ كَمَا نَدِينُ بَدَاً نُنَى نَحْسَبُ ذَلِكَ نَتَ . وَكَذَلِكَ حَاءُ الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ « الْبِرُّ لَا يَتَنَى ، وَلَا يَتَمَّ لَا يَسِي ، وَنَدِيَانِ لَا يَنَام ، فَكُنْ كَمَا شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تَدَانِ » أَيُّ يَحْسَبُ لَكَ ذَلِكَ وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَسَبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَحَاسِبُوا ، وَرَبُّهَا قَبْلَ أَنْ تُورَثُوا ، وَهَيْثُ نَعْرِضُ الْأَكْبَرُ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى حَاسِبْ نَفْسَكَ فِي الرِّخَاءِ قَبْلَ حِسَابِ الشَّدَةِ

وَقَالَ عُمَرُ لِكَعْبٍ كَيْفَ خَدَا فِي كِتَابِ اللَّهِ عَرَّ وَحَلَّ ؟ فَقَالَ وَبِلَ لَدِيَانِ الْأَرْضِ مِنْ دِيَانِ سَمَاءِ ، فَعَصَرَهُ بِدَلَّةٍ وَقَالَ إِلَّا مِنْ حَاسِبٍ نَفْسَهُ ، فَنَ فَقَارَ بِهِ كَعْبُ وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِسْمَا فِي جَسَدِهَا فِي النُّورَةِ وَمَا يَبْهِي حَرْفَ لَا مِنْ حَاسِبٍ نَفْسَهُ . حَدَّثَنَا بِذَلِكَ بِعُقُوبِ بْنِ بَرِّهِمْ ، فَنَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَامِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ لِكَعْبٍ ، وَحَدِيثُ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ

فَهَذِهِ الْحَاسِبَةُ فِي مُسْتَقْبَلِ الْأَعْمَالِ ، وَهِيَ الظَّرُّ مَا لَشِئْتَ قَبْلَ الزَّلْزَلِ ، يَبْصُرُ مَا يَبْصُرُهُ مَا يَنْفَعُهُ ، فَمَنْكَ مَا يَبْصُرُهُ عَلَى عِلْمٍ ، وَيَعْمَلُ مَا يَنْفَعُهُ عَلَى عِلْمٍ ، فَنَ اتَّقِ الْعَاجِلَةَ وَتَثْبِتَ قَبْلَ فَنَسِهِ ، وَاسْتَدْلِ بِالْعِلْمِ أَبْصُرْ مَا يَبْصُرُهُ فَمَا يَنْفَعُهُ قَبْلَ الْعَمَلِ بِهَا وَالْحَاسِبَةُ ثَانِيَةٌ فِي مُسْتَدِيرِ الْأَعْمَالِ وَهُوَ فَنَ مَا صَ نَطَقَ بِهِ الْكَتَابُ وَابْتَدَأَتْ وَقَالَتْ يَا عِبَادَ الْأَمَةِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَقَوُّوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ بِغَدٍ (٢) قَدْ تَنَادَتْ وَأَسَ حَرْجِجٌ مَا قَدَّمَتْ لَعَدَ يَوْمَ لَفِيَامَةٍ ، وَمَنْ يَقْلُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا تَقْدُمُ ، وَكَذَلِكَ فَسَرَهُ الْعُلَمَاءُ إِذَا هُوَ لَنْظَرُ مَا صَحَى : لِيُؤَيِّرُوا مِنْ دُونِهِمُ الَّتِي مَصَّتْ فِيهَا مَصَى مِنْ عَمَلِهِمْ (٣)

وَقَدْ حُلَّ وَعَلَا ( وَتَوَنُّوا إِلَى اللَّهِ خَشِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) (٤) فَأَمَرَهُمْ حُلَّ وَعَلَا ، أَنْ يَسْتَدِيرُوا أَعْمَالَهُمُ الَّتِي مَصَّتْ ، بِالنَّدَمِ عَلَى دُونِهِمْ ، وَالتَّوْبَةِ إِلَى رَبِّهِمْ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنِّي لَا أَسْتَعْرِ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ

(١) فِي رَوَايَةِ أُخْرَى : عَارَهُ

١ ٢٤ ٣١

(٢) ٣٧ ٥٣

(٣) ٥٩ ١٨



وعن الله عز وجل (وَالَّذِينَ اتَّقَوْا يَرْزُقْهُمْ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ مَا يَحْسِبُونَ) (١) مصرون (٢)

قال مجاهد - انصب (٣) ، تذكروا ، فإذا هم مبصرون  
وقال عبد الله بن كثير أهل الشرك لا مبصرون كي يصبر الناس آموا ، ولا يرعون  
ولا يحجرهم الإيمان

فان مجاهد وبجوانهم من الشياطين يمددهم في المعى  
وروى عن عمر رضى الله عنه أنه كان يصبر قدمه - حدثنا بذلك كثير بن هشام عن  
جعفر بن ميمون بالدرة إذا جنة الليل ، ويعوب نفسه - ماذا عمدت اليوم ؟  
وروى عن ميمون بن مهران أنه قال لا يكون بعد من الخلق حتى يطالب به أشد من  
محاسبته شريك

وليس لهذا معنى إلا في مستدير الأعمال ، لأن الشريك لا يتعاسبان في مداعة اشتراكها حتى  
يعملا عملا يجب فيه النظر والمحاسبة

وروى أبو داود الطيالسي عن عبد العزيز بن حذو عن هشام بن عروة عن عائشة رضى الله  
عنها ، أن أبا بكر رضى الله عنه ، قال لها ، عند الموت ما أحد من الناس أحب إلي من عمر .  
قال ثم قال ما كيف قلت ؟ قالت قلت ما أحد من الناس أحب إلي من عمر ، فقال  
لا ما أحد من الناس أهر هي من عمر فتدبر كلمة قلها ، ثم أبدلها بكلمة غيرها  
وكذلك حديث في طلحة حين شعله بطير في صلاته فتدبر شعله ، فجعل حائطه صدقة الله  
عز وجل ، ندما ورجاء الموضع لما فاتته

وكذلك حديث عبد الله بن سلام ، حين حصل حرمه من حصص ، فبذل له - يا يوسف ،  
قد كان في بيتك وعلمت من بكفوك فقد أردت أن أحرقه فلي هل يسره ؟  
وقد روى المختار بن قنبل عن الحسن في تفسير المحاسبة في مستعمل الأعمال ومستديرها أنه  
قال إن المؤمن قوام على نفسه يحاسبها الله عز وجل ، وإنما حلف الحساب يوم القيامة على قوم  
حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر عن غير  
محاسبة ، ثم فتر المحاسبة ، فقال إن المؤمن يصحزه الشيء بعجبه ، يقول والله يثبت

(١) ٧ ٢٠١

(٢) طائف الشيطان هو نصب في رأى مجاهد

لتعصى ، وإنك من حاجتى ، ولكن هيات هيات ، حيل يبي وينك مهدى مستغن العمل  
ثم قال : ويفرط منه الشئ فيرجع بل نفسه ، فيقول : ماذا أردت بهذا ؟ والله لا أعدرك  
مهدى ، والله لا أعود لهذا إن شاء الله أبداً ، فهذا فى مستدير الأحوال

وكذلك أهل الدنيا فى صناعاتهم وأعمالهم إذا أراد أحدهم أن يبدئ العمل رؤاه فى نفسه ،  
وقدره ومثله فى وهمه ، وصورة فى العقبة كيف يكون إذا فرغ منه ؟ قد تحلل فى وهمه على  
ما يريد من الأحكام والتمام ابتدئ به ، حتى إذا فرغ منه اعترضه خشية أن يكون كذا منه رطل  
أو سيات فاعطأ به وفرط فى إحكامه ، فإن رأى تعريطاً أنم ما بقى منه وأصلح ما سدد منه  
فمال الله عز وجل ، أولى بدت أن يشوا قبل أعماهم ، ويمثلوها فى أوهامهم كيف تكون بعد  
فراغهم منها ، فلا فراغ لهم من جميعها إلا عند موتهم

وكذلك روى عن الحسن أنه قال : ما جعل الله عز وجل ، لعمل المؤمن أجلاً دون الموت ،  
ثم مرأ : ( وَأَعَدَّ رَحْمَةً لِّأُولَئِكَ ) يعنى الموت

وقيل لعمر بن عبد العزيز لو فرغت لنا أفعال دهر الفراغ فلا فراغ إلا عند الله عز  
وجل ، وكذلك المستأجرون من أهل الدنيا إنما فراغهم من أعمالهم إذا أموها ، وإنما يحكمونها  
ويستعرضونها بعد فراغهم منها قبل أن يعرضوها على من استأجرهم ، لتكون على ما أراد وأحب ،  
وكذلك عمال الله جل وعز يشتون فى أول أعمالهم ، ويعرضونها بعد فراغهم منها كيف تكون إذا  
عرضت على خالقهم ؟ هل هى كما يرمى بها عنهم ؟ وهل أموها كما أمرهم ؟

فشتان بينها هذا مخلوق مستأجر مخلوقاً ثقيل قلب مكثّر بمروح ، لعموم ، ولا يحسن وإن  
باله - من هم يعترض ، أو حزن يعترى ، أو مصيبة فاحشة ، أو سقم نار ، أو موت فاجئ ،  
وهو بحساب حتى يتسع عليهم جميع ما عملوا وكتسبوا ، فيحاسبون عليه ، والذى عمل به  
المصادقون ملك عظيم وعدهم على أعمالهم الآخر لكبير ، الباقى لدى لا يعد ، ولا يعترض فيه  
عم ، ولا يعترى فيه حزن ، ولا يحل بالعمال فيه سقم ، ولا يحتم عيشهم بالموت ، ولا يتسع عليهم  
فيه بالحساب

فصحت كيف حفت على العمال للدي التشت قبل أعماهم ، ولطفت فى أعماهم بعد فراغ منها  
نفس يسير ، مكثّر بالأحزان والأسقام ! ثم نعم فرعهم بالموت ! ثم يتسع الله عليهم

ذلك بالحساب من بعد الموت ، في يوم لشدائد والأهوال ! وسأبوء عن أعمالهم كيف كان اكتسابهم وحقاقهم ومساكنهم ؟ وكيف كانت طاعتهم فيها برهم وجل وعلا ؟  
وعجب ! كيف لا يحف على المؤمن بثقت قبل معه ؟ والنظر فيه بعد مراعاة منه للشوق  
بعظيم ، والنعيم السليم ، والعيش المقيم ، ورعى الملك الكريم ، من غير أن يتنصوا من أراقهم ،  
ولا آجأهم ، ولا يهزهم ما قُتِر لهم  
فصحت لذلك ثم عجب لولا متابعة موسى ، وسيد نظر الملك لأعلى ، وقفة التمكن في يوم  
الفصل والحركة.

فبالتحديد من ذلك اليوم ، ختم الله عز وجل كتابه فيما يروى عن البراء بن عازب أنه قال .  
آخر آية برلت من كتاب الله عز وجل  
( وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ <sup>(١)</sup> )  
وإن كانوا قد اختلفوا في آخر آية برلت آخر القرآن فإن هذه الآية عطه وعبره  
وقال الحسن الثابت في مرصعة مرصها أوصى ، فقال أوصيت بيوم  
( تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ )  
قال فقال الحسن ( إِنَّا لِلَّهِ وَإِلَيْهِ رَاجِعُونَ ) .  
آية من كتاب الله عز وجل ، كأي ما سمعت ، إلا الساعة يسترجع على عهده ومسيانه  
وهنا يحكى عن الله عز وجل ، أنه قال لموسى « موسى صرح الكتاب إليك بما أت صائر  
إليه » فكيف ترقى العيون على هذا ؟ أم كيف تجد قوم بدادة العيش ، لولا التقدي في العهدة ،  
والتناع في انفسه ؟ من دون هذا يخرج بصدق ، فقد صرح الكتاب بما إليه المصير . فقال  
( وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ )  
وقال تعالى ( فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ لَا يُعَذَّبُونَ )  
فقد سترت العلة بين وبين أعمال الآخرة ، ووصلت القسوة قلوبنا على وعبد الله عز وجل ،  
وعنى « الرب » نصائرنا عن ثواب الله عز وجل وعقابه وأمره وأحكامه ، وذلك لما عطف علينا  
من فكر الآخرة فعلت عليها بكر الدنيا وشغلها ، فسينا أنفسنا ، لأننا سينا سطرها

(١) ٢ ٢٨١

(٢) ١٥ ٩٢ و ٩٣

(٣) الحسن ، قال الله ، أي غلب ، قال الحسن الرب هو الله عن الدين حق بسود القلب

وكذلك قال الله عز وجل : ( سَأْأَلُهُ فَأَسْأَلُهُمْ أَنْفُسُهُمْ )<sup>(١)</sup> م

فسره المفسرون : أسألهم النظر ها

فأول لبلة تعصير لقلوب من تكر لآخره وذكرها ، وعن ذلك يكون السهو ثم النسيان ثم  
السهلة ثم التصحيح لأمر الله عز وجل ، ثم موارد السوء من الرين وانقسوه اللذين يحجبان عن  
الآخرة ، فعوذ باقية من موارد السوء على أعمال السوء

وإنما قدمت إليك هذا الكلام قبل إجابتي إليك عن سؤالك عن رعاية الأعمال لله عز وجل ،  
وإختلاف الناس في طلبها على قدر صحتهم وقوتهم ، يسمح لهم لإجابة صدرك ، ويرق  
ويجشع للقيام بأرعايه قلبك ، وليعتك عن الترعيب في طلبها

## باب الرعاية

وإني أرحم إليكم بحسب مسألتكم عن الرعاية لحقوقي الله عز وجل ، والقيام بها ، واحتلاف الناس في طلبها على قدر ضعفهم وقوتهم ، فتتظروني أي حال أوت منها ، فتعمل على حسب ذلك إن شاء الله

## باب منازل التوابين

اعلم أن الناس يختلفون في ذلك على ثلاث منازل ، لا رابع لها :  
 لهم من ثناء على الخير لا صبرة له إلا الزلة بعد الشهوة ، كالزلة التي لم تتر من مثلها السيوف والصديقون ، ثم يرجع إلى قلب طاهر م تنوره لشهوات ، ولم تغتد اللذات من الحرام ، ولم تغتد للدوب ، ولم يغتد قلبه الزين<sup>(١)</sup> ، ولم تغتد عليه القسوة  
 فرعاية حقوق الله عز وجل ، والقيام بها على هذا سهو ، واجتهد عليه أحسن ، ودواعي النفس له أقل وأضعف ، لأن قلبه طاهر ، والله عز وجل عليه مفضل ، وله محبة ومتول ، والى الله لا يجدد وليه ، وأخيب لا يؤلم إلى اهلكة حبيبه  
 وقد جاء في الحديث يغضب ربك للشاب يست به حسنة ، أي بسر به ويعظم قدره عنده لأن العجب على وجهين .

أحدهما المحبة تعظم قدر الطاعة ، والسخط تعظم قدر الذنب في الحرمة  
 والوجه الثاني الاستكثار للشيء ، وما يعجب استكثاراً لشيء ، الماهل لدى م يكن يعرف الشيء ، فلما رآه استكثره وتعجب منه ، وحل الله حلّ حلاله عن هذا الوصف وإن كان قد قرأ بعض لقراء ( بل عجب<sup>(٢)</sup> ) فليس هو على الاستكثار لما لا يعلم ومعنى هو أنه يعجب

(١) الزين الدس

(٢) يشير إلى الآية الثانية عشرة من سورة الصافات وهي ( بل عجب ويغفرون )

رَبِّكَ لِلشَّابِّ يَسْبِقُ بِهِ صَبُوهُ أَيُّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَحَبَّةً بِهِ ، أَصْرَ عَنْهُ عَظِيمٌ قُدْرَهُ عَنْهُ  
وَرَوَى فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ عَنْ شَرِيحٍ أَنَّ لِلشَّابِّ لِلنَّاشِئِ عَلَى عَادَةِ رَبِّهِ وَغَيْبِهِ أَجْرٌ مَسْعُومٌ  
صَنِيفًا

وَرَوَى مَعَادُ بْنُ حَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : أَيُّ الشَّابِّ  
لِبَادِلِ شَبَابِهِ ، لِمُتَارِكِ شَهْوَتِهِ مِنْ أَجْلِ ، أَنْتَ عِنْدِي كَمَنْعِ مَلَائِكَتِي ، مَنْ أَصْهَرَ مِنْ هَذَا  
قَلْبًا ؟ أَوْ مِنْ أَوَّلَى بِالْمَعْوَةِ وَالتَّوْفِيقِ مَنْ مَ يَرْكَبُ الدُّنُوبَ عِدَّ بِلُوعِهِ ؟ وَبَشًا عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ  
وَعَادَتِهِ ، وَغِنَادِ الْقِبَامِ بِحَقِّهِ ، وَرِعَايَةِ حَقِّهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ عَمِيْقَةُ لَطْوُلِ عَادَتِهِ لِلْعِيَامِ بِهَا ،  
وَتَرْكِهِ الرُّكُوعَ إِلَى أَصْدَادِهَا ، قَلِيلٌ مَكَابِدَتِهِ وَمُجَاهِدَتُهُ ، طَوِيلٌ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَعْلُهُ وَاسْتِعْمَالُهُ

وَأَخْرَجَ تَأْتِي مِنْ بَعْدِ صَبُوتِهِ ، وَرَاجِعٌ إِلَى اللَّهِ مَسْحَابَهُ عَنْ جِهَاتِهِ ، وَبَادِمٌ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ  
دُنُوبِهِ فِي أَيَّامِهِ ، قَدْ أَعْطَاهُ الْعَزْمَ أَلَّا يَعُودَ إِلَى تَصْيِيعِ شَيْءٍ مِنْ مَرَصِهِ ، وَلَا مَعَاوَدَةِ شَيْءٍ مِمَّا سَلَفَ  
مِنْ دُنُوبِهِ ، وَالنَّهْضُ مِنْهُ سَارِعُهُ إِلَى عَادَتِهَا ، لَزْدُهُ يَرْغَبُهَا إِلَى دَسْتِهَا ، وَهُوَ يَقْمَعُهَا وَيُجَاهِدُهَا ،  
وَيُجَوِّعُهَا عَوَاقِبَ مَا كَانَ مِنْهَا ، وَعَدُوُّهُ يَذْكُرُهَا مَا هَاتِهَا ، وَيَدْعُوَهَا إِلَى مَا تَرَكْتَ مِنْ شَهْوَاتِهَا ، وَهُوَ  
يَذْكُرُهَا قَبِيحَ مَا كَانَ مِنْهَا ، وَيَعْظُمُ مَنَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْهَا يَنْقَلِبُهَا عَمَّا يَسْتَخْطُّ بِهِ رَبُّهَا عَلَيْهَا ،  
فَالْبَثُ إِلَّا قَلِيلًا . إِنْ صَدَّقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُجَاهَدَتِهِ ، وَأَمْسَكَ نَفْسَهُ عَنْ لُشَهَوَاتِ النَّفْسِ تَنْقُصَ  
عَزْمُهُ - حَتَّى يَمْلِكَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَمُوتُهُ ، يَسْهَلُ عَلَيْهِ سَبِيلُ الطَّاعَةِ كَمَا يَسْهَلُ لِمَنْ أَبَانَ بِهِ هَذَانِ  
عَزَّ وَجَلَّ (وَالَّذِينَ هَدَىٰ رَآدَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (١)

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ (وَنُورَ أَنَّهُمْ فَعَبُوا مَا يُوعْظُونَ بِهِ لَكَابِ حَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدُّ تَنِييَاتًا وَإِلَّا لَا يَتَنَاهَوْنَ  
مِنْ لَذَّتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا . وَلَهْدِيَتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)

فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُمْ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ، وَبِرَبِّهِمْ يَخُصُّ سِرْمَةً ، لِأَنَّهُ  
كَرِيمٌ يَتَقَرَّبُ مَنْ يَتَبَاعَدُ مِنْهُ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ بِتَقَرُّبِ إِلَهٍ ؟ وَيَتَحَبَّبُ إِلَى مَنْ يَتَغَضَّبُ إِلَيْهِ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ  
بِتَحَبُّبِ إِلَيْهِ ؟

وَكَذَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، أَنَّهُ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَا مِنْ آدَمَ إِنْ تَقَرَّبْتَ  
إِلَيَّ فَتَرَا تَقَرَّبْتَ إِلَيْهِ شَبْرًا ، وَإِنْ تَقَرَّبْتَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتَ إِلَيْكَ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبْتَ إِلَيَّ ذِرَاعًا  
تَقَرَّبْتَ إِلَيْكَ مِائَةً ، وَإِنْ أَتَيْتَنِي سَعْيًا أَتَيْتُكَ مَرَّةً

وإنما هذا على حُسْنِ العمارة . وسرعة الإحابة والهداية بالهداية ، والاكشاف بالعلم . ثم يلبث هذا التائب إلا يسيراً حتى يُقبل الله عز وجل عليه عمرة فيعطى له هوى نفسه . ويُقوى منه ضعفه . ويمتد منه دواعي شهوته . فيبهر العقلُ منه الهوى . ويعطى العلمُ منه الجهل . ويسكرُ قلبه الخوفُ وهمُّ وواصل فيه الآخرين بعد طول هوى . وانصافُ آخرجه بالدين . كلما ذكر ما كان منه من دونه هاج حوقه . وغلب همُّ وطان حربه . فإذا عمل عن الذكر وسهى عن الفكر . مارعتة نفسه فدل على بعض الرلل لدى م يمر من مثله الصاخون عند غفلاتهم وسهولهم . ثم يرجع إلى الله عز وجل طلب طاهر من الرس ولديس . قد قطعته عن عادته . وأعقبه بالخوف من الأمن والإصرار . وبالرجاء الصادق من العرة والتسوية . فهو من سائف دونه هارب لرحمة ربه عز وجل مهرب طالب حتى ينفقه أمناً من عذبه

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ : « من بعد نسيب الدب فيلحقه دبه الحقة فيلحقه با رسول الله وكيف يلحقه دبه الحقة ؟ قال : لا يزال نصب عينه نائماً منه هارباً عنه حتى يلحقه حقه »

وقيل لسعد بن حنبل من بعد أسس ؟ قال : رجل أُصاب من الذنوب فإذا ذكرها احتجده وروى عن النبي ﷺ : أنه قال : « جباركم كل مفتش ثواب » يجرى من حصار أمته لم يبرو من الرلل . وب علمهم بالله عز وجل . لن يدعهم حتى يرجعوا إليه بالنوبة والإيمان . والثالث مصر على دبه معتم على سئانه . يعلمه هوى وضعف الخوف . مفرغ دلت بان لله عز وجل معاداً يعنه فيه وهو لا يتعشده به . ومقاماً يولفه فيه ويساه عما كان منه . وثوان وعقلاً مصرغه من بعد السور إلى أحدهما . ثم يحل به مخلصاً إلا ما شاء الله أسك الكريم من بعد التحليل في العذاب الأليم

فهذا إقرار بالإيمان في قلبه قد رابى به المحدث . وصدق به الرب عز وجل . والقبض بالشهوت مشغول عن الفكر . ولرب له مانع عن الذكر إلا لخطوه يبيع من الإيمان بذكر المعاد . ثم لا تجد موضعاً يستقر فيه . لما لعب على قلبه من الفسوة . وتنازع فيه من بعده . فقلبه هائج ناشغال الدنيا لا يلزمه ذكرُ التحويف . ولا يتفرغ للفكر ولا يجد حلاوة الذكر . وكف يكون للذكر فيه مستقر . والأشغال تدرعه والعصبات تعلب عليه ؟ فهذا محتاج إلى ما يحل به عهود الإصرار من قلبه . فبتوب إلى ربه من دبه فيلحق بصاحبه السنين من هذه الناشئ على غير صورة . والمليح بالنوبة إلى حاله تعالى

## باب ما يبعث العبد على التوبة وترك الإصرار

قلت ما الذي يبعث على التوبة وترك الإصرار ، قد الذي يحل به إصرار قلبه ، ويتحور به عن خطاياہ ودينه الخوف والرحمة لرؤيته ، لأن الله عز وجل ساء عم يهوى قلبه وتشتبه نفسه ، فجعله الله عز وجل للطبع موافقاً خفيفاً ولى المباشرة ليدفأ وكذا روى عن المصطفى ﷺ أنه قال « حُصَّت النار بالشهوات » فأختر أن العمل الذي يدخل به عامدة النار ، شهوى في العوس

وقال ابن مسعود رحمه الله في هذا الحديث ومن اصطلح الحجاب واقع ما وراءه أى من عمل بالشهوات اخرب ما واقع الدر ، ومن لم يطلع الحجاب كان بينه وبين النار حاجر وسائر فلم يدخله ، ومن لم يطلع حجاب النار فلأواه الجنة برحمة الله عز وجل وكذلك يقول الله عز وجل

( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى )<sup>(١)</sup> ومن ذلك قول لبي ﷺ « إيا الله تبارك وتعالى حق النار ، فقال لخيريل ذهب فأنظر إليها ، ذهب فأنظر إليها هذه وعرفتك لا يسمع بها أحد فدخلها ، فحفظها بالشهوات ، ثم قال ذهب فأنظر إليها ، ذهب فأنظر إليها فقد حشيت الأبقى أحد ، ولأدخلها وحق ، سعة فقال لخيريل اذهب فأنظر إليها ، ذهب فأنظر إليها ، فقال وعرفتك لا يسمع بها أحد ولأدخلها ، فحفظها بالذكارة ثم قال اذهب فأنظر إليها ، ذهب فأنظر إليها ، فقال وعرفتك لقد حشيت ألا يدخلها أحد »

فمن ترك ما يهوى قلبه وشبهه نفسه بما كرهه ربُّه جلَّ وعزَّ ، فقد احتجب عن النار واستوجب الخلود في جوار الله

والأعمال لى أمر الله عز وجل ساء عم يهوى قلبه وتشتبه نفسه ، فجعله الله عز وجل للطبع موافقاً خفيفاً ولى المباشرة ليدفأ وكذا روى عن المصطفى ﷺ أنه قال « حُصَّت النار بالشهوات » فأختر أن العمل الذي يدخل به عامدة النار ، شهوى في العوس



وكذلك يقول الله عزَّ وجلَّ

(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ) <sup>(١)</sup>

وقال عزَّ وجلَّ (عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) <sup>(٢)</sup>

وقال الصادق المصدوق عليه السلام : « حُتَّتِ لِحْيَةُ الْمَلَكِ الْمَكْرَاهِ »

لتأخير أن يحجب الله حُتَّتْ به الحية هو لفعل الذي هو كرهه في النفس ثم أخبر أنه من

حمل نفسه على ذلك المكروه ، حتى يزدى حقوق الله عزَّ وجلَّ عليه ، دخل لِحْيَةُ بركة الله حلَّ وعزَّ

وقال عبد الله بن مسعود : ومن أطلع الحجاب واقع ما وراءه أي ، من يحمل المكراه في

طاعة الله عزَّ وجلَّ واقع الحنة ، أي دخلها

والله اعلم الكرم أعلم بحقه ونما يصحبهم ، نعم من هذا الصمد من قل أن يحق أنه إذا طعه

على حب ما وافقه ونمض ما حافه ، ثم علم ما يوافقه بما يخالفه ، فهاتحت لذلك شهواته ،

ونارعتة إلى ذلك نفسه ، ولا سبها من خاص في استعمال الشهوات عمره ، لن يدع « انتهى

نفسه إلا أن يحق به عذابا المأثم ثم تنهده به من تتحمل ما بكره ولا أن يحق له بعيدا مقيما ،

ثم يرجيه ذلك العزم وتبعده إياه ، فحلقها جميعا لعلمه بخلقه ، وما أراد من كرامة أولاد وهو

أعداه ، وعزم أن هذا الصمد الخليل إذا عيب عنه الثوب والعقاب وصارا مذكورين

في الحنة لا بعيان ، لم يسمح قلبه بترك الشهوات ويحمل المكراه ، لا تتخوف لما حوف وحاء لما

رحتى فتخوف عباده وتنهدهم ، ويرجاهم روعدهم ليخوفوا أنفسهم ويرجوه فيحافوه ، يرجوه

وكذلك وصف الله الذين فهموا ذلك عنه وخافوه ، فقال عزَّ وجلَّ

(وَمَنْ مِنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَى) <sup>(٣)</sup>

فأخبر عزَّ وجلَّ أنه لما خاف ربه منى نفسه عن الهوى

وقال (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْعِقَابِ) <sup>(٤)</sup>

وقال جلَّ رعا (الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ) <sup>(٥)</sup>

فأخبر أن من عاب عنهم من العقاب هم له حافور وما رجاهم من لعيبه هو به راجون ،

وأَنَّهُمْ لَمَّا حَفُوا وَرَجَوْا هَرَبُوا وظَلُّوا . وَإِذْ جَعَلَ أَهْرَاءَ مِنْ الصَّافِ وَالثَّوْبَ وَابْرَهَهُ وَالرَّعَى مِنْ  
 اللَّهُ تَعَالَى ، يَبْدُلُوهُ لِلْمَجَارَى عَرَّ وَجْهَ ، يَبْعِدُوهُ بِالْخَصْبِ لَهْ وَالدَّلَّةَ لِيُورِثَهُمْ فِي الْآخِرَةِ الْحَيَمَ  
 وَالْعَرَّ ، فَأَحْبَرُ أَنَّهُمْ لَمَّا رَغِبُوا وَرَهَبُوا حَصَعُوا لَهُ وَدَلُّوا وَكَدَسَتْ أَهْلُ الدِّيبِ مِنْ خَافَ مِنْهُمْ دَنْ  
 لَمْ يَخَافَهُ حَتَّى يَعْفُو عَنْهُ وَمِنْ طَمَعَ مِنْهُمْ دَلُّ لَمْ يَرْجُوهُ حَتَّى يَنَالَ مِنْهُ مَا يَأْمَلُ وَمَارَعَ فِي مَحْنِهِ  
 وَكَدَسَتْ وَصَفَ اللَّهُ عَرَّ وَجَلَّ أَوْلِيَاءَهُ فَقَالَ :

(يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُمُونَ رِعَاءًا وَرَهَةً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ )

قَالَ الْحَسَنُ هُوَ الْخَوْفُ إِسَاءَتُهُمْ وَقَالَ عَمَّادُ ، الدَّلُّ فِي الْقَلْبِ يَعْنِي دَنْ الْخَوْفِ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمَّا  
 رَجَعُوا مَا عَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ ثَوَابٍ تَحْمِلُوهُ مَكْرُوهَ فَوْصَلِهِمْ جَلَّ وَعَرَّ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ  
 (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَهَاجَرُوا هِيَ سَبِيلُ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ )<sup>(١١)</sup>  
 وَقَالَ عَرَّ وَجَلَّ

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا)<sup>(١٢)</sup>

وَقَالَ عَرَّ وَجَلَّ (مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَنْزِلْ فِي خَلْقِ اللَّهِ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى )<sup>(١٣)</sup>

قِيلَ فِي التَّعْسِيرِ نَوْبَ اللَّهِ

فَمَا خَافُوا هَرَبُوا وَحَاسُوا مَا مَهَامُ عَنْهُمْ كَمَا وَصَفَهُمْ فَقَالَ (ذَلِكَ بِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ  
 وَعَيْبِي )<sup>(١٤)</sup>

وَقَالَ تَعَالَى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنْ أَهْوَى )<sup>(١٥)</sup>

وَقَالَ تَعَالَى (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ )<sup>(١٦)</sup>

## باب ما ينال به خوف وعيد الله عز وجل

قلت : هم من الخوف والرجاء ؟

قال : تعظيم المعرفة بعظيم قدر الوعد والوعيد

قلت : هم ينال عظيم المعرفة بعظيم قدر الوعد والوعيد ؟

قال : بالتحوير لشدة العذاب والترجي لعظيم الثواب

قلت : وم ينال التحوير ؟ قال : بالذكر والعكر في العاقبة ، لأن الله عز وجل قد علم أن

هذا العبد إذا عيب عنه ما قد حوِّفه ورجاه أن يحاف ولم يرح : ألا بالذكر والعكر ، لأن العيب

لا يُرى بالعين ، وإنما يرى بالقلب في حقائق ليقين فإذا احتجب العبد بالعصاة عن الآخرة ،

واحتجب عنها بأشغال الدنيا لم يحف وم يرح : ألا رجاء الإقراز وخوفه ، وأما خوف بعض عليه

بمحجل لدته مما كرهه الله عز وجل ورجاءه بتحمل به ما كرهته نفسه مما أحبه ربه فلا ، ما دام مؤثراً

الطوى نفسه ، وإنما يختل ذلك الخوف والرجاء بحجة الله عز وجل - بالذكر والعكر والتسبيح

والتذكر لشدة غضب الله وأليم عذابه وليوم الحساب

وقد أحير الله أن أوبياه احتجبوها بذلك ، وقال : ( لَأَنذَرْتُ لَكُمْ يَوْمَ يَتَمَكَّرُونَ )

وقال : ( أَنبِئِينَ نَذُكِّرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُورًا وَعَنَى جُؤُوبَهُمْ وَيَتَمَكَّرُونَ فِي خَلْقِ لُحْمٍ وَسُمُوتِ

وَالْأَرْضِ رَبِّ مَا خَلَفَ هَذَا بِأَعْلَى سَخَامِكَ فِيهَا عَذَابٌ لِّئَلَّا رَبُّكَ إِنَّمَا مَنْ ذُنُوبِ النَّارِ فَقَدْ

خَرَّتْهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ )

إن قوله عز وجل : ( وَلَا تُخْرَبُوا يَوْمَ اسْفَاطَةِ رَبِّكَ لَا تُخْلَفُ السَّيِّئَةُ )

وقرأ النبي ﷺ هذه الآية في خوف الليل فقال : ويل من قرأ هذه الآية ثم مسح بها مسئته فلم

تتمكر فيها ، وصلى وبكى عامة ليله ، فحصل له في ذلك ، فقال : أنزلت على هذه الآيات ،

فأحير الله تعالى أنهم لم يتمكروا وعظم عليهم حرق دحون النار فحاهوا النار ، ثم ناجوه

( ١ ) ٣ - ١٩١ - ١٩٤ والنبوة : ( رب إنا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمروا بربكم قلنا ربنا ما غفر لنا ذنوبنا وكفر عنا

سيئاتنا وبوفنا مع الأبرار ، ربنا وتنا ما وعدتنا حتى يسفلت )

بأن يكفهم من النار ومن حرق يوم الحساب ، لأشهم ما رجوا النجاة عنته أقبِلوا إليه بالتصريح أن  
 سيجبهم من خزي ذلك اليوم

فأدبى بنال به الخوف ، معرفة عظيم قدر العذاب ، وأدبى يعظم به معرفة عظيم قدر العذاب  
 التحويف ، والتحويف ينال بالعكر في المعاد ، والعكر ينال بالدكر ، والدكر بالتيقُّظ من  
 العمل ، لأن الله حلَّ وعزَّ عما خوفنا ما عذاب لحوق أنفسنا ، ورخا ما برحمتي ، والتحويف تكف  
 من العبد بمئة الله عزَّ وجلَّ ونقصه عليه ، والخوف هائج منه لا يملكه ، يكون عن التحويف  
 سبحانه الله من القلب يخوف نفسه كما أمره الله ، وقد نُحِطُّ الله حلَّ وعزَّ الخوف يهلب العبد المؤمن  
 من غير تكلف ، إذ أراد أن تنقص عليه بذلك ، وهو لم يخطر به لم يكن بعد عنه معدوداً  
 متركه انكف للتحويف ، كما أمره أن يخوف نفسه ، لأنه أمره بالعكر في المعاد ، وذلك هو  
 التحويف والترجي ، وتهلده وأعدله ليتفكر في ذلك سبحانه ويرجوه

## باب ما يحل به المصّر إصراره ووصف ثقل الفكرة على القلب

فقد أورد هذا المصّر أن يصل إلى ما يحل به إصرار قلبه ويبيته عن النوبة من ذنوبه  
فليس يطلب الخوف بالتحويم بالعكر في المعاد ، وهجوم الموت وعصم حق الله عز وجل وواجب  
طاعته ، ودوام تصحيحه لأمره وركوبه لنبيه

قلت - الفكرة أجدها على قلبي ثقيله من أين ثقلت على العباد ؟

قال - ثقلت العكرة على سبيل ثلاث خلال ، فقد تمتنع عن معصمهم فتشغل عنه لمكرة .  
وقد يُثقلها على معصمهم الخلة من هذه خلال الثلاث أو الخلتان

فأحلتها قطع راحة القلب عن النظر في الدنيا باندكرو في الآخرة لأنه قد تعكر سحر  
عقله عن الدنيا فقطعه من راحته بالفكر في الدنيا والنظر في أمورها

والخلة الثانية أن العكر في المعاد وشده نده تلبيع لنفس وعزمها حين تذكر المعاد وحساب  
وما لا وما عليها ، لأن الموحّد لمقر إذا تعكّر في ذلك هاج منه نعم والحرى لا يمانه بذلك ، فيثقل  
الفكر على النفس من أجل ذلك لأنه يثقل عليها ما هاج عليها لعموم والأخرى

والخلة الثالثة أن النفس والعدو قد علما أن المرید إذا أراد العكر في معاده ، أنه إنما يطلب  
بالعكر خوفاً يقطع عن كل بدة لا تُفرب إلى رثه ، ويحمله على كل مكروه يحمله فيها أوجب عليه  
رثه ، فالنفس يتغل عليها العكر يد عصب أنه إنما يطلب بما يقطع به عنها لذتها أيام حياتها .  
ويحملها على ما تكره ويثقل عليها ، وقد عم العلو أنه إنما يطلب ما بطل عنه مكانته .  
ويحصى حجه ، ويحالف محته ، فهذه خلال الثلاث ثقلت على المریدين للعكر

## باب ما تخفف به المكرة على القلب

قلت لما ابدى يحنفها ؟ قال العياض ، قلت لما تورث لعناية ؟ قال عظيم المعرفة بعظيم قدر ما بين بالمكورة من المنافع في الدنيا والآخرة ، وبمعظم قدر صبر الضعفة عن الفكر في المعاد ، قلت باب اعرضه هذه الثلاث لخلال عند ذكره عظيم قدر ما بين بالمكورة من المنافع ، ثم يدعونه عند ذلك إذا ثقت باعرضه عن الفكرة عليه ؟ قال يرجع العبد إلى نفسه في هذه الثلاث لخلال ، إذا عترضته عند رادته المكورة ، أو عرض بعضها دون بعض ، لأن كل حلة منها فيها عبرة بذكر شكلها من شدة الآخرة من أعظم وأظم ، فيرجع إلى نفسه بالاعتاب لها وبالتوسيع في ذلك يقول ها أنزع عن أن أسحق عقلك عن اسطر في الدنيا ؟ فكيف سحنت في الدرأ ؟ فحملي هذا لتقل القليل للحدة من السحر الطويل ، أنزع عن من سجن عقلت فيك عن سطر في الدنيا ليجانك وفورك في المعاد ؟ ولا أنزع عن أن يركت الفكرة التي تحرك عن المعاصي بني تورثك لسحر وبكتك في الدار أبدأ ؟ فمن السحر في النار فاحرعي أفتحلي هذا الصيل العاني للحدة لذمة ، وأما حرعت من تلذع ذكر العقاب ، فكيف حرعت من موافقة ، والمكورة فيه أبس من مباشرة ، فتحمل تلذع ذكره للحدة من الخلود منه ، وأما فورك من السطر عما يسحق من عذاب الله عز وجل كرهية أن يعص عليك لذاتك في ذلك فكيف بالتعصب عقلت بذات الآخرة ، وحرمان ما فيها من نعيمها ؟ مع أن الله جل وعز ليس بتاركك إن صبقته مع ما تنال من نعيم الآخرة ، حتى يعملك بعدته في الدنيا ، هي نعيم الطاعة في الدنيا ، ونظر نعيم الآخرة عوض من تعصب لذاب الدنيا ، وليس لذاب الدنيا نعيم بونعفين كل شغل بس لا يقضي وهم لا يبعد وحرص لا راحة معه ، مع ظلمة القلب إذا سلت معصية لله عز وجل نور الطاعة والتسليم بها فابذل وأهم في لذاتك بالدنيا ، والعز والعناء والنعيم في الاستبدال بها التميم مطاعة ربك جل وعز ، لأن ترك البتة لله عز وجل ، الد عند المرید ، وأب في القلب لذة من الله بمواقعة ما كره الله عز وجل ، لأن لحد يصيب اللذة ساعة أو أقل من ساعة ، ثم يقفه لتدم الطويل ، وإذا تركها لله عز وجل ، ثم ذكر أنه تركها لطلب رصه فكلها ذكرها بأمل ورشي أن يكون عد رضى عنه بتركها له ، وجد سرور ذلك ولذته ، فسق ذلك السرور في قلبه حتى يموت

قلت قد تحف عني الفكرة ولا أعرف طريقها ، يا ابي يفتحها ؟ قال اجتمع لهم مع  
بطالة بالعقل والتوكل على الرب لا على العقل

وقد وصف الله عز وجل المستمعين لما حكى حاجتكم لهم ، فقال عز من قائل :

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَأُتْقَى لَسْمَعٌ وَهُوَ شَهِيدٌ<sup>(١)</sup>).

قال المصرون حاصر بين بغائب

محصور العقل حاجتكم لهم ، لأن العقل إنما يشغل عن المهم والمكر في المعاد بتعريق أهم في

الدنيا ، فإذا اجتمع لهم حصر العقل وم يعرف عن الفكر مما أحب الله عز وجل

وكذلك روي عن أبي العاتكة قيل له ما يمنع على الفكر ؟ قال اجتمع لهم ، لأن العبد إذا

اجتمع همه تفكر ، وإذا تفكر نظر ، وإذا نظر أبصر

## باب ما ينال به اجتماع الهم

قلت : فاجتماع الهمّ همّ يبا ؟ قال : بختين

إحداهما قطع شغل الخوارج عن كل شيء سوى ما يريد أن يتفكر فيه ، لأن النظر مانع  
يسهي القلب ويشغله ، واستماع الأذن كذلك ، ومسّ اليد كذلك ، إلا نظراً أو سماعاً يستعين به  
على ما يريد أن يتفكر فيه كالرجل يعطك فتسمع به لثمهم ما يقول أو تنظر إليه ، أو القراءة في  
المصحف ، أو المصحف فيها العلم

وقد وصف الله عزّ وجلّ بذلك من همهم عنه فقال

( الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ <sup>(١)</sup> )

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم حديثاً انهم ما حذفوك بأنصرتهم ، وكذلك أن تنظر  
في الأشياء لتتعب بها ، فأما ما سوى ذلك فلا تشغل حوارحك شيء من أمر الدنيا ، فإذا أردت  
أن تفكر حالاً كتب أو مستمعاً أو معتزلاً ، فاقطع شغل حوارحك بالدنّ على ذلك يعني عنك  
التفكير

ومر ذلك قوله عزّ وجلّ ( إِنْ تَسْمِعُونَ إِلٰكًا وَهَذَا هُمّ نَحْمِي <sup>(٢)</sup> )

ووصف الله مؤمبي الحرف فقال ( لَمَّا حَصَرُوهُ قَاتُوا أَنْصُرُوا <sup>(٣)</sup> )

للحهم بذلك إذا تناهوا عن شغلهم عن فهم كتابه من سؤل الله ﷻ

وقال عزّ وجلّ ( وَإِذْ قُرِئَ الْقُرْآنُ عَسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصُرُوا <sup>(٤)</sup> )

فأمر تبارك وتعالى بترك الكلام لينال به فهم كتابه

وروى عن حمزة بن عبد الله بن مسعود أنه قال طوي لمن لم يشغل قلبه عما ترى عيناه ، ومن

بس ذلك أنه لما سمع أذنه ، فإذا قطع العبد شغل حوارحه ألا يشغله غير ما يتفكر فيه

حصر عقله فلم يشغله شيء مما طهر



والثانية أن يمنع قلبه أن ينظر ويتفكر في شيء من أمور الدنيا سوى ما يريد أن يتفكر فيه وكذا روى أبو هريرة عن النبي ﷺ ، أنه قال : « من كل قلب من دم في كل واحد شعبة ، فمن أبع قلبه تلك الشعبة لم يمس الله في أيّ وديعه هتكت ووقع ، وقوبه عز وجل » .  
( أو ألقى السُّمَّ وَهُوَ شَهِيدٌ )

فهو : ألا يتفكر في غير ما يستمع ، وروى ذلك عن معاهد وغيره .  
فإذا قطع القلب شغل حواره من الظاهر ، وقطع فصول المكر من الباطن ، ومنع قلبه من التفكير ، لا في شيء يريد أن يتفكر فيه ، حتى يمنع همه وحصر عقله ، وكذلك يجب أهل الدنيا أن يتركوا أحد منهم أن يُحكم شيئاً من أمر دنياه من تقدير عمل يعمده أو حساب يريد أن يُحكمه ، منع سمعه وبصره أن يشتغل بشيء غير ذلك ، ومنع قلبه أن ينظر في غير ذلك ، كرهية ألا يُحكم حسابه إن شغل قلبه بالتفكير في غير ذلك ، أو يظرب العين أو استمعت الأذن في شيء غير ذلك حال إنه العمل فاحتلظ عنه حسابه ، فإذا قطع بعد شغل حواره عن الدنيا في وقت فكرته ومنع قلبه من النظر في شيء من الدنيا حتى يمنع همه ، فإذا جمع همه ثم هكر ما توكل على الرحمن حل وعز لا على عقله ، لتحت له المكرة عنه الله عز وجل . لأن القلب قد يعجز عن ذلك إذا جمع همه ونكل على عقله لما يعرف من فطنته ، وقد يؤمسون به العدو أن للمكرة إذا كانت تستعين عنك باشتغالك ، فإذا أحصرت همك فإنها تستمع لك للمكرة ، فيبطل على عقله ويسبى ربه تعالى فأحاف ألا يفتح له ما يريد من حبه

ومن ذلك حديث سلمان بن علي رضي الله عنه . في الولد أنه قال : « لأظفرن القلب بمائة امرأة فتحمل كل امرأة بعلام » . ثم يُقَاتِلُ فرساً في سبيل الله ، ولا يفعل إن شاء الله تعالى الذي ﷺ « فحملت منهن بلاء امرأة واحدة جاءت بشئ علام » قال النبي ﷺ : « بوقال إن شاء الله لكان كما قال »

فإذا تفكر في بعد التحريف منه عظم قدر العذاب عنه ، وإذا عظم قدر العذاب عنده حاج في قلبه الخوف حتى لا يملكه ، فما مثل لتحويل في حب الخوف إلا كمثله الوقود في حب العبدان ، كالوقود يوقد بحب القدر المسبوبة . فكما أدام الوقود اشتد العذاب وكذلك لعبد كلما أدام التفكير بالتحويل في ذكر العقاب وكثرة الأهوال وعظم السوء مع المعرفة بعظم حق الله جل وعز وواجب طاعته وأنه لعامة ذلك مصنع حاج الخوف ، فإذا حاج الخوف قد فلق بالإصرار على لدنوب ، وسحبا عنها حساً عدم وثاب وحشع وأتاب ، وكذلك الوقود كلما اشتد دوام لوقود

اشتد العليل ، فإد اشتد العليل قدمت العذر بحسن ما فيها ، فمن آدم الفكرة بالتحويف لنفسه  
 بما تهتده ربه وتوعده به هاج جوعه فأطاع نار<sup>(١)</sup> شهواته التي أصر عليها ، فسحا بترك الإصرار  
 نفساً ، وأقلع عن الذنوب وحاف عاقبتها ولا سيما إذا آدم الفكرة وهو ينو كتاب الله عز وجل ،  
 فيتذكر لوعده ووعيده ، وثوران القيامة وشداؤها ؛ وتلك الحجة الفكرة إذا كانت بتلاوة كتاب  
 الله عز وجل

## باب وصف مازل المصّرّين وم يقوى العزم على التوبة وترك الإصرار

قلت : فهل يستوى المصّرّون في ذلك ؟

قال لا المصّرّون في مآزل شتى ، فبهم من كثرت ديوه ، وعظمت جليته ، وطالت  
عملته واحتجانه بها عن الآخرة ، فإذا أعمل قلبه في المعركة بالتحوير لما خوّفه ربه عزّ وجلّ ، لم  
يُهَيِّج منه الخوف سريعاً لطول عقلته وعظمت الفسوة به

ومهم من قلت ديوه ، ولم تطل به العلة ، ولا احتجانه بها عن الآخرة  
ومهم نائب من بعض ديوه ، وهو مصّرّ على آخر من ديوه ، وهم في مطالبة الخوف  
متماوتون

قلت فصّل لي بين مطالبة من عظم بلاؤه ، واشتدّ مرض قلبه ، وبين غيره من المذنبين  
قال ان ليعدو خدعاً من الدعاء عند مطالبة الخوف ، لمن عظم دسه ، وطالت عملته  
وعظمت الفسوة به ، فإذا أعمل قلبه بالمعركة بالتحوير لما خوّفه ربه عزّ وجلّ ، لم يهيج منه  
الخوف سريعاً لطول عقلته ، وعظمت الفسوة في قلبه ، لأنه قد أعصل داؤه فلا يجمع الدواء فيه  
وكذلك أهل الدسا في أمراض أديانهم إذا طال السقم بأحدهم وأعصل داؤه لم يجمع الدواء  
فيه إلا بطناً ، وكذلك من طان مرض قلبه وأعصل داؤه لم يجمع التحوير فيه سريعاً ، فلعله  
والنفس تشيط منها بالدعاء عند طلب الخوف ، فإذا لم يجمع التحوير فيه سريعاً ، دعت نفسه  
وعطوه إلى اللال والسامة والانصراف عن الفكر ، وأنه ليس عظيمك ، ولا يهيج الخوف من  
مثلك ، إنما تُعَيِّن نفسك ، فيترك الفكر والطلب ، ويعتقد المنى والتسوية إلا أن يكون شيئاً  
قطناً ، فإن كان شيئاً قطناً رجح بينهما بالزجرهما عن دعائهما وذن عظيم ما بطال من السجدة ،  
وعظيم ما قد حلّ به من البلاء المُسلم به إلى عذاب الله عزّ وجلّ ، إلا أن يعمر المكرم بيريلا  
السامة والللال في طلب الخوف ، ويبعث على الدوام بالفكر بالتحوير ، وإنما هذا مقام مثلي  
لأنه إنما خوّف العاصين من عباده ليحافوه ، وتهذّب بالتحوير من عظم دبه وصدت عقلته ،  
ليثبّط من رقده ونشيق من سكرته ، ولكن دأب قد أعصل ، ومقيم قلبه قد طال ، بالدوام

بالمفكر بالتحريف أولي في إذا أعصل دلي وطالت عصتي ، فإن آدمس على ذلك هاج الخوف بإذن ربي

ولدت أمثا من لنديا كانداء إذا أعصل ثم يراً صاحبه إلا بدوم التداوى ، وكالتوب دأكثر وسخه لم ينق إلا بإدامة غسله ، فرد آدمس مصر المفكر بالتحريف سحت نفسه بالتوبة وكذبت الثالث من بعض ديوه الخقيم على بعضها قد يكون بعض ما هو مقيم عليه قد عبت على قلبه حقه ، وحدث به عفته ، ودأب به عادته ، ومطانة الخوف في عاقبة ديه ذلك عسيره ، وهو دون المصر على أكثر ديوه ، إلا أنه محتاج أيضاً إلى لدوم على المفكر ، ودفع حدع النفس والعدو كمثل ذلك ، حتى تسحو نفسه بالتوبة وتسلم على جملة ما عمل من السيئ ، ويوى الأيعود وقد أجمع حيثند ، فيها الخوف

قلت : فانددم على جيمتها بحربه دون معرفتها بأعيانها

قال لا . لأن كثير من ديوب يسترها الهوى ، ويحون بين العبد وبينها أسيا ، ويعدو والنفس حدع عند ذلك ، إذا علم أنه قد عذبها ، وصار ين لدم ، واعتقاد التوبة من ديوه أرياه أنه لا ديوب له إلا الديوب التي يذكرها في هذا المقام ، وقد تكون له ديوب أخر كثيرة ، كانت في أحواله فيما مضى من عمره ، من كلام لا يظنه ديناً أو عمل لا يظنه خطأ ، أو مظنة لا يرى بها مظنة لظنه الهوى ، وقد عمل به أنه قد تاب من جميع ديوبه وهو مصر على كرها وبعضها وهو لا يعلم ، لأنه في وقت الخوف أطوع ما كان لربه حل وعمر ، وليس له جراحة تتحرك ثا بكرة مولاه ، وهذا لا يكاد يعرف جميع ديوبه تلك الساعة ، فإن كان عاقلاً متيقظاً علم أن به ديوباً كانت في أحواله فيما مضى من عمره كثيرة ، ومثله فيما كان فيه من العقلة نعتى عليه أكثر ديوبه من كلام يكلم به لا يظنه محرماً عليه ، وعقد صميم بانسوء لم يكن يره فيه مخطئاً ، بل قد يسمع به فيتعجب من يأتيه ، وهو يظنه ولا يعرفه

فنت هم يعرفها ؟

قال يعرفها بتذكر ساعته فيما مضى من أيامه فإنه لا يعرفها إلا بدلت ، ويتذكر أحواله في ساعته فيما مضى من عمره كيف كان ، فيها ؟ من حق صبيحه ، أو دبت قد ركة ، فيعرض أيامه حاله في عمره وأحواله في أيامه ، وحركاته وسكنونه وصميره في أحواله ، فيذكر عصبه وورصه كيف كان فيه ؟ وصحته وبعبه وكتانه وبعاقه وإمساكه ، ورد ما كان عليه وأحده ما كان له عند غيره كيف كان ، أحده باحق ثم بعيره ؟ ومطاعه ولطفه واسماعه وخطاه برجله ، وبطشه

بيده ، ومطام أبعده في نوره وأعراصهم ، وحقوق من يحب به عليه الحق من قرانه وعبرهم .  
 يندكر من يند الطهارة قبل لئاء الله عز وجل ، وندكر مطام العباد عده بذكر من  
 وصف نفسه بنقص من قبل القصص من ردى الله عز وجل ، فوداد كركيف كان سد أصبح إلى  
 ، ملى في جميع هذه الأحوال ، وكيف كان بد ملى إلى أن أصبح ؟ فعرص كل حارة على  
 حياتها في عمل ليه وسهره . وكيف كان قلبه في أعماله الصالحة ، ما كان يريد بها ، وعلى ما كان  
 ندور . وما ردى كان يبعثه على الأعمال . وكيف كانت عهود صميره من الحسد على الذين  
 وعبره ، وجميع أعمال قلبه ؟ ذكر حقوق كثيرة لله عز وجل صنعها ، كلها ذكر حقاً قد صيغه حاج  
 الدم من قلبه . ما مضى من تعريظه في حقوق ربه ، وأعطي العزم أن يقوم به لله عز وجل ما  
 يستقبل من عمره ، وكل ما ردى قد اكتسبه حاج حربه وندمه . وحاف أن يكون قد نظر إليه الله  
 حل وعز تمت ، أعصب ، فالى على نفسه ألا يقبل بعدها ولا يرجعه ثداً ، فأعطى العزم  
 ألا يعود إلى ذنب ثداً ، واتصل لرحاء بالخوف . وسمع منه الإيأس ، ورجع إلى نفسه بذكر  
 الرحاء ، أنه لو كان أوجب ألا يرحمى ثداً لما أضح قلب بالرحاء ، ولا نسجى قلب بالثوبة .  
 فأنرج ، والخوف هاتجان في قلبه ، وهو يستشع حقوق ربه حقاً حقاً ، وهو يندكر ذنبه دنا  
 دنا ، فإذا كثر ذكر التصحيح لحقوق الله عز وجل في نفسه ، وكر ذكر عدد الذنوب التي كانت منه  
 فلم يندكر يوماً من أيامه ضلعت منه الشمس ثم عادت ، حفظ لله تعالى فيه جراحة من حوائج  
 لا يعرف أنه حفظ نفسه في يوم من أيامه ، إلى أن أمسى ، فلم تتكلم بكلمة بخوف سخط الله عز  
 وجل بها ، ولا سلم سمعه وبصره وحظه ، ولا تفقد فيه قلبه يوماً إلى ليل في طاعة ربه ، فلم يخط  
 حطرة ربه ، ولا عجب ولا كبر ولا حسد إلا كرهها وسلم بها ، فأحبص طاعة ربه يوماً من أيامه  
 في خلا من عمره ، فإذا نظر إلى كثرة تصحيح حقوق الله حل وعز ودوام ترك الرعاية لها وعظيم  
 ذنوب . وكثرة النظام للناس عده في أعراصهم وأموالهم ، وترك الإخلاص في تقبيل اللى كان  
 نعمه . حاف أن يكون الخير محبباً ، وتصحيح حقوق الله تعالى وعظيم ذنوب قد سقط بها من  
 عن الله جل وعز ، وكاد يحامر الإيأس عقده ، لأنه كان بظن أنه مطيعاً لله عز وجل . فكذلك  
 نفسه وتذكر أحواله ، غير أنه قد كان حرب بدينه وهو لا يعلم . فثله كمثله رجل كان له ما  
 عظيم و صدوق مقفل مسرو ما في لصدوق وقصه كما كان ، فهو قري القلب مسرور بما يرى أنه  
 في الصدوق . فلم فتح الصدوق فلم ير ما . علم أنه قد كان حرب وهو لا يشعر ، فانكسر قلبه  
 وبقى بمفره ، فكذلك هذا التفتش لنفسه المتعقد ليه ، وكذا ست ما نقر بالافساد ثم فرج منه

إلى ذكر دى الجود والكرم ، وأبىدى الله السابعة فيمن كان أعظم منه دنأ وأطوار علة كالسحره  
وعيرهم ، ثم رأى آثار الجود والتعصل عنده إذ نظر إلى نفسه قد هرج الخوف منها ، وتذكرت  
ما مضى من الدنوب ، لتظهر من أدناسها قبل لقاء ربه عز وجل ، هاج الرجاء أن يكون في سائق  
عنه وقدره وليا لربه عز وجل ، وأن ذلك الوقت تاريخ حكم ولايته ، وحانقه من أسعده ،  
بظهره قبل نقائه ، ويريه للعرض عليه ، فعطى الله عز وجل العرم بالتوبه عند كل دنس  
يدكره ، وتصييع حق يعرفه ، وأدى المطالم إلى أهلها وتدلل لهم في عاجل لدنيا لرحاء التعرر في  
الآخرة بالسلامة من الخصوم بين يدي الله عز وجل حتى إذا أعطى العرم ألا يعود في دنوبه ، وأن  
يقوم بجميع حقوق الله حل وعمر ، وما كان عليه منها أنه كصلاه صيغها في جهات ، وصباه  
أورحم قطعها ، لأن كثيرا من لقرء يمكث اسهر الطويل في راءه ، وعيه صلوات قد صيغها  
في جهاته ، لا يدكر أن عيه قصصها ، كمهاون في حابه أو سكر أو تحيف لا تحريه لصلاه  
به ، أو تقصير في وصوه لا تجربه بدنت الصلاه ، فتسبه قراءته ذكر ما كان في جهاته ، فإد عرم  
لعد القيام بجميع حقوق الله حل وعمر بعد معرفته بذلك ، فعند ذلك للعنق واللمس خدع بربابه  
أنه إنما بال القيام بما عرم عليه بعقنه وقوته ، وأنه بعد عرمة من بعث ، ويسى التوكل على ربه  
حل وعمر ، فلا يؤمن عليه من ذلك الخذلان

ومن ذلك حديث سلمان عليه السلام ، أنه لم يُعط ما أراد بقصد عرمة إذا فعل التوكل على  
ربه عز وجل ، بركه الاستثناء ، كما قال المصطفى ﷺ ، وكما أنزل الله على نبي ﷺ يعتب  
أصحابه في يوم حين حين قال منهم من قال لن يغلب ايوم من فنة ، فأمر تبارك وتعالى في  
ذلك يعتبهم وهم حير عصبه على الأرض ، من لا عصبه تعد الله عزهم ومن يعهم ،  
عصب الله ، ينصرون دين الله ، مستجمعون لقتال أعداء الله ، بما أعطوا التوكل عليه  
فقال جل وعز ( وَيَوْمَ حَتَّىٰ رَأَوْا أَنَّهُمْ كَاثِبُونَ ) (١) الآية  
والأحاديث كثيرة في ذلك

فإن كان عبدا عاقلا رجع حينئذ إلى صعب نفسه ، وإلى ذكر قوة ربه ، فرعب إليه في المعونه  
من عده على أداء حقوقه ورعايته ، وبجاهه فلب رعب راءه إلى أنسى إن لم تدكرنى ،

١ - ومنه قوله بعد لسه ﷺ ولا تخرس سبي إلى عاجل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وذكر ربك إذ سبب وقل عسى أن  
يجيب ربه لأقرب من هذا رشكا

وأعجز وأضعف إن لم تقوى ، وأخرج إن لم تصبري ، وإن لم يباح ربه بذلك كان ذلك عقدة في طلب المعونة فحرم وبوكل واستغاث واستعان ، وبتر من الخول والقوة إلا برته ببارك وتعالى ، وقطع رجاءه من نفسه ، ووجه رجاءه كله إلى خالقه ومولاه ؛ فإنه سبحانه الله تبارك وتعالى عزيزاً عيياً ، متصلاً متحياً متعظماً وكذلك أمر من ثاب إليه وعزم على طاعته فقال نبيه عليه السلام ( فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ )

ووصف عبده الصالح شعباً عليه السلام ، بأية نرك ما يكره ، وباعص ما يحب وبالتوكل مع ذلك بطلب التوفيق من ربه فقال ( وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكُمْ إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِضْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ )

وعند هذه الحال للنفس والشیطان جدع من خطرات لعلب باستعظام هذا المقام ، فيدعونه إلى أن يصيب ذلك إلى نفسه ، وأنه بما وصل إلى ذلك بعقله وقطته وعمله ، وفقهه وحزمه ، وقوته ، عرجاً ما يقونه على ذلك ، فذلك لنفسه حمد مع سبيل مئة ربه بذلك وتقصه عليه ، وإن عمل وسها فأصاب ذلك إلى نفسه أنه هو الذي وصل إلى ذلك ، وحمد عقله وقطته ، وتخلصه وطنبه ، وسى نعمة ربه ، استحق عند ذلك أن يركل إلى نفسه كالذى يروى عن ابن عباس أن داود عليه السلام إنما أصاب الدب بإعجاب أعجبه من نفسه ، فركله إلى نفسه بالإعجاب ، وسأنى على ذكر العجب في غير هذا الموضع ، إن شاء الله عز وجل

فإذا به الله عز وجل وأبقعه ، علم أن ذلك كان نعمة الله حل وعز عليه ، وأن نفسه من ذلك بريئة ، وإنما عزم على خلاف محبتها وأنهما لم تنقد له إلا محبورة ، ولم تنقد حتى احتاج إلى أن تشكل الخوف ، فكيف يكون منها هذه الأحوال - وهو خلاف محبتها ، ولم تنقد له إلا بحبر وكرامة ؟ فكيف يكون منها ما تأباه ولا تريده ، وهى التى كانت مهمكته من قبل هواها ؟ وأن لدى أدحها في خلاف محبة إلهها وحافظها حل وعلا ، فحصى له الحمد ، ووحب له الشكر ، وأمكنه الثقة وحس الظل مما مستقل ، إذ يرى من أثر الله والتوصل ولا سراحة إلى المتوصل بذلك ، وتزوم القلب الإيأس منها ، ووحب الدم لها وحدرها وانهمها وترك الطمأنينة إليها ؛ لأنه قد رأى ما قد مضى من أفاعيلها ما استحق ذلك عند بعد معرفتها ، وأراه ربه حل وعزم من

أثار تقصصه ما استحقّ الرخاء والشكر وحس الظنّ به ، حين خلص عزم التوبة في قلبه بعد  
 لأعراض لدنوبه في مضي من عمره ، وأراد لعجب عن قلبه ، وألم به حس الظنّ بره ،  
 فهو حينئذ نائب مسمع ، ميب حاضع مقر معروف أن نوبته كانت عند الله ربه ، لا بقوته ،  
 فسأهل بهت لزيادة من الله عز وجل ، لأنه يقول : لَيْسَ شُكْرُكُمْ لِأَرْيَدُكُمْ<sup>(١)</sup> ،  
 وفي التفسير : لأريدكم من طاعتي



## باب ما يجب أن يلزم القلب عند معرفة النفس ومعرفة الحلال التي يكون عنها نقص العزم عن الطاعة والاهتمام بالتيقظ والحذر بتصحيح التوبة

لست وما لدى هو أولى به بعد ذلك أن يبرمه قلبه ؟ قال يعلم أن الله عز وجل عا<sup>١</sup>  
فما يستقبل من عمره ، وأن عدوه له ميت ، وأن طبعه قائم لم يقب ولم يحل ، وأن لذيها برينها  
ومكروهاها تم ، وأنه من باب لقيام برعاية حقوق الله عز وجل ، مع هذه الأسباب المبرأة  
المعه إلا بالتيقظ من الحيلة ، وابتكر من السان ، وأن ذلك لا يحتل إلا بالاهتمام والحذر  
لست بالاهتمام بماذا ؟

قال - الاهتمام بالوفاء بعزمه ، والحذر لنقص عزمه  
لست وما لدى ينقص عزمه فيكون له حذراً فيبرم قلبه الحذر له ؟  
قال أن يلزم قلبه الحذر لست خلاف ، ومن ينقص عزمه ، وهي التي ترميه عن الوفاء بعزمه  
بريه جل وعز ، وتركها يكون الوفاء بعزمه لربه جل وعز

فاحداها أن يحذر أن يعود إلى ذنب قد عزم على تركه حذراً أن يعلم بهه سواء عند عمله  
وسياه ، فعود بها لما حاج من شهوة بدته ، لأن العبد قد يترك لله جل وعز ما يشتهي بهه ، ثم  
برده إلى معاودها رغبته فيها ، لم تسمع قول وهب طوبى من لم يعلم شهوته ، ولم ترده  
رغبته !

والثانية أن يكون ذنب قد مضى من عمره سره الهوى والشهوة في حاب توته ، فيعرفه  
فما يستقبل فيعطى سدم عليه ويعزم ألا يعود فيه ، فيحذر أن تعود النفس إلى عادتها ، ومطالبة  
هواها ودسا في وقت عمله ، وليس عنده معرفة به ، فيركن إليها ، فإما رتقبت مي تعرض  
نفسه ، بالطلب لعادتها ، فيعرفه إذا كان ذاكرة مثلاً

والثالثة أن يعرض له ذنب لم يكن في مضى من عمره ، لأن النفس إذا مضت أبوانا من  
لشهوة طست شهوات أخر تسريح إليها ، عوضاً مما قطعت عنه من الشهوات والذات

**والرابعة** حق الله عز وجل ، مما أوجب العمل به ، قد كان مضيئاً له فأعطاه العزم أن يقوم لله تعالى به ، فحذر أن يضيعه فيما يستعمل من عمره ، لاستقبال مكروه من تعب ، أو مشغل عن راحة الدنيا ، أو وضع من قدره عند المظوقين ، كطلب الحلال وغيره ، أو استدلال مهم له ، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام بحقوق الله عز وجل ، فيما يخالف أهواء العباد والخامسة أن يكون حقاً لله عز وجل ، قد ضيعه فيما مضى من عمره ، مسترته كراهية النفس للقيام به ، وهواها للراحة في بركة ، فلم يعرفه في حال توبته ، فيحذر أن تعود النفس إلى عادتها من تصيع حق ربها ، فيقدم الحذر ليعطى له إن عرّض

**والسادسة** أن يتقوى ويمتنع بحق لم يتل به من قبل ، ولم يحب عليه ، كالعيال وغيرهم ، فيصع ما وجب عليه من ذلك ، فيكون في ذلك سخط ربه جل وعز ، فإذا ألزم قلبه الحذر هذه الخلال الست والاهتمام بتركهن تيمم به بالاهتمام والحذر بطلب التيقظ ، وبالتيقظ يجتنب الذكر ، ويذكر بطلب النسيء ، وبالتشتيت يطلب التعمد ، وبالتعمد بالعم يتبين به ما كره الله عز وجل مما أحب ، وبالتبين مع الخوف يميز ما كره ربه جل وعز مما أحب ، وبالتمييز مع الخوف يكون متقياً موقياً بعمره .

قلت فالاهتمام والحذر إن ألزمها قلبه يوقظاه فما يستقل من عمره قال نعم

قلت : فما الدليل على ذلك ؟

قال الدليل على ذلك أن العبد قد ينال الليالي لكثيرة ، فلا يستيقظ إلا وقت صلاة الصبح أو بعده ، حتى إذا عرضت له حاجة من حوائج الدنيا يهتم بأن ينالها ، ويحذر أن تفوته إن لم يدلج لها ، فإذا نام مهتماً بالقيام وقد ألزم قلبه الحذر من أن يذهب به النوم فيموت البكور فيقطع في الليل مرراً عبر الوقت الذي كان يشته به ، بحركة الاهتمام والحذر اللذين نام وهما في قلبه فإذا كان الاهتمام وحذر الأمر الدنيا يوقظان عقله ، وسهانه بعد ما نام وذهب عقله ، فهما أولى أن يوقظاه لأمر الآخرة وهو يقظان لم يسم ولم يذهب عنه نوم ، وشان بين المطويين ؛ هذا يطلب قليلاً فانياً مكثراً بالصوم والأمراض والأسقام ، ومن بعده يحتم له الموت ، ومن بعد الموت ينظر فيه بعد ما ذهب به ته ومنعت ، وبقي السؤال بين يدي الله عز وجل عنه ، حتى تُسأل عنه ما د صعب فيه ؟ ثم العفو أو العمد عليه ، ومع هذه الأسباب المكثرة في الدنيا والآخرة من ينال من ذلك إلا ما قلتر له ، وهذا يهتم لطلب باق كثير لا يعنى ، مع نعيم نعيم وعيش سليم ، قد أريبت عنه

الأمراضُ والأَسقامُ ورُفعت عنه المصومُ والغصومُ والأحرارُ ، ولا يحتم بموت أبداً ولا حساب ولا نعمة فيه عليه ، ولمولي راض عنه ، وهو مسرور بما يتقلب فيه من نعم الآخرة ، باقي فيه نكداً ولا يشاء شيئاً إلا بلغت فيه مشيئته ، في حياة يمس فيها موت ، ونعيم لا يخاف فيه أُنذاً له قوفاً ، عارزاً للملك القدوس لأعلى في درجته ، لا يخاف سخطه بعد رضاه ، ثم ما رضى به بذلك حتى أكمل ذلك له نعمة الكرامة ، وقربه إليه في الزيادة ، وأمر له ما وعده من الرؤية والنظر إلى وجهه لكرم عز وجل ، إذ يقول ، حلّ من قائل :

( إِنْ لَمْ تُشَيِّعْ فِي جَنَاتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدٍ صَدِيقٍ عِنْدَ مِيلَتِهِ مُقْتَدِرٌ )

وأعظم به من مجلس ، وأكرم به من رائر ومرور ، وماظر ومطور إليه ، ومقل ومقتل عليه ، متردّد فيما بين نعيمه وشدائمه ، والنظر بين وجهه حلّ وعزّ ، فشتان ما بين الهمتين ، وشتان بين العائتين

فإذا كان هذا إننا نرى يوقظه اهتمامه لهذا العاني المستغصن المتكدر بعد ذهاب عقله ، فاهم للباقي أهى ، أسلم ، راحل من فوته مع الحلول في أبعاد الأليم أوى أن ييقظ له عقل ، ولم يذهب يوم فإذا اهتم وحذر ييقظ وإذا تيقظ ذكر ، فإذا ذكر نشت ، فإذا نشت تفقد ، فإذا تفقد نظر ، وإذا نظر بالور وهو العلم أبصر ، وإذا أبصر تبيّن

قلت ثبت عند ما دا ؟

قال ثبت عند دعاء النفس ولعدو ، ليطر ما دا يدعو إلى أهو بما كره الله حلّ وعزّ ، ثم أحبه ؟ لئلا يحس عليه واحدة من هذه الخلال أنست إذا اعترضت له في بلاء النفس بالعارفة إليها ، فإن عرص له ذنب مما كان عزم على تركه لله عز وجل ، خوفاً نفسه أن يرجع فيما كان تركه لله عز وجل ، فيسميه الله عز وجل عادراً مخالفاً ، ويخصه على ترك الذنب لدى عرص له ، ليعلم الله حلّ وعزّ بالوفاء بالعهد والتمام على العزم ، فيحق له حكم الصادقين الموفين بعهودهم ، الماصين على عرومهم فإن استصعبت منه عند ذلك أهدح ذكر الخوف في عاقبة المعاد أن يوافيه وهو مخلف كذآب ، غير ناثب لم يبق بعزمه ، وعاد إلى ما يسخط ربه ، فيخوف نفسه بحكم عليه بذلك بين يدي الله حلّ وعزّ ، والنظر إليه بالملت في مقامه ذلك ، فلم يلبث أن تعلب

(١) ٥٤ - ٥٥ - ٥٥٥ يقول سبحانه وتعالى (جوه يومئذ ناصره) إلى ربه ناصره (وكذا في حديث رؤية الله تعالى كما

يرى القمر ليلة القام بدون شدة يرويات صحيحه

مررة ذكر العقاب ، وخوف المقت في العاجل ، حلاوة دواعي النفس إلى راحتها وشهرتها . وقد يفعل ذلك الصديق خوف سوء عاقبته ، أمر الدنيا يعرض به أحب الطعام إليه ، فإذا ذكر فيه صرراً من حرارة أو برودة أو غير ذلك منع منه ، فإن حششت ودعته نفسه إلى أكله . ذكرها سوء عاقبته وهشاج الوجع بعد ما تغطي بدنه وحلاوته ، فيطعم ذكر مرره سوء عاقبة ذلك الطعام حلاوة معجّل لده ، فيتركه من أجل سوء عاقبة أيام قليلة يسقم فان مقدور واقع به إن كان قدّر أكل ذلك الطعام أو تركه ، وإن لم يقدّر به لم يقع به أكله أو تركه ، فهذا الذي عرض به لنفسه ، فذكر سوء العاقبة في الآخرة . أو أن تطعم ذكر مرة سوء العاقبة حلاوة لده لسهوه ، لأنه يخاف عاقبه دائماً في صرر عظيم ، لا يقوى عليه بدنه ، ولا يقوم به صبره ، إن لم يخفه لم ينج منه إلا أن يعفو عنه ربه عز وجل ، لأن صرر الدنيا قد يصرف بحدس وغير حدس ، ولا يصرف صرر الآخرة إلا بالحدس .

فإذا كان سوء عاقبه يوم أو يومين ، يطعم حلاوة معجّل أحب الطعام إليه سوء عاقبه عذاب الأبد مع أخيه من الله ونظره إليه ، أو أن يطعم حلاوة شهوة اللذات وإن عرض له دس مما كان قد ستره أهوى وشهوة فلم يعرفه في حال بونه ، عزم على تركه وحمد الله جل وعزّ إذ حفظه له قبل أن يتوفاه عليه ، وإذا عرض به دس لم يكن أدبه من قبل خوف نفسه سوء الخاتمة إن وانه ، أن يحتم له بحاجته لأشياء في آخر عمره ، ولم يأمن أن يكون آخر له ، ليحتم له بحاجته الشقوة والهلكة . وإذا عرض به حق لله جل وعزّ ، مما قد كان صبيحه ، فتاب منه وعزم على الصيام به ، خوف نفسه أن يعود إلى التضييع له ، فيحذف وعده ويتقصّر عزمه على لقيام به ، فيكون سمه عند الله عز وجل مخلقاً عذاراً ، ورخصي نفسه على القيام به لظن من الله عز وجل بأمره عنه ، وببسمه لله عز وجل موفياً وحكم به بالصدق لأنه يسمع الله جل وعزّ ، سمى بالكذب والخلف ، وأوجب العقوبة من عهده وعزم على طاعته فلم يفت به فقال تارك وتعزّ

(وَيَنْهَيْهِمْ مِنْ عَاهِدِ اللَّهِ الْإِيمَانَ أَنْ تَأْتُوا مِنْ مُضِيٍّ يُضَدِّقُ وَيُكْوَسُ مِنَ الضَّالِّينَ )  
وفي التفسير عن معاهد أنها رجلاان خرجا على ملا من الناس فقالا لئن آتانا الله من فضله لصدق ، وقد معبد بين ثابت هو شيء قانونه في أنفسهم ، ألم تسمع قوله تعالى

(يَقْلَمُ مِرْهُمُ وَنَجَّاهُمْ) ؟

دل الله تبارك وتعالى (فَسَيَأْتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ نَحْلُورُ يَوْمَ تَقُولُوا وَهُمْ مُنْصَرِفُونَ) في قوله

تعالى : (وَيَسَاءَ كَانُوا يَكْذِبُونَ<sup>(١)</sup>)

فَسَيَأْتَاهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، إِذْ هُمْ يَعْرِضُونَ مَخْلَعِينَ لِلْوَعْدِ كَادِبِينَ لَهُ ، فَيَسَاءَ كَانُوا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِدَيْكُ ، وَالرَّمْ قُلُوبِهِمُ انْتَفَاقَ حَتَّى يَمُوتُوا عَنْ دَيْكُ ، فَيَعْقِبُهُمُ بِعَقُوبَةٍ لَا يَمْلَحُونَ بَعْدَهُ أَبَدًا ، وَلَا يَصِلُونَ إِلَى التَّوْبَةِ مَا يَسْحَطُ رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ يَحْلِفُ لِعَبْدُ الْوَعْدِ فَلَا يَعْاقِبُ إِذَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرِيدُ أَنْ يَسْعِدَهُ فِي آخِرِ عَمْرِهِ ، لِأَنَّهُ يَعْاقِبُ مَنْ بَدَأَ وَيَعْفُو عَنْ مَنْ يَشَاءُ ، فَيَحُوفُ بِنَفْسِهِ الْعَقُوبَةَ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ عَاهَدَ مِنْ قَبْلِ مَا حَلَفَ رَحِي بِنَفْسِهِ التَّوْبَةَ وَالْإِقَالَةَ ، فَيَعُودُ الْعَرَمُ عَلَى الْوَفَاءِ ، وَذَكَرَ بِنَفْسِهِ مَا سَمِعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ أَوْفَى بَعْدِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ ، حَلَّ ثَائِرُهُ (رَحَالَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَصَى نَجْبَهُ) الْآيَةُ

وروى في تفسير ذلك أنوار

أما أحدهم ، رواه أنس بن مالك . أن أنس بن أنس عم أنس بن مالك عاتب عن قتاد بن بدر نقى : « رُبَّ مُشْهَدٍ شَهِدَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ تُشْهِدْهُ ١١ نَفْسٌ كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِتَالٌ مَعَ فَرِيشٍ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مَا أَصْبَحَ « وَهَابٌ » يَقُولُ غَيْرَ ذَلِكَ ، فَلَا كَانَ يَوْمُ أَحَدٍ وَاسْتَمَرَّ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ فَاسْتَقْبَلْتُهُ ، فَقَالَ يَا سَعْدُ إِلَى أَيْنَ ؟ وَهَذَا لِرِيحِ الْجَنَّةِ ١١ إِنَّهُ لَا جَدْرَ بَيْنَهُمَا دُونَ أَحَدٍ ١٢ فَتَقَدَّمَ فِقَاتِلَ حَتَّى قُتِلَ ، وَأَصِيبَ بِهِ بِضْعُ وَثَمَانُونَ جِرَاحَةً - مِنْ صَرِيَةِ سَيْفٍ وَطَعْنَةِ بَرْمَجٍ وَزَمِيَةِ بِسْهَمٍ ، فَمَا عَرَفْتُهُ أَحْتَهُ إِلَّا شَيْبَةً مَرَلَتْ

(رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَصَى نَجْبَهُ)

بِئْسَ عَهْدُهُ أَيْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ (وَمِنْهُمْ مَنْ شَتَرَ<sup>(٢)</sup>)

أَيْ صَادَقَ غَائِمَ بِالْحَقِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَيَنْتَظِرُ يَوْمًا فِيهِ لِقَاؤُهُ بِمَوْتٍ عَلَى صِدْقِهِ وَوَفَاءِهِ بِشَهَدِهِ

وَمَرَّ السَّيِّدُ ﷺ بِمَعْصَبِ بْنِ عَمِيرٍ ، وَهُوَ قَتِيلٌ مَسْحُوفٌ عَلَى وَجْهِهِ ، فَقَرَأَ

(رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ)

(١) ٩ ، ٧٦ ، ٧٧ ويكنى الآية (لأعقبهم مائة في قلوبهم إلى يوم يلقونه ما أخلفوا الله ما عهده وما كانوا يكتبون

(٢) ٣٣ ، ٢٣ ويكنى الآية (وما سألوا بشيئاً

عبدك منه ما قل الله عز وجل ما سئى به من كذبه ولم يعمِ عمره ، وما سئى به من صدقه وأوقى بعمره

وإن تقاعست النفس وثقل عليها القيام بذلك الحق ، ذكرها ثواب الله عز وما يأمل من نعم الآخرة إن قام بذلك الحق ، ورحاها رضا الله عز وجل ، ولسرور والأمن في يوم خوف والأحرار ، ودوم النعم الذي لا ينقطع في حوار الله عز وجل ، وانظر إلى وجهه الكريم الأعلى ، ليعطى مذكر خلاوة الثواب مرارة القيام بذلك الحق ، ويحعب على النفس ما ثقل عليها من القيام بذلك الحق لذكر خلاوة الثواب ، وذلك معروف في أهل الدنيا ، لم يثر عامل من عمال الدنيا ولا غيره ، ولا ناجر من تجار الدنيا يحف عليه التعب والمقونة إلا ما يرجو من لأجر ، فالبناء وغيره لدته في التعب وغمته في الراحة خلاوة الأجر ، وإن التعب له لمؤلم مؤد ، وإن الراحة له لمواظفة ، ولكن حناز نصب على الراحة لما يأمل من الأجر ، فإن كان أجره قليلا والمستاجر موفيا ملبيا ، فإذا ذكر قلبه الأجر استشغل العمل ، وإذا ذكر أن مستاجر له ملي لن يظلمه خفة عبء العمل ، وإذا كان الأجر كثيرا والمستاجر له لا يأمن من ظلمه ، فكلاما ذكر ما يخاف من ظلمه استشغل العمل ، وإذا ذكر كثرة الأجر حف عليه لعمل ، فرد كثر الأجر وكان مستاجر ماليا موفيا حف عليه العمل ، ولم يجد على قلبه ثقله له ، وعمله نشاط له وحقه ، فلا مستاجر أملا من الله عز وجل ، ولا أجر أكثر من الجنة

وكذلك التجار من أهل الدنيا لا يقطعهم عن سفرهم ، لما يأملون من الأرباح ، الخمر ولا البرد ولا الأمطار ولا الخوف من النصوص ولا الساع ، لخلوة ما يأمنون من الريح ، فالعامل لله عز وجل ، والتاجر له أولى أن يحف عليه العمل إذا ذكر الربح الذي لا ينقطع ولا تحبص فيه ، ولا نصريد من الريح الذي لا يظلم مثقال ذرة ، بل يضاعف ويعطى الكثير بالبسير من العمل ، وتجار الآخرة لا يرجون كما يرجع تجار الدنيا ولا عمالها ، لأن تجار الدنيا إنما يرجون من جسس الدنيا وجوهرها ، والله عز وجل ، لا يرجع عمال الدنيا من جسس الدنيا ولا من جهرها ، ولا يرضى لهم بربح الدراهم والدينار ، لأن ذلك من جسس الدنيا وجوهرها ، ولكن يرجعهم قصور الياقوت والزمرد والدر في الدار التي لا تفسى ، تربتها المسك ولوزعقوان ، مع روال المموم عن قلوبهم ، فلا يحطرن أندا قلوبهم الأحرار ولا تحمل في قلوبهم أندا ، والفرح والسرور لا يبرحان من قلوبهم أندا ، فإذا تذكر هذا لعد خلاوة هذا الأجر مع تذكر مظهر الخلود الكريم إليه ، وهو محاهد لنفسه مكائد لهواه ، فأمل أن ينظر إليه على تلك الحال فيصلى عنه ، فيوحى له

المخلود في داره والأمن من عذابه ، خففَ عليه القدامُ بذلك الحقَّ ، وإنْ عرض له حقُّ لربه جلَّ وعلا ، مما كان قد ضيَّعه سرَّه كراهه النفس للقيام به وهوى الراحة في مركه ، فلم يعرفه في حجاب نوبه ، فعرفه حين عرض له حمد الله جلَّ وعزَّ ، إذ غطيه له قبل أن يموت وهو مصنَّع للقيام بحق ربه جلَّ وعزَّ ، فيحل بذلك عليه عصبه وعذابه ، وإنْ عرض له حقُّ نبي به في آخر عمره . ووجب عليه محام يكن أوجه الله عزَّ وجلَّ عليه قلُّ فتغلَّ على نفسه نصيام به حصصه عسى على نصيام به ، رجاء أن يكون إما ذخيره له فلم يوحيه عليه إلا في آخر عمره ، يستوجب بذلك رضا الله عزَّ وجلَّ . ويحتمل له محام السعداء فإن مكنت النفس عن القيام به خوفاً حاصره الشقاء بتضييعه ، وأن يكون إما آخر لذلك ، ألم تسمع قول المطرف : إن حسنة أثقل ما يكون عليك وأنت بعملها ، فإذا مرعب بها ذهب ثقلها وبقي سرورها ، فكيف لم إذا قرأتها بين يدي الله عزَّ وجلَّ ، ورأيت نواها ؟ فتذكر رضائه عنه بالقدام به ، وذكر ثوابه ، وخوف عصبه على تضييعه ، يخففَ عليه القيام به

فإذا تظاهر من هذه الخلال است بالتوبة ، فقد صحت توبته ، وسأوى الذي لم يكن به صبرة في رعاية حقوق الله عزَّ وجلَّ ، فيما يستقبل من عمره ، وسأوى الثالث من قلله لدى لم تستصعب عنه نفسه عند التوبة ، ولم تحتج إلى طلب الخوف بالتحريف ، ولم يعلم عنه شيء من دونه ، ولم يأنس أن يكون الله قد أحصى عليه ما قد سبه ، كالسحرة ، وأصحاب محمد ﷺ وغيرهم ممن اتهم من الله عزَّ وجلَّ ، برفع الامتحان عنهم والنكفر لطلب التوبة ، فبررت عقولهم حجتهم ، وأزعجهم إليه توبيخه وتفصيله ، لأنها وإن لم يكن معها امتحان لنكف لطلب ، فقد سهت عقولهم على المعرفة بالله عزَّ وجلَّ ، وعظيم قدر ثوابه وعقابه ، وعظيم حقه عليهم ، وواجب طاعته ، ولم يبالكو مع هذه المعرفة أن يصوكل فاطع يقطعهم عن الله عزَّ وجلَّ ، وأقنوا بعقوبهم على ربهم ، قد استمرعوها في الإقبال عليه والإنابة إليه

فقد سأوى هذا الثالث من قله الذي قلَّت كلمته ، ولم تم عنه دونه عند توبته ، وسأوى من

لم تكن به صبرة ، لأنه قد تظاهر كما تظاهر بما يكره الله عزَّ وجلَّ وعليهم جميعاً حسن القيام بحق الله عزَّ وجلَّ فيما بقي من أعمارهم

## باب معرفة حقوق الله بأسبابها وعملها وإرادتها وترتيبها في القيام بها ، والرعاية لها

ولابد من حق جميع من معرفته حقوق الله عز وجل ، وأسبابها ، وأوقافها ، وعملها ، وإرادتها ، ووجوبها ، وفهم هي ، وأنها بدأ الله عز وجل به خلقه <sup>(١)</sup> ، وأنها أوجب أن يبدأ به لأول فالأول ، لا يقدم ما أخر الله عز وجل منها ، ولا يؤخر ما قدم الله عز وجل منها ، كي لا يؤخر عمر صلى الله عليه في وصيته ، وعدم أن الله عز وجل - حقاً بأسرها لا يقبله بالليل ، وحقاً بالليل لا يقبله بالنهار

فأما أوقافها فكالحج في وقته ، وكالصلاة في أوقاتها ، وأما أسبابها فكوجود سبل للحج لأجل الله وحج عن عباده أداء حقه ، فالأمر قبل الأول ، والأمر قبل الوقت إعلام لعمد ، كيف يؤدي حق الله عز وجل في حقه الوقت فيها ما وقته واحد ، ومنها ما له وقتان ، وكثير منها أداؤه على وجهين أحدهما وقت موضع غيره ، وبشأن يتجدد وبشأن يؤخره ، كالصلاة في آثم وقتها ، وكالصوم وعين دينك ، ونوبت لآخر هو الذي أكرم فيه الفرس ، ووزن قات فقد خرج وصيغ

وأما إرادتها فإخلاص النية لله عز وجل بالصام بها ، وأما ما أوجبها أولاً فإلزام يستند على ذلك بالكتاب والسنة مع تثبيت كل الفعل على قدر الوجوب في أداء أي الحقوق أعظم في وجوبها وأنها قد حصر وقته ، وأنها لم يحصر وقته ، وأنها برزت لما هو أوجب منه

وأما فيها هي ، هي أعمال القلوب والحوارج ، فأما ما يبدأ الله عز وجل به خلقه من إعطاء الرعية فيه حقه فبدأهم برعاية حقوقه في قلوبهم ، في حمل عقودها وهمومها من نسبتها ، وعملها ومكرها ، وعند مادرة خطرهم نقي هي بدء دواعي كل خير وشر ، ثم حوارحهم من الأسباع

(١) وأنها بدأ الله خلقه لنفسه



والأصبر ، والأكس ، والأيدى والأرجل والمآكل والشام والباشرة بالأذان من الأحد بمعمل  
وبرك

فعل العبد أن يبدأ بحمد الله عز وجل به ، فيبدأ برعاية حقوق الله عز وجل في قلبه ، فإيه  
أول عمل منه ، وعنه تكون أعمال الخوارج ، فيوقعه حيث أوصه الله عز وجل ، من الرعاية  
لحقوقه فيوقعه حتى يحمل رعايته حقوق الله عز وجل ، في عقود صميره ، حتى يقوم بها الله عز  
وجل ، كي أمره وتعهده وهي ثلاث خلال

عند الإيمان ومحنة الكفر

واعتماد السنة ومحنة البدعة

واعتماد نطاعة ومحنة الإصرار على كل ما يكره الله عز وجل من عمل قلب وبدن  
وحمل حقوق الله عز وجل في خوارج نقيه بالحركات هما أوجب الله تعالى ، وبرك  
لحركات وهو السكوت ، عما يكره الله عز وجل ، ثم رعايته حقوق الله عز وجل عند حطرات  
معلوم الداعي إلى كل خير وشر

## باب رعاية حقوق الله تعالى عند الخطرات في اعتقاد القلوب

قلت وكيف يرضى حقوق الله عز وجل عند الخطرات ، وبم يستدل على ذلك ؟  
والخطرات ما هي ؟

قال يرعاها ما ثبت بالاستدلال بانعلم عند دواعي القلوب ، وهي الخطرات ، لأن  
الخطرات هي دواعي القلوب إلى كل خير وشر

قلت خطرات من أين بدؤها ، ومن أي الوضوح هي ؟ أمن وجه واحد أم من وجوه  
شقي ؟

قال بدؤها من هوى النفس ، أو من العقل بعد نبية الله عز وجل به ، أو من العدو ، وهي  
على ثلاثة معانٍ .

**الأولى** تنبيه من الرحمن ، وكذلك يروى عن غير واحد ، يروى عن النبي ﷺ أنه قال  
« من يُرد الله به حبرٌ يجعل له واعظاً من قلبه » ، وروى النوايس ابن سمعان ، عن النبي ﷺ أنه  
صبر مثلاً فقال مثل صراطٍ وعليه ستور ودواعٍ من أمم الصراط ، ودواعٍ من أعلاه ،  
فالدواعي من أعلاه واعظ الله عز وجل في قلب كل مسلم

فثبت بقول النبي ﷺ « أن الله يعطى عبده فيخطر به ذكره ليتعظ بذلك ، وذلك أن الله  
عز وجل يحظر بال مؤمن ، ليس به بذلك ويعظه ، فله ما يحظر به بال باحداث الخطر ، فيشته في  
قلبه ، ومنه ما يأمر لذلك أن يحظر به بال الله يعطيه بذلك ، ويسيه به ؛ وإياه عن عبد الله بن  
مسعود بقوله « نعمة من الملك » ، وقد قيل في بعض الحديث عن عبد الله « نعمة من الملك »  
بهي الله تبارك وتعالى

**والثانية** سوس وأمر من النفس ، وكذلك قال الله عز وجل في وصف قور بن دابة  
« سرائيل ، إذ هوى نبية » ( نل مؤلف لكم أنفسكم أمر ، نصير خميل )  
وقال جل وعلا ، في قصة أبي آدم : ( مطوَّعت له نفسه قتل أخيه قنص )  
وقال تعالى ( إن لنفس لأماره بالهوى )

والثالثة : تزيين ونزع ووسوسة من الشيطان

وكذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يصرح إليه بالاسجدة به من اضطراب الشيطان وقال تعالى

(وَإِذَا يَتَرَعَّلُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)

وقال جل وعز (يُؤْمِنُ مُمْسِكٌ فِي صُتُورِ النَّاسِ<sup>(١)</sup>)

وقال عز وجل فيها وصف به آدم وحواء عليهما السلام ، فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ<sup>(٢)</sup> )

وقال جل وعز (وَرَبِّهِمْ لَهُمْ نَشِيطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(٣)</sup>)

يعني العدد الثنت بالعلم الدائم على الاضطراب حتى يستدل فيعلم من أي لوجه الخطر حين تعرض ، فيجعل الكتاب والسنة دليلا ، فإن لم يتثبت بعينه ، ويحصل العلم دليلا ، ثم يصبر ، يصبره مما يفعله ، وقد قال بعض الحكماء إن ردب أن يكون العقل عالما بهوى فلا يعجل بعمل الشهوة حتى تنظر في انعاقه

نبت . وما لثنت ؟

قال - حبس النفس قبل الفعل وترك المعلة ، وهو الصبر قبل الفعل

نبت فإن جاشت النفس إلى العجبة بالفعل ، لما الذي يحسها ؟

قال يذكرها نظر الله عز وجل إليها ، ويتوقها برؤى نعمته ، فإن ست عانتها فقال ها - إن الله عز وجل يرك فلا تعجل في وقى ، فبلك موقوفة عددا على فعلك ولا بدع الاستعانة بالله عز وجل ، أن بقوى صحبه ويفهر به هواه ، لأنه من نقل عليه توقيف الله عز وجل عددا على فعله حصة عليه في الدنيا أن يعف ويتثبت قبل فعله حوقا وحياء من توقيف الله عز وجل عددا على فعله

ما جعل والعلم والثنت ، يصبر الصبر بالمع من دواعي الغيوب بالخطرات ، وإلا لم يؤمن عيه أن يفعل خطرة من نزعات الشيطان ، أو تسويل النفس يحسها تنبها من الرحمن جل وعز ، أو يبي خطرة من التنبه على الخير يحسها من تسويل النفس أو من تريين الشيطان ، من يغير بين ذلك ولا يعرفه لا ما علم والثنت ما جعل ، ومثل ذلك كمن هو في ظلمة شديدة في الطريق

مخوف من الآبار والزلل في انظر لوس . فلن يفعه بصره بعير سرح ولن يفعه السرح ن لم يكن له بصر صحيح ، وس يفعه لبصر والسرح ، لم يرم بصره حيث يصع قدمه ويشك ، فإن نظر إلى سماء أو انهب ، ونظره صحيح وسراحه برهر . كان كمن لا بصره ولا سراح معه ، و . هو رمى نظره نحو الأرض ولا سرح معه . كان كمن لا بصر له ، مثل البصر الصحيح كمن يفتل ، ومثل السرح كمن يعم . ومثل النظر بالثبث مثل الثبث بالعقل والاستصاء . انعلم وعرض ما يحظر على الكتاب ولستة ، وس في أكثر ذلك طول مكث من عم أنه بر دمه أن يكون حذرًا ، قد سحنت الخطرة بالاعراض عزلها في مثل مع البصر . بلعلم المتأصل في قلبه نقطة حذر بذلك ، حي تأتي نسي . لدى يلتس عليه ويشته ، فعد ذلك بمكث حي يُعنى ، فإن لم يكن به عم فعله ، لمكث ، وإن طر ذلك حي يعم . أبرصى الله عز وجل . لبول ما عرض من دواعي قلبه ، أو يسحطه ، لا يسهه إلا ذلك <sup>١</sup>

( ١ ) وفي ذلك يقول الله عز وجل : ( لَوْ كَانُوا يَفْقَهُوْا ) . عني ٢ : ١ . كس منه ٢ : انظر نس خارج منها ٢ )

## باب منازل أهل الرعاية لحرق الله عز وجل في رد الخطرات وقولها في أعمال لقلوب والحوارج على قدر منازل أهل القوة والضعف

والمرعون حقوق الله عز وجل ، في منازل شتى ، وقد يتعل كل راع منهم في تلك المنازل عن قدر قوته وضعفه ، فأول مرتبة من الرعاية ، وأهلها أقوى الخلق في الرعاية حقوق الله عز وجل الرعاية عند الخطرات بعد اعتقاد حمل حقوق الله عز وجل ، فلا يحضر يقبه خطرة من أعمال قلبه ، إلا جعل الكتاب والسنة ديبس عليه ، فم يقلها باعتقاد الصمير ، وتركها يسكن قلبه في محال لمكر من تنفى وعيره ، إلا أن يشهد به العلم أن الله عز وجل ، قد أمر بها وندب إليها ، وأذن فيها بأسها وعللها ، ووفى وإرادتها فيها ، فإنه قد يقبل الخطرة ، يرى أنها دعية في سنة وهي بدعة ، وقد يرى أنها دعبة في طاعة وهي معصية ، وقد يرى أنها دعية إلى خير وهي شر كما خطرة تدعو إلى الإخلاص بربك لعمل ، وإلى النشوة عن الخلق بالفكر ، وإلى الرجاء على العمل بالمعص والعمرة ، وإلى الانعاسة بالحسد وإلى العصب لله عز وجل ، يتمنى البلاء في الدين والدنيا للمسلمين واعتقاد استحلال ما حرم الله عز وجل وحل منهم ، ونحو ذلك من الخطرات ، وإلى القدر<sup>١</sup> شريه الله عز وجل ، وإلى رأى جهنم<sup>٢</sup> متى تشبهه ، وإلى التشبه متى رأى جهنم ، وإلى الاعتزاز بتثبيت الوعيد ، وإلى الخروج بالنسب بالعصب لله عز وجل ، أو إلى لإرجاء تعطيم الأقدار وتثريه الإيمان من النقصان

وقد نخطر الخطرة تدعو إلى بدعة في الحمة يحسبها سنة ، ونحو ذلك على ذلك أن قلوب أهل البدع إذا حضر بها الخطرات تدعوهم إلى بدعة علوها سنة ، فكذلك أهل السنة من يدع العدو أن يدعوهم إلى البدع عند عقلائهم من حيث لا يشعرون ، ولولا ذلك ما استدع أحد بدعة بعد اعتقاده لسنة في عبادة ولا غيرها ، لأنه قد يدعو يدعو إلى الانتدع في رده وفي رصانه

(١) القوم بالقدرة هو القوم بحرية إرادته أي أن الإنسان حري يأتى وبها تدع من الأفعال ومن مجبوراً من الله على

عمل من الأعمال

(٢) رأى جهنم في الصفات وهو أن الصفات على الذات

وبوكله محاليف رهد الأثمة المتفدين وتوكلهم . ورضاءهم وتقسيم محاليفه نسبة وعتقاده لدعة وهو يرى أنها سنة . كي عنقد قدم البره في يدك بتضييع العباد . وديك وجوب حق بدين . و بوكل يترك الاكساب على الأهل والاولاد واخراج . سحر بالارد ، وارض بالسرور بالسلام . إذ وقع بضمين . وسحرهم القوم . وندعه . وترث ثقتي أن اندصى لم يكن . وبالشغال ناله عز وجل . يترك لفرانص . وترد السواحل . ودعوى النصائر واستدرة القلوب بادعه . عيم العيوب من القطع عني مافي صوائر الخلق . وما أسبرون ويكلمون . ويعتجون في ذلك آثار مثل قوله ﷺ : « لئولم يطر بور الله »

وكل فرقة من ذكرنا محتج بالآثار ، والمكتاب ، والمقاييس ، وسكن يطول ذكرها ، وإما أردنا تحدير جملتها ، ليعرفها العام المشت بالكتاب والسنة

وكذلك لخطرات التي تدعو إلى تدب القلوب من غير عادات بالاعمال كالفسد ورأيهم . والرفص والاعزل ونحوه . فس يميز العد بين ذلك وبين ما أحب الله عز وجل . من الأعم والس . إلا يشهد العلم لأن الله عز وجل . أمر بذلك أو يدب إليه وأذن فيه . ولا خطر خطره فيصيب . أو يحجب قلبه عما إلا أن يشهد له نعم أن الله عز وجل . قد مهي عما ودمها بها . وعظما ووفاتها . فيه قد يحظر نفس بعد خطره داعية إلى خير فيصيب . وهو يحسب أنها شر . وقد تدعو إلى سته فيصيب . وهو يحسب أنها بدعة . يريب له عدوه . ومما يدل على ذلك أن قلوب أهل لدع إذا حطرت بها خطرة تسبهم على عتقاد لسته فهوها وحسوها بدعة . ومن يدع فهو أن يدع بعد مرده . إن بقي حضرت أسيه على الخير وشر لثلا بعدها . لأن عني العباد وبه أرادوا الله عز وجل . أن يصسوا الحق بذلك

وقد دهم الله عز وجل . قوماً ولم يعدرهم . فأب رأو أن شر خير والخير شر فقال جل وعز (وَهُمْ يَخِشُّونَ أَنَّهُمْ يُخِشُّونَ حُصْعًا<sup>(١)</sup>)

وقال عز وجل : (أَفَمَن رَّبَّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَّاهُ حَسَنًا<sup>(٢)</sup>)

وقال حذيفة رضي الله عنه رحل سانه عن الرحل يقاتل يريد وجه الله عز وجل . فيقتل . ولم يوفق للحق . فقال يسجل الدار من يقتل أكثر من كذا وكذا . ولكن من دمل يريد وجه الله عز وجل . فأصاب الحق فهو في سبيل الله

ومن ثم يؤول لنحو ، ثم يؤول للخير ، وكذلك لدى بعض حضرات من الخير يحسبها سوءاً ولا مير بين ذلك إلا شاهد لعلم من الكتاب والسنة . وإذا تيسر له شاهد لعلم وحدي الخطرين ، أنها لما أحب الله عز وجل من عمل قلب أو اعتداسه قلبه وعزم عليها ، وإن تيسر له شاهد لعلم أنها لما كره الله عز وجل أو دمه في كتاب الله عز وجل ، أو في سنة النبي ﷺ ، أو جمعت عليه لعناء نداء عن قلبه وحجب قلبه عنها ، فإن لم تيسر له عند إحدى الخطرتين ما هي ، أمي مما أحب الله عز وجل ، أو مما كره الله تعالى \* وقف وثبت ابتداء أو يشهد العلم له بأحد الأمرين فيقبل أو يبي . وهو في مسحة حتى يتبين باسطر قلبه ، أو بسور العلماء ، إن كان لا يطلع علمه ، فإنه إن لم يفعل ذلك لم آمن عليه أن يصل بعير دليل ، فيعتقد الشر ويحب أنه خير أو يبي الخير ويحب أنه شر ، ويعرف الشر ثم يعتقد ، ويعرف الخير ثم يجاهه ، ولو تيسر ذلك لم آمن ذلك عليه أيضاً ، فإذا فعل ذلك فقد رعى حقوق الله عز وجل في جوارحه ، فلا يحظر قلبه خطرة تدعو إلى القول بلسانه ، فيعتقد الهمم بها ، ولا يادن لسانه أن يطر بها ، حتى يتبين له في العلم بالكتاب والسنة . أو في إجماع الأمة أن الله عز وجل ، أمرها أو نهد إليها وأباحها ، وكذلك الداعي إلى الاستماع إلى صوت من الأصوات فيعتقد الهمم إلى الإصغاء إلى ذلك الصوت ، إلى أن يتبين له في العلم أن الله عز وجل ، قد أذن في ذلك أو نهد إليه أو أباحه

الآ ترى إلى ما جاء في الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه مر برمارة راع ، فوضع أصبعه في أذنه ، وعدل عن الطريق ، حتى قيل له : إن الصوت قد انقطع فضع سمعه ، فلم يأذن له إلى ما كره الله عز وجل

وكذلك إن خطرت خطرة تدعو إلى نظرة ، لم يعتقد الهمم بها ، ولم يسمع بصره يتردد في نظر إليها ، إن كانت نظرة فحاة ، حتى يعلم أن الله عز وجل ، قد أمرها أو نهد إليها أو أباحها ، وكذلك يده . لا يعتقد الهمم ببطشها وحركاتها ، بل لا يحل بيها وبين البطش ، وكذلك الرحلات لا يحل بيها وبين المشي حتى يعلم أن الله عز وجل ، قد أمرها أو نهد إليها أو أباحها ، في كتاب أو سنة أو في إجماع الأمة

قلت فإذا رعبت حق الله عز وجل عند الخطرات التي تدعو إلى عقد صميم القلوب ،

(١) أحبب العلماء عن أنها لما كره الله عز وجل

و اضطرب لى ندعو بى اھمّ حرکات خروج وسكونها ، فاحذف عني بعد ذلك ٢ ومثل يجب عني غير ذلك ؟

قال نعم ، ب الله عز وجل ، أوجب فرائضه في كتابه نصّ في التلاوة وكثير من نص التلاوة محمل بالعرض ، محتاج إلى تفسير عما في لبي سَلَامٌ ، فمحمل بعض فرضه أوجب من بعض ، إذا اجتمع العرضان ، وفرض فرضاً له وقت الموت ، ب حار وقته بعد عذر قل ب يؤدّي كان العذر عاصياً لربه ، وفرض فرضاً له وقتان ، فمن أدّاه في أول وقته كان ذلك فصل عليه ، ومن أدّاه في الوقت الثاني لم يكن مأزوراً ، وأوجب الله عز وجل ، ألا ينال فرضه ما حرم على عباده ولا يؤثر على فرضه دابة مما ينقر به إليه ، فحدث وعلى العباد ألا يؤخروا من فرضه ما أوجب ب بساً به ، ولا يقلمو ما مر أن يؤخر بعد غيره من العرض ، ولا يتركوا فرضاً نطلب قرية مناهية ولا غيرها



## باب شرح ما يتبدأ به من أداء الفروض وترتيبها في الأداء والوجوب

قلت يبيّن في كيف ذلك كله ، ما الذي ابدّ به من الفروض إذا حلت جميعاً ؟ وما الذي  
أُجره بها : وما الذي له وقت يفوت ، والذي لا يفوت وقته ؟  
قال إذا أوجب عليك فرضين ، فبدأ بأرجحها عليك في الكتاب والسنة ، وإن حصر وقتها  
جميعاً كحاجة لو بدد ، ونواد ، فبدأ بحاجته لو بدد ، وهذا مثال في الوالدين ونظرون تفسير  
شيء من ذلك ، فهذا مثال في أشبهه من ذلك ، فبدأ بالعبد بحاجة والدته ، لأنّ برّها مقدم في  
سنة النبي ﷺ وجميع العلماء على تقديمه في البر والطاعة على الوالد ، وكذلك باب م يكن له  
والده ولا والد ، وكانت له قرابة فأصابتهم حلة أو حاجة مما يدرم به صلهم ، ولم تقدر أن توسعهم  
فبدأ بالأقرب فالأقرب ، وبذلك جاءت السنة في الوالدين والقرابة ، حتى مثل النبي ﷺ  
فقال له السائل « يا رسول الله من أرب ؟ » قال أمّك ، قال ثم من ؟ قال أمك . قال ثم  
من ؟ قال أمك ، قال ثم من ؟ قال أمك فأمّاك »  
وكذلك كل ذي رحم محرم تبدأ به قبل من ليس محرم ، فان استروا في لقربه فاند  
بأخوهم ، إلا أن نكون واسعاً هم أجمعين فجمعهم بالبر والصلة ، وكذلك إن كان عليه بدر  
ب قدم من سفره سالماً ، أو برى من مرضه أن يبدأ من أول يوم يفعل الله ذلك به فيصوم شهراً ،  
عبرى من مرضه أو قدم من سفره في أول يوم من رمضان ، كان صوم رمضان واجباً وتأخير صيام  
سدر ، وكذلك إن وافق يوم قدومه أو برؤه يوم عيد لم يصم ، لأن اتناع السنة في الإبطار أولى  
به ، وكذلك لو ملك العبد ما ينجح به وليس له ما يحب لوالديه أو أحدهما أو أهله وولده ، إذا  
كان لا يقدر على ما يقوتهم ، أقام وأثر الإبقاء عليهم على الحج ، وكان هذا أوجب عليه في  
الله وعده عند الأمان ، وكذلك الميعاد يكون على العبد محصر وقت الجمعة ، أو آخر وقت  
صلاة من الصلوات الخمس فيبدأ بصلاة التي يحاف هوائها قبل الميعاد ، وإن صيغته ليس بمصعب  
له ، لأنه بدأ بما هو أوجب به ، لأن المسلمين قد جمعوا على أنهم إنما يتواعدون على غير ترك  
الصلاة المقررة ، وإن لم يكلموا به ، فذلك عقد قلوبهم ، أو يحصر الجمعة في آخر وقتها ،

أو آخر وقت صلاة من الصلوات الخمس ، ويريد الوالدان حاجة ليس في تركها عطيها إلا أنها ترفقُ بها ويسمحطان من تركها ، فليبدأ بالجمعة والصلاة المفروضة ، إذا كانت الجمعة بعد أنها فاتت ، أو كطلوع الشمس لصلاة العشاء ، أو كقربها للعصر ، وكذلك كل عرص لا يجوز له أن يصنعه لطاعتها وتره ، إلا أن يخاف عطيها ، فقد حُتِف في بعض المروص عند ذلك . ألا ترى أن نبي ﷺ يقول : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »

وكذلك يفرض له الحج ، وعنده ما يحج به ، وعليه دين يخرج عليه صاحبه وبحسه فلا يخرج ، فليؤد إليه حقه ، وإن كان له غير ذلك من المروص والعقارات عليه ولخرج به ، وكذلك يكون عليه الدين يخرج عليه صاحبه ، فحاج أن يخرج والده وعياله ، فليبدأ بقضاء الدين ، ويحس التوكل على الله عز وجل في عياله ، وليس بمصيب لهم ولكن مؤثراً واحداً على واحد هو أوجب منه ؛ لأن الله عز وجل أمر أن يؤدوا الحقوق إلى أهلها ، وقال النبي ﷺ « مظل المظل ظلم »

وكذلك لو ساء والده عن قضاء دينه لم يكن له طاعتها إذا كان صاحبه قد خرج عليه ، أو رد مظلمة قد خرج عليه في حبسها

فإن بدأ بغير هذا الذي كتبت له من هذه الأشياء أو ما أشبهها ، فقد خرج وصيغ ؛ لأنه قدم ما أخر الله عز وجل ، وأخر ما قدم الله ، ولا تقرب إلى الله تعالى بخلاف ما أمر به

وكذلك إن أحب عليه عرص قد حصر وقتها بدأ به قبل ما م يحصر وقتها من المروص ، وذلك كالرجل يريد الحج في وقت فيه سعة من الأيام ، فيأمره والده أن يقيم إن آخر الوقت للحج ، أو كصلاة قبل أن يأتي الوقت المصيق عليه أن يجوزه ، فليطعمها ويبدأ بحاجتها حتى يأتي الوقت المصيق عليه فوته ، كذلك جنازة القرية تحصر بخاف فواتها فليبدأ بها ، وكذلك معاد يكون عليه قبل أن يخاف فوات الحج ، أو الصلاة فليبدأ بميعاده

وكذلك يكون عليه لميعادان ، أحدهما لوقت معلوم من النهار ، والآخر لا وقت له معلوم من النهار أو من الأيام ، كقوله آتيك اليوم أو الليلة أو آتيك ولا يذكر وقتاً ، فليبدأ بالذي له الوقت المعلوم

وكذلك تيمم الصلاة المفروضة بسان أو تفرط ، وتحصر وقت صلاة أخرى ، فليبدأ بالمائة الآن بخاف فوات الدخلة فبدأ بالدخلة ولا يصنعها كما صيغ الأخرى ، وفي ذلك

اختلاف . إذا حافت هوانها وما لم يحجب هوان الداحية ، فمجتمع عليه أن يبدأ بالأولى ، وكذلك أن يعد ميعةً وأعباءه معاد آخر قبله وهو رأس الأول ثم يذكره ، فليبدأ بالأول ويؤخر الآخر ، لأن الله عز وجل ، فرض فرائضه ، فبدأ بالمعدة قبل الظهر ، والظهر قبل العصر ، وكثير من فرائضه كذلك ومن ذلك قول أبي بكر رضي الله عنه في وصيته لعمر رضي الله عنه - أعلم أن الله عز وجل عملاً بالليل لا بغيره بالنهار ، وعملاً بالنهار لا بغيره بالليل فأوصيه أن يقدم ما قدم الله عز وجل من العروص ، ويؤخر ما أخر الله منها ، وذلك على ما وصفت لك

وإذا كان في عرض محصر عرض دونه ، فليتم ما هو فيه ولا يقطعه ، وذلك كالجمعة يدخل مع الإمام فيها ، أو صلاة المعدة في آخر وقتها ، فيدعى لخدمة قراءة فلا يقطعها لذلك ، ويتم ما بقى منها ويحذف ذلك ، وكذلك إذا كان في الحج المبرور منحرماً به ، فكتب إليه ونداء ألا تقيم ساعة ، فليتمه ولا يخرج منه

وقد يعرض الواجب فيؤديه بالاستعانة بالمعاصي ، كالكسب الحرام ونسبة الجمع على تركها ، يريد بذلك عداة عماله ، وأداء ما وحب عليه من حقهم ، وكذلك الوالدان يبرهما أو أحدهما ، إذا أديا أهله أو طلبها ، يريد بذلك أداء حق أهله ، وعله يتأول يقول ، امرأتي أسيرة في يدي وقد أوصيت بها ، وكذلك أهله يصريها أو يصيغها ، أو يشتريها بغير حق ، يريد بذلك رضاء والديه . فعليه ألا يفعل شيئاً من ذلك ، فإن فعل فقد قام بواجب معصية الله عز وجل ، وهو حقيق ألا يتقش منه ذلك وأن يعص الله عز وجل عليه ، وكذلك يصري بده لأهله ، يريد أداء ما وحب عليه ها ، وكذلك يأمر بالمعروف لقربة أو غيرهم ، بالقصد ولستم والصبر الذي لا يحل له ، يظن أن ذلك عص الله عز وجل ، وكذلك بطيع والديه في قطع ربحه ، وكذلك في النظافة والنظافة للصلاة يصيه القدر ، أو يحذف أن يكون أصابه فصجر ، فيشم الواسين أو الأهل أو الخادم ، أو يصريها عما لا يحل به ، يظن أن ذلك عص للدين وإن كان في عرض معرض له عرض أوجب منه قطعاً بعد ما يحل فيه كالصلاة يدخل فيها في أول وقتها أو أوسطه ، ثم يذكر أن عليه صلاة فائتة فليقطعها ، وقد رأى بعضهم يتمها ، ولا يحتسب بها ، وشبهها بالحج العامد يحصى منه ثم يقصه من عام قديم وذلك لا بشبه الحج ، لأن الحج لا يمكنه في عامه أن يعيده والإحرام لارم به ليس كحقل الصلاة ، وكذلك إن كان حالساً لم يعد ثم ذكر أن عليه صلاة فائتة ، فإنه يترك الميعاد ويبدأ بالصلاة الفائتة ، إذا حشى فوت الصلاة الداحية قبل أن يقضى الفائتة ، كالعصر ففوته فحشى أن تيب للشمس ، وأشياء ذلك ،

وكذلك من حُرِّح عليه وندبه ألا يخرج عن بيدهم ، فيحصر الصغير لظهور المنكرين على المسلمين ، وليس في وجوههم من يقوم بضامهم فعليه الخروج وترك المقام ؛ وكذلك الصلاة يدخل فيها في أول وقتها ، فيرى رجلاً قد أصبح بقتل ظلمًا ، أو امرأة مستكرهة ، وهو يدعى على أن يعير ذلك ، فبغير ذلك ولعطف الصلاة ما لم يحجب هواها ، وقد ختلف العلماء إذا حجب هواها ، وكذلك إن أصبح صائمًا من بلر واجب ، فليس له أن يرمي يوم عيد أظفر ، وكذلك إن كانت امرأة صائمة من بدر فحاصب أو دحت في صلاة ممرضة فحاصب ، فطعم الصلاة وأفطرت

وعند يطلع العبد الورع والنوازل ، فيصبح العريضة وهي ميسرها ، وقد يطلب العبد الورع نصيب الوجب من المال وهو حلال ، عطف ، حشيه ألا يحل له أخذه ، وانصاعه وتجاره والميراث الحلال ، يريد بذلك السلامة فيصبح العيال ، فيجمعهم ويعزهم ، ويسخط عليه الموالدان ، ويصنعها ، وهو يقدر على المال أو العمل الحلال ؛ وكذلك يدع الخج مخافة أن يكون حائط ما له حرم من غير أن يعرف شيئًا بعينه فيه ؛ وكذلك أن يخرج من بيده يخاف ألا يسمي فيها فيسخط عليه والداه ويصنع عياله

وقد يفتيح العرص للوسوسة تعرض من شيطان ، فيدع العرص إرادة أن يؤذيه على ما أمر ومخافة ألا يجزيه أذاه إلا بدت ، يحسب ذلك عليه هو الواجب ، فيكره بوضوءه وبطيته ، حتى يذهب وقت الصلاة كطلوع الشمس لصلاة العجر ، أو كهوت الجمعة ، وكذلك في لعن من الحانة ، أو يشتعل بالأسراء ، ويرى أن ذلك واجب عليه ، وأنه لا يجزيه إلا ذلك ويشاعر بذلك حتى يحرج أوقات الصلوات ، فيصنع العرص بطلب إقامته لعرص علف ووسواسًا ، وكذلك يشتعل بعدة التكبير ، أو يقطع الصلاة قبل أن تتم ، بعيدا مررًا ، أو يصيق الصدر منه على التكبير حتى تذهب أوقات الصلاة ، أو يؤخر أوقات الصلاة كأنه يصبر وعبره ويسهر بالنسج يريد بذلك القدوة عن تأويل علف ، حتى يذهب وقتها الذي جعل النبي ﷺ آخر وقتها

وقد تعرض للرجل الواجب في كتابه في سته ، وقد رخص له في تركه من أجل عله عرصت ، لا يجوز أن يأتيه من أجلها ، فيأتيه يريد بذلك أداء الواجب ، ويصنع ما هو أولى به ،

كأنه في العصب فيها ونية أو قرينة فيسحبها بغير إذن نه يريه بدت حراً ، أو يسحبها بغير بدت نه  
القرينة ، أو النية فيها المنكر ، فيأبى إرادة وحب حق فسمي ، ويعد أن يتأول في بدت  
يعود لا أدع حقاً ساحل ، فيترك ما هو أولى به ويأبى ما كره له ، وإذ أمر بأداء الحق بالحق ، لأنما  
بتصحيح ما أوجب الله عز وجل عليه فلا يجوز له ذلك

وقد تعرض للعبد بعله لى لا جور أداء الفرض عنها بولا العذر الذى رخص له من أحله ،  
كالجوب الذى يستمر به برونه ، والدم أو البطر ، فيدع الصلاة حتى يخرج ومنها يريد بدت أداء  
الفرض بانطهارة ، فدع الفرض وبصنيعه ، وعلماء الأمة مجمعة على إرخصه له من متوضاً لكل  
صلاة ، وصلى وإن سب ، ومضى على صلواته ، المستحصى به نكاح ، وكذا نكاح فعل عمر رضى الله عنه ،  
حين طعن صلى وجرحه بضع دماً ، أو يمرض فلا يمكنه الصلاة قائماً ولا يمكنه فاعداً رر بدس  
ثابت استمر به النول ، فكان يتوضأ ويرسل البول ، أو لا يمكنه أن يسجد على الأرض فيدع  
الصلاة انتظاراً للعبية حتى يخرج وقتها ، أو رخصاً بضع ما به ، وكذلك الصدع وغيره حتى  
يمكنه الصلاة ، والأمة مجمعة أن عليه أن يصلى كما يمكنه ، وقد حشنت سابق النسي صلواته فصل  
حالياً ، ومرض صلواته فصل حالاً يوم توفى وأبو بكر إلى جنبه

وقد تعرض للعبد المرض فيقوم به فيصيح ما هو أوجب منه ، كالصوم في السفر أو الصوم في  
المرض ، حتى لا يقدر أن يصلى لا فاعداً أو مصطحفاً ، ولو أفطر لأمكنه أن يصلى قائماً ، وقد  
يصوم في السفر أو في المرض حتى يصح ويخرج إلى ما لا يحل له من الكلام وغيره  
وقد يجب على العبد المرض ، فيؤديه لإرادة الدنيا ، يرى أن ذلك يعرجه ، وأن ذلك أولى به  
جهلاً وغلطاً ، كالركاء تحب عنه فيعطىها فقير قد رماه دمه لأنه من مكافأته فيصلى ما به بحق الله  
جل وعز ، كاليد اصطعها إليه ، أو عمل به عملاً على غير نحره مساه ، كادر حل يحلله أو يفوه  
بحوائجه ، أو امرأة الصغيرة ترضع به أو تخدم أهله أو تلطمهم بالبر ، فقد أكرم بصفته مكافأته ،  
فيعطيه إركاءه تسقط عنه مكافأته ، ولعله يترك من هو أولى منه أن يعطيه ، أو الرخص يخاف منه  
إن به يعطيه أو يرحو حمده فيعطيه فيكثر له ، ويجمع من هو أوجب منه والله عز وجل ، يقول

(يُؤْتِي مَن يَشَاءُ نَسِئًا وَمِمَّا أَكْبَرُ عِنْدَهُ مَن نَّعْبُدُ تُخَوِّنُ )

وهو حل وعز وعلو (وَمِمَّا أَكْبَرُ مَن رَّكَدَ يُدْعَى وَجْهَ اللَّهِ )

وكذلك لوصية يوصي بها إليه في وجوه للزَّ ، مثل ابن السبيل والفقير أو غيره ، فيحصل بها إلى دوى الأيدي عنه . ومن برمه دماحه ، ومن يحاف لسانه ، أو يرحو مكافاه أو حمده ، ويدع من هو أولى به ، عدع أن يصعه كما مربيه صاحبه ، أو بعش بيت في وصيته ويعمل في منفعة نفسه مما أوصى إليه به .

وقد يحب عليه الشئ ، فيؤديه ، ورعه أن يرداد نفسه بعد أداء ما وجب عليه ، فيرى أن الازدياد من ذلك هو الوجب ، فيصنع كثير مما يجب عليه بذلك ، ويعتدل بالحرص وقد أذى الحرص . وإنما يعمل في رعة الدنيا ، كالعين المكتسب هم ما يعدوهم حتى يكون عنده ما يكفيه الأمان والشهور والسبى ، فإذا عرصت له حاجة فريفة ، أو حار يستيقض فقره وجوعه ، أو عرب منقطع به ، أو حنادة قرابه ، قال الحرص وأد ، لو حب أولى به ، يعنى الاشتغال بالاكساب للعيان ، أو مساك ما عنده من مواهب من يجب عليه ، ويقول قال النبي ﷺ « الدنيا بمن تعون » ، ويرى أن ذلك أولى به ، فقد قام بما رعم أنه يجب عليه ، إذ كان عنده ما يكفيهم ، وإنما يعتدل من أحل الحلال أو انكسر ، أو يكون جاهلاً وعائلاً ومع ذلك إن الاكساب على أفعال مختلفة في وجوه

وقد يطلب العد التطوع بتصنيع الواجب ، وأولى به أداء الواجب ، وإن فاته التطوع كطلب الحديث وتصنيع العيال والقرابة ، فينق في طلبه ويصنع عياله وقرابته ، وهم فقراء لا يعنى بهم عنه ، ويعصى الوالدین في الخروج من بلدهما ، أو يعرض سبها حاجة في بلدهما به ، عدع حاجتهما فيسخطهن ، ويعدو أو يروح في حسب حديث ، أو يصحب في طلبه من قد امر بمجانبته والإبكار عنه ، أو من يعلم أنه لا يسلم معه في دبه من العيبة وعيرها ، أو كخروجه إلى الحج تطوعاً ، أو العزو بتصنيع عياله وسخط الوالدین ، أو أسيت على الذكر بعضيان الوالدین . وكبعضاء العرة والحجاج المار ، والإساق على الإحوان أو الحيران ، أو الصدقة بتصنيع حق من يرمه حقه ، فإن لم يكن يملك ، لا ذلك فقد ضئع واجاً من حق الله عز وجل ، وإن كان يملك سوى ما يعنى في ذلك ، فقد ترك ما هو أولى به وأشق مما لا يحب عليه وترث ما يجب عليه ، وكتركه أداء عظمة تكون عليه ومظلمة الدين عنه ولاقصيه من قد صيق عليه فيه ، وإنفاقه في طلب الحديث ومائر التطوع

وقد يطلب العد التواكل والقرابة إلى الله عز وجل ، بالاستعانة ، مما لا يحل ، كاكسابه المال بالولاية والعظم والاختانة والرشوة . وكالمداينة بالتجارات مما لا يحل له من الربا وما سوى عنه من

المديعة ، وكالصناعة التي تكره كالتصاوير للصور أو كعمل الآلية من الذهب والفضة لمن يأكل ويشرب فيها ، أو صناعة الملاهي وبيع السلاح والثياب السوداء من القلائس وغيرها ، وبيع الحرير من الرجال ويعرو بما يصيب من ذلك ويحج ، ويعول القرابة ويتمصل على الإخوان . يريد بذلك التطوع ، ويحتج أن ذلك فيقول : اعول به عبالا صغاراً وقرابة مساكين وأوجهه لله عز وجل ، في سبيل الخير ، وقد عصي الله عز وجل ، بما يكتسب من ذلك ، فأبى من ذلك ترك ذلك ، كما قال أبو برداء رحمه الله ، فمن كسب مالا من غير حله ، وأنفق في غير حله (١) ، فأبى من ذلك لا يسلب التيمم ويكسو الأرملة

وإتيان السلطان خائر ويعظمه مالا يحل ، وتصديقه على الكذب ومحالته على المنكر ، يريد بذلك فيما يرغم أب يدرك عن مظلوم أو يرد مظلمة ، أو يأخذ لمسكين أو في وجوه البر ، أو يحتسب ويطلب القضاء ، أو يلى انظالم يريد بذلك التطوع والقرية وهو لا يسلم من جميع ذلك ، فإن كانت بيته بما يقوون صادقاً فقد غلط وجهل ، يتقرب إلى الله عز وجل بما يباعده منه ، وإن كانت بيته الاستكثار من الدنيا أو الرقة بها ، فقد جمع كدباً وغلطاً ؛ أو كسبه ضيعة فأتى السلطان ويعظمهم أو يباهيهم في المنكر ، وكذلك يؤاس أهل البدع ويعظمهم ممن له الحياء عند السلطان أو له مال الكثير ، يريد بذلك أن يستعين به على دفع مظلمة لغيره أو عوناً للضعيف ، أو يأخذ من الدراهم للفقراء

وكذلك يحب في الله عز وجل الإخوان ، فيعصب بعضهم بعضاً حقاً فيصارعهم من صارموه ويعادي من عادوه ، ويعتاب من يعتابون يريد بذلك فيما يحيل إليه القيام بالحسب في الله عز وجل ، وقد عصي الله عز وجل وهو لا يشعر

وكذلك يصوم تطوعاً في الحر وغيره ، حتى يصجر ويخرج منه إلى والدته وأهله أو خادمه ومن عامله مالا حل له ، وإذا أضر لم يعمل من ذلك شيئاً ، وكذلك قد يقطع هذا الصوم عن طلب المعاش الذي لابد له منه ، وقد احتلوا في وجوب طلب المعاش ، وقد كثرت هذه العرة من الفقراء يطلب الوافل فيما تزعم بترك الواجب

وكذلك تنحوي وتقل بطعم ، تنزه رعم بذلك ، فيخرجه ذلك إلى مالا حل له من الصجر والعم ، ويقطعه عن معاشه وعما هو أولى به من الطاعات التي ندب الله عز وجل إليها ، ولم

(١) ومنه «ليها م تزن ولم تصدق»

يعرضها عليهم ، أو ترك الاكتساب لاهله وولديه فيجوعون ، ويعرون ، يريد بدت  
التركل على الله عز وجل ، والاكتساب يمكنه - عطف وحمل ، يطلب الفصل بترك ما هو أولى  
به ، وقد يسقط عليه والداه لذلك ولا يبالى بسقطها

قلت فهل يخاف على في النوازل ، من غير نصيب الوجب ، العطف ٩  
قال نعم ، إلا أنك لا تخرج في عطفك في النوازل إلى ما تم ، إلا أنك تعين وتنقص  
قلت فلا عني لي عن معرفة ذلك هيئته لي

قال قد يحدث المريد أيضًا في الرأى الذي هو مائة فير منه العدو ، أو هو في النفس عن الفصل  
إلى النفس ، فتستريح النفس إلى ما يشاء ، ويريد العدو عن فصل ما يشاء فاسه عليه بالفصل  
وقد يعرض له أمران - أحدهما أفصل من الآخر ، وقتها وحد ، ويريد العدو وهو في  
أفصلها إلى أدناها ، كعبادة مع مريض وزيارة أخ صحيح ، وحملها سواء في الحب والطاعة ،  
عبدًا بالزيارة ويدع العبادة ، والعبادة أفصل ، لأنها زيارة وعبادة ، أو كالأخ استقل نفسه  
بوجود القوت وآخر محتاج ، عبدًا باستقل ويدع محتاج ، وزيارة أخوين أحدهما أضع له في  
دينه والآخر أقل منفعة وإن كان قد يسلم معها جميعًا ، فيصده العدو عن منفعة حسنة له ،  
والنفس تصده عن إتيانه حشية أن يستعيد ما يعرض عليها لديها ، ويحملها على ما يثقل عنها من  
حده الله عز وجل ، أو يسلمه عن شيء قد عقله فيذكره رياء مما يثقل على النفس وفيه الفصل  
وكاندعاء للإخوان من الأعياء على ألوان الأطعمة ، يريد بذلك البر والأجر ، وصلة الإخوان  
لفقره ، ووضع ما يثقل على الأعياء فيهم أولى وأفضل ، وكجسارة العبي والفقر يؤثر الذهاب  
مع حنارة العبي لأراد تقصمت ، يريد أن يكافئ على أبادى الدب بالطاعة ، ويرى أن ذلك  
أفضل ، أو مداراة له أو مخافة لسانه ، ويرى أن ذلك أولى به ، والله أحق أن يؤثر - فلأت الفقر  
إن كان أقرب حوارًا ، وكان أفضل في تدبير ، أو ليس معها من يقوم بها ، ورثًا أثر الذهاب مع  
حنارة العبي بعد علمه أن الفقر أفضل لأثرة هواه ، فقد صيغ ما هو أولى به على تعهد منه  
وقد يعرض له مجلسان يحدث أحدهما يحدث من حديث عما هو أضع في دينه وإتيانه أسلم من  
آخر من معه ، فيأني الذي هو أقل منفعة وأقل سلامة له ، وأولى به طلب المنفعة والسلامة  
وكذلك طلب الحديث الذي قد سمعه مرة أو مرارًا ، يريد بذلك يعرف الإسماء من وجود  
علة ، ويعرض له حنارة ، أو عبادة مريض ، أو ذهاب في حاجه مع أخ مكروب أو مضطر أو  
صديق غريب ، يذهب إلى الحديث ودهبه إلى ذلك الحديث فصل ، وأولى به إتيان الحنارة أو



عبادة المريض ، أو زيارة أخ يستعيد منه ما يردده به خيرًا ، أو إهانة الملهوف لأنه إنما يطلب العلم مثل هذه الخصال ، فإذا تركها في ماذا يستعمل العلم ؟ وليس يذهب إلى حديث هو به جاهل ، وقد سمعه مرة أو مرارًا ، إلا أن يكون فيه زيادة علم يستفيده فهو بخاف قوته ، فإن كان يستعيد بذهابه عمدًا ينهه عن ردى أو يبدله على الهدى فيذهب حيث يشاء يذهب إلى العلم فصل  
وقد يعرض الحديث الذى هو به جاهل وإليه محتاج من عرض يؤذيه ، أو حرام يعرله به أو سئ أو حير يتمتع به فيه يستعمل من عمره فيعرض له الحديث مع الإخوان والحنوس في المسجد ، أو زيارة قرابة لا يحف أن يكون في رث ريتهم حرج ، لقنه طول المكث عنهم فيدع الحديث ويذهب إلى ذلك كله ، ويقول حتى نعمل بما نعلم ، ويقول قد ذهب خلاوة الحديث وهذا غلط ، وأولى به أن يتعلم ما يحفل وما يعلم به أداء فرائضه ، ويحرم رنه جل وعلا . وسنة بيه صلى الله عليه وسلم .

وكذلك الصلاة تعرض له في موضعين

أحدهما . تلهي النفس بالنظر والاجتماع إلى كلام يكون فيه

والآخر تسكن فيه الخورج وينقطع فيه انلهو ، ويمكن فيه انهم فيصده النفس والعدو عن ذلك إلى ما هو أحف ، فيصلى حيث يلهو ويسهو بما يعطد ، يرى أن ذلك الموضع أفضل ، أو يؤثر هواه .

وقد يكون قد نمود الصوم ولم يصعبه ضعف ينقطع به عن البر ، فتحيل إليه النفس والعدو ، أن الإفطار أفضل به ليعوى على المعونة بضعفاء والإخوان ، أو الصلاة أو طيب المعاش ، فيعطر من غير أن يعرف ضعف قاطمًا إلا كما يصعب القوى على الصوم ضعفًا لا يقطع به ، ولعله يكون في إفطاره أضعف بدلًا

وكذلك يصوم فيضعف ، فينقطع عن إتيان الخبارة وعن طيب العلوم ، وعن عبادة المرحى وعن صلاة ، فلا يكاد يرى برًا بالبر ، فالإفطار أولى به ، إلا أن يكون قد ينقطع عن بعض ، وفى بعض ، والصوم حيث أولى . لأن بضعف لا عيب من ضعف ، وقد ينقطع أيضًا عن مثل ذلك البعض وهو معطر ، فالإفطار حذرة إلا أن يكون ما ينقطع به عنه أفضل من الصوم ويكون لا ينقطع عن مثله في الإفطار

وقد يعرض له العسلان أحدهما له وقت يعوت والآخر لا يعوت وقته ، وتكون النفس قد سحت بإتيان أحدهما أن يبدأ به فيها كان ، وإتيان الآخر بعد فيصده النفس ولعدو بإتيان

ماليهوت وقتة عما يهوت وقتة ، كالجنازة تعرض وعبادة المريض الذي لا يخاف عليه حيلة لموت لظاهر العادة . وكذلك المجلس من العلم لا يخفى به عنه ، والجلوس للذكر والحديث مع الإخوان الدين لا يعوب لفاؤهم متى أراد ، فبدع العلم ونحس معهم ؛ وكذلك البكور إلى الجمعة ، وزيارته الأح الذي لا يعوت زيارته ، أو عبادة المريض الذي لا يخاف عليه ويمكنه إتيانه بعد الجمعة ، فإن خاف الموت أن يعاجله ، أو كان لا يمكنه إتيانه بعد الجمعة فعبادته أفضل ، إذا كان أحاً أو حاراً يرمه حقه ، وإلا فلا بدع البكور لأن ذلك يموت إلى الجمعة الأسرى إن عاش ، أو كالجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس ، ويعرض له زيارة ، أو عبادة لاهوت وقتها ، فيبدأ بالزيارة والعبادة وبدع الجلوس الذي يهوت وقتة ، وقد يمكنه بعد طلوع الشمس أن يرور ويعود ، إلا أن يكون له شغل هو أولى به بعد طلوع الشمس لا يتفرغ لذلك ، فليظن حيثه من يرور ومن يعود في الفصل والمنفعة في اللبس والسلامة ؟ فإن كان كذلك فوقها حيثه واحد فليبدأ بالزيارة والعبادة إن كان فيها المنفعة والسلامة أو الفصل لمن يعود ، وكذلك يؤثر الزيارة على عبادة من هو أولى به ، وذلك أنه يخاف موته فأولى به العبادة له

وقد يدخل في البر له الفصل العظيم ، فتدعوه نفسه وعدوه إلى فصل هو أدنى منه ، كالمصلى تدعوه نفسه وعدوه إلى سرعة القراءة لفصل كثرة الدرس ، فيصده عن الفهم ، لتقل الفهم على النفس وراحها إلى الفكر في الدنيا وحديث النفس بأمرها ، والمهم أولى به لركة قلبه وهيجان خوره .

وكذلك قد يصلى وهو شط قوي فتدعوه نفسه إلى النوم ، فتقول له : إنه أقوى لك عن البر غذا ، يقطع الصلاة وليس به ضعف ، ولا يعرف من نفسه بالنهار ضعفاً قاطعاً ، فإن عرف ضعفاً قاطعاً فليظن حيثه . إن كان يقطعه ذلك الضعف عما هو أفضل من الصلاة ، صلى بقدر ما لا يضعف بالنهار ذلك الضعف ، وإن كان عما دون الصلاة أتم الصلاة ولم يقطعها ، وكذلك المجلس . قد يكون فيه مما يستفيد فيه ما ينفعه ، فتذكر النفس برأ هو أدنى منه ، فيقوم إليه ويقطع ما هو فيه

وكذلك يعطر لسرور أخ له لعله لا يفهم إن لم يعطر ، ولم يكلف الطعام من أجله ، فإن كان تكلفه من أجله ، أو علم أنه نعم وهو أح مستحق للأخوة مره وأعطر ، وإن كان غير ذلك من الإخوان لم يعطر إلا أن يكون تكلف ذلك من أجله وحده ، أو يهدف عليه فيعطر حيثه ، للحديث ، الأمر الذي عليه أن يبر القسم .

قال الرياء بن عازب : « أمرنا رسول الله ﷺ أن نبر القسم وكذلك يدع العمل من الصوم والصلاة وغيرهما ، فيقطعه بعدما يدخل فيه ، خشية ألا يسلم من الرياء والتصنع ، وقد أراد الله عز وجل به ، هـذلك غلط ، إنما عليه المجاهدة بالإباء والكراهة ، ولو أطلع في ذلك نفسه لما بق كثير عمل إلا عرض له في ذلك الرياء وغيره ، فلم يؤمر الناس بذلك ، أو يقطع العمل في العلانية ليعمله في السر ، وقد حرب من النفس الخدعة إذا صار إلى السر ترك العمل وكسل عنه ، فإن كان قد عوده الله عز وجل ، القوة على ذلك علياته سراً فهو أحرز وأفضل

وقد يقطع العمل خشية أن يقال هو مرء ، كالرجل يصل في المسجد وحده والناس حوله خلوس ، أو يذكر الله عز وجل وهم يخوضون ، أو يصمت وهم فيها لا يحل ، أو يعرض عليه الطعام وهو صائم وهم معطرون ، أو يبيت مع قوم وقد عوده الله القيام من الليل ، يدع ذلك كله خشية أن يقولوا : مرء ، فذلك غلط ، وترك فضل عظيم وعقله في الترك رياء منه ؛ لأنه يجب أن يلوم حمدهم وينظروا إليه بعين الإحلاص لا بالرياء ، وقد أساء بهم الظن أيضاً . وقد يقطع العمل خشية سوء الظن وإشفاقاً بها يرى عليهم ، فقد خدعته نفسه لتستريح ، وقد أساء بهم الظن

وقد يكون في الفرص حلب الإمام أو يصلى وحده ، مقرأ الإمام وهو تفكر في غير ماقرأ الإمام من أمر الآخرة ، فقد ترك ما هو أولى به ، وأفضل له أن يفهم ما يقرأ أو يقرأ ما يقرؤه هو وحده ؛ وقد عد ذلك عامر بن عبد قيس رحمه الله من الوسواس ، إذا تفكر في الآخرة في الصلاة في غير ما هو فيه من الصلاة

وقد يدع العمل وهو نشط لا يرى من نفسه فترة ولا ضعفاً ، فتدعوه نفسه إلى الترك وتقول : المداومة على القليل أفضل فذلك خدعة من النفس ، وسكون إلى الراحة عليهم ما عرض له من البر كما جاء الحديث

« إذا فتح الله لك باباً من الخير فانتبه فإياك لا تدرى متى يطلق عنك »  
 إلا أن يجد من نفسه ضعفاً ، فإن تركه كراهة العثرة ورجاء المداومة فهو حيثئذ أفضل وكذلك جاء الحديث عن النبي ﷺ :

« إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ، مداوم عليه صاحبه وإن قل » رقد داود عليه السلام « داوم رأيت الجواد السابق »

وقال سي عليه السلام : **دين الله لا يعمل حتى تملأوا وقت الفصد والندوم**

وقال سهل : **شر السير الحموضة إلا نعص إلى بعثت عبادة الله عز وجل**

وقد يكون في البر ويعرض له فصول من المساج ، كالرجل يكون ذاكرة لله عز وجل بلسانه  
مفراة قرآن أو نسيح ، فتدعوه نفسه إلى كلام الفصول ستراحه منها إلى محادثة الناس والخصوص  
فما لا يعنيه ، فيترك الذكر ويحوص في الفصول ، وكان الرجل الخالس في المسجد أو في ذكر الله عز  
وجل مع غيره ، فيعرض له لظن ما يشتهي من إباح أو السمع ، فيقطع ما كان فيه وينظر  
ويسمع ، أو يقوم إلى ما يريد أن ينظر إليه أو يسمعه ، وقد أثر هواه في هذا الموضع ، على طاعة  
الله عز وجل علطاً منه

وقد يكون في الصلاة يذكر صاحباً يستريح إلى حديث ، ولا يأمل عنده منعة إلا أنه  
لا يحوص معه في المحرم ، فيقطع الصلاة ويذهب به حذعه من النفس وهرباً من العمل  
وقد يكون العبد في غمس من أعمال البر ، ويكون قد بوى النحول فيه فتدعوه نفسه إلى قطع  
دلت ، شهوة معصية عرصت ، كالرجل يكون ذاكرة بلسانه ، أو يكون صامتاً على عزم يريد به  
السلامة ، فيعرض ذكر لعية فيمن هو معتاض عليه ، أو فيها يعجب منه أو يعجب منه غيره .  
فيخرج من الطاعة إلى المعصية ، وكذلك يعرض له الاستهارة بغيره والحديث بالكذب لمزح  
أوحد . وكذلك قد يكون في ذكر أو صلاة ، فيستمع إلى ما لا يعمل له ، أو ينظر إلى ما لا يعمل ،  
فيقطع ما هو فيه ويصير إلى المعصية ، أو يملك فيما هو فيه ويحفظ الطاعة في المعصية  
وكذلك قد يكون متفكراً في لآخرة فيعرض له شيء في معصية أو غمراً لها ، أو فكرة فيها ،  
فيكر أو يمتنى ، أو يشغل نفسه بآلة فيها ، ويدع ما كان فيه من ذكر لآخرة . وكذلك يكون في  
العرض فيخرج منه إلى معصية أو مساح فيعصى معصيتين . فطعمه للعرض وإتيابه المعصية  
وهذا شر أحوال العبد ، فالعبد المراد المعنى بلسانه ، **الْوَيْثَمُ** بكتاب ربه عز وجل وسنة ربه  
عليه السلام **هَمَّ** بحاسة نفسه بغير من حضرته ، **يَا** لله عز وجل **رَضَى** أو **يَا** لله عز وجل  
سجدة ٢

قلت أنجمل لي في عين ذلك كله لحيلة مختصرة لأفهمه

قد إذا عرص له أمر مما أمر الله عز وجل به أو نبت إليه نظر في ذلك حتى يؤذبه كما أحس  
الله عز وجل وأوجب ، فإذا عرص له أمران واحد فبدأ بأوحيهما ، وإن عرص له واحد  
لأحدهما وقت يموت ، والآخر لا يموت وقته بدأ بما يموت وقته فقدم ما قدم الله ويؤخر ما أخر

الله عز وجل ، وإن كان في فرض معرض له فرض دونه لم يخرج إليه فيكون عاصياً بتركه ، أو أحب لله عز وجل عنه بعد ، دحل فيه . وإن عرض له فرض أوجب مما هو فيه قطعه ، ولا تمكث مما هو دحل فيه ، فيكون عاصياً لله ثم كما كنت لك مائناً ، وكذلك لا يدع الفرض للناقلة ، وكذلك بعض في النافذة الأفضل فالأفضل على ما كنت لك

قلت : فإن عرض أمران واجبان أو فصلان ، فلم يتيسر أيها أوجب أو أفصل ، قال بنظر أيها أحف عن قلبه ، فإن كان أحف من قبل الهوى إلى الذي نقل ، لأنه لا يؤمن عيه أن يعمل لدى حفت عليه هوى نفسه لا لربه عز وجل ، وإن كان أحف عيه لأنه أسلم أو القلب فيه أريد عملاً وما أقل ذلك إلا من قلوب الصادقين الأتقياء - أن الذي هو أحف لأنه لأن يعبد الله عز وجل ، نشاط الطاعة ، أفصل من ن يعده بكراهة ومكابدة ، ولا يؤمن عيه أيضاً الملائ والانشغل عن الله عز وجل فيه ، وأيضاً : إذا هو أقل سلامة وأقل ريادة في القلب لم يؤمن عليه لا يسم فيه ، وإن سلم لم يردد في قلبه كما يزداد في الذي قد شغل له القلب وهرع له ، وإن لم يتيسر له لم حفت عيه أو لم نقل ، فاحت إلى أن تأتي الذي هو أفضل ، لأنه لم يتيسر له أن لخصه مما كانت من قوة قلبه وظلمه انسلامة والردة في العمل فهو إن الهوى أقرب منه للخصه ، في حزن العمال من أنفسهم ، ولما طبعوا عليه من حفة ما واصل شهوهم من الدنيا ، وثقل ما بافر هو هم من عمل الآخرة

ونقله عز وجل

(نفسى<sup>١</sup> تَكْرَهُهُ شَيْئاً وَيُحِبُّهُ اللهُ فِيهِ حَيْرٌ كَثِيرٌ<sup>٢</sup>) (وعسى<sup>٣</sup> تَكْرَهُهُ شَيْئاً وَهُوَ حَسْبُ

لَكُمْ<sup>٤</sup>) الآية

مرشداً حيز في تكرره وحبه لشرى المحبوب . وبوشاء حل شأوه نفسى<sup>١</sup> عسى أن يكون سئاً وهو حيز كره عسى أن يكره سئاً وهو شر كره . ولكن شيئاً ما هو أحب عينا وما كان عيه وظفنا وهو أعظم . من أجل ذلك عتبرنا لنعالم أن محابب ما حفت عليه تحرر ونحوها حزننا رتب حل وعلا ، لأن شئنا في حفة فلم ندر أن يعرف أحبها أو سوء في العمل فلم يدر أن يعلم أيها أفضل ، فإنه لا يؤمن أن يكون له في أحدهم هوى عاصي يهيج عند مباشرة ويعبره بعد تفصيه وفراغه منه ، فيعرض نفسه حيث على الموت ، أيها يحب أن يأتيه الموت وهو عليه .

هنا النفس المؤمنة وإن كانت عاظمة عاصية ، لا تتمنى لقاء الله عز وجل ، ولا تحبه ، إلا على الخير  
 الصافي الذي ترجو أن يجيبها من عذاب الله عز وجل ويصلحها جنته ، لأنه لا هوى لها عند الموت  
 في الدنيا ، إنما هواها في الدنيا ما دامت حية ، فإن وجد نفسه تجرع أن يأتيها الموت وهي عاملة  
 بأحدهما ولا تخرج أن يأتيها عند الآخر ، فلينظر : لم حرعت ؟ فإنه لا يكاد يحس عبه حينئذ إذا رُدَّ  
 عليها فقال : لِمَ خُفَّ عليك الموتُ عندها وجرعت من نزوله ، وأنت بهذا عاملة ، فإن شاء  
 الله ، سترجع إليه ، فتقول : لكذا وكذا فلأت حينئذ الذي لا يكره الموت من أجله  
 ألم تسمع قوله عز وجل ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَلِصَارِي نَحْنُ نَتَاءُ اللَّهِ )  
 فقال الله عز وجل ( فَتَمُوتُوا الْمَوْتُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ <sup>(١)</sup> )

أى من كان مسكماً على أمر يثق به لم يبد أن يأتيه الموت وهو عليه ، فقال عز وجل إن كنتم  
 أوابين

( فَتَمُوتُوا الْمَوْتُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ )

ثم قال جل ثناؤه ( وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أُولَئِكَ مَا قُلْنَا مِنْهُم )

أى لما عرفوا مما عندهم مما لا يرضى الله عز وجل به ، وما أسلموه من الدنوب غير تائبين منه ،  
 فهم عليه بعد

وقال ابن عباس لو تمنوا الموت لما توا ، وقال ابن جرير في قوله تعالى

( بِمَا قُلْنَا مِنْهُم )

لما عرفوا أن محمداً ﷺ حق فكتموه وكذبوا ، قال قتادة لأنه تلا عليهم ( ثُمَّ  
 تَرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْعَذَابِ وَأَشْهَادُهُ <sup>(٢)</sup> )

وقال إن الله عز وجل ، أدل ابن آدم بالموت ، رجع إلى الله ﷻ ، فأنؤمن أول أن يجرع  
 مما يكرهه الله عز وجل ، أن يأتيه الموت حبه

وقال بعض العلماء انظر كل أمر نكره أن يأتيك الموت عليه فائركه ، فإن لم يدر لم حرعت  
 عنه فليأت ما لم تجزع النفس ، لأنها لم تجزع إلا ليلة ، وإن سترها الهوى عنه ، وما يكاد يكون  
 ذلك ، وإن لم تبال على أنها أتاه الموت فليبدأ بأيتها شاء ، فإنه قد ورد لعمل قل أن يورث ،  
 وعرضه قبل أن يعرض ، وقتش من نفسه قبل أن يقتل ، والموت معيار الطالبين فيما يسكل عليهم

من مومهم في أعمالهم ، وبسبب الاستعداد له كلما حتى عليهم من قصد صيائهم وأنوائهم في أعمال جورحهم ، لأنهم لا يستعدون من يعلم السر ، ولا يحق عليه غوامض الصدور ، إلا ما لا خدعة فيه ولا الناس

قلت : أجمل لي حمله الأولى فالأولى مما هو أوجب وأفضل بعد تفسيرك هذا ، لأحفظه مختصراً مع ما عرفتني مستر

قال : إذا عرض للبعد أمران واجبان في وقت واحد بدأ بأوجبها قبل الآخر الذي هو دونه في الوجوب

أو عرض له واجبان لأحدهما وقت يموت والآخر لا يموت وقته ، بدأ بما يموت وقته قبل الآخر

فإن كان في عرض فعرض له عرض دونه لم يخرج منه إلى ما هو دونه حتى يتم  
فإن كان في عرض فعرض له فرض أوجب منه قطع ما هو فيه ودخل في أوجبها  
وإن عرضت له ناطقة وهو في واجب لم يقطعها من أجلها .  
وكذلك الفصل والتطوع : يبدأ بالأفضل فالأفضل ، كما كتبت له وعلى قدر الأوقات

## باب منازل أهل الرعاية لحقوق الله تعالى

قلت : فأهل الرعاية لحقوق الله عز وجل ، والقائمون بها في مرة واحدة أو في منازل شتى ؟  
قال . في منازل شتى ، وهي سبع منازل :

**لأول منازل الرعاية** في حقوق الله عز وجل عند الخطرات على العلل والأسباب ، والأوقات والإرادات ، والوحوط عن ما ذكرت لك

ثم أهل المنزل الثانية الذين أغصوا بالرعاية عند الخطرات في أعمال القيوب مما ليس للبدن فيه عمل ، حتى حانت قلوبهم بالعكر فيما كره الله عز وجل ، ثم تيقظوا قبل أن يعتملوها بقلوبهم ، فصرعوا وصرعوا قلوبهم عن ذلك

**وأهل المنزل الثالثة** الذين أعملوا الرعاية وبترقية عند الخطرات وعند لمكر في عمل قلوبهم ، حتى اعتدوا ما كره الله عز وجل ، من أعمال قلوبهم مما لا عمل للبدن فيه ، مثل العجب والكبر والحسد والشهامة وسوء الظن وما أشبه ذلك والبدعة ، ثم تيقظوا وصرعوا ، وذكر الله عز وجل ، فسلموا وحلوا ما عقلموا عليه من ذلك بالبره إلى الله عز وجل

**وأهل المنزل الرابعة** الذين أعضوا المرافعة لله عز وجل ، والرعاية لحقه ، حتى هموا وعزموا بأنوا ما كره الله عز وجل بحورحهم ، ثم تيقظوا وصرعوا ، فسلموا عن ما أعضموا ، وحلوا ما عبقه عقلموا بشائر قلوبهم

**وأهل المنزل الخامسة** الذين أعملوا مراقبة الله عز وجل وتقواه ، حتى ابتعدوا بالعمل بحوارحهم عما كره الله عز وجل ، من لحظة بعين ، أو إصغاء بأذن ، أو مد يد ، أو خطوة برجل ، ثم تيقظوا وصرعوا ، وحلوا الله عز وجل ، قبل أن تتحرر ما كره الله عز وجل من العمل كالعين ينحط بها ، ثم يذكر اطلاع الله عز وجل عليه وأن الله يسأله عنها أو يخاف أن يعصب عليه ، فيصرف بصره قبل أن يستتم من النظر ما أراد وأحب ، وكذلك يصغي بسمعه ليسمع إلى ما كره الله عز وجل ، ثم يذكر الله عز وجل ، فيصرف سمعه عن ذلك ، ويرك ما أحبته نفسه خوفاً من الله عز وجل ، من قبل أن يستتم ، وكذلك يتندى بالقول باللسان ، ثم يذكر الله عز وجل ، فيقطع كلامه ولا يتم ما أراد منه ، وكذلك يمد يده ، ثم يذكر الله عز وجل ، فيكفها عما كره الله



عز وجل ، قبل أن يستتم ما أراد . وكذلك يحطو بالقدم ثم يذكر الله عز وجل ، فيصلي ويبرك  
 المشي إلى ما كره الله عز وجل . قبل أن ينال تمام ما أراد من ذلك ، بعينه يعلم الله عز وجل ،  
 ونظره إليه ، فإن دبت عليه محصى لأنه قد سمعه يقول

( وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا )

يخبرهم اطلاعه . ونعتهم على الخفاء منه والهمة ، والإحلال له ورهنة منه ، ثم قال ( إذ  
 تفيضون فيه )

روى عن الحسن أنه قال في تفسير ذلك حين تبدأ في العمل برك الله عز وجل ، فأخبرنا أنه  
 يعلم ما يعمل ، ويرى ما حين تستدئ فيه وقبل ذلك ، ولكن أراد أن يستحي منه بعلمه بذلك ،  
 فلا يخبس فيما كره ، فإن أفاض فيه ثم ذكر اطلاعه ترك ما هو فيه قبل أن تستتم خوفاً منه وحياء  
 وإحلالاً له عز وجل ، ليس كمثله شيء ، ولا نظير له ولا شبهه

**وأهل المنزلة السادسة** الذين أغفلوا مراقبة الله عز وجل وتقواه ، حتى استتموا ما كره الله  
 عز وجل . من العمل وفعرو منه ؛ ثم فرغوا وندموا ، فتابوا إلى الله عز وجل ، وأقلعوا ولم يصرو  
 على شيء مما كره الله بعد ما تيفظوا ، فعصوا أنهم أسخطوا الله عز وجل ، بما قد فعلوا وتعرضوا  
**وأهل المنزلة السابعة** الذين أغفروا رعاية حقوق الله عز وجل ، حتى فرغوا من الأعمال التي  
 يكرهها الله عز وجل ؛ ثم فرغوا عند بعضها فأقلعوا عن بعضها وأقاموا على بعضها ولم تسح  
 أنفسهم بالتوبة ، وقد فرغوا من العمل الواحد فبدعوا بعصه خوفاً من الله عز وجل ،  
 ولا تطيب أنفسهم بالتوبة من بعضه ، كالرجل يأتى العمل من أعمال سلطان من الحماية والكتابة  
 وغير ذلك ، فيظلم فيه ثم يفرغ ويبوي ألا يظلم أحداً ، ولا يطيب نفسه بترك ديوانه ولا ولاته ، أو  
 كرجل يشرب مسكراً مع صحور ، أو صرب العيان أو عشاء ، أو يشرب بصرب يعود والعناء ولا يحور  
 فيه ، ثم يفرغ من ذلك فيندم على الصرب بالعود والعناء ، ولا يندم على شرب المسكر ولا يصبر  
 عنه ، ولا يقوى على تركه ؛ ولعله يتأوى في استحلاله ، وكذلك يشربه فيترك الصلاة ، فيندم على  
 ترك الصلاة ، ويبوي ألا يشربه إلا في وقت لا يتركه فيه الصلاة ؛ ويشرب فيسكر منه فيبوي أن  
 يشربه ولا يكثر منه ، وشربه عنده حرام ، ولكن لا يقوى على أن يعزم على تركه كله ؛ وكذلك  
 يعصب فيحتاج من يعصب عيه ويكذب عليه ، ثم يندم فيبوي ألا يكذب عيه ، ويستعظم

الكذب ولا تعيب نفسه بأن يقلع عما يعلم منه من الذنوب ، لأنها وإن كانت عبثاً ، فقد قال حفاً ولم يقل كذباً ، فلا تطيب نفسه من التوبة من الميبة به ، ويعزم ألا يكذب عليه ولا على أحد ، وكذلك يعنايه ويقدمه ثم يندم على النفاق أو ذكروا والديه ولا يسمي الغيبة ، وكذلك يصارمه ويقع فيه ميتوب من أن يذكره بسوء ، ولا يقرى على أن يترك مصارمته حقاً وأنف أن يداؤه بالصالح والكلام والسلام وكذلك يعمل من التحذرة بما لا يحل له ، كالربا والكذب في المراجعة ، أو في مدح سلعته ، أو دم سلعة غيره ، فينوب من الربا والكذب ولا ينوب من المدح والدم ، فقد راقب الله عز وجل ، ورعى حقوقه في الإنزبه في بعض ما يكره الله عز وجل ، وصنيع الرعية في بعض ما كره الله عز وجل ، حتى أقام عليه ولم يقلع عنه .

## باب بيان منازل المصّرّين المقيمين على الدنوب وذكر ما يبعثهم على التوبة ، وقطع التسويف

قلت : لما منزلة من لم تطب نفسه أن يعص عنه ولا يتوب ، وغشته نفسه ؟

قال : أولئك في ثلاث منازل

**فأهل المنزلة الأولى** مقيمون على الدنوب ، طابون للتوبة على غير حقائقها ولا استئثار طلبها ، يبتغون ويتضرعون ، ويتعكرون في الوعيد والعذاب ، رجاء أن تسحر نفوسهم بالتوبة ويأتون مواضع الذكر ، محتملون فيما يسمعون أو لا يأتون مواضع الذكر ، ولكن يتعكرون فيكون ويتضرعون ، فيموتون ولا يدمون على التحويل لأنفسهم ، إلى وقت هيجان الخوف المنقصر لهم بدات دوابهم ، فلا يدمون على ذكر إدمان بلعون به من الخوف ما يبعثهم على التوبة ، وتسخر أنفسهم بترك المحصية لأن النفس والعنود إذا دمس العبد في طلب الخوف ، دعواه إلى اللال والسامة والإعراض عن المعكزة ، فبثقل النفس ذلك ، لما عمها من الخوف ، ولما نحاف من تنعير لذتها عليها ، فإن كان عبداً عاقلاً عازماً لم يمل وأدس الفكر حتى يقوى منه الخوف ويترك ما كره الله عز وجل ، وينقطع التسويف للتوبة

**وأهل المنزلة الثانية** ليسو بأصحاب فكرة لطلب الخوف ، ولا تسحر نفوسهم بذلك ، إلا أنهم يكرهون ما هم فيه ويعتصمون لذلك ، ويسألون الله عز وجل النقلة ، ولا يبرون المقام على الدنوب حتى يموتوا ، ولكن يسوِّفون التوبة ويصبرون لما الآجاء ، كرجل يقول : " حتى أُنجد معاشاً بقيمي ويكفي من علة ، أو مالا للتجارة ، أو كرجل يقول : حتى يموت عيالي بعلمهم إن يموتوا فأترك ما أنا فيه ، لأن لا أقوى على التوبة مع الحال ، أو حتى يموت والدي ، أو حتى أخرج من هذه البلدة ، لأن لا أسلم فيها ولا أقوى على ترك مخالطة الناس ، ولا ترك الاكتساب فيما لا يجل ، فهذه الفرقة نعيم على المعاصي وتسوِّف التوبة ، ولا توجه لطلب الخوف ولا تقوى عليه :

**وأهل المنزلة الثالثة** أهل العنى والسهل والشروء على الله عز وجل ، مقيمون على الدنوب ، معطلون عما هم فيه من لذتهم ، لا يحدثون أنفسهم بالتوبة ولا يسوِّفونها ، فهم شبهة باليائس أن

توب ، لما هو فيه من غلبة المعاصي ومن سوء العدة ، ولن كل ما هو فيه حيث حرم ، أو ما  
 حتى من الخنات التي لا يقوى على الخروج منها ، كعصب الأموال وما أشبه ذلك ، ومنهم من  
 يحل إليه أن دسه بيس عظيم ، وأنه أمره بين لآله خير ، في يرى ، ممن هو أعظم دنيا منه ،  
 فلا يخلطون أنفسهم بالتوبة ، ولا يصربون لها رجلا بالتسوية ؛ فهؤلاء شرار المسلمين وفاسق  
 الموحدين

فت : فاهل المرتبة الأولى قبل هؤلاء الذين يقومون على بعض ويقنعون عن بعض ،  
 والذين يقومون على بكل ، وكلاهما يحب لتوبة وسؤفها ، فهم اقرب إلى التوبة ، ومطابقتها  
 عليهم أيسر من هذه الدرجة الثالثة ، فيم يقطعون جميع التسوية  
 قال : الذي يقطعون بإذن الله التسوية به خيئان

إحداهما : خوف المعالجة بالموت أن يكون أحل الله عروجل في روحه قبل الأحل الذي أحل  
 هو لتوبته ، فيموت بحسرة لم يطلع أنه ، ولم يتب من ذنبه ، فلا إلى الله عروجل تاب ، ولا تنع  
 من لدته ما أراد ، فمات بسعة الدنيا والآخرة

والخلة الثانية : خوف أن يصرب الله عروجل ، قلبه بعقوبة مائة له من لتوبة من  
 لقوة والرب أو الطمع أو المرض أو الإقضاء ، ويكون أحله مع ذلك مؤخرًا - فطول عمره  
 بالسكر والخيرة ، فيكون إنما يملئ به ليردد إنما ؛ فإذا حاف ذلك باذر بالتوبة خوفاً أن يبادر  
 بالموت ، فيموت مصراً على ما كره الله عروجل ، ويبادر بالتوبة خوفاً أن تحل عقوبة الله عروجل  
 بهله ، يبقى في الدنيا حيران يردد إنما ؛ فإذا لم يأمن من معالجه بعتة خوف ، أو معالجه العقوبة  
 بالفسوة ، حتى أن يؤخرها ساعة فتعج بإحدى هاتين الخلتين ، فالخوف هي قاطع للتسوية ؛ لأنه  
 يد قوى الخوف من المعالجة صعب التسوية ، وإنما سوى التسوية إذا صعب خوف ، وصعب  
 التسوية إذا قوى الخوف ، والتسوية قاطع من العمل

لم تسمع قول شداد بن أوس رضي الله عنه : أندركم سوف

وقيل لرجل من عبد القيس عند الموت أوص ، فقال أندركم سوف

وروى ابن المبارك : حدثنا أن عامة دعاء أهل النار : يا آف للتسوية

ومع ذلك فإن المسوف للتوبة لم يعر من ثلاث حلال أن يقطع الموت عن الأحل الذي  
 أحله للتوبة ، أو يبيع إلى الأحل الذي أحله للتوبة ، فيبقى مقيماً على معصية ربه حل وعمر ، فقد  
 جمع عدراً وحلماً ، وكتباً لربه فما وعده وأعطاه ، وفي معصية التي كان عيبها مقيماً ، وعود ربه

ب بعه ذلك الأصل ليس إليه . فبعه فلم يقع من دمه ، فارداد عذراً وحلماً ، وعد ربه حل  
وعلا ، لأنه وعد ربه إن بلغ الوقت اندى أصل توتته إليه لبرص من ذنبه إليه ولا جود إلى ما كره  
الله ، وأخلف الوعد وأصر على الدس

والخلة الثالثة أن يبلغ إلى نوب اندى سوف إليه التوبة عيس عليه بالتوبة محبوب إلى  
مولاه عز وجل ، فهذا خير أحواله فلن نكث وإن تاب إلى ربه من صرر التسوية ؛ إذ لا محالة  
من الله عز وجل ، أن يقفه ويسأله عن دمه وإصراره عليه أيام سونه ، وإن لقبه نائماً مغفوراً له  
فلابد أن يسأله عن تلك الأيام التي كان فيها مذنباً مصرّاً ، إلى أن بلغ وقته التوبة الذي سوف  
التوبة إليه ، فكانه عند قبل به تب إلى الله عز وجل ، وانك المعاصي ، فقال أنا تاب  
لا محالة وشارك لداني ، لا أني مقيم على الدس إلى وقت كد وكد ، ليكون أيام تأخيرى للتوبة إلى  
ذلك الوقت عسى فيه مسألة والتوبيخ من الله عز وجل ، فهذا مثله أن لو قال هذا ما كان  
بلا كعبه في تأخير لتوبة ، لأنه إن كانت نفسه قد سمعت صادقاً ، برك لدها إذا جاء الأصل  
اندى أحله للتوبة فكيف لا يدع لذته من الآن فلا يكون عليه اسؤال في أيام تأجيل التوبة ،  
إذ هو تارك للده عاجلاً أو آجلاً ، معص على نفسه لذته ، فتركها برول لسؤال عنه أوى من  
تركها باكتساب كثرة السؤال ، فإذا كان ناركاً لذته لا محالة ، فليرجع روى السؤال عنه من الله عز  
وجل أيام الإصرار ، فليوبخ نفسه على ذلك إن كان الأمر على ما ذكرت ؛ فكيف له سده  
الحال أخاف أن يكون أحد الخالين الآخرين عيب عليه ، فاحد الأخوين الثلاثة لا يعم معها  
عاقل على التسوية ، إذا وضع نفسه عيب عما ذكرت من سؤال الله عز وجل ، إياه عن أيام  
الإصرار ، فكيف إذا خاف الخالين الآخرين ؛ فهذه لأخون ما يقيم معها عاقل على الإصرار إذا  
حافها ، فإذا عقل ذلك ستمد بالتوبة إلى ربه مخافة أن يغته الموت على دمه ، لأن ليس عنده  
أمان من الموت أن يأتيه بعتة وهو مقيم على ما يسخط الله عز وجل عليه . فليقله وهو عصبان  
عليه ، عيس يعم على ذلك عاقل إذا خاف معاجلة موت إذ لا أمان عنده منه . وإذا يخاف في  
محبه بعتة لقاء الله عز وجل ، وهو عليه عصبان ، فلا يرضى سده الحال عاقل مشفق على يده من  
عذاب الله عز وجل

أم تسمع قول عبد الرحمن بن يزيد حين قال برحن وعظه ، فقال له يا فلان ، هل أنت  
على حال ترصى فيها الموت ؟  
قال : لا

قال : فهل أجمعت للنقلة إلى حال ترصى فيها الموت ؟

فقال : لا ، فاصحت نفسي بذلك بعد

قال : فهل بعد الموت دارٌ فيها مستعذب ؟

قال : لا

قال : فهل تأمن بفتنة الموت ؟

قال : لا

قال : ما رأيت مثل هذه الحال رضى بها عاقل ، وصدق رحمه الله ، وكيف يكون عاقلاً عن الله عز وجل ، من يقيم على ما يعصب الله عز وجل عليه ، ولا يأمن الموت أن يعصاه على غفلة ، ثم لا يرجع له إلى الدنيا ، فيعذب ربه جل وعز ، وترضى مولاه !! وقد أحبرنا الله عز وجل ، بصحاحنا لنا وتحذيراً بندم النادمين عند الموت ، لئلا يكون نحن النادمين على ما فرطنا ، المسائلين عند الموت المرجع للإنابة والتوبة ، والرجوع عما كره الله عز وجل ، فلا نجاب إلى ذلك فنترك محسراتنا ، ولا يقبل منا الندم ، فلا نجاب منّا النداء

قال الله عز وجل .

( حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا يَوْمًا تَرْتَدُّ )

قال الله عز وجل ( كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ زُرَائِهِمْ تَرْتُدُّ إِلَى يَوْمِ يَتُغْتَبُونَ <sup>(١)</sup> )

وفي التفسير عن مجاهد : البرزخ حاجر بين الدنيا والآخرة ، محبس فيه انبث إلى يوم البعث

والنشور

فأحبرنا الله عز وجل أن لا ينفعه سؤال الرحمة ، وأنه محبس في البرزخ حتى يبعث منه إلى الملكة ، يحذرنا تبارك وتعالى أن نعتزل الدنيا ولا نستعد للقاءه ، فيأتينا الموت بفتنة فسادى بالخسرة ، فلا نقال العثرة ولا نتمكن الرحمة ، ريبنا على أن نتوب ما دامت التوبة مقبولة ، والعثرة مقالة ، والنداء محاباً ، لنكون للقاءه جلّ وعلا مستعدين ، ولنزول الموت مراقبين

## باب الاستعداد للموت وقصر الأمل

قلت . أنعمي من الاستعداد ما هو ؟ قال الاستعداد على وجهين أحدهما واجب وهو الذي نأسف ، عليه النادمون عند الموت ، وهو أن يتوب العبد توبة طاهرة عن الذنوب والخطايا ، بأن لو قيل له إنك تموت الساعة ما وجد عنده دنس يحتاج إلى التوبة منه فيسأل التطهر من أحله ، فإن كان يجد عنده دنس يحتاج إلى التوبة منه فلم يستعد للقاء ربه عز وجل ، لأنه لا يؤامر إخراج روحه والموت يأتيه بغتة ، فإن جاءه الموت وذلك السبب عنه لم يأمن أن يعصب الله عز وجل عليه ، وكيف يكون مستعداً للقاء الله عز وجل ، من هو مقم على ما يعصب الله عز وجل ، ولا يأمن أن يأتيه الموت أغص ما كان . والموت آتية لا محالة ، فللخوف من لقاء الله عز وجل على ما يكره ، بادر الخائفون بالتوبة قبل أن يسفهم الموت إلى أرواحهم ، فيحاسب بينهم وبين التوبة والإنابة إلى ربهم ، ويدمروا دنساً لا يقبل ولا تقال عزرائهم ، فلذلك مدبروا بالتوبة حذراً وإشفاقاً من بغتة الموت على عزه ، عهد هو الاستعداد الذي أوجبه الله عز وجل على خلقه

والوجه الثاني . من الاستعداد هو مافة كذب الجهود من القلب واليدن ، وبذل ما تملك من الدنيا إلا ما كان أولى به حسه ، حتى لو قيل له إنك تموت عداً ما كان عنده مستزاد في عمله كما روى عن منصور بن رادان : أنه كان يجتهد اجتهداً لو قيل له إنك تموت عداً ما قدر أن يري في عمله بهذا الاستعداد يستحق الله عز وجل من حله أكثر منه لأن حقه لا يؤدى وعنه لا تكافاً ، وعظمه لا عدل لها ، رن يحثك على الاستعداد للموت وقطع التسويف مثل قصر الأمل

قلت . ثم ينال قصر الأمل ؟

قال مخوف المعالجة بعنه الموت على عملة ، لأن روح العبد عارية ، لا يلدى من يرسل المعبر له فيأخذ عاريته ؟ فإذا خاف المعالجة انقطع في الدنيا أمله ، وانتظر وبادر فيها أحله وكان مرتقباً لتزول الموت .

قلت . ثم ينال خوف المعالجة ؟

قال بعظم المعرفة بإيهام الأجل ، وأن المؤجل لا يناعره ولا يؤامره ، ولا يؤذنه ، ولا يرد  
 بخرج روحه من بدنه بالاعتبار بالأموات قبله  
 قلت . قسم قتال هذه المعرفة وهذه العبرة ؟

قال بإدخال الذكر والعكر في إيهام الأجل ونزول الموت حين حوله ، وانقطاع العمر وذكر  
 للأموات الدرس أنهم انوت بعته

قلت كيف إيهام الأجل حتى أتفكر فيه بمعرفة نتعظم معرفتي بذلك ؟

قال أما تعلم أن الموت ليس له وقت حد العبد معيوم . فيخاف في ذلك الوقت ويؤمن في  
 سائر الأوقات ، ليس يزل بالعباد في الشتاء دون الصيف فيحاف من شتاء ويؤمن في الصيف ،  
 أو يجل بالعباد في الصيف فيؤمن في لشتاء ، أو في شهر في السنة معلوم فيؤمن في سائرها ،  
 أو بالليل فيؤمن بالنهار ، أو بالنهار فيؤمن بالليل ، أو بالعدة فيؤمن بالعنى ، أو بالعنى فيؤمن  
 بالعدة ، أو في ساعة دون ساعة ؟ وليس له وقت من العمر معلوم فيأخذ أساء عشرين فيأمنه أساء  
 دون ذلك ، أو يأخذ أساء ثلاثين فيأمنه أساء عشرين ، وليس له علة معلومة دون علة كالحصى  
 أو البطر ، أو لعدم أو العرق ، أو بعض الأسباب التي يكون فيها التلف ، فحق على العاقل العالم  
 بأمر الله عز وجل ، أن كان الموت ليس له وقت معلوم من العمر ، ألا يأمنه في وقت من  
 لأودب . وقد كان من سروره وقت معلوم من عمره ، ألا يأمنه ألا يأتيه في صغر أو كبر ،  
 أو شباب أو هرم . وقد تم تكسب عليه معلومه ، ألا يأمنه في صحته ولا سقم ، ولا في حصر ولا في  
 سفر ولا في مصر ولا في بلد ، ولا في بر ولا في بحر ، من ذكر موت هراع قلبه من كل شيء  
 إلا من ذكره ، إلا لا رقت له ولا علة ، ولا عمر معلوم مع ذكره عظيم ما يأتي به الموت من البشري  
 بعداب الله ، أو برحمة الله عز وجل . مع الاعتبار بالدين مصوا فيه ، فمن هم فوقه ودونه ،  
 وأشكاله وأمثاله ، عظمت معرفته بالموت وفجأة الموت ، وأنه نازل به كما نزل عن مصي قلبه  
 لا عانة ، فإذا عظمت معرفته بذلك قصر أمه ، فإذا قصر أمه حذر قلبه من الموت ، فإذا حذر  
 قلبه من الموت رقب الموت . فإذا كان للموت مرتقاً صارح إلى الاستعداد له ، والاستباق إلى  
 الخيرات قبل أن يسبقه إلى روحه مالمكها

وكذلك بروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنه قال من رقب الموت صارح إلى  
 الخيرات ، وروى عن علي رضي الله عنه قال إنما يهلك الناس الهوى وحب الأمل ، فما الهوى  
 فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسى الآخرة



وصدق رحمة الله عنه ، ولو أن غائبين عنك ترى أن أحدهما قادم سريعاً أو ليلاً  
أو من غدك ، والآخر يرى أنه يقدم إلى شهر أو إلى حرب ، لاستعددت للذي ترى أنه عليك قادم  
سريعاً ، إن كان أوصاك بوصيه ، أدركت إلى إحداهما من أن يفجأك بقدميه ، فتدحفت ملامته  
أو عفوته ، ومهين به مع ذلك البر واللطف ، وإن كانت إليه منك ديوب أو إساءة ، أجتلت  
الفكر ورؤيت كيف تعتذر إليه لتخرج من محطته أو من ملامته ، أو مثلاً تستقص سرلك  
عنده ؟

ولما يدلك على ذلك ما روى عن كعب بن مالك رضي الله عنه حين حلف عروة ثوبك ، أنه  
قد لما قيل إن النبي ﷺ . قد أهل قافلاً جعلت أنفكر وأستعين على ذلك كذا رأى من  
هلى كيف اعتذر إليه لأخرج من محطته ؟ وكذلك من علم على قلبه أن يوب قادم عليه  
سريعاً . ثم علم أن الآخر منه يقبلاً عند الموت بهلاكه أو حبه . فادرك من يرضى الله غير وحل  
وبعته بالأعتذار إليه ، كقبضه ، وظهاره لنفسه وبطنه من المعصية ليقبضه ظهراً ، وقد يفعل ذلك  
هل انقلب بعدتهم فكس به نداء واليوب وتوس له . نعم أنهم قد عصمو قسره وتأمنوا  
بقدميه ، وكذلك المصير إليه منطهر مستعد مترين ، ليعلم الله عز وجل أنه قد أعظم قدر لعماء ربه  
وتزير وتظهر لفاقته مثلاً بسخط عليه ، وأن يقبله ويرضى عنه

ولما يسبح العبد على ذكر تحويف مسافة الموت ، ما أخبرتك من رول الأوقات التي لا يجوز  
فيها الأمر له

وكذلك يروى عن لقمان عليه السلام ، أنه قال لانه : يا بني مر لا تفرى منى يلفاك فاستعد  
به قبل أن يفجأك ؟

وكذلك قال بعض الحكماء كبريت بيد سواك لا تفرى منى يفجأك

وقال لقمان لانه يا بني لا تؤخر التوبة فإن منك الموت يأتي بغتة

وقد روى عن بعضهم أنه مات فلم يرل مصفاً يمناً وشيلاً حتى صبح فصر به في ذلك

فما كنت أنتظر من أى شئ يعيشى ملك الموت

وبل لربيع اس حيثم كيف أصحت ؟ قال : أصحنا صعباً مدسين ، نأكل أراقنا  
ونستعطر آجالنا

وقال رجل لسعد بن أبي السائب كيف أصحت ؟ قال : أصحت بوقع الموت على غير

## باب ما يهيج على معرفة كراهية الموت وكربه

وأما ما يهيج على معرفة كرهية وكربه ، وما يتغشاها من هوله فإن من آدم إنما يألم من كل موضع من جسده ، إن أصابته شوكة مما يوقها وحد الأم بروحه ، ولولا ذلك ما وجد ألمًا ، ألا تراه إذا خرج الروح من ، يوقى بالنار ما وجد بذلك ألمًا ؟ فإذا كان أيلد إنما يألم بالروح فما ظنك بالروح إذا كان هو المخلوب من كل عرق ومفصل ، وأصل كل شعره وبشرة ، من أعلاه وأصله وجميع بدنه

فلا تسأل عن ألمه وكربه ووجعه ، وقد بروى أن الموت أشد من صرب السيوف وبشر المناشير وقرص المقاريص ، لأن صرب السيوف وبشر المناشير إنما يؤلم البدن بالروح ، فإذا كان الروح هو المباشر بالأحد والحذب ، فذلك أشد ألمًا ووحشًا ، وإنما صار المضروب بالسيف وغيره يستحيث ويصيح ، لأن لقوى بعد فيه باقية واللسان مطلق ، وإنما انقطع صوت الميت لأن الكرب قد تناع فيه وتضاعف ، وعلب على كل موضع ، فهذا كل قوة وكسر كل حارحة ، وتعشى العقل وتلص اللسان وكفه ، فإن فصلت فيه فصلة قوه ، سمعت له حوارًا عذب روحه وأنيبًا وعرة روحه في حسقه ، قد تعير لذلك نوبه حتى ظهر منه أصل طبعه الذي به خلق وعليه طبع رأيت كانتراب على وجهه ، قد تغير لذلك لونه وجذب كل عرق منه على حياله ، حتى ترتفع الحفقتان إلى أعالي جهنم ، ويفلص اللسان إلى أصله وحمت الشفتان وقلعتا وترفعت الأثنيان إلى الخالبين ، ومن المرأة الأثنيان حتى لا يبقى إلا أنفها وجنت الأعصاب ويبست

فلا تسأل عن بدن محدن تحذب عروقه وأعصاؤه وبشرته ، ثم يموت عصواً عصواً على حياله ، فتعصر نامة ثم تبرد قلنماء ، ثم تبرد ساقاه ، ثم فحلدها بسكرات وكرب يتعشاها ، وكرب من بعد كرب ، وسكرة من بعد سكرة مع كل جذبة ، حتى بلغ بها إلى الخلقوم ، فعند ذلك تنقطع المعرفة عن الدنيا وأهلها ، ويروى عنه يقول التوبة ، حين تنصره الحسرة والتندامة وكذلك بروى عن النبي ﷺ أنه قال : « ثقيل ثوبته ما لم يعرعره » وقال محاهد في قوله عز وجل .

( وَتَبَيَّنَتْ الْقُوَّةُ لِلَّذِينَ يَتَمَلَّكُونَ الشَّيَاطِينَ حَتَّى إِذَا خَصَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ <sup>(١)</sup> )

لأن إذا غاب الرسل بعد ذلك يبدو له صفحة وجه تلك الموت

فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكرهه حين يبالغ فيه الكروب . واجتمعت السكران وبين ذلك ما روى جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ ، في بعض الحديث ، « أن قرأ من بي إسرائيل مرقوا مقبرة ، فقال بعضهم لبعض - لو دعونهم الله عز وجل ، أن يخرج لكم من هذه المقبرة مت تسألونه ، فدعوا الله عز وجل ، فإذا هم برجل خلاص بين عيبيه أثر السجود ، قد خرج من قبر من تلك القبور ، فقال : يا قوم ماذا أردتم مني ؟ ! لقد دفن الموت منذ خمسين عامًا ما سكنت مرارة موت من قلبي !! »

وروى مكحول عن النبي ﷺ أنه قال « لو أن ألم شعرة من شعر ميت وضع على أهل السموات والأرض لما تنوا » لأن في كل شعرة الموت ، ولا يقع الموت بشيء إلا مات . ويروى لو أن قطرة من ألم الموت وضعت على حيال الدنيا كلها لدابت . وقد يروى أن الله عز وجل ، قال لإبراهيم عليه السلام ، لما مات « يا حليلي مت يا حليلي مت يا حليلي مت ، قال يا حليلي كيف وجدت الموت ؟ قال يا حليلي كسهود حبل في صوف رطب ثم جدت ، قال : أما إنا قد هوانا عبيث »

وروى عن موسى عليه السلام ، أنه لما صار روحه إلى الله تبارك وتعالى ، قال له ربه « يا موسى كيف وجدت الموت ؟ قال وجدت نفسي كالصمور حيث يقلى على المقل لا يموت فيستريح ولا يسجو فيطير

ويروى عنه أيضًا أنه قال « وجدت نفسي كشاة حية تسبح بيد القصاب » . ويروى عن النبي ﷺ « أنه كان عنده قدح من ماء عند الموت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات موت ، وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرماه بكرمك يا أبتاه ، وهو يقول : لا تكرب على أهلك بعد اليوم » . وقال عيسى عليه السلام « يا معشر الخواريين ادعوا الله عز وجل أن يهون على هذه السكرات ، يعني الموت ، فلقد خبت الموت مخافة ، أوقعت حرق من الموت على الموت » . وقال عمر بن عبد الله « لو أني أخاف أن يكون قسماً لا أبره خبعت ألا أفرح بشيء من الدنيا حتى أعلم ، لي في وجه رسل ربي

وهؤلاء أولياء الله وحناؤه لم تزل عنهم مكرات الموت وعمومه مع توبه على بعض .  
 في طئت معهم الموت وكرمه وشدته على المخلصين ، مع ما قد حتمت عليهم من الحسرة والندامة  
 والتأسف على ما فعلت ، حتى يبلغ منهم الكرب مداه . وبتى منهم متناه ؟ بعد ديث يبدو  
 هم ملك الموت بصمحة وجهه

وكذلك يروى في بعض حديث المرح أنه قال لنبى ﷺ وسال ميت الموت عن ذلك  
 فقال : أمرتوني من الملائكة أن يداخوا روحه حتى إذا بلغت الحلقوم بدأتها فتناولتها عنه ،  
 في طئت بالنظر إلى وجه ملك الموت ، إن كان من أهل الشقاوة وانعدهم فلا سأل عن وجهه  
 وكراهه وجهه ، فعند ذلك تحس النفس بديلاء والعظم وهلاك

وقد روى عن عكرمة عن ابن عباس صلى الله عليه وسلم : إن إبراهيم عليه السلام كان رجلا عبورا ،  
 وكان به بيت يتعمد فيه ، فإذا حرق أعينه فأعلمه دت يوم ، فخرج ثم رجع . فإذا هو برجل  
 في خوف البيت ، فقال :

من أدخلك داري ؟

قال : دخلنيها .

قال : من ربي

قال : دخلنيها من هو أعلم بها مني ومالك

قال : من أنت من الملائكة ؟

قال : أنا ملك الموت

قال : يا ملك الموت . هل تستطيع أن تربي الصورة التي نقص فيها نفس المؤمن ؟

قال : نعم فأعرض عني ، فأعرض عنه ، ثم التفت فإذا هو شاب . فذكر من حسن وجهه

وحسن ثيابه ، وطيب ريحه ، فقال : يا ملك الموت ، لو لم يتق المؤمن عند الموت إلا صورته كان  
 حسنه ديث . ثم قال :

يا ملك الموت . هل تستطيع أن تربي الصورة التي نقص فيها نفس ناهض ؟

قال : لا تطيق ذلك

قال : بل

قال : فأعرض عني ، فأعرض عنه . قال : ثم التفت فإذا هو رجل أسود قائم الشعر ، منق

بريح ، أسود الثياب ، مخرج من فيه ومناخه حب النار والندجان . فعشى على إبراهيم عليه السلام . ثم

باقٍ وقد عاهد ملت الموت عليه السلام ، بصورته لأخرى ، فصل برهه عليه السلام يا ميث الموت ،  
يوم تلو لفاحر عبد مونه إلا صورة وجهك كتاب حسه .

وقاب عمر من ررق قته . تولا إلى أحاف أن يكون هماً لا أبره خيفت لا فرح بشىء من  
الذب حتى أتعلم ما لى في وجوه رسل رضى

وروى أبوهريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن داود عليه السلام كان رجلاً عيوراً ،  
وكان إذا خرج أغلق الأبواب ، فأغلق الأبواب ذات يوم وخرج ، فأشرف مرأته ، فإذ هى  
برجل في الدار ، فقامت من أدخل هذا الرجل ، لئن جاء داود بقلب منه عتاً ، فجاه داود  
فرقة ، فقال : ود من أئب ؟ فقال : ان ينى لا هب نبوة ولا سبع مئى لحجاب ، و  
ذنب ، والله إذا ملت الموت ، قال : ورُمى داود مكابه .

و روى عن عيسى عليه السلام أنه مر بحميمة نصرها برحمة ، فقال : تسمى يود الله ، فاست  
به روح الله . أن الملك رمان كذا وكذا ، فبينما أنا جالس في منكنى على ناح وحوى حموى  
وحشنى على سرير منكنى ، إذ بدا لى ملك الموت عليه السلام ، فزل عني كل عصور عن جباله ،  
ثم حوحت بدنى إليه ، ويأبى ما كان من ملك الحموع كان فرقه ، ويأبى ما كان من ذلك  
الأس كاد وحشة ، فما ظنك بصفحة وجه ملك الموت ، إذ بدت وغايها بمحذلل لموت ؟  
مطرفة حوى ، وفلس وحل محروى ، من بند قد برد ، فتستحصى النفس وتستسلم للحروح ، ثم  
لا يخرج حتى تسمع نعمة ملك الموت بإحدى الشريرين : أنشريا عدو الله بالنار ، أو أنشريا وى  
الله بسخة ، وإياها يخاف العقلاء من الله عز وجل ، العماء به

وروى عن لى عليه السلام : أنه قال : ما يخرج روح أحدكم حتى يعلم بين مصيره ، وحي  
بدرى مقعده من الجنة والنار .

وروى أنه عليه السلام : قال : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله  
لقاءه ، قانوا ، كلنا نكره الموت ، قال : ليس ذلك بدين ، إن مؤمن إذا فرح به عى هو قدم  
عليه أحب لقاء الله عز وجل ، وأحب الله عز وجل لقاءه .

وإن الكافر إذا كشف له عى هو قدم عليه كره لقاء الله والله للقاءه كره .

وروى أن حذيفة بن يمان قال لابن مسعود الأنصري ، وهو ثابته من آخر لبل قيم  
فانظر أى ساعة هذه ؟ فقال : من مسعود ثم جاءه . فقال : قد طبع الحمر . يعنى الزهره .  
فقال حذيفة : أعود بالله من صباح إلى الدار ودخل مروان على أبي هريرة . فبهو في الموت .

فقال مروان اللهم جفف عنه ، فقال أبو هريرة . اللهم اشدد ، ثم بكى أبو هريرة فقال . والله ما أبكى حرماً على الدنيا ، ولا جرعاً من هرامكم ، ولكني أنتظر إحدى البشريين من بني عمر وحل بجنته أو ناره . قال معاذ . ما حصر من الليل أصحنا ؟ قيل له . لا ، ثم قال . أصبحنا ؟ قيل له . لا ، حتى قيل له : نعم ، فقال . أعود بالله من صباح إلى النار .  
وقيل لعامر بن عبد قيس عند الموت وبكى . ما يبكيك ؟ فقال ما أبكى حرماً من الموت ولا حرصاً على دنياكم ، ولكني أصحت في صعد مهبط ، ثم لا أدري ، إلى أين يهبط بي إلى جنة أم إلى نار !!!

وقيل لخار بن زيد عند الموت . ما تشتهي ؟ قال نظرة إلى الحسن ، فلما دخل عليه الحسن ، قيل له . هذا الحسن . فرفع طرفه إليه ثم قال . اساعة والله ، أقارنكم إلى النار أو إلى الجنة

وقد محمد<sup>(١)</sup> بن واسع عند الموت . يا إخوانه عيبكم السلام ، إلى النار أو يعمر الله عز وجل . ولقد نجي بعضهم أن يبرح معه أبداً ، ولا يبعث لثواب ولا عقاب ، ومن ذلك . أنه قيل لعطاء السلمي عند الموت ، وأُعشى عليه وأفاق ، وهم يدعون الله عز وجل ، فقال . فبم أنتم ؟ قالوا : كنا ندعو الله أن يخفف عنك هذه السكر ، فقال . لا تفعلوا فوددت أنها تردد من لماني إلى حنجرتي ولا أبعث أبداً للقيامة

فما ظنك يا إحدى البشريين ، لو وقعت في سمع المكروب المفضل الخزين ، المرتقب بشري الجنة أو بشرى بالنار ، فإن قيل به . أنشر بالنار يا عدو الله ، فبأنه من قبل أبقي بالأيام ، من رحمة الله ، وعم أن صغفه لن يجر من عذاب الله ، فعندها تنقطع نفسه حسرات فيسأل الرجوع فيقول . ( رَبِّ ارْجِعُونِي . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ )<sup>(٢)</sup> !!!

هيات حسرت يداه ، وانقطع من الله رجاؤه ، وبدأ له غير ما كان يحتسب من ربه عز وجل ، ردت عليه ندامته وتوبه ، رحيل بينه وبين الرجوع إلى الدنيا ليعتب من أسخطه ثم لا تسأل ما بعد هذه الأحوال من الخال .

وإن سمع البشري من الله عز وجل بأنه قد رضى عنه ، وأن له الجنة ، إليها منقلبه ، لا تسأل عن فرح قلبه وسروره ، وتحقيق رجائه وحسن ظنه بربه ، وأمنه على بدنه من العذاب بعد طول عذابه وإشفاقه وكذلك قال الله عز وجل في كتابه :

(تَشْرُونَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ بِالْجَنَّةِ أَنْتُمْ كَاثِرُونَ) (١)  
 هبل في التفسير إن ذلك عند الموت تفوق الملائكة لا تخف ما أمامك من الأحوال ،  
 ولا تحزن على ما حلفت ، وأبشر بالجنة التي كنت توعدها  
 عيانه من قلب ، ما أفرجه حين يسمع الشرى من ملائكة ربه عز وجل !!! هذا يوم راحته  
 وما كان يعمل ، وقد قيل لبعض العباد علام تعمل ؟ قال : على راحة الموت  
 وقد روى عن الحسن ، أنه قال ليس للمؤمن راحة الا في لقاء الله عز وجل ، ومن كان  
 يراحمته في لقاء الله عز وجل فقد فار ، في يوم الموت يوم سروره وفرجه ، وأمنه وعزه وشرفه  
 وقد روى في الحديث عن النبي ﷺ « أن الله عز وجل ، إذا رضى عن عبد قال يا ملك  
 الموت اذهب إلى فلان فأتني بروحه لأرجمه من نصب الدنيا ، حسي من عمله ، قد بلوته فوجدته  
 حيث أحب ، فيزل ملك الموت معه خمسمائة من الملائكة ، معهم قضون الریحان وأصول  
 الزعفران ، كل واحد منهم يبشر بشارة سوى بشارة صاحبه ، وتقوم الملائكة صعيح لخروج روحه  
 معهم الریحان ، فإذا نظر إليهم إبليس وصح يده على رأسه ثم صرح ، قال : فتقول له جوده  
 مالك يا سيدنا ؟ فيقول أما ترون ما أعطى هذا العبد من الكرامة ؟ أين كنتم عن هذا ؟ قالوا  
 قد جهلنا فكان معصوماً » .

وذكر قصة في حديث أسنده الروي - أنس بن مالك وتميم الداري عن رسول الله ﷺ .  
 « إن الله تبارك وتعالى يقول لملك الموت اطلق إلى عدي فأتني به فلأرجمه ، يأتي قد بلوته في  
 الضراء واسراء ، فوجدته حيث أحب » .

وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ « أنه كان يأخذ بعصا في الباب ، ثم يقول : جاء الموت  
 بما فيه حياة بالنويل وبالحسرة لأهل عداوة الله عز وجل جاء الموت بالغبطة والسرور لأهل ولاية الله  
 عز وجل » .

وأما الاعتبار من مات من لأشكال ولأمناب من مصي فإن ذلك يعظم ذكر الموت في  
 القلب ، ويهيج على قصر الأمل ، ويد أحبرها الله عز وجل ، عن القرون الماضية ، فقال عز  
 وجل ( هَلْ نُنَبِّئُ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ) (٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما ، سماع هو صوتاً يحرك ن أنوف قد أهدمهم فلا حسن ولا صوت

وقال عمر رجل ( يمشون في مسكنهم إن في ذلك لآياتٍ لأولي الألباب )  
( فلا يسمعون )

وروى عن أبي بكر رضي الله عنه ، أنه قال في خطبته : ابن الوصاء ، وحسن وحوهم ؟  
أصبحوا ، والله تحت الدرب ١١٩ ! وروى عنه أنه قال : ابن الذين يوا المذائش وحبسوها بالحوائط ؟  
قد تصعصع بهم الدهر فأصبحوا تحت الصخور والآكام  
وروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه قال : ابن الذين يوا المذائش ؟ وروى ذلك عن  
غيرهم

وإنما أردت بهذه الأحاديث أن يعرف العبد مراد كيف يتفكر في الموت ، ليحتلب به قصر  
الأمَل ، أن يبدأ فيذكر هجأة الموت من غير تأمُّر ، ولا سب به ولا وقت معلوم فيؤمن دونه ،  
كالعمر والوقت والعه ، ثم يتفكر في كرب الموت وسكراته وبرعه ، وما أصاب منه أسياء الله  
صدمات الله عليهم ، وأحده ، والنظر إلى ملك الموت ، ومن معه من رسل ربّه عز وجل ،  
وسماع إحدى الشرابين عند موته ، والاعتذار عن مصي فسه بذكر موهم ومصرعهم ، ووجدت  
العبث أسرع في القلب بالأشكال والأمثال والأصحاب من موهم ، بأن يذكر العبدُ مصرعهم  
تحت كرب وبوهم صورهم في حياتهم ومعاملاتهم ، وكيف يحى التراب حسن صورهم ، وكيف  
يبو في قبرهم ، وكيف رموا بسائهم وأسمو أولادهم ، وحبس منهم محاسنهم ومساوئهم  
ونقصت منهم ثارهم ، فذكرهم رجلاً رجلاً فيوهم صورته ، وبذكر نشاطه وتردده وكنسائه  
وبغافه ، وأمله للعش ونساء ، وبسائه للموت و ذكره له ، ومؤسسته إياه معه ، وفرحه  
وصحكه ، وكشف وقعت لك الأسرار ونقطعت نبت المفاصل ، ودهت نبت القود ؟ فبعثهم  
حلاً رجلاً ، لئلا حتم في القلب معرفة هجأة الموت وكربه ويطر في صورته الملائكة لقص  
روحه ، وعصم حظه إحدى الشرابين ، وارتقاب فيه لأحدى الشرابين ، وركم لأحور  
وأحوهم . وكيف هو وبوا وحلقوه ومصو ، وأنه لاحق بهم لا يحمله ، فما هو عند نفسه  
بلا كأحدهم وأن موت ما به كما ربهم ، كما قال أبو الدرداء : إذا ذكر الموت فعد نفسك



كأحدهم وقال لبي عليه السلام بعد الله بن عمر : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك في الموتى . فعند ذلك دعوى الله عز وجل يقصر أمته ويرتفأ أحله ، ويستعد بانوية اللقاء ربه عز وجل ، ويعظم الحمد والشكر في قلبه ربه عز وجل ، ألا يكون قلبه ولم عهد بعد إخوانه ، فحال بينه وبين الاعتراض بهم ، وانصره والاصعد دلائل ما نزل بهم ، فتعظم النعمة عنده ألا يكون هو المتحط ، ويحمد الله عز وجل ، إذ أخره للعبارة والاعتاد ، ثم يرجو أن يكون ذلك من سعادة سبقت له من ربه عز وجل

وكذلك يروى عن ابن مسعود رضي الله عنهما ، أنه قال : سعيد من وعظ بعيره

وروى عن عمر بن عبد العزيز : أنه قال في خطبته ألا ترون أنكم تنفلتون في أصلاب هذا الكون ، ويرثها منكم لياقوت كذلك حتى ترد إلى حير الواوئب وأنتم تجهرون كل يوم عدياً أو داعياً إلى الله عز وجل ، تصعونه في صدع من الأرض ثم في بطن صدع ، قد توسد برب وحلف الأحباب ، وقطع الأسباب موحته للحساب ، عني عي حلف ، فغير إن ما عندهم ، يحصهم على الفكر والذكر بذلك

فإذا تفكر المنة على نحو ما وصفها نصر أمته واستعد اللقاء ربه بسومة . فأعطي المحرم ألا يعود بما كره ربه عز وجل

قلب عد وصعب في ذكر حروف النمل ومطالبة قصر الأمل بإمهام الأمل والعبر بالموتى ، وقد كنت ذكر من قبل بمصر ذلك ، فلا أعود يجمع في طي . وإن جمع في بيت إلا قليلا حتى يرون من قبي

فإن إنك تذكره بحمده وعرفه والفتب مشغول بعير ذلك ، فلو ذكرته ذكراً يباشر قلبك أنجم ذلك قلبك وهاج منه خوف المعاينة ولزمه قصر الأمل  
قلت فكيف أذكره ذكراً يباشر قلبي ذكره ؟

قال أن تعرف قلبك حين تذكره من ذكر كل شيء إلا من ذكره . فإذا ذكرته كذلك باشر ذلك قلبك ، إذ لا شيء فيه غيره ، ولم يلبث أن سئى ذلك على يدك وكما وصف الله عز وجل  
قلت أم موسى عليه السلام ، حين فرغ من كل شيء إلا من ذكر موسى عليه السلام قال  
(وَأَصْحَ قُوْدُ أُمِّ مُوسَى قَارِعًا)

أي من كل شيء إلا من ذكر موسى عليه السلام

(إِنْ كَاذَبْتَ كَتَبْنِي بِهِ<sup>(١)</sup>) ، هَالِ تَقُولُ - اللَّهُ .

فأحبر تعالى ، أن فؤاده لما فرغ من ذكر كل شيء إلا من ذكر اسمها كادت أن تبتدبه فيكون في ذلك ما تخادر وما يهلك ، فكيف لا يظهر ويتبين على من فرغ قلبه بذكر الموت وما يبدو منه فيه بجاته ، فمن فرغ قلبه من ذكر كل شيء إلا من ذكر الموت علب على قلبه من الحزن والحلم ما يكاد أن يحد طعم الموت منه كما روى عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه قال .

« يا معشر الخواريين ادعوا الله عز وجل ، أن يهون علي هذه السكرة ، فلقد حفت الموت حتى أوقعتني خورق من الموت على الموت »

لن يشر بذكر الموت قلبه انكسر عن الدنيا فؤاده ، وقل مروره وفرحه وحسده فيها ، كما قال أبو الدرداء : من باشر ذكر الموت قلته قل فرحه وحسده

# كتابُ الرِّياءِ

## باب في صفة الرياء وذكره

قلت قد وصفت لي مراقبه الله عز وجل وذكره والرعاية لحقوق الله عز وجل ووجوه طلبها .  
والأول من الواجب والفصل في تحاف على أن أقت لذلك ؟  
قال أحاف عيبك أن تصدق ما يبطل ثراه في آخرته ويذهب محلاوته من فست  
فست ذلك أعظم محسره . أن أعني ثم يخص ويبطل عملي . وما ذلك معي ؟  
قال فإن امتنق الرعي لحقوق الله عز وجل ، الدائم بها ببدل أخواته حتى يظهر للمخلق .  
فيظهر منه الصمت بعد طول الخوص فيما لا يعنيه ولا محل له . وتظهر منه المحاسة لمن كان يعصى  
الله عز وجل معه . ويظهر من الإيس لمن سلم معه ومن يستعد منه الخير . ويظهر منه الكلام  
فيما يحب الله عز وجل عليه . ويغتر به إليه . وسكت حوارجه ويخضع طرفه . ويعطوه السكسة  
والوقار . فتظهر منه الطاعات . فبعد ذلك تعلم النفس أن ما ظهر منها لعاد الله عز وجل . لن  
تتمتع . أن يحمدوا فعله ويعظموه بذلك . ويروا به الفصل والمدر . وتعلم النفس أن ما نظر منه  
وأمره لو ظهر لحمد ذلك منه وفصل به . فتطلب النفس الراحة إلى الترتيب بالدين عما ظهر  
وما أسر أن يكون محمودًا معظما . ليكون في الدنيا محمودًا معظما . لأنه ما معي من كثير من  
لذتها من الدنيا ، فإذا وجدت موضع خلاص في الدين إلى طلب اللذة والراحة نارعته إليه .  
لنصيب من أحة الدنيا بعد معه ما أكثر لذتها وراحتها . وهي شهوتها الخفية ولذتها الكامنة .  
لأنها ليست من ظاهر شهواتها . فعمم العبد إذا نارعته إليها . أنها قد نارعت له شهوتها ولذاتها .  
وميس من شهوتها الظاهرة ولا من شهوت مطعمي ومشربها وملبسها ومسكنها التي تنالها  
بجوارحها . ولكن شهوة من يطلبها في حيز ظاهرها . وهي حمية في النفوس لأنها ليست بظاهرة  
من فصول حلال معرده . ولا شر يهرد من الشر الذي لا يشوبه الخير . ولكنها شهوة حمية إذا  
صارت ممرجة للحير داحية في فعامليها ظاهر الخير . فهو مطمع في الظاهر . يرى أنه الله عز وجل  
يعمل . والنفس قد أعطت شهوة . لتترتب بذلك وتتصنع عند العباد بظاهر الطاعة . وأنها قرية  
لا يتهم العبد نفسه بتفعله . لأن الشهوة تحي على العبد تصده من أجلها . فلا يتبين ذلك

إلا بالعلم والادب على قصده ما هو ، فكنت وحيت على العامل إذا لم يستصحب بالعلم  
 كما يروى عن وهب ، أنه قال : كمن الشهوة في القلب ككثور النار في العود ، إن قلدح أرى  
 وإن ترك حتى ، وقال : الرياء أشبه كذباً وأخفاً مكيدة ، يعني أنه يحكي على من عمل ويتبين من  
 يتعمده بالعلم وينظر إليه بالمعرفة

ومن علم شدة حاجته إلى صافي الحساب عدداً في القيامة ، عتب على قلبه حذر الرياء  
 وتصحيح الإخلاص بعمله حتى يوافي يوم القيامة بخالص المقول . يدغم أنه لا يخلص إلى الله  
 حلّ ثأؤه إلا ما حصل منه ، ولا يقل يوم القيامة إلا ما كان صادقاً لوجهه ، لا تشوبه برادة شيء  
 غيره

ألم تر أن العباد يجاورون بينهم القدر في الورق والذهب ، فيأخذ بعضهم من بعض اندرهم  
 المردود والردى من النقد في الحصر والأمصار ؟ فإذا أراد أحدهم طريق مكة أو غيرها لم يأخذ من  
 النقد إلا الحيد الصافي لمعرفته أن طريقه يقل فيه العطف من العباد بعضهم على بعض ، والمواساة  
 لشدة سهرهم وبعد شفقتهم . فيحتاج أن يأخذ دراهم رديئة أو دنانير مردودة ، فيدفعها في أداة من  
 ماء أو قربة من ماء ، أو في راد أو في كرى تتحمل به فتدّ عليه ، فيقطع به في موضع الحاجة  
 حيث تقلّ المواساة ، ويعبر التعاطف من الناس بعضهم على بعض ، وهو في الحصر يتجاوز الردّ  
 والمردود ، رجاء إن ردّ عليه رده وأبدله ، وإن يردّه وحد عرصاً منه من ملك له أو قرص من  
 غيره ، فكذلك من عقر عباد العباد في القيامة وتبرّى بعضهم من بعض ، حتى تؤدّ الوالدة أنه  
 حُسن لها على ولدها حقّاً تأخذ به لشدة حاجتها إلى شيء ثقل به ميراثها وتريد في حسنتها ،  
 ولتعظيم ما عاينت

من عقل شدة ذلك اليوم وشدة ضرره إلى صافي الحسنات ، حتى أن يأتي يوم القيامة يغفو  
 أو رواح إلى علم أو صلاة أو صيام أو خشوع ، أو حج أو عرو أو كثر على عدو في سبيل الله لم  
 يخلصه فيحبط ، فتصير حسنة أنقص من سيئاته ولو كان أحصاه في الدنيا لرححت حسنة على  
 سيئاته فحلحل الحق بذلك ، فلما حبط عمله بقيت سيئاته أرجع وحسناته أجمع وأنقص ،  
 فلا سأل عن نفع نفسه حسرات ، فيحتاج العاقل ذلك ، فبطلت على عقله حذر الرياء  
 والتصنيع للعباد وإرادة الله حلّ ثأؤه وحده لا غيره حتى يتحصن به علمه وعمله

## باب حفظ المعاصي على الإخلاص في عمله

قلت : إن الإخلاص منزلة الأقوياء والخاصة من العالدين  
قال : إن أهل القوة لأقوم العاد به ، وإن المخطئ المعاصي لأشد حاحه إلى الإخلاص تطوعه  
من المتقن الورع ، لأن المتقن الورع يحيط جميع تقاعه بما يقبضه بالفرص وانتهائه عن المعاصي .  
والمخطئ إنما تطوعه يقوم مقام فرصه وورعه

ألم تسمع قول محمد بن يسير نافلة إلا للبي عليه السلام لأنه قد عمر له . ثم قرأ  
(وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ<sup>(١)</sup>)

وقال أبو أمامة : إنما كانت النافلة للبي عليه السلام خاصة

وروى أبو هريرة وعميم الدارمي وأبو مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يحاسب العبد يوم  
القيامة فإن نقص فرصه قيل : انظروا هل له من تطوع ؟ فإن كان له تطوع أكمل به فرصه ، قال  
تميم في حديثه : وإن لم يكن له تطوع أخذ بطريقه وألقى في النار .

فبأن المخطئ يوم القيامة وفرصه ناقصة وعليه ذنوب كثيرة ، فإن حبط تطوعه كله أو بعضه  
عطب لأنه يعدل في : كان الفرص ونكثير أسباب ، والمتقن يعمل في عبادة الخراب  
فإن حبط تطوعه بقي من حسناته ما يرجح على السيئات فيدخل الجنة ، والعبد يريد ألا يبقى له  
حسنة ، والمخطئ يراون بها ، والقوى الورع لما صدحت أحواله وعلم أن الخلق يحسدون من ظهرت  
منه تلك الأحوال ، ووجد العدو موصعاً للدعاء لما عطر عليه مكائده وظنه ، إلى أن بدع لدائه  
لرته عز وجل ، أراد أن يدعو إلى اعتقاد الرياء ليحبط ما كان يدعو إلى تركه فلم يطمع ،  
يدعوه إلى التصنع بالدنس ، ويعظم قدر المرة عنده ، حتى يكون عنده أعجب على طبعه من  
قدر الذهب والفضة ، لأن العبد قد بترك الذهب والفضة ، ويردّهما إذا وصل بها ، لئلا قد  
ترك ورهده ، لأن النفس من قبل هواها والعبد يدعو العبد إلى المعاصي

أما النفس فلا صيانة لنفسها ، وأما العدو فلا حقد واعداءه لإرادة هلكة العبد ، فإذا أتى عسبها

دعواه إلى ترك النفس ، وقالاً : تكلمك الورع ، فإن عصاهما وتنفس دعياه إلى الرياء به ، وكذلك بدعوانه وإن لم يتقبل إلى الرياء بورعه ، أما النفس فتطلب العذر عند الخلق والتعظيم مهم به ، والعدو للحسد والمحاورة به ، فإن أتى أرياه أن ذلك رياء مه ، وأنه لا يسجو من الرياء إذا خطر على قلبه ألا يترك العمل ، فإن أتى إلا المصطفى على العمل بالإخلاص والكراهية للرياء ، وإنما ادعيا عنه باطلاً إذا كان له أثراً وبه كارهياً ، دعواه إلى المحاورة والمجادلة يقولان له : ذلك مرء وهو يردد عندها التكذيب لهما ، وهما يدعيان ذلك عليه ليشعلاه بذلك هي هو فيه ، ليعطيه شغل قلبه عن الآخرة ، أما النفس فلتنصب مع بعضها بعض رحمتها عن المعكرة في الآخرة ، وأن العدو بإرادته أن ينقص العدو من طاعة ربه عز وجل لئلا تكون به كامنة ، محصور العقل فيها عداوة منه وحسناً ، كما حسد أبويه وعاداهما من قبله .

وقد حذرنا الله عز وجل ذلك ، فقال :

( يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنُكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا خَرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ <sup>(١)</sup> )

وقال عز وجل : ( إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ <sup>(٢)</sup> )

يعني أنه يفسد العداوة ، وقال عز وجل : ( بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ <sup>(٣)</sup> )

وقال عز وجل : ( إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ <sup>(٤)</sup> )

فأحذرنا الله عز وجل ، أن النفس تأمر بالسوء ، وأن العدو يفسد العبد ويصد عن طاعة الله عز

وجل

## باب في شرح الرياء : ما هو ؟ والدليل عليه

قلت : فلا عني في معرفة الرياء ما هو ؟  
 قال : نحن لا عني بك عن معرفته ، وإلا لم نحسن أن نتقن ما لا تعلم ، ولا نحذر ما لا نتصر ،  
 وذلك شأن المريد من قبلك أن يعلموا ما هو عنه ليدعوه على علم ومعرفة ، وبما يدلك على  
 ذلك

ما روى عن النبي ﷺ : أن رجلاً سأله فقال : يا رسول الله فيم الحاجة ؟ فقد أنا تعمل  
 بما أمرك الله به تريد به الناس ، فسأله عن محامته في أعماله ، فأخبره برك الرياء  
 وقال رجل : يا رسول الله ، الرجل يقاس في سبيل الله حميه ، ويرجل يقاتل ليرى مكانه ؟  
 فسأله عن الرياء إذ أشعق على عمله أن يحبط ، فأرد أن يعرفه الرياء من الإخلاص ، لينجيه على  
 عمله به إذا عرص به

وقال أبو الدرداء ، رحمه الله : إن من فقه الصمد أن يعلم برعات الشيطان ، أي متى تأتيه ؟  
 ومن أين تأتيه ؟ وصدق رحمه الله : إذا فقه الصمد عن الله عز وجل أنه لا يقبل إلا ما خلص وصفا  
 من الأعمال لو جهه دون حلقه ، وأن نفسه وعدوه يدعوانه إلى ما يحبط عمله حذر واستند بالعلم  
 يعلم حين تأتيه الرعة من قبل الرياء وغيره

وعن يونس عن الحسن : لا يزال الصمد يحير ما علم ما الذي يفسد عليه عمله فلا عني بالعبد  
 عن معرفة ما أمرنا بالتفاه من الرياء وغيره ولا سب الرياء ، إذ وصف بالخفاء في الحديث أنه أحق  
 من ديب الخلد ، فما حتى لم يعرف إلا شدة التفقد ونقد البصيرة معرفة به حين يعرض ، وإلا لم  
 سمع التفقد لما لا يعرف ، فبالخوف والحذر يتفقد الصمد الرياء ، ومعرفة ببصره حين يعرض ،  
 فلا عني بك عن معرفة الرياء

قلت : ما هو وما دل عليه من العلم ؟ لنقوم بذلك الحجة ويشرح لقبوله الصمد  
 قال الرياء : إرادة الصمد العباد بصدقة ربه

نك : فما الدليل على ذلك ؟

قال : قول الله عز وجل : ( مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرَ )



إلى قوله عر وجل : ( وَخِطَّ مَا ضَعُفُوا فِيهَا وَتَاطَلُ مَا كَانُوا يَغْمُزُونَ <sup>(١)</sup> )

وقد روى عن معاوية بن أبي سفيان ؛ وروى عن مجاهد في تفسير هذه الآية قالوا هم

المراءون

وقوله عر وجل : ( وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السُّيُوفَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ <sup>(٢)</sup> ) الآية

قال مجاهد : هم أهل الرياء ووصف الله عر وجل قلوب المخلصين وأن الرياء إرادة لغير الله

عر وجل مرفضوه لله عر وجل ، فقال :

( إِنَّمَا نَطْلِعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُبْرِدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا <sup>(٣)</sup> )

فأحبر الله حل ثناؤه ، أنه من أراد بعمله الحياة الدنيا وربها حط عمله

والحديث : « إن الله عر وجل ، يقول للملائكة إذا رَفَعَتْ عَمَلَ الْعَبْدِ : إن عدي هذا م

يردني به « فجعلوه في سجين » ، فأحبرك أنها إرادةً لدنيا والرياء عند أهلها ، والآي في ذلك كثير

جاء

وَمَا فِي السُّنَّةِ . فقول النبي ﷺ ، حين سأله الرجل فقال : يا رسول الله هبم السجاة ؟

فقال : « لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس »

وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال : « من رأى بعمله رأى الله

عر وجل به ، ومن سمع سمع الله عر وجل به » ، وروى عنه أبو هريرة في حديث الثلاثة : « المقتول

في سبيل الله ، والمتصدق بماله ، والقارئ لكتاب الله عر وجل ، أن الله يبارك وتعالى يقول لكل

واحد منهم : كدست بل أردت أن يقال فلان عالم ويقول للآخر بل أردت أن يقال

فلان شجاع ، وقال للثالث بل أردت أن يقال فلان حواد ، فقد قيل قال النبي ﷺ

« فأولئك أول ثلاثة يسحبون النار » فأحبر نبي ﷺ عن الله عر وجل ، أن رباهم لدى أحبط

أعمالهم إرادةً لناس بطاعة الله عر وجل ، وأحبر عن قلوب الصادقين المخلصين له عن أعمالهم ،

أنهم قالوا

( إِنَّمَا نَطْلِعُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُبْرِدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا <sup>(٤)</sup> )

(١) ١١ ١٥ ٦ ومثله الناصر ( يرف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة

[لا أجر] )

(٢) ٣٥ ١٠ ومثله الآية ( ومكر أولئك هو يبور )

(٣) ٧٦ ٩

قال محمد في تفسير ذلك ما قالوه بالسنتهم؟ ولكن قالوه بقلوبهم، فحكى الله عز وجل  
 عنهم، ليرعب رعباً، مرضى عنهم إدعوا عن قلوبهم إرادة حمّد المخلوقين وإرادة مكافئتهم  
 ولحديث في ذلك كثير، عدلنا بالعلم أن الرياء إرادة غير الله عز وجل بالطاعة، فامرياء  
 إرادة المخلوقين بطاعة الله عز وجل

## باب معرفة أن الرياء على وجهين أحدهما أعظم ، والآخر أهون وكلاهما رياء

قلت : الرياء هذا الوجه وحده أم في غيره من الوجوه ؟

قال الرياء هو الإرادة وحدها ، إلا أنه على وجهين

أحدهما أعظم وأشد ، والآخر أهون وأيسر وكلاهما رياء ، وإي الوجه الذي هو أشد الرياء وأعظمه ، إرادة العبد بطاعة الله عز وجل ، لا يريد الله عز وجل بذلك ، كما قال النبي ﷺ : « ألا تعمل بطاعة الله تريد الناس » ، وكما وصف الثلاثة أنهم أرادوا الناس وهم يذكر أنهم أرادوا الله عز وجل ، مع إرادتهم لخلقهم وذلك عنده عظيم

وكذلك يروى عن النبي ﷺ : « أن امرأتين نادى بهن لفداء على رؤوس الخلائق ما فاجر . ما عدا يا امرأتين ، صل غنمك ، وحط أحرار ، اذهب فخذ أحرار من كسب تعمل له » وقال في حديث الثلاثة « أن النبي ﷺ حط عن فخذ في هريرة وفان ، يا أيها هريرة أوثق أو حلق الله عز وجل ، تسعهم نار جهنم يوم القيامة ، وذلك أعظم لرياء عبد الله عز وجل »

وهو شديد ، وسنرى الله عز وجل أن النبي ﷺ قال : « أخوف ما خاف علي مني رياء »

وروى عنه أيضا أنه قال : « رأيت النبي ﷺ يكي فقلت ما يبكيك ؟ فقال مرر بحوفه على أمتي الشرك ، أما إنهم لا يعبدون حسما ولا شمساً ولا قرأ ولا حجراً ولا رثاً ولكن يراءون بأعينهم ، فكان أخوف ما أخاف عيهم الرياء »

وأما الوجه الذي هو أدنى وأيسر ، إرادة لعباد بصدقة الله عز وجل وإرادة ثواب الله عز وجل ، فيحتمل في القلب ، الإردنان إرداء المخلوقين وإرداء ثواب الله . وهو أدنى الرين وهو الشرك بالإرداء في العمل لأن الأول أراد الناس ولم يرد الله عز وجل ، وهذا أراد الله عز وجل وحل والناس ، فالشرك في عمله يطلب حمد الله عز وجل ، وطلب حمد المخلوقين

وكذلك يروى أبو هريرة عن النبي ﷺ : « يا أيها الناس لا يقول ما ينبغي أن يشركوا عن

نشر بث من عمل في عملاً أشرك فيه غيره فدأ منه يرى، وهو يمدى أنه هـ فأبان بذلك أن من الرياء إرادة الله عز وجل، وإرادة خلقه

وقال طاووس هـ جاء الرجل إلى النبي ﷺ، فقال ما رمس الله لرجل بتصدق وحب أن محمد ويؤجر فم يدر إلى متى عايهون، حتى يرس عليه هذه الآية

(فمن كان يؤخر الله ربه فلعنن الله عملاً صالحاً ولا نشر في معاده ربه أحداً هـ)  
فأمرها لله عز وجل جوان ليعود السائل، إدمان من أراد الله عز وجل وأراد حمد مخلوقين

وروى محمود بن زيد عن أبي نبي ﷺ أنه قال هـ خوف ما أهدف عنكم الشرك الأصغر ولوا وما لشرك الأصغر هـ قال ربه هـ قال يقول الله عز وجل هم هـ يوم يخاري العباد بأعمالهم ذهبوا إلى الذين كثر تراؤوا في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم حراً هـ وروى بقسوس مخممة أن نبي ﷺ هـ لا هـ يقول الله تبارك وتعالى هـ لا فعل عملاً به مثقال حردلة من الرياء هـ وحديث في هريزه عن أبي نبي ﷺ هـ قال هـ يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة هـ للذين كانوا يراءون بأعمالهم هـ أذهبوا فانظروا هل تجدون عند من كثر تعملون به يوم هـ

وقال عمر رضي الله عنه دعاد بن حبل ورآه بكي هـ ما سكث هـ قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم هـ سمعته يقول هـ إن أدنى الرياء شرك هـ والحديث الذي يروى هـ يسير الرياء شرك هـ وسأله بن أبي معيث سعيد بن المسيب فقال هـ أحب بصطع المعروف يحب أن يحمد ويؤجر هـ فقال له بن مسيب يحب أن تمتع هـ قال لا هـ قال إراد غيبته لله عز وجل عملاً هـ حديثه

وقال رجل لعداة بن لصادق أن تل سيق في سب الله ربه وجهه الله عز وجل هـ ومحمد المؤمنين هـ فأن لا شيء لك هـ فأنه ثلاث مرار هـ كل ذلك يرد عليه لا شيء لك هـ ثم قال في شأنه هـ إن الله عز وجل هـ هو هـ أن أعني شركاء عن نشر بث هـ من عمل في عملاً وأشرك يعني شركاً ودعت بصي لشريك هـ

وذكر الله عمر وحل ، في قول من رضى عنه من المؤمنين فقال

(إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ لِأَتُرِيدَ بِكُمْ حَرًّا وَلَا شُكْرًا)

فمنعوا عن قلوبهم أن يريدوا مع الله خلقه

وقال الصحاح لا يقل أحدكم هذا لله ولك ، ولا يقل أحدكم هذا لله ولرحم ، فإنه

لا شريك له

وصرب عمر رجلا بالندرة ثم قال اقتصر مني ، قال بل أدعه لله ولك ، فقال له

عمر ما صنعت شيئا ، إما أن تدعها فأعرف ذلك ، أو تدعها لله وحده ، قال ودعها لله

وحده ، قال فعمد إدا ، عدلت هذه الآثار أن أعظم الرياء إرادة العباد بطاعة الله عز وجل ،

وأن يكون أدناه إرادة المخلوقين وإرادة ثواب الله عز وجل

## باب هيجان الرياء والدواعي إليه

قلت هم يكون الرياء الذي يتشعب منه في القلب والذي يهيج ٩ لأنه لو لم يكن له من قلب العبد أصل يتشعب منه ويهيج ، لم يقبل حطرات العلو في ذلك ، إذ يدعو إلى ما ليس في قلب العبد له عنة ولا رغبة

قال : أجل

قلت : ما هو ؟

قال . ثلاثة عقود في ضمير النفس . حب الممثلة ، وحرف المذمة . والصبر في الدنيا ، والطمع لما في أبدى الناس

قلت . ما الدليل على ذلك ؟ قال ما يجده العبد من نفسه أنه يحب أن يعلم لعدو بطاعته لربه عز وجل ، فيوصل ويعطى ، ويكرم ويحب أن يحمده بشئ عليه ويعظم ويكره أن يذم فيعمل الطاعة لئلا يذم بقلة الرغبة فيها

قلت . قد أجد ذلك ، ولكن أردت الدليل عليه من العلم

قال : الدليل على ذلك . الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري . « أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال . يا رسول الله لرجل يقاتل حمية ومعنى ذلك أنه يحمي هيأف أن يهزم أو يذم بأن طلب أو غلب قومه فيقاتل لذلك

قال « الرجل يقاتل ليرى مكانه » وهذا طلب الحمد والتقص ومعرفة القدر ورجل يقاتل للذكر وهذا طلب الحمد بالأفس وقال من مسعود رضى الله عنها إذا اتقى الصفا من ردت الملائكة يكتبون الدس على بياتهم فلان يقاتل للذكر ، ومعنى هذا حمد المخلوقين ، ورجل يقاتل للموت وهذا الطمع في الدنيا

وقال عمر رحمة الله عليه . ونحري تقولوها في معاريكم . فلان قتل شهيدا ولمعه أن يكون قد ملأ دهنه وراحته ورفقا

وقال النبي ﷺ « من غرا لا يرى إلا عقلا فله ما يرى » يرويه عنه صادة

وقال النبي ﷺ : « من هاجر لديا يصيبها هجرته إلى ما هاجر إليه » يرويه عنه عمر رضى

الله عنه ، وقال : « من هاجر ينعم شيئاً من الدنيا فله ما يري » وهاجر رجل تزوج امرأة بقاء  
ها أم قيس ، سمى مهاجر أم قيس إرم يهاجر إلا لتزوجه نفسها ، يرويه عنه ابن مسعود  
فألقى يبعث على الرياء وقبول خطرات العدو هذه الثلاث خلال حبّ المحمّدة وخوف  
المذمة والنسبة ، والطمع بالدنيا وما في أيدي الناس جميعاً ، ويجمع ذلك كله حبّ المحمّدة ،  
وخوف المذمة ؛ لأن العبد قد يعلم به لا يبال ما عند الناس بطاعة ربه إلا أن يحمّده عليها ،  
فتبدل له أمواتهم ، وأنه إنما جزع من الدم حبه للمحمّدة كرهية أن يروى عنه حمدهم ، فتزول  
هذه خلال الثلاث إلى حبّ المحمّدة . إلا أنها تشعبت وتفرقت على أقدار الناس وقدر مراتبهم

## باب وصف خوف المذمة والطمع لا في أبدى الناس

قلت : فكيف يخاف المذمة ؟

قال كالرجل ، يحضر لعدو فيحصره الناس ، فيتقدمه قوم هم أشجع منه ، فيصيروا في محور العدو ولا يقرى هو على ذلك ، فلا يمكنه طلب المساعدة من حصر إذا وقف مع العامة في الصف وساوهم ، وتقدم الخاصة في محور عدوهم ، فيئأس أن يقول من معه في الصف ما أشجعهم وهو مثله ، وهم يرون من تقدمهم وتقدمه ، فإذا يئس من الحمد ، وكان ممن لا يريد أن يقف في الصف حياء ، أو غير ذلك ، أراد أن يحار عن الصف ، خاف أن يقولوا ما أحبه فيحبس نفسه معهم لئلا يؤتى فيدمونه على الحرب وقلة الرغبة في نواب الله عز وجل

وكذلك من تخلف عن الصف الأول في القتال فلم يمكنه طلب الحمد على الشجاعة وأراد الانصراف لقلة رغبته في الآخر ، أو حين يبعه من الانصراف أن يدم بالخبر ويسمى به ، فصار حبه نفسه في ذلك الموقف خوفاً أن يدم ، ولولا ذلك لانصرف لأنه إذا خاف الهزيمة أو رأى كثرة القتل ، أحب أن يتحى عن الصف أو يفر من العسكر وسريته ، فإذا خاف أن يقال حين حبس نفسه على المقام

وكالرجل يكون مع القوم فيصدق كل واحد منهم بالدينار والدرهم أو شيء الكثير ، ولا تسمحو نفسه أن يتصدق مثل ما يصدقوا ، ويكره ألا يتصدق شيء فيسجل ، فيتصدق بالشيء اليسير لئلا يسجل ، وقد يئأس أن يحمده إذا فاته القوم ما أعطوا

أو كرجل يكون معه لرجل يطيل الصلاة بالليل أو بالهار ، ولا يفرى على صلاة من معه ، ويكره أن يكسبه من معه فلا يطمع أن يحمده ، إذا عاقوه في الصلاة فصلى الركعتين أو الركعات كراهية أن يكسل ، فيخرج من أن ينظر إليه بعين الكسل ولا يجد للمحمدة موضعاً

وكالرجل يترك بعض ما يحمله من دينه أن يسأل عنه كراهية أن يقال هو جاهل بهذا إلى اليوم ، أو يجهل مثل هذا ، وقد يحمله خوفاً المذمة على الكذب ، حتى يدعى أنه قد كتب من العلم ما لم يكن ، وقد يحمله خوفاً المذمة على الكذب على ما يقضى بعير عيم ، وقد علم أنه



لا يحس ما يُبَالُ عنه ، وأن اواجب عليه أن لا يعنى في ذلك ، وأولى به أن يقول لا أدري ، فتجرح نفسه أن يذم بجهل ذلك

وأشياء كثيرة من هذا الباب ، وكذلك يدع اكتساب الحلال كراهية الذم ، وكذلك يدع الأسر بالمعروف والهوى عن الشكر كراهية دم من يأمره وينهاه

قلت : فاطمع لما في أيدي الناس كيف هو ؟

قال : يحس أن يراه من يرجو منه البر فيعطيه على عمد فيصده ويبره ، أو يطلع عليه معرج باطلاعه ليبره ويصده ، فإن اطلع على دبه اختتم به ما لا يقم باطلاع غيره ممن لا يطمع فيما عنده ، وإن اطلع على طاعته ارتاح قلبه لاطلاعه ما لا يرتاح لاطلاع غيره ممن لا يطمع فيما عنده ، وأشياء كثيرة من ذلك

وكذلك من يبايعه ، فيرعه أو يبايعه نفسه ويؤجره عليه ويحب حمده أن رآه على خير وارتاح قلبه ، فيحس أن يتصحح عنده بالورع وحفظ المنطق والوفاء بالموعد ، لينق به ولا يحوره إلى غيره

وكذلك الصانع عند من يسلم إليه العمل ، والأخير عند من يستأجره أو يوكله بصبغته أو تجارته أو عمله . بحسب الصحة عنده وبرائته بالورع

قلت قد فهمت هذين ، فأما حب المحمدة فهو أبي في النفس وأجلى من أن أحتاج إلى تصديره لي ، فقد تبين لي أن هذه الثلاث حلال هي التي تهيج الرياء وتعت على قبول خطرات العدو ، لما الذي كانت هذه الثلاث حلال منه ؟ فإنه لا يسعى إلا أن يكون لها أصل عنه تشعت وتفرقت

قال أما أصل هذه الثلاث لحلال الذي منه تشعت معرفة النفس بلدة ما ينال من الحمد والبر وما يدخل عندها من صبر الدم وعنه ، فلما عظمت المعرفة بذلك بعثت العبد على اعتقاد هذه الحلال الثلاث : لأنه لما عرف أنه إن حمده الناس عظموا قدره ، فبدأ إذا لقي بالسلام والبشر والإعظام ، والحمية والتوسعة له في المجلس ، والتكرمة له تشريعه وقبول الشهادة ، وتصديق الحديث وحس الطعن به ، حتى قد يؤخه الدس منه إلى الخير ، فكيف بالخير إذا كان منه ؟ وقبول أمره والانتفاء عما سبى عنه ، والرئاسة واستماع الشاء الحسن الذي يلتذ به السمع وتثريح إليه النفس . فهذه معرفة ما ينال من حمد العباد

وأما الطمع لفرقة بأن من يره الناس بما يظهر من طاعة ربه أنه يوصل بالأموال ويهتدي

إليه الهدايا ، ونقضى به الخواثج ويسارع إلى إقراضه المال ، ويومع عليه في طلب الدين وما أشبه ذلك

قلت : معروف اللذة

قال : أما خوف اللذة فعرفته أن من دمه الناس يُكذَّب صدقته ، ويُساء به الظن في الخير ، فكيف في الشر ؟ تُردُّ عليه شهادته ويردُّ عليه قوله ، ويُقضى بحسه ويمرص عنه ، ويُخفى في السلام ويردُّ بغير قصاء حاجته ، ويُستحي من مسحته والتحذير منه إن أشبر في أمره في حطة أو شهادة ، ولا يؤمن على مال ولا حرمة ، وربما وصَّحَّ عليه دسُّ غيره وعمل عليه لغيره ، وربما كان مظلومًا ؛ فلا عرف عظيم قدر هذه الخلال في الخير في الطمع والحمد ، وفي لصير في الدم ، اعتقد حبَّ حمنهم وخوفَ منمهم ، والطمع لما في أيديهم ، هورثته المعرفة بذلك الرغبة وغلبت على قلبه ، فهاج دواعي هذه الثلاث الخلال إلى الرياء ، واعرض العنوا بالدعاء بالرياء بالعمل والعلم ، لما عرف من عظيم رغبته فيهنَّ

## باب ما يكسر به دواعي الرياء والحمد والسمع

عجب قد وصفت المعرفة بذلك وصفاً لم يهونها في علمي ، حتى خشيت أن عجب علي بل كنت أجد ذلك قبل أن تصفه لي ، ولكن لم أعرف شرحه حتى شرحت لي ، فالذي يوهن المعرفة بما نال به دفع هذه الخلل لثلاث ويصغرها ويحقرها ، ويدن على عورت سوء عاقبها ، حتى يرهق العبد فيها ولا يعتقدها ، ولا يكون لها في قلبه قوة . فتصعب الخلل الثلاث التي تهيج على رياء ويحرص عليها ، ومن أجدها ؟

قال المعرفة عيني

إحداهما ما عزم ، وينقص من خوف الله وتوحيده وإصلاح قلبه في الدنيا ، ومعرفة ما ينقص من ثواب الله عز وجل بذلك في الآخرة ، وخوف مقته أن يظيع على نفسه وهو معصية بواحدة منها

**والخلة الثانية** تحصيل ما سب من العباد عند تحصيله لذلك ، مع ما يبرهن به من الله عز وجل ، فأما الذي يُحترم به من الله عز وجل في الدنيا ، وما يزل به منه إذا اعتقده ، فإنه يتخبط إلى العباد بالتعفف إلى الله عز وجل ، ويتزين بهم بالشبه عند الله عز وجل ، ويتقرب إليهم بسبب عند من الله عز وجل ، ويحمد بهم بالنسبة لله عز وجل ، ويطلب رضاهم بالعرض يحيط به عز وجل ، ويطلب ولا بهم ، لتعرض للعدوه من الله عز وجل ويُحترم في الآخرة الثواب ، ويحيط عمله في الدنيا ، ويطلب آخره في يوم فصره وحاحته وفاقه ، وعمله يحيط من عمله ما لو كان أحصاه في الدنيا ، فجعل مع حسنة فرحت على السنات دخل الجنة ، فتكون سيئاته أرجح من حسنة ، ولو أحصى عمله نوصح مع حسنة فدخل الجنة فدخل النار إذا لا حسنة له خالصة تحمل مع حسنة ، فلا تسأل عن تفضيع نفسه بالخسرات والدمار ، إلا أن يكون أحصاه قبل القيام إذا رأى موضع منه الإخلاص ، وموقف صر الرد ، وإن كانت حسنة راحته عن حاب ما عنده من العمل الخالص سوى ذلك فقد حسنت بعض حسنة التي تعرب من ربه حل وعز ، ويعلوها في جنته مع سؤل لله عز وجل به وتوحيده إليه على لرباء وأخيه منه أنه قدم في الدنيا في عمله عليه غيره في إهية والمعمدة ، والتعرب والتخبط

لن تعرض لنباعد منه و تفتت إليه ، وما يناله في الدنيا بإظلام قلبه وحيث نفسه ، ورواها الرحاء  
عن قلبه ، إذ علم بريائه وتشتت همومه في طلب حمدهم لا يحصى لأنه كثير عددهم ، لا يحصى  
من يعاملهم ، ورضاءهم لا يدرك لأن بعضهم يرضى عما يسخط بعضهم ، فإن فعل ما يرضى  
بعضهم سخط آخرون ، وإن فعل ما يسخط بعضهم رضى آخرون ، ولأن بعضهم يسيء الظن  
ويحمله بعضهم على ما يدمه آخرون ، فرضى من يطلب منهم يسخط من يترك منهم ، فقتله  
مشتت وهمومه كثيرة لأنه لا يدرك منهم جميعاً ما يطلب

وما ما يدين منهم مع بعره لهذا اللاء العظيم ، وما يتركه من الله عز وجل في الدنيا  
والآخرة ، فإنهم لم يردوه بحملهم في أحل ولا رقى ، ولا احتزر عايديه ولا صرف للاء ،  
ولا دفع مكروه مما قلل الله عز وجل

وأما الطمع لما في أيديهم فإنه لم ينل ما لم يفتقر به ، وإن كان نال شيئاً فإنما نال ما قلل له  
ما لو كان أحسن عبدة ربه لنال ما نال لا محالة ، فأحبط عمله وعرض لمحب ربه وحرمان  
ثوبه ، من غير إردباد في رقى ولا أحل ، ولا احتزر منفعة في دين أو دنيا على ما قلل به ،  
وكيف لا يرهق عاقل بما يصرفه في الدنيا والآخرة غير احتراز منفعة في دنياه ؟

وأما المنفعة فإنه لا يرل به من البلاء ما لم يفتقر له ، ومن يناله من الدم ما لم يفتقر ولا يناله من  
الدم إلا ما لو أحسن لكن ذلك الدم حمداً ، ولعله قلل أن يلقى كذبه في قلوبهم فيدموه إذ فر من  
دمهم ، ولا يصرف مخافة دمهم شيئاً من العافية والرقى ، ولا قطع من الأحل ما قلل الرخص  
حل وعز ، فحبط عمله من غير دفع مكروه من للاء ولا روى محدود من المقصور وما لم يفتقر  
فليس يحصيه أبداً

وكيف لا يرهق عاقل ، في هذه الخلال الثلاث إذا عرف صرهن ، ولا ينال منفعة في دنياه  
شيء منهن ، وإن أمر الله بفروع منه ، وأن هذه الخلال الثلاث خدعة وعرور ، تنصر الصرر  
الأكبر ولا تنفع في شيء من الأشياء ، فإذا عقل لعبد هذا كما وصفت له أنه يحبط عمله  
ويبطل أجره وتشتت همومه ، ويتعرض لمقت ربه عز وجل ، ويحجب قلبه عن الخير من عند الله  
عز وجل ، من غير زيادة منفعة ولا دفع مصرة ، رهد في هذه الخلال الثلاث ولم يعتقدهن ،  
وكيف يعتقدهن عاقل وهو بصرون به لصرر الأكبر لعظيم ، لعبر منفعة ولا دفع مصرة ؟ ما يكون  
هذا بعد هذا اليب لا من الحمى المخاين ، ورثا نبي بعض الحمى مثل هذا في ديبهم من أنى  
يلف مائه أو يقطع بعض حواجه ، أو يقتل ولده غير احتراز منفعة ولا دفع مصرة

وقد روى عن النبي ﷺ ما يبين لك ذلك مع ما أنزل الله عز وجل في كتابه ، أن رجلاً ، وهو شاعر بنى نعيم ، قال : إن حمدي ربي وإن دني شبي ، قال : كذبت ذلك الله عز وجل ، فإذا كان لا يرين حمد غير الله عز وجل ، ولا يشي دمه غيره ، واستقر ذلك عند المبدع العاقل ، استوى حامده ودائمه في طاعة الله عز وجل ، إلا طبع ينارعه قد قنع بعقله وعليه بطمه ومع ذلك لو كان يسمعه حمدهم ويصبره دهمهم ، لكان قد جهل طلب الحمد والفرار من لدم ، لأنه لا يعلم الناس أنه يريد حمدهم على طاعة ربه عز وجل ، لأن إرادته مغيبة عنهم في قلبه ، أحب حمدهم أو لم يحبه ، فالأمر في الظاهر واحد وليس عند الله عز وجل بواحد ، هو في الظاهر مطهر وفي الباطن محس فاجر القلب ، قد أصم في القلب من إرادتهم ما لا يظهر لهم فيحمدوه أو يسفوه ، ولربما بطن الإخلاص بإرادة الله عز وجل وحده ، فكان الأمر واحداً عندهم ، بل لو اطلعوا على ما في قلبه فعلوا أنه يريد حمدهم على طاعة ربه ، أو الطمع لما في أيديهم أرحوف ملامتهم ، لمقتوه على ذلك مع ما يتعرض لقب الله عز وجل أيضاً ، ما هو إلا شيء يعتقده في نفسه ولا معنى له إلا اللئاء والصرر في الدين والدنيا والآخرة عند الله عز وجل ، لو كان يدب حمدهم مفعمة وريئة ، وندمهم صرّاً وشيئاً ، كان قد أخطأ طريق طلب الحمد والفرار من الشين . فكيف وليس أحد ينفع حمده ولا الله ، فلا يصبر دمه ، لا الله عز وجل ، رد لا شريك له في ملكه ، ولا مدبر لعب ما أراد في سبحانه

فهذا الذي يصبر ما تأمل النفس من هذه الخلال ، ويعظم المعرفة بصبرها وأن لا مفعمة فيها ، فإذا ثبتت هذه المعرفة وزكت القلب الرهد فيها والرفض لها ، فصعب دواعي الرياء في قلبه حين يعرض من نفسه وعقله ، فيكسر الطمع ، ويحشي العدو وتمكن للإخلاص ويصمو العمل ويظهر القلب ، ويستأهل المبد الإقبال من الله عز وجل عليه ، والمعونة له ، ويجمع همه فيصير واحداً في معاملته خالقه ومولاه ، ويستريح من تشتت المهوم في معاملة الخلق ، ويعتق من دله لرياء وتصرعه لعباد واهتمامه برصاء واحد وسخط آخر ، لأنه علم أن معاملة الخلق لا معنى لها ، وأن معاملة الله عز وجل ، فيها غير الدنيا والآخرة

## باب شرح ما يروى به من العمل واللباس وغير ذلك

قلت قد وهبت هذه الخلال عسى ، وتبين حقاقة من اعتقدن وقلة عقله ومهمه عن رؤى  
جل وعز ، فأخبرني عن المرءى به الذي يُتَزَيَّن به من قبل هذه الخلال الثلاث ما هو ؟ من وجه  
واحد هو ؟ أم من وجوه شئ ؟

قال المرءى به والمتزيَّن به خمسة أشياء يرى العبد مدته ، وبرئه ، وقوله ، وبعمه ،  
وبعيره من الصحابة والقرايه ، فيرى ناطاعه هذه الأشياء الخمسة وكذلك أهل الدنيا يرون  
بالدنيا هذه الخصال الخمس إلا أن ذلك أيسر من الرياء ناطاعة  
فأما الذين فيرى به العبد من جهة الدين ، يرى بالتحون والصبر ليتوهموا عليه الاحتياج  
والأحرار أو الخوف ، ويرى بصعف الصوت وعز العين ودول الشفتين ، ليستدل بذلك على  
الصميم

كما يروى عن أبي هريرة ، ويروى عن عيسى عليه السلام أنه قال : « إذا صام أحدكم فليدش  
رأسه ويرجل شعره ويكحل عينه » يخاف عليهم أن يروا ما يظهر من مشرة وجوههم ، الذي  
يدل على صيامهم

وقال ابن مسعود رضي الله عنهما : أصبحوا صياماً مدهين .  
وكذلك النحور يدل على التقلل من العبد ، ويدل على العموم والأحرار ، وكذلك الصبر  
يدل على الصميم وقيام الليل ، والأحرار والعموم ، وفي ذلك التحقت إلى الرحمن عز وجل  
وأما أهل الدنيا فيروون بالسم وصبغ اللون ، وانتصاب الصلب ، وذلك أيسر من الرياء  
بالدين

وأما الزينة فيرى العبد بتشعث لرأس وسراة العين ، وحلق الشارب واستئصال الشعر  
أو هرقه ، يظهر بذلك تتبع رى النبي صلى الله عليه وسلم وأثر السجود وخش الباس وعيظها ، وتشميرها وقصر  
الأظفار ، وحصف العان وحدوها عن رى أهل الدين ، وترك تهذيب الثوب وجميع التقشف  
عن قدره من العادة وقدر أصحابه ، لأن القراء في ذلك أصناف فهم من يريد أن يجتمع له  
الحمد على الدين واللباس ، فيلبس الثياب الخيطة يشمرها ، ويبس العان الخيطة ويحدوها عن

عبر حدود العوم على رى أهل الدين مع حدودهم ، والرداء الحيد ولا يعتله أو يعتله إن كان أصحابه لا ينفق<sup>(١)</sup> عندهم إلا ذلك ، والأكسية الحيدة التي يحوز عند أهل الدين والدنيا يريد أن يحمله أصحابه ، ولقراء والملوك والأعيان من التحار وغيرهم ، يلبس رى القراء في حودة ثياب الأعيان ، فقد جمع رى أهل الدين والدنيا ليحظى عند أهل الدين والدنيا

ومهم من يجب أن يجعله الملوك والسلاطين والقراء على الدين ، وينفق عند جميع أهل الفرق والفرق في الثياب ، والسيور لعاره والدانة الفارحة ، يريد حمدهم أجمعين بدو من السلطان على جهة الدين ، ويفضي الخواص لأهل الدين ويحاسبهم تصدًا وتزيينًا

ومهم من يتقرب بالطاعة عند أهل الهدى والصلان ، ليقم وجهه عند أهل الحق وأهل الباطن بلبى هؤلاء وما يحبون ، وهؤلاء عما يحبون ، وهذا شر أن يفرق من أهل الرياء والتصنع ، ويتقرب إلى أهل كل طبقة بما ينفق عندهم

ومهم من لو جعل به مفروح ما قوى أن يتقن لما قد ألفه وعرف به من امرى في دينه ، فليس مهم الصوف والثياب الخشنات اللون ، لوقيل - تلبس المروية أو اللينة الحيدة أو الرقاق ، فكان عنه قريبًا من الدسح ، كراهية أن يقال دسح ، كراهية أن يلبس الثياب الرقاق الحيدة ، لو قيل لأهل الطبقة الوسطى من يلبس الأوسط من المروية ، أن يلبس الثياب الرقاق الحيدة ، وكذلك لو قيل لأهل هذه الطبقة ، أن تلبس لصوف والثياب المحرقة لوسحة شق ذلك عليه ، كراهية أن يحفره أهل الدنيا ويضطروا إليه بالآرداء ، يريد ألا يُحقر ويريد أن يحمد على رى الصالحين ، ولا يقوى أن يغير ذلك الذي إلى ما هو أرفع منه كراهية أن يُظن به رغبة في الدنيا

ولوقيل لأهل الطبقة الوسطى من يلبس الأوسط من المروية ، أن يلبس الثياب الرقاق الحيدة والأكسية الرقاق المرتفعة أو الكتان الرقيق ، فكان عنه قريبًا من الدسح ، كراهية أن يقال دسح ، كراهية أن يلبس الثياب الرقاق الحيدة ، وكذلك لو قيل لأهل هذه الطبقة ، أن تلبس لصوف والثياب المحرقة لوسحة شق ذلك عليه ، كراهية أن يحفره أهل الدنيا ويضطروا إليه بالآرداء ، يريد ألا يُحقر ويريد أن يحمد على رى الصالحين ، ولا يقوى أن يغير ذلك الذي إلى ما هو أرفع منه كراهية أن يُظن به رغبة في الدنيا

وكذلك أهل الرياء والثياب الحيدة المرتفعة ، فلو قيل لهم أن ينتقلوا إلى الصوف راحش من أناس لما فعلوا ، لئلا يكسبوا عند الملوك وعند السلاطين والقضاة وأهل العناء ، وكذلك لا ينتقلون إلى رى الملوك من لبس مصعقة والفلاس وتقطيع الثياب ، لئلا يكسبوا عند القراء ،

وَيَدْمُوهُمْ وَيَقْبُوهُمْ رَحِمًا عَنْ طَرَفِهِمْ ، وَ سَخُوا مِنْ طَرِيقِ الْقَرَاءِ ، كُلُّ ذَلِكَ إِقَامَةٌ لِلدِّينِ  
عَبْدُ كُلِّ الْفَرَقِ

وَمَا الرِّبَاءُ بِالْأَنْدِيَا لَمَنْصَعِ أَهْلِ الدِّينِ عَدَا مَتْلَبِهِمْ مَاتِيَابُ الْحَيَادِ عَلَى عَمْرِىَ الدِّينِ ، مِنْ  
طَوِيلِ التَّقْطِيعِ بِالْأُطْيَالَةِ الْمَصْبُغَةِ وَالْحَيَادِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

وَمَا الرِّبَاءُ مَالُ الْفَرَقِ هَالِكُنْ بِالْحِكْمَةِ وَإِقَامَةُ حُجَّةٍ عَدَا مَحَارِبِهِ ، وَحَقِيقَةُ الْحَدِيثِ وَبَيَانُ  
الْحُجَّةِ وَالْمَعْنَى مَالُ الْفَرَقِ ، وَإِظْهَارُ الْذِكْرِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَالُ الْفَرَقِ ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ،  
وَبَصْعَةُ الصَّوْتِ عَدَا مَحَارِبِهِ ، وَحَسَنُ الصَّوْتِ بِالْفَرَقِ وَغَيْرِهِ ، لَيْدُ الْمَدَنِيِّ عَلَى لُحَاظِهِ .  
وَيَرَى أَهْلُ الدِّينِ بِالْفَصَاحَةِ وَشِدَّةِ الْحُجَّةِ فِي مَحَارِبِهِ فِي الْحَقِّ وَغَيْرِهَا ، وَحَسَنُ الصَّوْتِ وَحَقِيقَةُ  
الْأَشْعَارِ ، وَحَسَنُ الصَّوْتِ بِالْمَعْنَى وَالْمَعْنَى ، وَقُوَّةُ الصَّوْتِ وَالْحَقُّ وَالْمَعْنَى

وَيَرَى الْمُتَدِينُ بَعْدَهُ يَرَى بِطَوِيلِ الصَّلَاةِ ، وَعَدَالَةِ الْإِسْتِصَابِ فِيهَا ، وَتَمَكُّنِ الْإِسْتِصَابِ  
لِلرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، وَشِدَّةِ الْخُشُوعِ فِيهَا وَغَيْرِ الْقَرَاءَةِ ، وَأَحَدُ بَيْتِي عَلَى لَيْسَى وَاصْطِفَافِ  
الْقَدَمَيْنِ ، وَالتَّحَايُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ ، وَرَفْعُ الْأَيْدِي مَرْكُوعٍ وَبَعْدَهُ ، وَالصَّوْمُ وَالْمَعْرُوفُ وَحُجَّةُ  
وَبَطُولُ الصَّوْمِ . وَمِنْ ذَلِكَ فِي لَوْحِ الْفَتْحِ وَالْمَعْنَى بِطَعْمِهِ ، وَالْإِحْبَاتِ فِي أَمْرِ وَعَدِ  
الْقَاءِ ، كِبَارُهَا الْخَيْرُ وَتَكْسِيسُ الرَّأْسِ ، وَبَالِغَةُ الْمَدَائِدِ بِالْوَقَارِ

وَمِنْ قَرَفِهِ فِي ذَلِكَ تَرِيدُ أَنْ جَمَعَ الدِّينَ وَبَدَأَ تَمَشَّى مَسْرَعَةً خَاجِبًا وَتَكَلَّمَ كَذَلِكَ ، حَتَّى  
طَلَعَ عَلَيْهَا بَعْضُ أَهْلِ الدِّينِ فَتَقَارَبَ فِي لَحْظِي ، وَتَطَعْنِي أَمْرِي وَتَكْسِيسُ الرَّأْسِ ، فَإِذَا حَاوَرَهَا  
عَادَتْ خَائِفًا الْأَوَّلِ . وَذَلِكَ كَأَنَّهَا حَلَّتْ تَمَشَّى مَسْرَعَةً لِحَاجَتِهِ ، أَوْ يَكُونُ مُتَلَفِّفًا حَسَنًا وَمَا شَيْئًا ، فَإِذَا  
رَفَقَهُ بَعْضُ أَهْلِ الدِّينِ وَأَهْلُ الدِّينِ مِمَّنْ يَحِبُّ أَنْ يَنْظُرَ بِهِ بَعْضُ الْخُشُوعِ وَالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ ،  
وَلَا يَنْظُرُ بِهِ حَقِيقًا فِي مَشْيِهِ ، وَلَا لَاهِبًا فِي لَفْظِهِ ، فَإِذَا رَفَقَهُ سَكَنٌ فِي مَشْيِهِ وَتَكْسِيسُ رَأْسِهِ  
وَقَرَارٌ حَقِيقَةٌ ، وَكَذَلِكَ يَدْعُو الْفَتْحَ وَيُحَدِّثُ حَشَوَاتِهِ بِكُنْ عَلَيْهِ مِنْ قَسٍّ ، فَلَمْ يَحْشَعْ بِذِكْرِ  
عَظَمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا لَذَّةِ الْآخِرَةِ ، وَتَكُنْ حَشَوَاتُهُ لَمْ يَطْلُعْ عَنْهُ مِنْ خَلْقِ

وَيَرَى أَيْضًا بَعْضُ أَهْلِ الدِّينِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ بِالْعَدَمِ وَالصَّحَابَةِ مِمَّنْ هُوَ مَوْجُودٌ فِي  
الطَّاعَاتِ وَالْعِلْمِ ، فَيَسِيرُ مَعَ الْعَالَمِ أَوْ الْعَدَمِ ، لِيُقَالَ : فَلَانُ نَأَى فَلَانًا وَيَمَشَّى مَعَهُ ، وَلِيُقَالَ  
فَلَانُ صَاحِبُ فَلَانٍ وَيَكْثُرُ عَشْيَانُهُ وَذِكْرُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ حَلِيقَتِهِ لِيُوسَمَ مَحْمَدٌ

فَعَدَّ بَيْتَ ذَلِكَ أَصْرًا الْخِلَالِ الَّتِي يَرَى فِيهَا إِلَّا أَنَّهُمْ جَمْعًا مَحْمُودٌ فِي رَدِّهِمْ بَعْضُهُمْ دُونَ



فمنهم من يريد بذلك أن يعرف الناس له قدره ، ومنهم من يريد مع معرفة القدر أن يشرعهم  
 بحس الثناء والحمد ؛ ومنهم من يريد بذلك الرياسة والشهرة في البلدان والثناء والحمد والرحمة  
 إليه ، ومنهم من يريد بذلك الشهرة عند الملوك والسلاطان والتصنع للشهادات ، ومنهم من يريد  
 بذلك أن يُعْلَمَنَّ إليه مبحثار الأموال وبطلم الحقوق ، وهؤلاء شر الفرق

## باب ما يبنى به الرياء

قلت . هبم يبنى الرياء حتى يسلم منه العدو ؟

قال . إن بنى الرياء جميعين أحدهما : نبي ما قد قل من الرياء وركن إليه ، والآخر : نبي

العارض بالدعاء ولم يقبله

قلت . عهها جميعاً فسألتك وأبدأ بنبي العارض

قال . العارض لا يخلو أن يكون من العدو أو من النفس من قبل هوها ؛ لأن العدو له ثلاث

خطرات بذلك أولاً : الرياء بذكر اطلاع الخلق أو علمهم ، أو رجاء اطلاعهم أو علمهم ،

والثانية : التزعيب في حمدهم أو التحدير من ذمهم ، وقد تجمع الخطرة الواحدة ذكر علمهم

والتزعيب في حمدهم ؛ والثالثة : الدعاء إلى القبول والعقد بذلك والركون إليه .

فأقوى الناس في النبي - الراد عند الخطر الأول بتذكير عي الخلق والقنوع بعم خائق ،

والذي يليه في القوة . الراد عند التزعيب في الحمد والتزهيب من الذم بالرغبة في الثواب والرهبة

من دم الدنيا ؛ والثالث الذي يرد حين يدعو إلى القبول بعد هيجان الرغبة والرهبة في الحمد

والذم

قلت . فكيف الرد للعارض عند هذه الخطرات الثلاث ؟

قال . يبنى ذلك كله بالمحبة ولكراهة إن جتمعا ، وإن عرقا لم يتف ارياء

قلت . فكيف ذلك ؟

قال : إن كان كارهاً للرياء ل جملة عقد قلبه ثم اعترض الدعاء وهو عاقل ، فلم يعرف أن

ذلك هو عارض الرياء الذي يحبط العمل بقوله ، هركن إليه واستحلاه ولم يذكر ، هبتعمل

الكراهة المتضمنة في جملة عقد قلبه وصميره ؛ لأن الخطرة تأتي بالدعاء إلى الرياء ، بالتزعيب في

الحمد والنيل من الدنيا ، والتزهيب والتحذير من الذم والملامة ، فبملاً حلاوة حب الحمد ورهبة

الذم قلبه ، ولا يكون في القلب موضع فراع يذكر به أن ذلك هو الذي يحبط عمله كالجد يبرى

أن يحلم إن غضب ولا يكافئ بما يكره الله عز وجل ، فإذا اعتاط ملأ العيظ قلبه وسى عرمة ،

ولم يبن من قلبه موضع فراع يذكر به ما قدّم من العزم على الحلم ، فكما يملأ العيظ قلبه وكذلك

حلاوة الشهوة تملأ قلبه فيسى ذكر ربه حل وعز ، كما روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : « يا عينا رسول الله ﷺ تحت الشجرة على ألا يمر ولم يبايه على الموت فأنشأها يوم حُبس حتى يودي بأصحاب الشجرة مرجعنا » .

وإنما الغيظ مثل صرته دث ، قناساً على متلاء القلب بحلاوة شهوة وحمد المخلوقين ، فيسى العبدُ عزمه والكراهة المتقدمة للرياء في حملة عقد قلبه ، فيركن ولا يبق دث ، وعامة لأعمال الحرام كذلك ، فكذلك الذي عرض له وليس معه ذكر الرياء ، فلما فقد المعرفة ، لما عرض ، راس عن الكراهة الأولى ولم يستعملها ، لأنه إنما قدمها في حملة عقد ضميره يستعملها عند العارض ليعتد على ألا يقبده ، فنزكها حين احتاج إليها ، وفي الموضع الذي أعدها له ، لأن تلك الكراهة من عزم العبد على الإخلاص ، وترك الرياء قبل العمل ، على أن يخلص ، ولا يراني ، يد عمل عملاً من طاعة ربه عز وجل ، فهدم الكراهة لرياء قبل العمل يستعملها عند العمل ، فيصيرها بسببها لتفيم حق ربه عز وجل في باطنه ، فلما فقد المعرفة بسبب الكراهة الأولى ، وقد يذكر ، فيعرف أن الذي عرض عارض وداع إلى ما يحبط عمله ، وأنه الرياء الذي سبى عنه هيئته هواة وشهوته ، فلا يرد ذلك ، ولا يكرهه لعلبة الهوى وقلة هيئته الخوف ، وإنما أن يتشاعل عنه بعد المعرفة ، وبما أن بسوء التوبة من ذلك ويقبل الرياء ويعمل عليه ، كالرجل يتكلم بالكلام وماله فيه معنى غير المخلوقين ، ويعطى بذلك بمعنى في كلامه ولا ينفيه عن قلبه ، ولا يسكب عن كلامه ، وكذلك يذهب إلى الموضع ما به فيه معنى غير المخلوقين ، يريد حمدهم أو مسعهم بصادقة ربه ، كما يذهب إلى العلم أو بحسن من بحسن لذكر ، فيعرف دث ولا يسيئ منه ، وكذلك في الصلاة يحظره لرياء ، فيعرفه فعمل عليه وكذلك [د عرض به الذهاب والكلام والعمل قبل أن يدخل فيه ، فيحظر لرياء صرفه بقلبه ودخل في العمل على دث ، ولم ينفه عنه عن دث ، فإذ لم يعرف حين عرض له ففتح كراهته الأولى حين ركن إلى القبول والاعتقاد لرياء ، والذي عرف ثم لم يكره كانت معرفته عليه حقة ، يد ذكره الله عز وجل به ووعظه ، وعرفه ما عرض له من الرياء الذي يحبط عمله ، فركن إلى دعي لرياء ، وقله بعد عدم معرفته لعلبة هواة والشهوة ، فلم تنفعه معرفة والكراهة حين فترقا عند عارض الدعي إلى الرياء

وكذلك يروي عن الحسن ، قال : لا يزال العبد يحير ما علم الذي يفسد عليه عمله منهم من يرى له ما هو فيه فيرى أنه مصيب ومنهم من يعلبه شهوته بعد عدم معرفته ،

ودلت أنه لما عرّض الداعي بما يحب نفسه ولا معرفة ولا ذكر معه قبل الداعي إلى الرياء فاعتصد الرياء ، ولما عرّض له معرفته ثم عبته شهوته قبله ، ولم يصبه الكراهة له ، فإد عرّض الداعي إلى الرياء فعرف أنه لرياء ثم كرهه بحج منه

وفي ذلك أثر فيما دلت وحجة أن الكراهة والإباء لقوى ما يعرض من الرياء يتبني بها الرياء ، ولا يقدر المرء على أكثر من ذلك ولم يكلفه الله سواء

ومن ذلك ما يروى عن النبي ﷺ حين شكّا إليه أصحابه رضي الله عنهم فقالوا : « يا رسول الله يعرض بقلوبنا شيء ، لأن نغتر من السماء فتحططنا انظر أو نهوى من الرياح في مكان سحيق ، أحب إلينا من أن نتكلم به ، فقال : « أوقد وجدتموه ؟ » ذلك صريح الإيمان »

لا يعني الوسواس لكن يعني إباءهم وكراهيتهم لقوله حتى احتاروا أن يجزوا وينقطعوا ولا يكلموه بكراهتهم له ، فإذا كان الإباء والكراهة سحيق من الوسواس في الله عز وجل فيها من الوسواس في الرياء أنجا وأنجا ، لأن ما كان دافعا للكثير العظم فهو قليل الصغير أدفع وأنجا ، وإن كان الرياء عظيما فإنه عند الوسواس في الله عز وجل صغير

وقال نوحارم ما كان في نفسك وكرهته نفسك لنفسك فلا يصرك هو من عدوك ، وما كان من نفسك فرصيته نفسك لنفسك فعديها عليه

وقال زيد بن أسلم مثل ذلك - وصدي ، لأن « كرهته وأبته فقد رددته وبقي لشيطان يوسوس ، وإن كان الظع يبارع فلا يصرك

وبذلك يروى عن النبي ﷺ في حديث ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أنه قال لأصحابه : « الحمد لله الذي رددنا إلى الوسوسة » فإد عرّض الرياء معرفته ثم كرهه وأبى أن يقبله بها منه ، ولأن أن يجمع مع الكراهة إباء لقنونه ، لأن الراكن إلى الرياء قد يكره ما هو مقيم عليه يحب التقية منه ، ويراد بلقنونه هو لكاره الإباء له لأن لرياء إنما نفس محصتين يراده النفس له والشهوة ، ولأنه من صد هتين ، فتكون الكراهة صد الشهوة ، ويكون الإباء صد الإرادة فحينئذ يبحر العبد من داعي الرياء

قلت - كيف أكره ما أنا به مرء مشتة ؟

قل - يا الله عز وجل ، جعل حبك عزائز فجعل حبك عزيرة تحب ما وافقت وأبذرت ، وكراهة ما خالفك وآذاك ، وجعل حبك عزيرة عقل الحية فقرن مع عزيرة الحب للموافق ، وأبعص للمخالف الشيطان ، يربس له الدنيا وبسطه عن الآخرة ، وتقرب مع العقل العلم والكتاب

والسنة ؛ يربى الآخرة ويكره إليه الدنيا ، وانعم لعقل كدسراح لعين ، أو النور من الشمس  
وعينها لعين ، فإذا عرست الخطر ذكرت النفس معرفتها بواقعها من الحمد والثناء ،  
ومخالفتها من الندم والامانة ، هاج من النفس حب ما يوافقها من الحمد والثناء ، وبعض  
ما يخالفها من الندم والامانة ، هاجت تلك المعرفة بذلك عبد يدكر العدو لها ؛ فإذا كان عبدا  
عاقلا ذكر ما يوصى به الله عز وجل ، من الإخلاص وما يستحقه من الرياء ، وأنه يحسد لعينه في  
يوم فصره وفاقتة ، فهي حث بذلك المعرفة ، لما ذكر نفسه بالعلم لدى جعله الله عز وجل في قلبه ،  
إذا تصل بعينه عرف ما يسره طمسه الجهل من ذكر الآخرة وذكر إطلاع الرب عز وجل ، وذلك  
كلعين تستمد للسراج ، فتعرف ما ورثه ظلمة البيت ، تبقى على علم ، وعمل على علم ، فإذا كان  
عبدا حاربا حاد بعينه وما أعطاه الله عز وجل من العلم ، ما عرص به العدو وما هاج من شهوة  
النفس فكره رأى .

## باب معرفة ما يبال به الخلد من الرياء

كنت قد بينت في أن المعرفة والكراهة مع الإباء إذا اجتماعا أسى الرياء . وأنه إنما يدل ذلك سببه نفسه بعمله كما استودعه الله عز وجل من العلم بصبر عارض الرياء ومعه رد الرياء عن قلبه في يوم فقره ، وقد قلت . إياها إذا اختلفا لم ينتف الرياء ، فكيف في باحتمالها ؟ ومن أين عرفت المعرفة ؟ وبم نال حتى لا تذهب المعرفة عن بعد عارض الرياء ؟ ومن أين عرفت الكراهة بعد المعرفة فلم يستعملها ؟ وبم نال استعمالها ؟

قال . أما المعرفة فإني عرفت من السبيل وروى الذكر ، والذكر إنما عرفت لعروب الخلد والاهتمام . فإذا اهتمم وخلص تيقظ وذكر ، وإذا ذكر عرف ما عرض من الرياء

قلت . هم نال الاهتمام والخلد ؟

قال . بالصحة .

كنت . هم يدل العناية ؟

قال . بالمعرفة بقدر متعمه لإخلاص في الدنيا والآخرة من ثواب الله عز وجل في القلب في عجل الدنيا وثوبه في الآخرة ، بالرضا والحلة ، وصبر الرياء على القلب مما يورثه القسوة والربس والحيط لعمله عما في يوم فقره وفاقة والتعرض للحقت من ربه حل وعمر ، فإذا عظم قدر ذلك في قلبه غيى به ، وإذا غيى به اهتمم بالقيام بأمر الله عز وجل من لإخلاص . وخلص تصيغ أمره به بالركون إلى الرياء ، فإذا أزم الاهتمام والخلد قلبه بقطاه ، فإذا تيقظ ذكر فإذا ذكر عرف ، ومثل ذلك ، مثل النص بأن من الرجل ليلا وهو نائم ، فإن استيقظ فعلم به ومعه علة لقاته رجوه ، فإن أي شد عليه هرب منه ولم يأخذ من بيته شيئا ، وإن لم يستيقظ حربه وهو لا يشعر وكذلك لعامل إذا لم يتيقظ

قلت . هم عزيت الكراهية بعد المعرفة ؟ وبم تنال ؟

قال . عرفت لأن خاطر الرياء إذا عرض في القلب هاجت سورة شهوة النفس للحمد والثناء ، والليل ، فعليت حلاوة ذلك على القلب ، فرأت الكراهة ولم تستقر مع حلاوة الشهوة ، فالذي يعظم ذلك ويبهج الكراهة والإباء إذا سارت العرحة من قبل الطمع ، إذا عقر العبد اللبيب فكرة

من غيبه في يوم معد ، ودكر حفظ عمله وحاجته يوم صفه وفاقته إلى صافي الحساب . وأنه لا يصل إلا ما خصص وصف من العمل . وخوف نفسه مقت الله عز وجل . في ساعة ننت أن يطع على صموده . وقد قل ما نكره . نه عز وجل به فيفتة . وخوف ما يورث قلبه قول خطره لرياء من لرب والفسود . فإذا هاج انكسر بالخوف في عمومه الله عز وجل . في عاجل الدب وجل لأخره . ب قل ننت خطرة هاج مرره لعقوبه نأذكر عني ما سر في القلب من هيجان شهوة . فكان عمله ب كره . وعلى هوه وعدوه رذ . فعد دت خص عمله فلت أكل إيمان يرد بيده المهادنة والمكيدة وتكلم ؟

قال هكذا في أول بدء المرث . لأن للإخلاص أولا وحز . فأوله . مع المهادنة والكائنة لغوه الشهوة وضعف العزم . وهذه المهادنة للإخلاص وطوب المهادنة لرب . لأن بعد لصعب بعد عقل في تصبى قل الشوع ويرب في تصبى للمعاد . فإذا ر د فطم نفسه عن نعادته وكسر قوه شهوة بصعب عزمه وفلة عادته للإخلاص . أت النفس مستصعبت فمهادنة . كائنة . حتى إذا دمن برذ على نفسه واعتاد الإخلاص . نبي رياء . رجع ثواب للإخلاص على قلبه من الله عز وجل . وهو ولصبره . وانكسر النفس حين طاب منه معها ما حب . ويشس العدو فحس وسطر شهوة والمعنة . وأقبل الله عز وجل عليه بالنصر والمعونة . لما ر ه قد صبر له عن إيمان المهادنة شواه . فعد ذلك تسكن دواعي أخرى . وما عرض بها عرض بصعب وفه . وتقوى دواعي انصب ويعظم العزم . فإذا عرض عارض الرياء . ففاد سريتا غير مكامدة ولا كلفة . فب . فعد نأى حان بها محبة شديدة وأسباب معتنة . فبكثر فيه الخطر ب حتى لا يكاد بعد شخص منها . وذلك كاشهوه العصمة ولأمر كبير من يريد أن لا يصل إليه عامة حق . فتكون الوسواس كأنه مشتكة على القلب . فسم يدفع ذلك ؟

قال إذا حثرت العبد بذلك فليذكر الله عز وجل . أعظم قدره وصغر قدر مخلوقين في عظيم قدر الله عز وجل . وأن منافع كلها منه . وب قدره من الخلق على مدفعهم عنهم ر الله . وبصغر أقدارهم . ويدكر طلاع الله عز وجل . بعد ذكر عظم قدره . فإنه إذا فعل ذلك حلت خطرات كما تقوى نرياح لسحاب عن السماء . وكما تكشف نرياح العاص عن الصفا

## باب معرفة قوة الإخلاص على مبارعة النفس عند العارص والنبي له

قلت إذا كره العارص ولم أقبله لما الدليل على أن الإخلاص في قلبي أغلب منه أكثر من  
مبارعة النفس وإرادتها ؟

قال نعم يعلم أن لمريد الله عز وجل وسعادته استوت الإرادات في قلبه بعد كره ذلك كره  
الإرادة لله عز وجل ومعها كرهه . فكان معين ومبارعة نفس معني وحده بذلك وكان  
أكثر وأعجب

قلت فاللهون للرباء في مقام واحد من السرعة والإبطاء ومن الفصل والنقص  
فإن لا هم أربعة نفر فهم من حتى سمع لقوله عز وجل ومهم من يثبت في المحاهدة  
ومهم من نبي لخطره . فإذا أراد العدو كذا لم يطمع في خطط عمله . وإذا لم يرب منه  
ما ينقص من صلاته وغيرها في الفصل والكمال . فأراد أنه إن حاصمه بأمر عنه والمحادثة به كان  
أصلي للإخلاص وأنفع من حاصمه وحادله في النبي . فنقصه . إذ شغله بمحاصمه عن صلته  
لأنه لم يؤمر بمجادلته . إنما أمر بمصيبته عند عصاه . إذ لم يسل ما دعا به . وكان جده له إياه  
لا معنى له أكثر من الشغل عن الصلاة . أو عن برّ إن كان فيه . وإشغاله قلبه بما لم يثبت فيه  
وأما الثاني فهو الذي يرد عنه بالتكذيب من غير محاجة ولا محادله

والثالث يمضي على ما كان عليه من هجاب كرهه والإباء . غالباً أن ذلك محرمه من  
التكذيب له والمحادثة والمحاصرة له . فيمضي على ما كان عليه . لا يعمل ولا يحدث معنى شغل  
به عما كان فيه

والرابع الذي قد علم من قبل أن يعرض له في الدعاء إلى الرب . به بعد يريد أن يربله عن  
عبادة ربه حسداً له . فلما قدّم هذا انعم في قلبه ثم عرض له بالدعاء . وبأن كان قلبه بالله عز وجل  
مشغولاً أرتاد شغلاً . وبأن كان سهواً في عبادة ربه في الفكر والشغل بالله عز وجل عيظه  
له . وإرداء منفعته بعارض الداعي جعله عبرة لذكر ربه

وكذلك يرون عن الفصل . عروب أنه قيل به . فلما ذكر كره . والله لأعطي من



أمره قبله من أمره<sup>٢</sup> قد الشيطان المهم اعمره . إلى لأعيطه بأن أطيع الله عز وجل<sup>٣</sup>  
فيه مداره العدو كذلك أوشك أن يذل حظه . كرهه أن يردده خيرا إذا عرّض له بالدعاء  
إلى الرّاء ، إذ لم يره يقبل وردّ ولم يرض بالرد . حتى اتخذ الدّاعي غيره يردده خيرا وذكره برّيه  
وكذلك يروى عن إبراهيم النخعي أنه قال : إن الشيطان ليدعو العبد إلى الباب من الإثم  
فلا يطيعه ونحدث عند ذلك خيرا . ثم يدعوه إلى الباب من الإثم فلا يطيعه ونحدث عند ذلك  
خيرا . فإذا رآه كذلك تركه . وهكذا يروى عنه أنه قال : إذا رأى الشيطان مترددا طمع فست  
وإذا رأى مداونا ملث فلاك

وإنما مثل الناهي في نوحه الأربعة مثل رجال أربعة أرادوا مجلس محدث أو ذكر . يحاولون  
ب يعوهم منه بقدر إمكانهم عنه في طرقهم . وصلاة في جماعة أو جمعة . لم يحددهم برجل  
من أهل الصلاة يعرض به بالتشيط واليهي عن الذهاب يريد أن يصده . فلما رآه يأتي أن يرجع  
فإن يبادل . فقام عنده يبادل ويخاصمه . والصباح يحب طوي المحادثة بينهما ليعوته بقدر  
ما تحسه خصوصيته . ومراشاه عنه فهاه عن الذهاب إلى الموضع الذي يريد فوقف مسيرا له رادّا  
عليه . فاعتمها الصاب بقدر ما يعوته بحسه بأربعة عليه . ومر الثالث وهو يمشي ماشيا  
وراكبا . يعرض له باليهي والتشيط . وقد علم ما بقي أصحابه من الخس فحصى ولم يعف  
ولم يحدث معنى . ومر الرابع وقد علم ما بقي أصحابه من الخس . فلم أحس بصوته إن كان شيا  
سعى . وإن كان ركبا حرك راحلته بالسرعة يعيطه ويدرك ما يطلبه تائما . ولا يكون كأصحابه  
الذين قبله . فيوشك أن عادو عليه . أن يعرض لهم ويدع هد التبع . لأنه اتخذ دعاءه غيره  
وربادة في الخبر بالسرعة إليه ولا يعارض عما دعا إليه العدو . وكذلك القوى الكبس من  
المخلص

قلت فكيف يكونون هل الاعتراض بالدعاء<sup>٤</sup> أم ينظر من له بالخبر قل أن يعرض حتى إذا  
عرّض عهده<sup>٥</sup> أو يشتعلون عنه بالتوكل على الله عز وجل . وناطاعه حتى يكون هو الذي يبرح  
عدوهم عنهم<sup>٦</sup>

قال قد قال الناس إن ذلك أقوالا كثيرة مختلفة . عامها عبط إلا هولا واحدا . فأحد  
ما قابوه أن هولة من الصبر بين ذلك إنما يحتاج إلى الحذر من ذلك الصها . فأما الأقوياء  
فقد انقطعوا إلى الله عز وجل واشتعلوا فيه . فليس للشيطان عليهم سب . إذ قطعوا حب الدنيا  
من قلوبهم وأبدلوا قلوبهم . لزام حب الله عز وجل لها . والاشتغال بالسيد ومحاجته . فقد حس

لشيطان عنهم وذن واعتزل كما اعتزل في خاطر الخمر والنمأ والفنل من قلوب غيرهم من العالدين  
وقالت فرقة من أهل الشام ، بما يحتاج إلى الخطر من قل بقيه وضعف ثوكه ، فلما من يقص  
ناب الله عز وجل لا شريك له في تدبيره ، ولا يحدث في معك ما لا يريد ، وأنه لا يضمر ولا يجمع  
شيء لا به ، وأن لشيطان عند مخلوق دليل مهين . لا يبعد له خطره ولا مكيدة إلا بإذن الله عز  
وجل فيها ، فالعارف بالله عز وجل يرجع إلى الله عز وجل بالتوكل والاستعانة به أن يراه يحذر  
مخلوقاً دونه ، فاحذر لعير الله عز وجل . نقص من اليقين والتوكل . فأولى به الثقة بالله عز وجل  
واليقين ، لأنه لا صار ولا نافع غيره ، فلا يحذر عدواً ولا غيره

وفات فرقة من أهل العم كلاً يعرفين عالماً ، فالت الأولى فإن من الاشتغال بالله عز  
وجل راحب له حذر ما حذر منه واتبع أمره فيمن أمر بالخبر منه ، لأنه عز وجل ، بقول  
(عَالِمُ الْغُيُوبِ عَدُوٌّ) (١)

وقال عز وجل ، لناس كلهم لا يحاشي صعباً ولا قوياً  
(يَا أَيُّهَا آدَمُ لَا يَفْتَشِكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا خَرَجَ أُتُوهُمْ مِنْ الْجَنَّةِ)  
وقال عز وجل (إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) (٢)  
فحص على التحرر منه ومن قبله والحذر لهم ، ثم قال عز وجل  
(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَشَّى أَلْفَى لَشَيْطَانٍ فِي أُمِّيَّتِهِ) (٣)  
وقال النبي ﷺ «إنه ليغان على قلبي» قد وعد أسلم شيطانه فلا يأمره إلا بحذر  
ثم قال له رب عز وجل (وَاحْذَرَهُمْ أُنْ هَتَّوْكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) (٤)

فلا أحد أشد اشتغالا بربه عز وجل ، ولا حياء من محمد ﷺ . فأمره مع اشتغاله به وحبه  
له ، أن يحذر الخلق أن يعتصوه عن ديه ، وقال عز وجل لآدم وجوء وهم في الجنة في دار العم  
والملك اتمام . لا يجد احدوها حده من خوف الله ولا ياربه شديده . ولا مع شهوة ولا طنه ما  
يتكلف

وقد سمع الله عز وجل يقول  
(إِنَّ نَافِثُكَ الْأَ تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى. وَأَنْتَ لَا تَعْلَمُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى)

## وقال عر وحل

(يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوَّجَكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنْ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى<sup>(١)</sup>)

فكان الله عز وجل يحب الأمر منه لأحد ويرى الخسر عنه لأحبه لها ورأه عيبا في جنته ، وليس لها عيب ولا شيء بها عه إلا شجرة واحدة فكيف بنا في من لا يخص في القلب والخورج ، وما لا يخص من ملاد الدنيا وشهوها ؟ في راب بها حتى أخرجها من جوار ربها !<sup>٢</sup> من بامن عدو الله بعدهما إذ لزمها في الدار التي لم يمتحن فيها ، لا بواحدة فكيف في دار المحن والسوى والمص واللاء ؟

وقال موسى عليه السلام (هَذَا مِنْ عَمَلِ شَيْطَانٍ) فحذرنا الله عز وجل في غير موضع في كتابه من الاشتداد به ومن حبه اتساع أمره وأن يحذر ما حذر منه فالأمر منه عرور ، وترك لأمر الله عز وجل المستوحش من أمره وصيغ ما أمره الله عز وجل به من حظه أن يسلطه عليه ، ثم لا يعصمه منه شهوة لتصميمه أمره ، وكيف يؤمن من لم ينج منه الأقوياء ؟ فأعد الصغفاء له عنة وحدة مع نصيغ لأمر من سوى حل وعز بتحديد منه واتحاده عدو ، وهو بقول (عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ) نبي الصلاة<sup>٣</sup> وأمر حذره ومحذره كما أمر بحذر الكافرين ومجاهدتهم فقال عر وحل (خُذُوا حِذْرَكُمْ)

وأمر به صلى الله عليه وسلم بصلاته الخوف تقوم بها طائفة منهم بعد طائفة لا بعد ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم شعلا عن ربه عز وجل . ولكن تناعا لأمره فعزل ذلك طاعه لربه لا اشتغالا بعصو الله والكفار عدو تراهم الأعيان وتسمع أصواتهم والآداب فإن عقل بعد فأصانته منهم برعة من صبرية أو طعة أو رمية لم يفت من أحران عاش ، أو شهداء إن مات ، والشيعب عدو يراك ولا تراه كما أحررك عنه رتك عز وجل (إِنَّ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْهُمْ) فهو أجبر أن يظهر بك فلا تظهر به

قال ابن حجر في ذلك ، صياد يراك ولا تراه يوشك أن يظهر بك ، يعنى : إيلس يراك ولا تراه

وإن عملت عنه فأصابت نزعته فعميت فيك لم تعز من ثم أو حط عمل أو نقص من فصل ، وإن مت عليها في قتال في سبيل الله عز وجل أو غير ذلك ، وقد قبلت منه حظرة من

أمره أو غيره مما هيئت عنه ، كانت النار ، أو يعفو الله عنه ، بأي العدوين أولى أن تحرر منه ؟  
وأي الثرغتين أولى أن تحدر ؟ عدو تره إن فعلت عنه فأصابتك برغته م تغل من أحر أو شهادة ،  
أو عدو يرت فلا تره ، وإن أصابتك برغته م تغل من إثم أو حيران عمل ، أو موت أو دخول  
إلى النار أو يعفو الله عر وجل العن الكريم

فقد تبين غلط المرقعة التي قال . إن من الأشغال بالله عر وجل لأعراض عر حدر الله منه  
طاعة لله عر وجل وإساعاً لأمره . فذلك تبين عند من عصى أمر الله عر وجل  
وما لمرقة الثالثة التي قال إنه من البقيين وسوكن على الله عر وجل ألا حدر عدو الله ،  
فهد غلط منها أيضاً لأن أولياء الله عر وجل لم يحسروا العدو باعتقاد منهم أنه يصير وينفع دون الله  
عر وجل ، ولكن طاعة لله عر وجل مع اعتقاد أنه لا تصير خطوته إن عصم لله عر وجل ولا سمع  
حدره إن حدى الله عر وجل فلا تأل جهداً في حدر إن حدرك الله عر وجل ، فترك الحدر من  
الحذر لأن وجود الحدر هو عصمة من الله عر وجل ، لأن الحذر منها دام حذر العدو عن لقبول  
منه فكيف يكون من تحدره قد نقص توكله وحدره عصمة من الله عر وجل على العدو منها أعظم  
لعم ؟ فكيف يكون من حذر ما خوف الله عر وجل تاركاً لأمر الله وكف والحذر هو أدى  
حمله في الحدة من كل ما كره الله عر وجل ، بما يركس العدو إلى ما كره الله عر وجل إذ ترك الحذر  
مما حذر الله فالحذر لما حذر الله منه العدو . ن يحذر العدو أن يرتك حذر مما حذر منه فيكون  
مصيباً لأمره . وصلة الحذر الأمن والعفة ، والأمن والعفة ترك القيام بامر الله ولكن أبعوا  
امر الله عر وجل بذلك فكان حذرهم ساعاً لأمره من توفيق الله لهم لا حدر ، لا ييسر أنه يصير  
ويسمع ولكن يطيعون ربه كما أمرهم وذلك كما أمر لبي صلى الله عليه وسلم بصلاة الخوف وأمره أي  
باحد حدره من عدوه هو والمؤمنون فقال عر من قائل

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْجُنُبِ<sup>(١)</sup>)

وظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين وحمل المؤمنون الترس ولسوا ما يحصهم وأقام النبي صلى الله عليه وسلم  
من يحرسهم في صلاته وحذر الخندق فتحص به شهر لا ينقصه ذلك ولا المؤمنين من يسيهم  
ولا يوكلهم لعلهم أنه لا يكون إلا ما قدر ولا يشغلهم عنه ذلك ولكن تبعاً لأمره واشتغالا  
بما أحب وأراد ، فكذلك من حذر لعدو أدى لا يراه وهو يكيده بأعظم ما يكيده الكفر

مصدره طاعة من المؤمنين لله عز وجل واتباع لأمره ، وتوكل في ذلك على ربه يؤدّي ما أمر به مع  
 جميع الشيطان من ملك شيء دون ربه عز وجل ويتقرب به ويحس الظن به إذا اتبع أمره بالخبر  
 مما حذر مع اليقين بأنه لا يصبر ولا يتبع غيره وأنه يحس معونته ويقويه على عدوه ويعصمه من  
 فتنه . فليس من اتبع أمر الله عز وجل مع اليقين يناقص التوكل وليقين ولكن ناقص اليقين من  
 ضييع أمره لإرادة كمال اليقين وهذا قول المرقه استمع لكتاب الله عز وجل والسنة

## باب وصف الخدر من العدو إبليس

قلت كيف الخدر منه ؟ أهو انتظار وتوقع متى يعرض ؟ أم محذر بمعبر انتظار له ؟ قال وقد احتلمت هذه الفرقة الى دانت محذره اتاعاً لأمر الله ، عز وجل ، فاحتلمت هذه الفرقة إلى ثلاث فرق ، كلها عالطة إلا فرقة

فقال فرقة منهم إذا أمرنا الله عز وجل ، بمجاهدة من لا يراه ونحوها منه ، وأعلمنا أن في حفره بنا الهلكة ، ولا نكون في قلوبنا شيء أعجب عليها ولا ألزم لها من حذره ، فنتظر متى يعرض بعنته ، لأن الاشتغال عنه يورث السيان ، والسيان يورث قبول خطراته بمعبر معرفة وذلك يؤدى الى الهلكة ، فرأت أن تكون قلوبها مستظرة للشيطان ، متوقعة متى تحطر بحطرة فيظنوا فيها كراهة أن يحطر على عملة فيقبوها فهلكوا وهم لا يشعرون .

وقالت فرقة ذلك علط ، لاشتغالها بانتظار الشيطان ولم تؤمر بذلك ، وذلك إرادة الشيطان مما أن يحل قلوبنا من ذكر الله عز وجل ، وذكر الآخرة ونسمرها بذكره ورتفات خطراته ، ولكن يلزم قلوبنا ذكر الآخرة وذكر ما يعرض ، فلا يكون قد نعطل من ذكر الآخرة ، ولا نكون ناسين لما أمرنا بحذره كراهة أن يأتى على عملة فيفسد ما نحن فيه من الذكر ، فكان ذكر الله عز وجل ، وذكر وساوس الشيطان في قلوبهم متعارضين . كما ذكرنا شيئاً من ذكر الآخرة ذكرنا العدو شعفاً أن يحطر بعنته فيربل قلوبهم عن ذكر الله عز وجل ، أو يركبوا إلى ما يحط عمليهم في يوم عرضهم على رسم ، جلّ وعزّ

وقالت فرقة وهم أهل العلم وأول بالحق ، كلتا الفرقتين عالطة أما الأولى ففرغت قلوبهم من ذكر الآخرة ، وجعلت عبادها يرم قلوبها ذكر الشيطان ، فقد أدخلت ذكر الشيطان من القلب ، علطاً أكثر مما أدخلت ذكر الله ، عز وجل ، في قلوبهم ، وبما أمرت بالخدر من أن تغفل عن الذكر والعمل ، فإذا ودعت الذكر فقد أصاب العدو ما أراد ، وإن جاءت خطرة إلى قلب فارع من الذكر يوشك أن يقبلها ، إذ ليس فيه نور من ذكر الآخرة ، ولا قوة اشتغال بالله ، عز وجل ، فانهم أصعب في الرد وأمرق قلوباً من الآخرة من غيركم ، ولم يؤمروا بانتظاره ولا بإدمان ذكره

وأما الفرقة الثالثة فقد شاركت الأولى في بعض معانيها ، فجعلت ذكر الله ، عز وجل ، وذكر  
الشیطان في القلب مستويين ، فكأنما أمرت بذلك ذكر الله ، عز وجل ، وذكر الشیطان ،  
والاشتغال بالله عز وجل ، وبالشیطان ، ولم يسم عن أحد من الأقوياء ولا الصالحين أنه فعل ذلك  
ولا دان به ، لأن الله عز وجل ، أمر عباده بطاعته ، وندبهم إلى الاشتغال به عن خلقه ، وليس  
وعيره ، وأمرهم بالخدر منه حين يعرض بفتنته ، فاشتغل أولياء الله عز وجل ، وأهل الخالصه من  
عباده بذكر ربهم وذكر ما يندب إليه وأحبّه ، وألزموا قلوبهم خدر ما حذرهم منه ، على غير انتظار  
له ، ولا اشتغال بذكره ، والخدر يلزم القلب من العناية بالحاجة من العدو والخوف من فتنة ، ثم  
لا يجمع الاشتغال بالله ، عز وجل ، مع ترك ذكر العدو والاشتغال به ، أن يهيج الذكر ويتلفظ  
حين يعرض العدو بخطرته وإن ذلك لموجود فيما هو أشد من الاشتغال بالله عز وجل ، ذهبت  
لعقل بالنوم ، حتى لا يعقل شيئاً من الدنيا ، فإن نام والخدر في قلبه من ذهبت النوم تيفظ في غير  
وقته الذي كان يستيقظ له من الخدر اللازم لقلبه ، فكذلك المشتغل بذكر ربه لم يدب  
عقله أولى أن يوقفه ويذكره ، الخدر من عدوه ، وإن اشتغل بذكر ربه وترك ذكر عدوه والاشتغال  
به ، لأن المستيقظ من النوم من غير ذكر دائم في قلبه ، وكيف يذكر وهو دائم لا يعقل ولكنه  
أيضه الخدر فكذلك العامل لله ، عز وجل ، المشتغل بذكره الإلهي عن ذكر الشیطان  
والاشتغال بربه ، عز وجل ، إذا عرض عارض منه ذكره الخدر في قلبه ، وقواه الذكر على أن  
بعض المعارض ، وتحرك المعارض وهزع ، إذا كان فيه عطشه ، والنائم ليس في قلبه ذكر ولا عارض  
له يوقفه ، فإن عرضت خطرة ذكرها وكان أقوى على ردها ، لأنها تعرض بقلب مشغول بالله عز  
وجل ، يد على عيه نور لاشتغال فأمات منه القوى ، وقوى من العقل ، وحر الجهل ، وحايه  
ببور العلم ، فيرده يأهون الرد

ومثل لدى يفرغ قلبه أو يعممه لانتظار خطره من الشیطان ، مثل من يريد أن يتزف الماء القدر  
من بئر ، والماء من المجرى إليها وأصل ، فهو يتزف الماء إليها بجرى ، فيقطع أيامه بالسرف ولم يصب  
البئر من الماء ومثل الذي يرم الاشتغال بالله عز وجل قلبه مثل من جعل لجرده سكرًا وسدًا  
فإذا جاء الماء رده بذلك السكر والسد من غير كلفه ولا عناء ، فظهر اليه من السائل من لأقدار ،  
وقل نبيه وكنته في السرف وكسبت من شغل بالله عز وجل رد المخاطر باشتغال قلبه بربه ،  
عز وجل ، وبوره وهوة عزمه ، يأهون الرد

فهذه الفرقة الفرقة لمرآة والسنة والصالحين أتبع ، وعلى رد الخطرات أقوى وأبعد من الخداع

والنقص ، فألزموا الحذرَ قلوبهم بغير اشتداد بالعدو ، ولا حافوا بالمقدرة عنده دون رسيم ، عرَّ وحلَّ ، وبكى طاعة لله وتوكلاً عليه واتباعاً لأمره ، ولم يعدوا الاشتغال برسيم ، حلَّ وعرَّ ، والإعراض عن الاشتداد بالشیطان وذكره فهم في الاشتغال برسيم ، دائبون ، والحذر إذا عرَّص الحاطر متيقظون ، وبقوة الاشتغال بالله بسهل عليهم ردُّ الحاطر إذا عرَّص نفسه ، فسلموا وعمموا ، واتبعوا واستقاموا



## باب الغلط في الخدر من العدو إبليس

تنت باد، حطرت خطرة - تحدير، لرياء ، هل يكون في التحدير غلط ؟  
 قال : إن أنفع التحدير ، ما لم يورث أمناً  
 نت فكيف يورث التحدير أمناً ؟

نك يدعوك إلى الخدر من الرياء بترك العمل ، وما لم تقعه في ترك العمل دعائك إلى الرياء  
 ليحط عملك ، فلما لم تقعه ولم تحبه إلى ذلك حذرنا الرياء بترك العمل ، فقد إنك مراوغة  
 العمل ، فترك إلى ما أردك عليه من ترك العمل أولاً ، قلنا لم تحبه إلى تحديره ورثك أمه عامته ،  
 إذ لم تقطن أنه إنما أراد أن يحرمك ثواب العمل إذ عرص لك تحديره الصبر ، وأنت تريد بذلك  
 الإخلاص ، فلم تخلص لله ، عز وجل ، شيئاً حين تركت العمل ، لأن الإخلاص ، أن تعمل  
 وتحذر الرياء وتنهي عن عملك ، فيخلص لك عند ربك ، عز وجل ، وليس الإخلاص أن تترك  
 العمل ، فلا يخلص لله عز وجل حمتك

فعل المراد الإخلاص في عمله ، فإن ترك العمل إرادة الإخلاص فلم يخلص لله عز وجل ،  
 عمله ولكن تركه

أرأيت لو أن عبداً دفع إليه مولاة حظه ، فقال طيبها واحطلها خالص من الزوان والشعر ،  
 أو قصة فقال له ألقها في إخلاص ، حتى تكون قصة خالصة من الخس والعشر ، فألق الحطة  
 والنقص ، فقال أحاف ألا تخلص ، هل كان أخلص لمولاه شيئاً ؟ بعد جدع مر قبل الإخلاص  
 بترك استعمال الإخلاص حيث أمر أو ندب إليه ، لأن التحريض غير الإخلاص ، التحريض  
 التحريض بين الحق والردى ، والحق والباطل ، والإخلاص - أن يكون الحق والجند خالصاً صافياً  
 من كل ما يشبهه ، فكذلك التحريض في العمل لله ، عز وجل ، هو في الخطرات ، وتراء الفصول  
 للرياء ، واعتقاد لإخلاص ، فيكون عملاً خالصاً بعد ما يمر من لرياء ، وعمله منه ، وبني الرياء  
 أن يحالعه ، وكذلك لفظة إنما تكون خالصة إذا خلصت ، فير الخبيث منها ، وكذلك الخطئة  
 إذا مر الزوان منها

وقد يمكن أن يعترض من الشيطان أيضاً ، لو راء العمل خوف الرياء في التراء فلا يحبه منه

نبي ، وإن دخل تحت الأرض . مع ما حرم بترك بعض ، وذلك أنه لو تكلم بحبر عرص له أن اسكت بثلاث تكون مراثياً فسكت ، لقاب الآء يقوون إماما سكت لطلب الإخلاص فقر ، لو قر عرص له ، أبص ، بأن يقولوا ، بما قر كراهة الرياء والشهوة ، فلو دخل سراً في لأص ألزم قلبه حلاوة التبرر والخلوة فيه ، لعلمه بما يلزم قلوبهم من التعظم لمن أراد الإخلاص وفراً طناً له ، فلا ينجيه من ذلك إلا المعرفة ، والكراهة ، والإباء لله .

وبين الدعوى لباطل والدعوى عن حقيقة فرق ، إذا دعاك داع من قلبك ، أنت مرء منظر ، فإذا أنت من قبل عقد وعلمك كاره أنت رذ ، وإن كان العدو مع ذلك يحظر ، وضع النفس ينارح ، عرفت أنها دعوى باطل من عدوك يصدك عما أنت فيه ، أو عي عرص لك من التبر والطاعة ، قبل الدخول فيه فإن حطر حاطر آخر بذلك فرجعت إلى نفسك ، فوجدت قلباً محملاً على ذلك ، متمنياً حمد مخلوقين ، ولا راد من عقلك هو نفسك ، علمت أن ذلك تنبيه من الله عز وجل لك لما اعتقدت من الرياء ، فدمت واستعمرت ، فإن قوت عن الإخلاص لله عز وجل ، عقوبة النفس بلوم ذلك العمل لله عز وجل ، نية قوية عن حبر علوطة - تبين لك ذلك بإجماع القلب أن لو لم يعمو بذلك لعلته حياء من الله عز وجل إذا سحت نفسك للمحوقين بالطاعة حمدهم ، وأعصت عن إرادة الله ، عز وجل ، فإن وجدت من نفسك هذه القوة بعد التدم والاستعمار والية منك ألا تعود إلى مثل ذلك ، فمض في العمل ، فإن لم تجد ذلك من قلبك فدع العمل إن كان الحمد أولاً للمخلوقين ، فدع انعمل مع الحياء من الله عز وجل ، أن تسحر نفسك بالعمل حمد مخلوقين ، ولا تسحر لعمل الحمد الخائف ، عز وجل ، وإن كان العقد الأول لله ، عز وجل ، ثم ركت بعد ذلك ، فاعلم ذلك واسم عليه ، وارجع إلى عقلك الأول ، فاعمل عليه مع الحياء من الله عز وجل ، ودرآك مستبدلاً بحمد طيب حمد غيره ، حتى كان الخلق يطعمون على صبرك معه ، بل لو اطمعوا لخشيت مقتهم لما أردت من حمدهم فاستح من الله عز وجل ، المطلع عليك وعلى عراض قلبك عنه إلى من لا يملك سمعة ولا دمع مصرة ، ولو اطمعوا على صبرك نكاهوا أهيبت عندك منه ، حل وصلاً ، فليصم حياؤك منه ، وإن قدرت أن تزيد في العمل حياء من ربك عز وجل ، وعقوبة نفسك ، فاعمل ، وإن عرص لك عارض ، وأنت في العمل ، وقد ردت الله ، عز وجل ، به لا يدعى عليك أنك مرء ، ولكن يحذر لك الرياء ، ويقوون بركه ، لأن تسلم ، فذلك من العدو ومن هو النفس ، فإن حطر حاطر يحذر لك الرياء ، ويأمرك بأن هم نعم بالحذر ، ليكون سليماً خالصاً ، وذلك واعظ من ربك عز وجل

## باب منازل الرياء وأوقاته

قلت فأحبرني بأوقات خطرات الرياء ، وتهاوت منازلها بأوقات الرياء وتهاوت منازلها  
قال . خطرة تخطر ولما بهم بعض يعتقد فيه الرياء ، ولكن تمنى أن يقدر على الأعمال لبعض  
بها ويحمد عليها ، كالمعروف والعلم والتفقه ، دبر وعظم ، أو يستقصي أو يوصل ، أو يعطى  
وخطرة تخطر له قبل الدخول في العمل يعتقد به الرياء ، لا يعتقد غيره ، يريد حمد  
المخوفين ، لا يذكر عند ذلك ثواباً ولا إخلاصاً

وخطرة قبل الدخول في العمل ، يعتقد به الرياء ولا يريد بذلك الأجر مع ذكر لإخلاص  
ومعرفة الرياء ، متعافى لا يسوى على الإخلاص ، ولا يفرغ من الرياء بعد معرفة منه له ، وذكر  
الإخلاص من غير توجع ولا إكراه له

وخطرة مترص ، فتقبلها قبل الدخول في العمل ، فتعتقد الرياء وأنت دأكر لرياء متوجع منه  
كركوبك إلى الدب لا تكرهه كراهة إباء وترك تقبوله ، ولكن كراهة من أجل حب العصمة من  
ذلك كالرحل المصر على الدب ، يكرهه ويستم لما يرى من نفسه ، لمعرفته بأن فيه هلكة ، وهو  
مقيم عليه ؛ فكذلك هذا يريد الرياء ويعتقده ، وهو يحب أن يعصم منه ، قد عبه هو ، وعرب  
عنه حقه وحذره ، وثقل عليه محادثة نفسه فهذا أقرب إلى الإقلاع من وصفت لك قبله من  
يعرف ولا يتوجع بذلك ولا يغتم له

وخطرة تدعو إلى الرياء قبل العمل ، مع خطرة تبه من الله عز وجل ، وطيب التوب ،  
يعتقد إرادة الله عز وجل ، وإرادة الخلق معاً ، يحب أن يُحمد ويؤجر ، يريد الله عز وجل به  
ويريد الخلق على السب وروال المعرفة للرياء

وكذلك خطرة ثابته يذكر أسما داعية إلى الرياء ، ويعلمها فيعتقد بها بغير توجع ويعتقد إرادته  
الأجر

وخطرة أيضاً يذكر الرياء ويعتقدها ، ويعتقد إرادة الله عز وجل ، مع توجع وحب النقل  
والعصمة

وحظرة ثالثة بعد انعقد لله عز وجل قبل الدحور في العمل ، يعتقد لربيه بعد ذلك الإخلاص ، ثم يحل العمل على غير ذلك

وحظرة رابعة بعد الدحور في العمل بإرادة الله عز وجل وحده فيقبل حظرة الرباء ، ويعتقد بعد دحوله في العمل بالإخلاص ، غير أني بالتردد في العمل ، كإحداث شدة الخسوع الذي لم يوه ، ولم يكن يعمل قبل حظرة ، أو كرفع الصوت في الصلاة ، أو تحزينه ، أو تحسينه ، أو بطول القراءة زيادة على الآيات التي كان يقرأ ، أو بطول الركوع والسجود ولا اعتدال فيها ، وكذلك القيام بعد الركوع وبين السجدين من الغكث في القيام ، ورفع اليدين وأحد إحداهما بالأخرى

وحظرة تعترض بعد الدحور في العمل بالإخلاص فيعتقد حب حمدهم على ذلك العمل ، ولا يحبه إلى الرباداة بالتحسين له ولا غيره

وحظرة تعترض بعد الفراغ من العمل ، يحدث به إرادة حمدهم ، فيحدث ما يندى كان منه ليحمد على ذلك

وقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول قرأت الباقية البقرة . فقال : ذلك حظك منها

وروى عن النبي ﷺ عن الرجل الذي قال صمت الدهر ، فقال ما صمت ولا أفطرت فقال بعضهم من أجل أنه حدث به وقال بعضهم من أجل كراهه صوم الدهر

وحظرة تدعو من أي أن يحدث به إلى حب حمده فيما ظهر من بحون الجسم ، أو صغار اللون أو انقطاع الصوت ، أو يس الشفة ، أو حروف الريق وخروجه نائلاً ، أو آثار الدموع ، أو أعيان العينين أو عبة العاس بين الخلق ، فيحب ذلك ويسر به رجاء أن يستدلوا به على عمنه فيحمدوه بالتوهم والطن ما ظهر منه ، وقد يعرض بالحديث دون التصريح بمطلوبه به لأن منه تخرج أن يظن أنه مرئي إذا حدث به ، ويجب أن يعلموا ما كان منه فيحمدوه ، فيحب أن يحمدوه ولا يسموه فيعرض به بترك التصريح بكراهة أن يظن به الرياء ، ويريد أن يعطوا بالتعريض للسمي ، فيحمدوه على ما كان ستر عنهم من طاعته لربه عز وجل وقد ترك التصريح بالكلام ، وتعد منه على التعريض إرادة الحمد ، تلك حظرة نحرم بذلك عقبتها ويحل عليها

وقد بآني الحديث والتعريض واضحة والسرور بما ظهر من دلائل طاعته من اللون والنحول وغيره ، يدعوهم عند نفائهم إلى محبة التعظيم له لما ظهر لهم من بره ، وإن كان قد مضى خاصاً لربه عروجل ، فيحب أن يبدوه بالسلام والشاشة ، فعظم إخوانه عنده قدراً من عظمه على طاعة ربه عروجل ، وأهولهم عليه من ترك تعظيمه له عن ما يعرف منه ويحد ويغضب على من لم يعظمه ويبره ، ويقرب من عظمه ويحمله على ما يعلم منه ، فينه ثابتة لإرادة قيام المنزلة عندهم وتحطر الخطرة عند سؤال الحاجة ، وعند الرد عليه بالتعظيم إذا سلم ، والرخيص في المباينة عند الشرى ، وانصفح له عن الخسر ، فيركن إلى ذلك ، ويحب أن يفعل ذلك به ويستفقد ذلك منهم ، ويستنقل من لم يفعل به ذلك ، ويستحلف من فعل ذلك به ، ويتعمده في المباينة وسؤال الحاجة ، لما يعرف من إكرامه له يفرح بذلك ، ويرى أنهم حقيقون إن لم يقصروا له حوائجهم ، إذ يعرفون منه من عمده أو بره أو صلاحه ، فما آمن أن يحبط ذلك أجره

وقد بروى عن علي رضي الله عنه ، أنه قال : إن الله تبارك وتعالى ، يقول للقرء يوم القيامة : أم يكن يرحص عليكم انصر ؟ ألم تكونوا تدينون بالسلام ؟ ثم يكن تقصى لكم الحوائج ؟ وفي حديث آخر : لا أجر لكم ، قد استوفيت أجوركم

وروى ابن المبارك عن وهب أن رجلاً من السياح قال لأصحابه : إنا بما عارقنا الأموال والأولاد مخافة الطغيان ، فنحاف أن يكون قد دخل علينا الطغيان في أمرنا أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم ، إن أحداً إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه ، وإن سأل حاجة أحب أن تقصى لمكان دينه ، وإن اشترى شيئاً أحب أن يرحص له لمكان دينه ، فنحاف أن يكون قد دخل عيب الطغيان في أمرنا هذا أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم ، فبلغ ذلك ملكهم فركب إليه في الناس فإدا اسهل وخيل قد امتلاً بأداس فقال السائح ما هذا ؟ قيل هذا الملك قد أظلك فقال بعلام به اتنى بطعام ، فأتاه بلبن وجمص وقال في الحديث الآخر وربت ، وقنوب الشجر ، فجعل يحشر شذقيه ويأكل أكلاً عيباً فقال الملك أين صاحبكم ؟ قالوا هذا ، قال ، كيف أنت يا فلان ؟ فقال في أحد الحديثين كالتيس ، وقال في الآخر : نحير ، فقال أنتك ما عبد هذا من حير ، فانصرف عنه فقال السائح ، الحمد لله الذي صرفك عني وأنت لم دام فلم يزل العاملون لله جل وعزاً يدعون العبد عن أصحابهم الصالحة ، كي يجادع العاملون حيره عن ميثابهم لإرادة أن يكون أصحابهم الصالحة سرّاً بينهم وبين ربهم ، جل وعز ، يجرهم به علامة على رعوس أهل القيمة

## باب وصف أعظم الرياء وأدناه

قلت - فأجيب بالمراتب ، ومنازلهم ، في أعظم رياتهم ، وشدة ، وأقدارهم فيه ، ومن أعظم الناس رياء صد الله عز وجل ؟

قال أعظم المرائين عند الله عز وجل ، رياء - من راعى بالإيمان ، واعتقد التكذيب وانشك ، أو الريب ، وكذلك المافق الذي ذكره الله عز وجل في غير موضع من كتابه فقام عز من قائل

(وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا قَوِّدَا فَعَلَوْا عَصَوْا عَنْكُمْ الْآمَنِينَ مِنَ الْقِبْلَةِ<sup>(١)</sup>)

وقال عز وجل (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْهِدُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى يَدَيْهِ قَلْبَهُ وَهُوَ أَلَدُّ الْحِصَامِ قَوِّدَا فَعَلُوا بَلْ لَئِيْلٌ سَوِيٌّ فِي الْأَرْضِ يُعْهِدُ فِيهَا<sup>(٢)</sup>) الآية وقاب تعاني (قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>) .

ثم كلهم . أنه ما ذلك بحق في قلوبهم ، والله ، عز وجل ، يعلم أن ما قالوا حق أن رسوله ، وهم كاذبون ما يعتقدون ذلك في قلوبهم

وقال تعالى (وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ وَلَا وَهُمْ كُسَالَى<sup>(٤)</sup>)

وقال : (قَوِّدَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ<sup>(٥)</sup>) الآية

قبل في التفسير إنه لعير الله ، عز وجل

وقال : تعالى : (كُوِّلَ لِلْمُصْبِينَ - إِلَى قَوْلِهِ<sup>(٦)</sup> يَرْأَوْنَ)

على غير اعتقاد ، ولكن ليظنوا أنه مؤمن بالمراتب ، قائم .

(١) ٣ ١١٩

(٢) ٢ ٢١٤ ، ٢٠٥ وتكلم الآية : وبيت الحث والنسل والله لا يحب الفساد

(٣) ١ ١٣

(٤) ٩ ٥٤

(٥) ٤ ١٤٢

(٦) ١٠٧ ٤ ، وتكلم : لم يذكر المراءى (الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم)

قلت من الذي يبيعهم ؟

قال الذي يبيعهم ، وهو أهول من الأول ، وإن كان عبد الله عز وجل عظمًا والرحل يرأى بالفرص ، وإن كان معتقًا أن الله عز وجل ، ربه ، وأن ذلك عليه مقرر ، كالركاة يكون ماله بيد غيره فيقول : كراهة أن يلمه الناس على تركه الركاه والله يعلم أنه لو حلال له ذلك ما أدنى ذكاته ، أو يجرح ذكاة ماله إن يعطى به أنه لا يركى ماله مخافه أن يأخذوا ذلك عنه والله ، عز وجل ، يعلم منه أنه لو آمن دم لعداء ، أو سقوط عدائته ، ركنى ، وانى على ماله وكذلك لحج والنصيم ، يحصره في شهر مصاب من يعطى له ، أو أقطر ، وهو لو أمكنه لأقطر لأقطر ، فيمسك من الطعام ، والقلب يتقلب على حلوه ياكل فيها ، ريانى فيها أهله أو ما لا يحل .

ثم قدى إليه لا يركى ، ولا يصوم ، ولا يحج ، ويكذب بالقول ، وإن قد ركب وحججت ، وصمت ، ثلاثاً بئس بترك الفرائض ، هاتى لصلاة يومه لا يكرهها لا الله ، عز وجل ، ولا يصبها إلا له ، وقد يكسل عنها ، فلا يحمله على صلته إلا الخوف من الله ، ومع ذلك لا يسجد إلا لله عز وجل ، وقد يكون من الخيث استهتك بتركها ، والله يعلم أن لولاهم ما صلاتها ولتركها ، فيصبها من أحلهم ، كراهة أن يدموه بتركها ، حتى إنه يصلى على غير وصوه ، ثلاثاً بئسوه ، ولوقيل به : اسجد للإله دون الله ، عز وجل ، وبك الدنيا ما فعل فيصلى خشية الدم لغير تدبير لعادة أحد دون الله ، عز وجل ، من جهة الربوبية والإلهية ، وقد يرأى بسائر أهله الفرص التي لو خفيت به ما أداها ، فذلك الرباء بالفرص ، وكذلك يصل رحمه ، ويبرئ والديه ، ونولا من يعلم به ، أو شكايه دوى رحمه ما فعل دست ، ومثل إتيان خمسة نولا من حضره وبرمه الذهاب معه ، أو آه عتلف ما ذهب إليها حاجة يؤثرها ، أو كسل عنها عن غير حقد ولا شك ، فذلك الرباء بالفرص ، لا على عقد المناقصين على الكذب والشك في القلب ، ولكن مع اليقين بأنه محرم ، وإن لله عز وجل لا شك فيه ، وأنها عليه مقررصة ، ولكن الكسل والتهاون ، فيظهر أداء الفرائض كراهه الدم وحب الحمد قلت . من الذى يبيع ؟

قال امرأتى بالنس الواجة : كإتيان جماعات ، ونولا من يحصره أو من يعصده لتركها ، أو ترك بعض نصوات في بعض الأوقات ، وإن كان قد باتها في غير ذلك الوقت لله عز وجل فيأتها ، ونولا من يحصره أو يعصده لتركها ، يثارتا لحاحته ، أو كسل عنها ، وكذلك إقراء

الصف ، يرون به ، وعادته ان يرضى الصائغ الذي يدرمه تعاهده وإن كان عربياً ، لقول النبي ﷺ « للمسلم على المسلم من » وكذلك اتباع الجنادة ، وعمل الميت إذا لم يغفر على من يغسله كراهية الدم له ، ولولا ذلك ما غسله ولا شهد جنازته

ومرقة من يظهر الك برأى بإظهار الورع ، فطيل الصمت ، وعكك عن العيبة ، ويحى عنها ، ويمسك عن الحياة ، ويؤدى لأمانة ، ويستعقر إذا ظهرت من أحدهم الزلة ، ويظهر الدم والخرن ، ويستحل من ظلم ، والله عز وجل يعلم منه أنه لو حلا بذلك لما فعله ، وقد يحلو بذلك أو ببعضه فبدع الورع فيه ، وإعما بفعل ذلك ، بقبول الشهادة منه ، أو لطلب دينا ، أو طلب حس الثناء ، أو خوفاً من مدمة

قلت : من الذي يليه ؟

قال برأى بكمال الصرائص التي إذا تركها كان حرجاً أو منقوصاً في فرضه ، كإحدى يديه تخفيف الركوع والسجود ، وحة الصلاة التي تمع عليه لإعادة أو التقصير بها ، كحة الركوع والسجود ، وحة الانصباب بين السجدين ، وبعد رصه رأسه من الركوع ، فإن خلا له الموضع خفف صلاته ، وإن رآه الناس أتمها كراهية مدتهم

وقد روى عن عبد الله وقد أسند عن النبي ﷺ أنه قال « من صلى صلاة حيث يراه الناس فأنسها وكنمها ، فإدا خلا خففها فذلك استباه يسير بها ربه عز وجل » وفان في حديث ستمر « يسير بها نفسه » وعن حذيفة أيضاً مثل ذلك

وكذلك يؤدى الركاة الدرهم الرديئة ، والقر الرديء ، وأحب الرديء فيسح ذلك بحافة ملامة الناس ، كما قال الله عز وجل

( وَلَا تَتَّبِعُوا الْاٰخِثَ مِنْهُ تُنْفِقُوْا )

هروى عن عبيدة قال الدرهم الزائف وأنشاه ، وقال محاهد وعطاء كانوا يعنفون الأعداء من القر الرديء في مسح النبي ﷺ لصدقه فيها هم عن ذلك فقال ونسم بأحداه إلا أن تعصو فيه ، قال يقول لو كان لك على غيرك دين ما أحله منه إلا أن تعصو به فتأخذه على رداءه ، قال محاهد يقول لا تأخضوه في سوقكم ، في بيعكم ولا في غربكم ، لا تزياده على الطيب وكان عمران بن حصين لو وحدثوه في السوق ما أخذوه حتى ينقص من ثمنه



وكذلك يصوم فيصمت عن العيبة عند من يحفظها عليه ويعتد ذلك منه تهاونا بصومه .  
وكذلك النظر ، والكذب وغيره

قلت : من الذى يليه ؟

قال المراتى إكمال الفريضة بما لو بركه م يكن حرجا ولا منقوصا كالمبادرة إلى التكبير  
الأول ، ورفع اليدين وأحد الشمال باليمين ، وشدة تكبيس الرأس والسكون والخشوع ،  
والاعتدال ، والتطويل في الركوع والسجود ، والقراءة بعد أداء ما يجرى عنه من ذلك ، يحم الله  
حرّ وجلّ أنه لو خلا ما طابت نفسه أن يقصر عما لا يجره غيره ، ولا راد على ذلك ، فإذا رآه  
الخلق حشّ وعمل وتبع الاتباع فيها ، من الرفع وغيره ، وكثرة الخلوة في شهر رمضان ، وطول  
صتير يريد بذلك أن يحمد بشدة التحرر للفرص ، وكذلك في ركائنه ، وكما رته ، وسره ، وبرّه  
والديه ، وصلة الرحم ، يتحجر الحيد الذي لس عيبه من السرهم ، والطعام ، وعشق الرقة  
المالية ، وإعطاء الصدام الحيد ، إرداء الحمد بأنه يؤثر الله حرّ وجلّ ، على نفسه ، ويأبى بذلك  
العوام في أداء مريضهم ، ويؤذيها بأن الأشياء وأكسها ، وكذلك في حجة من شدة الصمت ،  
وشدة التوق عند من يحصر ذلك منه ، وحسن مراقبته لرفيقه ، وشدة الإحبات في حجة ،  
ولو خلا لأدى ما يجرى من ذلك فقط ، ولم يرد على ذلك وغلب عيبه الورع من تصحيح  
الفرض ، ولم يتورع من إكماله ، من الأمر الذى يجره لو بركه

قلت : من الذى يليه ؟

قال المراتى بالتريّد في السن الواجبة كالمبادرة في إتيان الجماعة في أول أهل المسجد ،  
والصفت الأول ، وطلب أن يلي الإمام ، فيكون قبالة ، ووخلا لما بالى أين قام ، لما عرف به من  
الفضل أن يرى في حال الصلاة معروفا من الفضل عند من يعرفه بالمسابقة إلى الفضل وكذلك  
في إكرام الصيف فوق ما يجرى ، بعد ما أدى ما يجب عليه ، لينى عليه

قلت : من الذى يليه ؟

قال المراتى بالطاعة النافذة وقد يظهر ، أيضا ، التورع والتعوى مع نصيحة النافذة ، يريد  
بذلك أن يحتال في المعصية ، فهو ، وإن كان أسوأ حالا من كتب عن ذكرنا قبله ، فإنه إنما رآه  
بالتطوع ، وإن كان أعظم منه نية نطقه بالمعصية ، لأن ذلك عظيم أن يجعل طاعة الله ، حرّ  
وجلّ ، شها وبصاعه يناد بها معاصيه ، كالرجل يريد الوصية بختائها ، أو أحده مالا يتصدق به  
على المساكين أن يحنّاه ، أو طلب امرأة يريد بها للعجور ، أو علما يريد به بدلت ، وذلك على

فصحين من الناس أما طلب الفجور وعبره من أهل السوق ، وأما اختياره لوصية وئال يجعل للمساكين ، والودعة يريد أن يختارها ، وأحد اثنان للفرو والحج يختاره ، فذلك كثير من يظهر القراءه ، وقد يظهر القراءه أيضاً ؛ بعض المجار ، فطلب العلم والساعة بالطاعة فظهر لس الصوف والخشوع وكثره الذكر وطلب العلم والخلو من مع أهل الدين واثان محاسن الذكر ، غير ذلك من البر ليؤمن ويوصي إليه ، أو بعض مالا للمساكين والودعة يريد أن يختارها ، ويعطى ما يعرفه به ، يعطيه من يعرفه به ؛ وكذلك من يحج ، وكذلك من يتجر يظهر لترش بالخشوع والذكر وغير ذلك ، لثلاثتهم في الطلب فلا يمكنه الظفر ، أو يطمئن إليه المرأة والعلام لما يظهر من البر والدين

قلت : من الذي يليه ؟

قال المرث بالنوعل ، وقد يظهر أيضاً الترفع مع تصنعه بالتطوع لمعصيه هو مقام عديها ، يخاف أن يعطى له ، فإن احتان مالا فادعى عليه ، واعتصب مالا فأنه به ، أظهر الخشوع والدين والسك ، لا يرى في القلوب وبطن به لبراءه مما يدعى عليه ، أو بما يرى به ، أو بطن به ، وكذلك إن كان مميئاً على فجور يستره بالنوازل والتورع وإظهار الطاعات وادبر ثلث تقع عليه انهم فلا يصدق عليه إن قيل فيه أو انهم بذلك

قلت من الذي يليه ؟

قال المرث بالتطوع لبيان ذلك لسيا كدراء يريدان حلالا ، أو برعب في الترويج ، فيظهر الحزن واليكاء ولقصص<sup>(١)</sup> والعمل الصالح وتدكير الناس ، ويرعب فيه هيروح ، كما يعصه كثير من لقصاص وكما يروى عن الأعرابي الذي هاجر لتزوجه أم قيس معها

قلت من الذي يليه ؟

قال انزل بالوعل تكلف إذا اطلع حتى يصح ما ينقصه في الدين عندهم ، أو يخاف أن يظهر به أنه لا يريد الله عز وجل بذلك يخاف أن تروى منك ، ويغير حاله في القلوب التي كانت معها ، كالرجل عشي مستحجلاً أو يطلع عليه متنعاً ، فإن بقى لاهناً أو طبع عنه سكر في مشيته وحشع وعصى طرفة وحصى صوته وأرحى حوته ، لثلاثه يظهر إليه من السهو واللهو ، وحدث رياء من يظن أنه من الخاصة من القراء ، لثلاثه تظهر إليه بالنقص ، وكذلك إن اطلع على نقص فيه من

صحت أو مراح استعمر وتنفس وعزّ كراهية أن يقال لا هي ، وألا يطرأ به معنى الخوف والخوف ، فيستعمر محاسن بدب ، ويظهر الخوف والتنفس والتقدم كما يريد به الله عز وجل ولقد علم أن الله عز وجل لا يعلّب على ذلك ، وما دلت بدب يستعمر منه ، ويكن لكيلا تغرب منزلة من ملوهم ، ولا يطرأ به إلا الخوف والانكسار ، فيجزع مما كان منه لسقوط المنة عندهم ، أو يتكلف إظهار الخوف والاستعمار والخشوع لغير الله عز وجل

قلت : من الذي يبيده ؟

قال المراتي بالعمل لا يريد إلا الخوف بكل ما من حل حمدهم ، كالمصنّي وحده يرى انصاف ، يحذف أن يقال كسلان ، أو لا يحمد على الصلاة ، أو يبيت مع القوم ، فيقوم فيقوم كراهية أن يطرأ به أنه ممن ليس يقوم بالنسب ولعرف بذلك ، أو ينامون فيقوم فيصلي ، ليرى أنه فوقهم وأنه من الأقوام المصلين ، وإذا خلا لم يفعل ذلك بعلم الله عز وجل أنه لو لم يروّه ويعصوا به ما فعل ذلك ، وكان قوم يصومون ، وهم في موضع واحد ، فيصوم معهم ، ولو كان وحده لأفطر ، جرعاً أن يفوقه بصوم ، يطرأ إله معنى النقص ، فيصوم ، فلو خلا لأفطر وما حرم ولا تطرأ بذلك الصوم وكذلك العرو والخج وسائر أعمال الطاعات ، وكذلك يظهر البر والطاعة ثمناً ، فقبل شهادته ، وتقصي حوائجه ، وتوصل ، وير ، ويعظم ، أو يثني عنه ويشهر بالخبر ، كره به ، أو جرس به لك ، وما أشبه ، لا يرد به لك إلا الخس ، ولا يدكر ثوباً في عمله ولا في محبه

قلت : من الذي يبيده ؟

قال المراتي بالعمل يريد الله عز وجل ، ويريد غيره ، وبولا إرادته لخلق وحمدهم بذلك ما عمله من أحله ، ولز خلا ما عمله الله عز وجل وحده ، فلما اجتمع له الأسر والحمد شطط له

قلت : من الذي يبيده ؟

قال الذي يعمل بالعمل يريد حمدهم والثواب وهو معتاد لتلك الطاعة لله . ولو خلا لعملها وهو مفرح سرور بها ، وإذا جاء وقت عملها محصرهم بخرج من قبل عمله وعنده أن يكون تكلفاً للعباد لا يريد الله عز وجل به وقد عليه طبعه على اعتقاد حمدهم مع اعتقاد الثواب

قلت : من الذي يبيده ؟

قال المراتي تنوهم لطاعته أنه عامدها وبس كذلك ، كالرجل يعرف بالصيام ، أو يرى غيره صائماً ، أو يظن به الصيام فلا يأكل ولا يشرب خشية أن يره من يظن به الخير أو يعرفه بذلك ،

فبدع الماء وإنه عطشان ، ويدعى إلى الطعام فيمتنع من الأكل عجة ١٧٥ يُرى أنه صائم ، وحرصاً  
 ١٧٦ يقال إنه معطر . فينظر إليه بالنقص من هبة الصائم . فإن علم بإعطائه اعتذر ليُعد  
 ١٧٧ يُرى أنه لم يدع نصيب من هبة . وبكى رادة بر والديه أو سرور أخ وأداء حتى يبرمه في  
 دعوة . أو يبرر مقسم ، أو علة في بدنه

## باب مايورث الرياء من الأخلاق المذمومة وشرحها

قلت فأجبرني بالذي يورث الرياء من الأخلاق المذمومة عند الله عز وجل  
قال ما كان منها عن الرياء خاصة لا عن غيره ، فإنها تورث حالاً . منها المبالغة بالعلم  
والعمل ، والتماحور بالدين والدنيا ، وقد يعتزى التماحور نصاً من الكبير ، ولكن التماحور من جهة  
الرياء جرماً أن يُعْلَى ومحنة أن يعلو ، وتكثر آثاره بالماز وغيره من أمر الدنيا ، وبالعلم والعمل ،  
والتحاسد على العلم والعمل لغير مناهضة ونكس جرماً أن يبار من تحاسده من المنزلة والحمد  
ما لا يبدى هو ، وقد اخفى على من أمره ، فاعطاه ، لئلا يبقا هو أعظم منه ، وقد يعتزى بذلك  
أيضاً من الكبير ، ولكن كراهة أن يقال عنه فلا ، أو أخطأ ، وحبة الرئاسة ، والعلبة في  
المناصرة ، وترك التعلم ، لما يحتاج إليه من العلم  
قلت ما الرئاسة ؟

قال . حبّ التعظيم والتسخير للعباد والمحقرة لهم ، وألا يُرَدَّ شيء من قوله ، ولا يساوى في  
العلم بغيره ، ولا يقنم عليه غيره . وإن أُعْطِيَ عَيْفٌ ، وإن وُعْطِيَ عَيْفٌ فلم <sup>(١)</sup> يقبل وعنف وإن  
علم أنه قد أخطأ ، فلما عساه الناس أو وعطوه لم يُظهر الرجوع لئلا تنكسر رئاسته  
قلت ما المبالغة ، وكيف هي ، وما تورث ، وإن ما يؤول ضررها ؟

قال المبالغة بالعلم والعمل ، فأما بالعلم فالدوام على طلب العلم ، وكثرة الحفظ له .  
والمواظبة عليه ، وكثرة عدد من لى من محدثين ، والمبادرة إلى حروب حين يسأل هو أو غيره  
بحسب بذلك أن يصيب الحق ليعلم أو ليعلم أنه فوقه ، ويُعْلَمُ غَيْرُهُ أنه أعلم منه ، ويبادر إلى ذكر  
الحديث ليعلم صاحبه أنه أعلم منه ، وإن ذكر صاحبه حديثاً أخبر أنه يعرفه ، مبالغة ، ليقوقه  
ومبالغة بالعمل ، إن سمع هو ومن يذكر الله ، عز وجل ، أو يقاتل في سبيل الله عز  
وجل ، أو يصلى ، أو يعمل عملاً من أفعال البر . فإن صلى غيره قام فصلى جرماً أن يعصوه ،

(١) معنى العبارة التالية أنه إذا خطأ فرداه الناس وعلم هو خطاه لا يبذل منهم الحق ولا يظهر الرجوع إليه وعنف في  
جدله . ككل ذلك لئلا تنكسر رئاسته

ويكره صلاة المصل مع من يرى فصله ، وإن صلياً جميعاً طَوَّل الصلاة يتعشَّم صاحبه ويكره ،  
 فترك الصلاة ، فُترِعَ هرقه ، ويكون قد علاه في أسرته عند من يعلم ذلك ، أو عند المصلي معه ،  
 يستصبر نفسه ، ويرحمه على نفسه ، ويرى فصله عليه ، وكذلك انصب في الحرب يبادر قدم  
 غيره ، ومحب أن يتحلف ويتقدم هو ، ويحمل نفسه على الكثر على العدو ويكل ما يقدر عليه  
 ليعلوه ، ويرى فصله عليه ، ومنه يقتل عن ذلك مُحْتَطاً آخره ولا آمن مقت الله ، عز وجل له ،  
 وكذلك في سائر الأعمال

وَأَمَّ الميَاهة في الدنيا طليهاة بالبناء ، فيبقى ما لو كان إليه وحده ما أنفعه ، ولكن من  
 قاريه من الجيران ، أو من الأقارب والأصحاب والأشكال من أهل صمته ومثله ، فأنفق من  
 النفع أكثر مما لو كان يريد بالبناء نفسه ، فأنفق للميَاهة أضعاف ذلك ، ثلثا يعطوه غيره ، ليكون  
 هو العال عليه ، وكذلك في طلب الدنيا محتجاً في الطلب ثلثا يعطوه ويعطو هو في شرف المال  
 وذكره به ، وكذلك في الخدم والأثاث وغيره

قلت . وما الصاخر ؟

قال الصاخر قد يجمع مياهة في أكثر معانيه ، ولكن له أسباب ينمرد بها مثل ما قد يباه  
 معها في العلم ، فيخرج الصاخر بالحلم إلى الاستقالة عليه فيقول كم سمعت وهل تحسن شيئاً ؟  
 وما تقرب في كذا وكذا ؟ يقول ذلك لغيره ، وما يحسن فلان وإن لم يسمعه ، وما سمع ما سمعت ،  
 وما قام مقامى اختصاراً عليه ، وكذلك صاخر بالدين مع المداواة فيقول أنت فقير لا مال لك  
 وكم رحمت ؟ وكم صدقت من مال ومتى ملكت المال ؟ وصدى أكثر مما تمكك ، ومولاي أعنى  
 منك ! وكذلك في العمل أن يقول ما قلت في الحرب مقام الصراخ ، وما كررت ، ولقد  
 حسنت ، وما أحسنت أكثر ، وكذلك في المناظرة والمناجزة يقول كم تحفظ من الحديث ؟ ومن  
 لقيت من المشيخة ؟ وكم أدركت من العلماء ؟ وما كان فلان يفتنك وقد كان يقتضي عليك !  
 ويقول ذلك لغيره من غير أن يسمعه المتحاراً عليه ، فيخرجه الرباه إلى إظهار التكبر عليه  
 والاستقالة وابعى عليه

ولكننا نرى في الصاخر ويريد عليه في بعض معانيه وهو مثل قوله سمعت كذا وكذا من  
 الحديث ، وعروب كذا وكذا غرورة ، وحجبت كذا وكذا حجة ، وأدركت من المشيخة كذا  
 وكذا ، وما أظرب مُدْ كذا وكذا ، ومن بنام بالسخر ؟ فإن كان مكاثراً أو معسراً قطعاً يريد أن  
 يحمده ويصاحبه ولا يلزم - لم يصرح بذلك [ ولكن ] عرض جميع ذلك لبيان الميَاهة والمناجزة

والمكائره . لا يصرح بقوله ماء مرأى ، مفاح ، مكائر ، وهذه بعضها كجامع بعضها ولكن  
 به مد بعضها على بعض . ثم فرق الكتاب واسته سبها وذلك قول الله عز وجل  
 ( وَدِينُهُمْ وَقَعَصَتْ مِنْكُمْ أَرْكَانُهُمْ وَالْأُولَادُ )<sup>(١)</sup>

وقد قال النبي ﷺ : من طلب الدنيا مكائر مفاحراً ، وقال في الحديث خلافاً لفرق

بها

قلت فالتحاسب

قال يبحث عليه الرياء وغيره ، فأما ما كان من الرياء فحسباً ونعاسة أن يدرك [ غيره ] من  
 منزلة أكثر مما يدرك ، ومن حمداً الناس أكثر مما يدرك من الحمد ، فيحسب أن تروى عنهم السم .  
 فلا يعلوه بها فيكون دوسهم عند يوحى بهم وغيرهم . وقد روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال ، لأبي  
 أمية لا أنقاني الله ويدك إلى رعدان بتعاير فيه على العلم ، كما يتعير على الساء  
 قلت وكيف يرذ الحق وهو يعلم أنه حق ؟

قال . لكرامة أن يقر له بالصواب فيسوء ، ولذلك تفرق أهل الكتاب بينا بينهم وحسباً  
 قلت فحق العيبة ؟

قال . حس العيبة قد تفتري من الرياء وغيره ، فأما ما يعرى من الرياء فكرامة أن يخلبه في  
 المناطرة ويرتفع عليه من عليه ويتصنع عند من يعلم ذلك منه ، ويحسب أن يعلب فيعظم عليه ويشي  
 عليه ويرى ويوصل بالأثرة عليه ، وكم من صدق صادم رحلاني علم مناظرة حتى عليه ، وقد كان  
 يخلو به يبر ويحظم ، صحباء من كان يبره حين عليه ومال بالمر والتعظيم إلى الطالب ، فيحب أن  
 يحظى غيره ويصحب هو ، وبأصدا غم لذلك ، ولت همه وليس في العدد أن يحظوا في  
 ديس الله عز وجل ولا يصيبوا ، وهم بأصدا ، ولا تنهم ما يكون مناظرة إنما همته لرد  
 واشتعب ، ولذلك وصف الله عز وجل الكفار

( وقال لئلا يفسدوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلوا )

قلت وكيف يترك التعلم ما يحتاج إليه ولا يسأل عنه ؟

قال قد يعرى دس من الرياء وغيره ، فأما ما يعرى منه من قبل لرياء فكرامة أن يُسأل  
 عن أمر فيقال هذا لا يحس مثل هذا يذع الحق أن يطلبه والحرام أن تسأل عنه ، وهو يعلم أنه





## باب علامة المرائى فى نفسه

قلت : لما علامة المرائى فى نفسه ؟

قال يحىء أحمد على طاعة الله عز وجل ، ويكره الدم فمدح الطاعة من أجل الدم ؛ وإذا عمل عبدا لم يعلم به غير الله عز وجل ، أو علم علما لم يعلم به إلا الله لم تضع نفسه فى علمه وعمله يعلم الله عز وجل ونظره وسمعه وحده ، حتى يعلب عن قلبه الطلب لعلم غيره يهتم بذلك ؛ فإن اضلهم عليه ارتاح قلبه لئلا يسمو بحمدهم ؛ وأحس الناس عليه من حمده وأنى عليه ، وأنقلهم من ترك حمده والثناء عليه ، ولا تسبحو نفسه بإتيان طاعة الله لا يعلم بها أحد ، فإن أدد نفسه عن ذلك ثقل عليها ولم تطاوعه عليه ، وقد روى عن رجل - أنه عرض على نفسه فى أيام بابك وهو يقتل المسلمين فقال لنفسه **أتحب أن تقتل بابك ولا يعلم بذلك أحد ؟** قالت **مثل بابك يقتل ولا يعلم به أحد !**

## باب ما يجب أن يلزمه المريد نفسه عند عمل السر والعلانية

قلت ما الذي أولى به أن يلزمه قلبه قبل العمل ؟ وفيه ، ويعنده ؟  
قال أن يكون بعمل العمل لا يريد أن يعلم به إلا الله عز وجل وحده ، قائماً بعلم الله عز وجل دون علم غيره ، لأنه قل من يقع بعلم الله عز وجل إلا الخائف من الله عز وجل ، لأن العبد إذا أراد العمل من عمل جوارحه أو علم في باطنه أو ابتدأ به كالفكر الذي يهيج السكاه والأحزان ، خرجت النفس أن يكون يعمل عملاً عظيماً له عند الناس قدر عظيم ولا يعلمون به ، فتعلل لذلك علبات تقوى به : مثل هذه العصبلة لا يعلم بها أحد ! لو علموا متى وقعت عندهم مقاماً كبيراً ، ولا يعلم العبد أن في ذلك صفة قدره عند الله عز وجل ، فليقع بعلم الله عز وجل ، فإن طبع عليه علم به غيره مع قلبه من الارتياح والسرور ، فإن عبه طبعه عن الارتياح والسرور كره ذلك ومع قلبه من الركود إليه ، ثم لا يزال حزيناً حتى يفرغ من عمله ثم يمك عن إظهاره ويجمع قلبه أن يطلب البر من الناس لا يعرفون من بره وفصله ، ويكون وجلاً مع ذلك كله أن يكون الله عز وجل قد أحصى عليه من النية المدبومة في عمله ما لا يرمى بها ، لا يأمن من أن يكون نسيها وغفل عنها وأحصاها الله عز وجل عليه

قلت قد وصفت عمل السر ، فما تقول في العلانية كالخبرة وطلب العلم والصلاة تطوعاً يوم

الجمعة أو في المساجد حيث يراه الناس ؟

قال : مثل ذلك أن تكون معه قائمة بعلم الله عز وجل لا تفرح بسمهم إذا علموا بذلك ، لأنه يريد بذلك ثواب الله عز وجل وهو . الرضا والخلة لأن فرح العبد بعلم من لا يملك رحمة الله عز وجل ولا حنته دلالة أنه لا يريد رضا الله ولا حنته . ثم يرمى جميع ما فسرت لك من ذلك بقلبه ويحفظ جوارحه

## باب سرور العبد عندما يظهر عليه من عمله قبل فراغه منه وبعد فراغه

قلت فأخبرني إذا اطع عبده بعد فرغه من العمل فيسر باطلاعهم ؟  
قال سروره باطلاعهم قد يتصرف على وحوه ليس كلها مدموماً ، قد يسر باطلاعهم إذا  
أطلعهم الله عز وجل وقد كان هو يستره عنهم ، فأي الله عز وجل إلا أن يطلعهم عليه فيسوء برب  
من نعمة الله عز وجل بستره الفصح وإظهاره الجميل  
قلت فبعضها نعمة يسر بحمدهم ، فهو إذ يحب حمده على طاعه الله عز وجل ؟  
فإن لا ولكن سر سر الله عز وجل الفصح عنه ، وإظهاره الجميل منه ، لأن النعم تحت  
أن الحمد ، تكبره أن تدم ويثبت عما السر ، فيسر سر الله عز وجل ، إذ فعل به ما يوافق طبعه  
وترد ما يخالفه سروراً بالطف منه لا لقيام المنزلة عندهم فيسر بفعل النعم في سره انقيح وإظهاره  
الجميل

قلت وماذا يكون سروره ؟

قال يسر تدبري من الخلق وحمدهم الطاعة ، ظهرت من يصعب وحبهم له ، فيسر به  
منهم إذا كانت قلوبهم كدلف وغيرهم ممن يدعي الإيمان قد برعى من اطلع عليه على مثل هذا  
العمل بالرياء وشكلم بالوقعة فيه وحسب ، فيسر بطاعهم فيه ومحاسنهم أهل الحمد وأهل سوء  
العمل ، ويسر أيضاً إذا ستر الله عز وجل عب الفصح وأظهر الجميل . رجاء أن يكون هذا دليلاً  
على سر لآخره ، نقول لبي صلى الله عليه وسلم ما سر الله عز وجل عن عبد في الدنيا إلا وستر عليه في  
الآخرة ، ويسر أيضاً باطلاعهم وحبهم الطاعة ورجاء أن يقدوا به فيعصوه مثل ذلك العمل ،  
ويسر أيضاً باطلاعهم نفسه بحمدوه بطاعته الله عز وجل وسخروه ويحضره ويصبره ويبروه  
ويصلوه وهذه الخلة المنكره

قلت . فهل يفسد ذلك عند الماصي الذي قد فرغ منه وإما يسر به بعد العمل ؟  
قال لا . وقد ذهب العمل حلت ولم يبرأ به ، ولم يظهره على صمد . ولم يحدث به ، ولم  
يسر أن يظهره عليه وهذه الخلة منه حمدهم بعض منه ، وحبته للمسرة عندهم بضاعه الله عز

وحلّ ، وذلك عند المرائي أن يحمد ، فذلك نقص منه ودمّ عند الله عزّ وجلّ ، ولا يحط العمل  
بشأن الله إذا لم يرد به ولم يتمّ اطلاع لعباده عليه ولم يظهره لهم ولم يحدث به العباد ، وقد يسعى  
له أيضاً أن يكون حائفاً على عمله الخاصّ أن يكون قد خالط قلبه من الرياء ما لم يقطع له تعبئة  
الغوى فخاف ذلك لما رأى من محبة نفسه لحمدهم ، ويرجع إليها فيقول : « بولا أد للرياء في قلبك  
أصلاً ما حاج حين اطلعوا ، ويرجو ألا يكون حاله رياء يحبط عمله ، فيكون تأمل من الله عزّ  
وجلّ أن يكون تقبله منه ويكون حائفاً لما رأى نفسه تحبّ حمدهم عند اطلاعهم عليه أن يكون  
قد حصي الله عزّ وجلّ من صميمه ما سببه ولم يقطع له ، فاستعمر الله عزّ وجلّ بما نعم الله عزّ وجلّ  
ولا يطمئنه هو ، فإن كان خالط عمله رياء وحيث أن يحمي الله عزّ وجلّ عنه ، وإن لم يكن حاله  
رياء كان ذلك الإشفاق والمحافة طاعةً لربه عزّ وجلّ ورياءه حذر مما يستصل من الأعمال وردّاً على  
نفسه ما حدث في قلبه من سرورها بحمدهم

قلت : فإن اطلع عليه من قبل أن يفرغ من العمل فيسرّ بذلك ؟

قال : ذلك مختلف فيه أبيض أم لا إن كان سروره من حب المنة والحمد

قلت : أليس قد روى عن النبي ﷺ الحديث : « أن رجلاً قال يا رسول الله : أيسر العمل  
لا أحب أن يطلع عليه فيطلع عليه فيسرّ ذلك ، قال : لك أحران أحر السّر وأجر العلية »  
قال هذا الحديث لم يقل فيه فيطلع عليه بعد فراغ من عمله ، وقيل فرغى منه وقد يجوز أن يكون  
عم به قبل أن يفرغ منه ، ويجوز أن يكون بعد فرغه ، فإن يكن قبل الفراغ من العمل فذلك  
أشد ، وقد اختلف في ذلك ، فقالت طائفة : لا شيء عليه لا يضره السرور منه بالعم المتقدم  
لله عزّ وجلّ بالإخلاص الذي به دخل العمل وروى هذا الحديث وعنت به حديثاً عن الحسن  
أنه قال : « إنها سرور ، فإذا كانت الأولى لله عزّ وجلّ لم يضره الثانية

وقالت فرقة : يحط عمله إذا كان قبل الفراغ منه ، لأنه قد نقص العزم الأول وركن إلى  
حمد المخلوقين ولم يحكم عمله بالإخلاص وإنما يتمّ العمل بعمته : وكذلك يروى عن معاوية رحمه  
الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله ، أي لعمل بعمته ، والله  
التوفيق

والحديث قد روى من رأى بعمله ساعة حط ما كان قبله ، ولا معنى لهذا عندهم  
إلا ما سألت عنه من سرور هذا الرياء قبل أن يفرغ من العمل ، فقد رأى بعمله ساعة حط  
ما كان قبله ، ولا معنى لهذا عندهم إلا ما سألت عنه من سرور هذا لربه قبل أن يفرغ من

العمل ، فقد رأى عمله ، فقد حبط ما مضى منه وما من إلا أن يتجّه عن غير ذلك العقد  
وأما حديث الحسن فإنه روى إذا كانت الأول لله فلا تهمه الثانية أي لا تكسره - وأما  
ما روى في الحديث الآخر لا يصبره فهذا معناه ألا بدع العمل ولا تنصره لخطره وهو يريد الله عز  
وجل ، ولم يقل إذا عقد الرياء بعد عقد الإخلاص ثم يصبره

وأما حديث النبي ﷺ فإنه في مسألة السائل قال يا رسول الله يسر من قبل حب المحمدة  
فيكون فيه حجة وقد يمكن أن يكون - ، ولم يصرح لم كان سروره لهائي كثيرة  
قلت : فما تقول أنت ؟

قال كنت لا أقطع عليه بالحبط وإن لم يتزبد في العمل ، ولا أسر عليه الحبط ، فكنت  
أقف لاختلاف الناس في ذلك والأغلب على قلبي أنه يحبط إذا ختم عنه بالرياء ، وأما اليوم  
فقد تيسر لي ذلك ما أقطع به ، لأنه عمل على الرياء وختم عمله به ، وقد أحبطت السنة عمل  
المرائي ، وهذا قد ختم عنه بالرياء

قلت : فما تقول في الحديث الذي روى عن النبي ﷺ ؟

قال قد أخبرتك بما يمكن أن يكون سروره لإصلاحهم ، فإن يكن للجمعة أو لطاعتهم فيه  
أو للقدوة على أجر من أجر للعمل ، وأجر لسروره ، لأن سروره طاعة لله عز وجل إذ ظهر عنه ،  
عسر ليقندي به ! فأخبره النبي ﷺ أن له أجر ما ظهر من عمله عسر ليقندي به ، وإن كان سروره  
حسبة الخمد والكاء فذلك عقد الرياء فلا أجره بصح في الكتاب ولا في السنة تأويل من تأوله ،  
وإن السائل سأل عن ذلك فأجابه النبي ﷺ وإن الأمة مجمعة على الكتاب والسنة أنه ليس  
فيها أن الله عز وجل يأجر على الرياء ، ولا يقول ذلك أحد من علماء الأمة ، وإن أحسن حال  
المرائي أن يعفى به عما اعتقد من الرياء ويبقى له أجر عمله ولا يحبط كما ناول من برخص في ذلك  
واحتجّ بحديث الحسن أن ذلك لا يصبره ، وإنما أن يقول أحد له أجر عمله ، وأجر سروره  
بالرياء ، فذلك ما لا يهونه أحد لأن احتج بالحديث فإنه لا يحتج أن الله عز وجل يأجر على الرياء  
وإنما يحتج به فلا يبطل العمل الأول ولا يصبره سروره ، والنبي ﷺ قد جعل به أحسن  
السر ، وأجر العلامية ، فأحسن أحواله أن يكون قد به لك أجر ما سررت ولا يصرك ما ظهر ،  
وإنما أن يكون به عن عقد الرياء أجر ثان فالذي لم يراء بعد ما طلع عليه ، وأحسن الله عليه وبقي  
حطرات الرياء عن قلبه أحسن آخرًا والمرائي أعظم أجرًا ، له أحرار على قياس هذا القول ، وذلك  
مالا يقوله مسلم يعرض

فلولا أن الرجل كان في مسأله ما يدل أن سروره كان طاعة لربه وإن لم يكن له بذلك علم وأشفق من اطلاعهم وسروره به لقلة علمه<sup>(١)</sup> فلا يمكن أنه كان سروره إلا بعض ما ذكرنا من النعمة أو نطاعة من اطاع عليه فيه أو لأن يقتدى به

وقد روى عن عبد الرحمن بن مهدي أنه قال إنما معنى هذا الحديث أنه أراد القدوة ، وقوله آخر العلية يدل على ما قال عبد الرحمن لأن سروره بما على من بعده عنهم ، وإن اقتدوا به كان له مثل أحرمهم ؛ كما قال النبي ﷺ من سرّ سئة حسنة يعمل بها كان له مثل أجر من يعمل بها والله أعلم بما أراد ، غير أن الكتاب والنسبة لم تدل على أن له أجراً على الرياء ، وأن الله عز وجل لم يجعل لغيره أعظم أجراً من المخلص

وتأول بعضهم في ذلك منهم عبد الرحمن أنه قال إنه يدم على ما اعتقد من الرياء ، فذلك جعل له النبي ﷺ أجر من أجراً على طاعته ، وأجراً على توبته وقد أخطأ من قال ذلك ، لأن المراد إذا ندم على رباة أجر على توبته ، وخطب عمله إذا قد أحبطه بالرياء ، والحديث مع ذلك عامة من يرويه غير متصل لا يرفعه إلى أبي هريرة - أكثرهم يوقفه على أبي صالح ، ومنهم من يرفعه إلى أبي هريرة ، والله أعلم أنصح الحديث أم لا ؟ فإن كان محفوظاً فلا وجه له إلا ما ذكرنا وإلا تركناه مستنقضاً لما قص له وخرجنا من إجماع العلماء ، وقد يمكن أن يكون اطلاع عليه بعد العمل سرّاً ولم يعلم لم كان سروره ؟ فأخبره النبي ﷺ أن سروره بذلك لا يصرفه ، وإن له أجر من أجر له على عمله ، وأخبره فيما ظهر للعباد أن يعملوا بمثل عمله ، فيؤجر فيهم إذا اقتدوا به ، فدعاه النبي ﷺ إلى أن يكون سروره بالأجر فيهم ، لا بالرياء

(١) العبارة هنا تحتاج إلى ملاحظة لهذا ، لما أجابه الرسول بذلك .

## باب دم الرياء والعجب

كنت قد حدثت ابني برويه نوميدي عن رسول الله ﷺ أن غريباً أتاه فقال يا رسول الله ، الرجل يقاتل حمية ، والرجل يقاتل شجاعة ، والرجل يقاتل ليري مكانه ، من في سبيل الله ؟ قال النبي ﷺ « من قاتل حتى تكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » وقد علمنا أن كل مسلم يحب أن تكون كلمة الله هي العليا

قال قد تناول قوم في ذلك ورعموا أن ذلك لا يصرف به الحديث ودبت عندما عظم مهم لأن الكتاب والسنة يدلان على غير ذلك ، فلما الكتاب بأنه روى عن طاووس وعنه من التابعين أن رجلاً قال للنبي ﷺ « الرجل يصطع المعروف » أو قال يتصدق ، يحب أن يحمده ويؤجرهم يرد ما يقول له النبي ﷺ حتى مرد

(فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا) (١)

وأما السنة فإن معاد روى عن النبي ﷺ « إن أدنى الرياء شرك » وروى أنه هرب عن النبي ﷺ أنه قال « نقب من شرك في عمده » حد أحول من عمده له « وروى عن عبادة بن الصامت أنه قال إن الله حلّ لناؤه يقول « ما أعنى الشركاء عن الشرك » من عمل لي عملاً وأشرك معي غيره ودعت بصبي لشركي » وقال عبد الله بن هاجر يمتي شيئاً فهو له ، وقال عبادة بن الصامت إن النبي ﷺ قال « من عرأ لا يسوى إلا عقلاً لله ما يسوى » ، وقاتل رجل من أهل حيدر فقال للنبي ﷺ « به خير » وقال « إنما لأمرى ما يسوى »

وكل مسلم يحب أن يعلب بمؤمن مشرك ولا يهمل ، وبوكان في نوب هذه الفرقة كان لا يكون مراثياً في غزوة حتى يكفر ، لأن حبه لأن تعدو كلمة الكفر كهر ؟ فتسبعت الآثار بخلاف ما تأولته هذه الفرقة

وليس يكون ما سأل عنه لسائل يحجه عن العباد ، إنما سأل النبي ﷺ عن أشياء لا يجوز أن تكون لله فأجابه بخلافه وما يصح عند الله فقال من قاتل حتى تكون كلمة الله هي العليا فهو في

سبيل الله ، وم يقل من أراد ما سألت عنه فقاتل لذلك ولشكون كلمة الله هي العليا فهو في  
سبيل الله ، بما قال له من في سبيل الله ، فأحبره أن في سبيل الله غير الذي عُدت فأخلص القتلى  
لغير الإسلام من ادعى معنى ثانياً قاله النبي ﷺ فليأت به ، ومن يحده  
والآثار أيضاً بخلاف ما تأوت ، وقد روى عن ابن مسعود : « إن الملائكة إذا التقى الصفا  
مرت ، فكانت لناس على منارهم . فلان يقاتل بسيفك ، وفلان يقاتل لكرك وفلان يقاتل  
يريد وجه الله ، فحدث الشهيد وقول عمر رضي الله عنه : « وأخرى تقولونها في معاريكم فلان  
شهير ولعله أن يكون قد ملأ دمه رحمة ورفقاً قال وقال النبي ﷺ حين سأله الرجل عن  
لرجل يقاتل في سبيل الله قال : « إن كنت في سبيل الله صابراً محتسماً مقبلاً غير مدبر ، وقتل رجل  
من أصحابه ﷺ فقال له أصحابه : له أخ ، فقال النبي ﷺ : « له لغيره أراد » وروى  
عباده عن النبي ﷺ أنه قال : « من عزا لا يوى إلا عقلاً فله ما يوى » والحديث في ذلك  
كثير . حدث عطاء في التأويل ، وذكر لعلاء يروى أنه أشد الحديث إدمم يجعل في سبيل الله  
إلا من أخلص ، لتعلم الكلمة وحلها وم يصم إليها إرادة غيرها  
ولو كان كما تأوته هذه العروة فكان لربها ماحاً لا يطل العمل ولا يحطه ، لأنه يس من  
مسلم يقاتل إلا وهو يجب أن يغلب المؤمن ويهزم الكفار ، فقد أباحوا الرياء في الغزو ، ولو كان  
أيضاً كما تأولته ما كان ذلك حجة في سائر الأعمال ، لأن لصديقة وأكثر الأعمال قد يصطفي العبد  
لا يذكر الله فيها كما يذكره محبة أن يطلب المسمون في العزو



## باب ما يجوز للعبد أن يقطع أنه أخلص فيه لله وما لا يجوز له منه

قلت فهل يجوز لأحد أن يقطع أنه أخلص لله عملاً ، رد م نعم ، رياء حاطه ، أو خوف  
ولشك أولى به ؟

قال أما قبل أن يتدبّر في العمل فلا يجوز له أن يدخل العمل حتى يعلم أنه قد أراد الله به ولم  
يرد غيره ، لأنه لا يجوز له أن يدخل في العمل ولا يدري ما يريد به ، فعليه أن يكون متيقناً بأنه  
قد أراد الله عز وجل بذلك العمل وإلا لم يدخله ، فإذا علم أنه قد أخلص فلرد الله عز وجل  
وحده دخل في العمل عن ذلك ، فإذا مضى عليه من الأوقات ولو كان كطرف العين  
مما يمكن المخلوق فيه النسيان والسهو والخوف أولى به ، لأنه لا يدري لعله قد خطرت خطرة تقبه  
رباه أو عجب أو كبر أو غيره فبعلها وهو ناس لا يذكر بها رياء فيكون مشفقاً حائفاً

قلت فإذا كان شكاً في عمله فكيف يرجو عن الشك ويأمن برضا من الله عز وجل ؟  
قوله أما الشك في أنه لا يدري دخل العمل «إخلاصاً» أم لا فلا يجوز في ذلك الشك ، رد قد  
علم أنه قد دخل وقد أراد الله عز وجل وحده ، وأما الشك سرّاً من أن يكون قد أحصى الله عز  
وجلّ عليه قوماً خطره بها هو ولم يمتصها نعم فالخوف على عمله والرجل والإشفاق من أجل  
ذلك

قلت فالرجاء والخوف على العمل أن يكون عمده لله أو غير الله عز وجل إذا مستويين فأمله  
في الله عز وجل ضعيف فكيف يتم بطاعته لله عز وجل ويحمد حلاليتها ؟

قال بل الأمل والرجاء أغلب وأكثر لأنه بعد استيقظ أنه قد دخله بالإخلاص لله وحده ولم  
يستيقظ أنه راعى بشيء منه فالإخلاص صفة نفي ، والرياء هو منه في شك ، فخوفه إن كان  
قد خالطه رياء كان ذلك الخوف مما يرجو به أن يصميه الله له لإشفاقه على ما لا يعلم فيه بذلك  
يعظم رجاءه ، وإن لم يكن خالطه رياء عدل ذلك ريادة على حمده وعبادة منه ، وكلما أشفق ازداد  
تعباً بالطاعة وأملاً في الله عز وجل ، إذا أيقن أنه دخله بالإخلاص ، وخشيه بالإشفاق ورجل  
عن علم الله عز وجل ، فذلك يعظم رجاءه وأمله ويتم بطاعته لله عز وجل

## باب ما يجزى من النية عند ابتداء العمل والنية في العمل

قلت : معى الناس أن يقدموا النية عن كل عمل حتى يعلموا أنهم قد أرادوا الله عز وجل وجهه ، أم يجزى المرید نيته المتقدمة في كل عمل بعرضه ، لأنه لا يعمل إلا لله عز وجل وحده ، وقد سمعتك تقول لا بدخل حتى يستيقن أنه أراد الله عز وجل وحده ؟ قال : إنما سألتني من يجوز لأحد أن يقطع أنه قد أراد الله عز وجل ؟ فرجعت إبت في ذلك أنه يجوز في بدء العمل قبل دخوله ، ولم أقل لث . به من م يذكر النية فهو مراء قلت : لعل نحوى المرید نيته المتقدمة أم لا نحوى إلا أن يقدم نية عند كل عمل ؟ قال : إن النية المتقدمة محزنة إذا عرض له عمل هو لله عز وجل طاعة وفيه ثواب أن يأتيه لاسم لطاعة وظاهرها وإن لم يذكر النية ما لم يحط ببيانه حاطر الرياء فيقبله ، وإن لم يقبل حظرة رياء فهو عن نيته الأولى وهي محزنة عنه ، لأن المرید لله عز وجل المخلص قد قدم النية لله تعالى ألا يعص عملا من طاعة الله عز وجل إلا لله عز وجل ، وإنما هذا للمرید ، فأما من قلتم اعتقاد الرياء فلا تجزیه ذلك حتى يقدم على العقد الأول ويحدد لله عز وجل نية عند العمل وأولى بالمرید ، وإن كان تجزیه النية لأولى ، أن يحددها عند كل عمل ، وذلك أن نور النعم في قلبه ونعمه له من العلة وأخرى إن حطرت حظرة رياء علم بها فلم يقبلها ، وإذا لم يحدد النية لم يكن في العمل كس ذكر الله عز وجل وحده وذكر الثواب وأهائج الأمل في قلبه ، ولأن من لم يذكر ذلك ولم يحدد نية كان أقرب إلى العلة والسهر ولا يؤمن عيه قبول الخطرة وهو لا يعلم ، فأولى به تحديد النية عند كل عمل وإن كانت تلك الأولى محزنة ، ومع ذلك أنه بما تجزیه في الصدقات المسميات في الكتاب والسنة كإسئارة تمر به فيقوم بها لأسها طاعة وإن لم يذكر النية ، وكان صلاة يقوم إليها أو كالصدقة وقراءة القرآن

فأما ما ليس اسمه طاعة إلا أن يريد به الطاعة فلا يجزى حتى يحدد النية مثل : سؤد الرجل رياء في حاجة يقصيا له من حوائج الدنيا ، أو دعاه إلى طعام ، أو رياء ، أو أشباه ذلك ، عندك يكون سديا ويكون لله عز وجل ، وليس اسمه طاعة ، بما يكون طاعة إذا أراد الله به .

فلا يحرمه إلا أن يجتهد بيه عند ذلك ؛ لأنها ليست بطاعة ، فيكون إنما أهاجه اسمها ومعرفته بأنها طاعة لربه عز وجل ، إلا أن يكون العبد معتاداً بمعص ما ذكرنا أو ما أشبهه بما ليس اسمه طاعة إلا أن يراى الله عز وجل به ، فإن كان العبد معتاده ، وقد قدم النبي عليه الله عز وجل فذلك كالرجل قد حست منه لتيته في القيام بحوائج الناس يريد الله عز وجل وحده بذلك فذلك يحرمه ما تقدم من نيته ؛ لأنه وإن لم يكن اسمه طاعة فقد ألزم الله النبي لله عز وجل بذلك وهو في عاداته ومعرفته وما ألزم نفسه كالصدقة ، وما ما لم يقدم فيه نيته لم يحرمه إلا في أربعة : في العام ، والعائد ، أو المصطر ، أو الرحم فيها هيهم أسهل ، وأرجو أن تجر به النيّة الأولى ، لأنه إذا سأله العالم أو العابد الذي يحبه الله عز وجل حاجة فقصها له فابما هو للحب المتقدم لله عز وجل ، والرعية في العلم ، أو لحب العلماء ، أو لإغاثة اللهمان أو المصطر ، أو صلة الرحم ؛ فذلك يحرمه إن شاء الله عز وجل ما لم تعترض له خطره رياء بقلها إلا أن يكون هؤلاء قد تقدم في قلبه رياء مكافأتهم أو خوف ملائمتهم أو حب محمدتهم يعرف ذلك من نفسه فلا يحرمه إلا أن تجتهد بيه ، فاما من لا يعلم أن نفسه تريد ذلك منه هي تحريمه إن شاء الله عز وجل النبي المتقدمة مالم يقبل خطرة رياء ، ولا سيما من يحب في الله عز وجل خاصة فإن كل أمره عدى هو لله عز وجل ما لم تعترض خطرة رياء بقلها بعير الله

وحصلت تبعمص اليه هيبة لازمة سرور المؤمن ، وورادة مفعلة مما يعلمه العام ، فلا يتم السرور ومفعلة له ولا يعلم فاعلم بعمص ويلتس ؛ لأنك تريد أن سره ليحمدك على ما تحلب عليه من السرور وتعلمه فيستع فيحمدك ويعظمك إذا رأى مفعلة في ديه أنها ، علمته فيحمدك إذا رأى الطاعة كما علمته ، فمن أجل أنك تريد سروره ومفعلة تعمل وبعض أنك تريد الله عز وجل بذلك ، وإنما تريد أن يحمدك ويركع ويعظمك

فت : فكيف الإخلاص بها ؟

قال : أن تكون إنما تريد أن تبص عليه سرور فتؤخر على سروره لا ليحمدك ؛ وتريد أن يتصح ما تعلمه ، ليحمل به فتؤخر فيه ويكون لك مثل آخره لا تريد بذلك أن يحمدك ولا يعظمك ولا يبرك

## باب العبد يدخل العمل يريد الله عز وجل وحده ثم يجد من نفسه نشاطاً للزيادة ، وما تجزيه من الية في ذلك

قلت . العبد يدخل العمل يريد الله عز وجل به ، ثم يجد من نفسه نشاطاً للزيادة فيه من غير حادث نية تذكرها ولكن يشهد قلبه بزيادة ، أعني يجدد نيته فيه كان اسمه طاعة أو لم يكن ؟  
قال بحريه الية الأولى في ذلك ما لم يعترض حظرة رياء فيقلها ، وكذلك كثير من الأصحاب ، يقوم العبد وهو يريد أن يصل بآيات فليبه العدد فيفتح له شهرة ونشاط حتى ربما قرأ القرآن كله ويسجد يريد التحفيف فيمنح له الزيادة في الدعاء في السجود فيطيل السجود ، وكذلك قراءة القرآن ينتدئ في السورة لا يريد غيرها فيحذف عليه قراءة لأخرى من غير ذكر نيته معلومة

قلت : هذا قد فهمته فيما كان اسمه طاعة ، وما لم يكن اسمه طاعة ؟  
هـ . وما لم يكن اسمه طاعة فابتدأ به الله عز وجل ثم أتبعها تريد به فهو على ما ابتدأ به م يكن حدث في قلبه رياء ، كالمراجل يريد الله وحده بإعانه بعض المسلمين على شرائه أو يبعه أو في حاجة يريد أن يبعه على بعض ذلك يريد الله وحده ثم يشهد هربد على ما كان يوى فهو على نيته الأولى ما لم يعترض رياء ففعله وكذلك يُسأل صاحبه فيوى ففعله الله عز وجل وحده ، ثم بحسب لريادة على ما يُسأل فبعض ذلك وكذلك يوى هدية لله عز وجل ثم يريد بها قبل أن يرسل بها فهو على تلك النية

والتجديد بعد من العجلة وأقوى لأهل الثواب والرجاء ، لأنه قد يعرض في ذلك اعتدال كان أراد الله عز وجل بالأولى كالمهديه يريد بها الله عز وجل ثم يخاف أن تستقل وبها ما اسمه وإنما يريد من أجل ذلك ؛ وكذلك الدعوة في البيع والشراء والعمل وفصاء صاحبه يريد إذا هم قد سرّوا رجاء أن يعظم حمدهم ، ويريد مخافة أن يدم أو يفتن ثم تسح نفسه من الدعوة إلا يكدر ، حين أن يكون أتم الدعوة حتى يصرع لسان من عمله ، أو يبع أو شراء ، فالتجديد أحب إلى ، وإن تجدد بية كان ذلك محرياً ما تقدم من نيته ، ما لم يعترض به حظرة رياء فيقلها

## باب وصف النية ماهي

قلت فالبية ماهي ؟

قال إرادة العبد أن يعمل بمعنى من المعاني إذا رُود أن يعمل ذلك بعمل لذلك المعنى .  
 هنالك لإرادة نية إما لله عز وجل ، وإما لغيره لقول النبي ﷺ « وإما لامرئ ما بوى » ، لأنها نية  
 للمعصية . نية أن يعمل العمل ، ونية أن يعمله بمعنى من المعاني دنيا أو آخرة كالرجل يريد أن  
 يصلي أو يريد أن يمرر للأخرة أو للدكر ، وكذلك يريد أن يصلي للثواب أو للمحمد ، لأن إرادة  
 الصلاة أن يبتدئ بالتكبير ثم يستحب قارئاً ثم يركع ثم يسجد ثم يرفع ، والنية للثواب لله عز وجل  
 أو للدنيا إرادة منه أن يصلي يتوخر وأن يرضى الله عز وجل بها عنه أو إرادة أن يحمد وبشيء غيره  
 هنالك نية هائلة في عمل لله عز وجل أن يريد به ثواب الله عز وجل لا يريد غيره  
 قلت فإذا أريد أن أكون مخلصاً ، وأكون مصلحاً وصالحاً ومطيعاً في كل أمرى  
 قال ذلك على وجهين أحدهما ، قد سويت أن أخلص ولا تريد شيئاً مما تمنعه إلا لله  
 وحده ، ومويت أن تقوم فتصلي وأن تصبح صالحاً وألا تعصى الله عز وجل ، وإن عرصت لك  
 معصية ودعيتها من خوف الله عز وجل ، قلت الإرادة التي هي نية لك هي نية الله عز وجل  
 ومعنى آخر تريد أو تحب أن تكون مخلصاً وأنت مصيب للإخلاص ، ونحو أن تكون صالحاً  
 ومن بيتك الإطهار ، ونحو أن تكون مصلحاً وأنت كسلاصها أو مؤثر فيها الشغل بالدين  
 ونحو أن تدع المعاصي من خوف الله عز وجل والتمس لا تسحر بالتوبة فتلك إرادة محبة منك  
 للشيء

وإرادة ثالثة قد جورها العرب في لغتها ، وأقول في الكتاب إرادة كاد - قال الله جل  
 ذكره ( جداراً يُريدُ أَنْ يَنْقُصَ )

وقال الشاعر

لا تمنحني مني ومن سوادى ومن قيمتي هم يا مفضل

وبقول آخر

يريد الرمحُ صُلْبُ بِي يَرَارُ ويرغب عن دماء بِي عَقِيلُ  
 هو صف الله عزَّ وجلَّ الحذر بالإرادة ووصف الشعر لقميص بهم ، وذلك أنه حذر ماثل  
 كاد أن يفتن ، والقميص خلق كاد أن يحرق لبلائه ، وتغوى أردت والله أن أهلك نفسي أي  
 كدت أهلكها لأنه يوى هلاكه منه ولا يجب هلاكها

قلت فهل تحصر النية ويمكن العبد في كل أمر وفي كل وقت ؟

قال أما النية فما ليس فيه ثوب فلا تحصر ولا نية في ذلك ، ومن أراد الله عز وجل في ذلك  
 فمروء عالقة كالرجل بي السبيل الفاجر يريد بذلك ، نعم ، الله ، ويأكل الأظعمه الطيه  
 وتكلمها بعير صعب وحده به ولا تقوم على طعنه لا يقوى على تلك لطاعة إلا بها فلا يجوز لنية في  
 ذلك وكل ما أشبهه ، وكذلك في محرم المرأة تعتبر برعهم ، بالنظر إليها ، فلا يجوز لنية بالنظر  
 في ذلك

## باب معنى قوله لا تحصرني لنية في العمل

قلت قام معنى قول من قال من المرادين لا تحصرني النية ؟

قال ذلك يحصل معيين

أحدهما أن يكون يُسأل حاحه ، أو يدعى إلى أمر له فيه لأخر ، فيحصل أن يعصى الحاحه ، أو يكسل عني فيه الثواب ، فلا يرغب فيه ، فيبدى اندمته بنفسه ، كأنما لا يحل له أو لا تسخو نفسه بإحراحه لله عز وجل ، أو يكسل عن الصلاة ، أو عن القيام لمحااجة بسأله ، أو لا تسخو نفسه بترك الطعام والشراب ، وتحمل الجوع والعطش للصيام ، فيقول لا تحصرني نية ، أي لا تسخو نفسي بأن أرفع شهوى وطعمي وأحمل الجوع والعطش ، فذلك معنى صحيح والمعنى الآخر أن تكون نفسه قد سجدت لله عز وجل بإحراح ماله في سبيل الخير ، أو قد شطت له عز وجل في صلاة لا يحرك كلاله به ، وكذلك تسخو نفسه بترك نصحهم والشراب للصيام فعترض له المخاطر تدعوه إلى الرياء فيقول ليس لي به يريد ألا يحذر خطره ، وأن يكون فيه بعد ما يحظر ، مثله قبل أن يحظر به الخطرة ، لا مبارعة فيه وقد سكنت منه المخاطر فذلك عند وضعف ، لأن العباد امرؤا ولدوا إلى الصادات ، وأن يعوا الرياء ب معتقده ، ولم يؤمروا أن يتركوا الطاعة من أجل ذواعى الرياء ، ولو فعل ذلك عند لأوشك ، إذا علم الشيطان بذلك منه ، أن يعرض له عند كل عمل بالخبط بالرياء فيدع كل طاعة يوم يؤمر الناس أن يخرجوا وسواس إبليس أن يعرض في صدورهم بعد جعل الله عز وجل له السلطان بذلك ، ولا يعيروا حلقهم وطاعهم حتى تصير لا تدرع بل معنى من ربه لدنيا من ربه ولا غيره حتى تكون طائعهم لحمد الله مكرره وادمته محبوبة ! وإنما أمره أن يسوى ذلك في ذنوبهم من عفوهم عما سودعه الله ، عز وجل ، من العلم ، فأما في خلفه فإن ذلك لم يكلفوه ، ولا يقدره عليه ، ولكن قد يقوى بعد فتسكن ذواعى النفس عن الدعاء في بعض ما يعمل ، ويعرض بالدعاء في بعض ما يحظر بضعف إلا أن حمد وادمته لا يسويان في طبعه ، فأما أمر العباد بمجاهدة أنفسهم ولم يؤمروا ألا يكون في النفس عريته تدعوه إلى شهوة ، ولا أن يحرجوا وسواس الشيطان أن يعرض في صدورهم بل جعلت لهم عزير عقوبتهم ، من عليهم بالمعرفة ونعم

فالحبس في عصورهم ، وثُلُو معارثهم وجُعل للشيطان مهبطاً معارثاً يستدكر لها في تحتها وأمر أن يحاهدوا بعنقهم بما استودعها الله عز وجل من المعرفة والعلم ما هاج من دواعي عرثهم وبرع الشيطان وتربيته بنفس ما في عرثها موافقاً لها ، فليس على العباد غير ذلك ولا يقدرُونَ إلا عليه ، إلا أن بعضهم في ذلك أقرب من بعض وهم الذين ادموا المعاهدة حتى انكسرت لنفس عن لدعاء من غير تعير الطمع وقد حطرت أقل مما كانت حطرت به من قبل مع ضعف من خطرته عما كان في أول بدايتهم ، فعلى العبد المعاهدة والهي بنفسه عن هواها ، ولم يكلف تعير طمعه حتى ينقش فيجعله كقطع الملائكة ولكن السبي عما يدعو إليه لطمع

وكما يروى عن وهب أنه قال الإيمان قائد ، والعمل سائق ، والنفس حرون ، فإن فتر قائدها صدقت عن الطريق ، وإن فتر سائقها حوت على قائدها ، فإذا استقيم المساق والمائد مصت النفس طوعاً ، وأكرهاً ! ولو كنت كلما كرهت نفسك شيئاً تركته بوشك أن تترك دينك كله

وإذا النفس تنتظر أهوى - وهوى ينتظر لعقل فإن رجحه للعقل ابرحر ، وإن أرحى له مر ، وصدور ، لأن لعقل إدام يبصر بالعلم ويعتصم بالمعرفة صبا إن ما يدعو إليه النفس من قبل هواها ، فكان هو سدى تحتار للمكائد ويتلطف لشهواته وهواه ، وإذا تذكر فأنصر بالعلم واستعصم بالمعرفة عرف صرر ما يدعو إليه أهوى وأنصر عاقبة صرره رجحه ، فأسكت النفس عن استعجاله

وذلك أن الله عز وجل طبع الحيوان من أهل السموات والأرضين على طوائع شتى قطع للملائكة على العقول والنصائر ، وعراهم من هوى وشهوات والاشتداد للمكاهة التي يأمر بها غيرهم من الحيوان ، فلا يعترضهم الأهواء ولا تنارعهم الشهوات فهم دائبون في طاعة الله عز وجل وذكره لا يفترُونَ ، إذ لم يجعل فيهم لأصداد التي بها يعرفون والأهواء والشهوات التي تصد وتؤثر على الطاعات والذكر ، فلم يجعل فيهم ثوب نعم الحيوان ، إذ لم يحاهدوا الأهواء ، ولم تتحملوا الآلام والتعب والنصب ، وأحبروا من العباد وتركوا في طاعتهم

وطبع الأنعام والطير والخرم على الشهوات ، وجعل فيها المعرفة بقدر ما يعتدى ويطلب معاشها وتحذر على نفسها وأولادها بقدر ما عرفت من المكروه ولم يجعل لها من العقول ما تعقل الأمر السبي ولعلم للعواقب ، فرفع عنها ، العباد في كل ما أصابه من شهوات التي حرمها على الإنسان والخر ، فرفع عنها عقاب ولم يؤاخذها بما نالت من سكاح وما أصابت من أمور الناس



ودماهم ، وأجارهم من المعاقب وجعل آخر مصيرها أن يجعلها تراباً  
وطبع الإنس والجن على العقول التي تحتل الأمر والنهي وتعرف العواقب وذلك إذا بلغوا  
حلم ، إلا من أمر الله عز وجل عنه العقل كاستغثه وغيره . وحمل فيهم غرائز محبة كل ما وانفهم  
وتخصص كل ما خاصهم وآد هم ، ثم أمرهم أن يجاهدوا بما أعطاهم من العقول ما دعت إليه  
لنفس من قبل غريبتها فجعل لهم الثوب العظيم والعذاب الأليم  
فأعقل كيف طعت وبماذا أمرت ، ولا يجادل ذلك أنك كلّفت أن تغير طبعك حتى تصير  
كقطع الملائكة ، فتدع الطاعة انتظاراً أن يصير الطبع إلى غير ما بنى عليه في الخلقة ، وأن يسكت  
العدو ويبرول سلطانه عن الوسوسة فصنعت ذلك عن طاعة ربك عز وجل ، فتدع العمل  
للإحلاص رعمت فلا تكون خلعت عملاً ولكن تركت أن تخصص عملاً فيكون لك  
ثوابه

فقول القائل لا تحصرني النية أي أريد أن أطيع الله عز وجل ولكن تخاف ألا يخلص لي عمل  
ما يخطر بقلبه فذلك ضعف وعلط ، وأما من قانه على الكسل والسحل ونية الرعة وقلة سحاء  
النفس بالطاعة لله عز وجل فذلك صادق حائز من قول من قانه ، ولكن لا يحمده نفسه على عملها  
وكسلها عن الخير وقلة سحائها بالطاعة ، ولكن يذكرها ثواب الله عز وجل في الدنيا والآخرة حتى  
تسحو ، فإذا سحت عيرد الله عز وجل بذلك ويحي كل ما خطر بقلبه من حطرة رياء وغيره

## باب من يدخل في العمل لا يريد الله عز وجل بذلك ثم يندم ، كيف يكون عمله بعد الندامة

قلت . فالعبد يعمل العمل فيبتدئ فيه لا يريد به الله عز وجل ، ويريد حمد الناس أو انتفاء مدحتهم أو طمعا ما في أيديهم ثم يندم على بيته وهو في العمل لم يفرغ منه قال أما الأعمال كلها فلا يحتسب فيها بما مضى ولكن ليستأنف ابتداء غير ذلك العمل الأول إن أراد أن يتم به النافلة ليبتدئها كاسورة يقر بعضها ثم يذكر فيبتدئ من أولها وما أشبه ذلك ، إلا الصلاة والصيام والحج فإن الناس في الصلاة مختلفون فقالت فرقة يدع ذلك كله ، لأنه قد حبط ثم يبتدئ فيعيد ما عمل من قراءة أو ركوع أو سجود كان بعد الافتتاح قلت ولم تحصصت الافتتاح والإحرام وعقد الصيام فلم تفسده وأفسدت ما سواه ؟ قال لأن الافتتاح جعل تحريما للصلاة ، وإنما الزيادة عقد في قلبه لا يفسد التحريم والإحرام وعقد الصيام ، فيجعله كأنه انتزع الصلاة بالشعر واستقبل غير القصة والافتتاح لا يفسد لأنه يتحرم بالصلاة وما سواه يفسد

وهناك فرقة يبتدئ الافتتاح وعقد الصيام والإحرام فلا يحتسب به ، لأنه وإن كان محرما للدخول في الصلاة فلم يعمل ذلك لله عز وجل وإنما فعله للخلق فكل ذلك فاسد إلا ما يريد الله عز وجل به

وقالت فرقة ليستعمر ويتم ما بقى من صلاته وحجه وصيامه ويمتد بما مضى لأن الأعمال بحوائسها وقد حرم صلاته بالإحرام كما لو حرم صلاته وصيامه وحجه بالربط حط عمله كله بما مضى وما بقى ، فلأن العبد لا يكبر ولا تترحمه إن القصة ولا يركع ولا يسجد لا لله عز وجل فهو عمله لعير الله عز وجل كان كافرا فلو صلى لله عز وجل ، بالإيمان ، وأراد حمدهم بإدبهم فليحتسب بما مضى فإنه حالص ، وإنما هو ككاتب أبيص لطلحة سماد ثم عسفه في ورجع لي أبياص ، فكذلك افتتاحه وقراءته وركوعه وسجوده تعبد لله عز وجل لا لأنه غيره ، فلما بدو يستعمر ويؤتي أن يحطه الله عز وجل وحده ، ل عقد الزمان وبقى على أصل بدنه لله عز وجل بالصلاة فقد احتسب وصفا وصار لله وحده ، لأنه قبل أن يفرغ من العمل قد هد في حمد مخلوقين فيما مضى

من العمل ، وسخط نفسه بالاعتماد عليه وعدم ألا يكون م جهل وأمر الله عز وجل به قبل التحول في عمله ، فذلك بحرية من الإعادة لمصطفى ، إذ حرم عمله بالإحلال ، وبعدها الأعمال بحوائجهم

والعرف كذا ، فصلاهم عندهم لا يشبه شيء من الأعمال ، إلا أن الإحرام بالحج وكذا في عهد الدخول ليس به أن يدعه ، ولكنه يشبهه لأوجب الله عز وجل عليه ألا يحج إلا الطواف بالبيت ، وليس له النبي ﷺ فليست عليه الندم على الرياء ، وليس به أن يخرج منه قلت : إذ كان الله عز وجل قد سر على ، وألقى لي الحق عبد الإحسان والخير والمعارف ، وأظهروا الحمد والثناء ، وطبى يعطى العزم أنه لا يريد ثناءهم ولا يريد حمدهم ، فهل يخاف على أن يكون ذلك أعلوطة وسدعة ؟

قال : ذلك على معيين ، أحدهما أن تكون صادقة في ذلك غير مطمئن في حمدهم تشكر الله عز وجل على ستره ، عالم بأن حمدهم لم يردك في معنى من المعاني ، وقد تكون ركت إلى حمدهم واسترحت بعدك إن ذلك أنت تعطى من قبلك لكرهية على صدقة وعز ، وذلك أن النفس قد ظهرت عما حست من حمد العباد فلا تبالي أن تعطى الكراهية لغير نقص من محبتهم وقد ظهرت عما حست وذلك مثل الرجل يكون عنده ما يكفيه ، ويكون له من بهو عليه ، فيقول توكلت على الله وما أهمم للفرق ، وتخيّل إليه أن ذلك يقين منه وتوكل ، وإنما طمأنينه وثقه بالكفاية وإلجاء عليه ، ونفسه تزيه وتخيّل إليه أن ذلك يقين منه وتوكل

قلت : هم أمير بين هذين المعيين ؟

قال : إذا تغيروا ، أو تغير بعضهم عن الحمد ، فإن رأيت نفسك لا تعلم إلا حطرت لا تعلمت وأنت لما أراد فاعلم أنها صدقة في حق حمدهم ، ولولا أنها كانت راهدة في حمدهم لما قل عنها برواها ، وإن اعتمدت شعيرهم عن لثاء عليك وما حطرت منه على قلبك لا تكاد أن تحرجه وأشعر به قلبك عهد دليل الحرف أن تكون النفس كانت راحة راحة في حمدهم ، ولولا ذلك ما عتمدت إلا عارض عم مردود يعقل عن الله عز وجل ، ونولا أنه برع منها ما تحب ما اعتمدت ، بل قد نعم بالنظر دون أيدي كراهية أن يكونوا قد طمأنوا بك غير ما كانوا يعرفونك به حتى يشتعل بذلك قلبك ، وتعلمك أن يخرج إلى أن تقع فيمن ذكرتك لثلا بصدق عمت ، وتعتذر بالكذب ، وتختلف بالإيمان ، وتسهر بالليل للعكر فإن عمت أنهم قد بقوا بدينك شعلت هم بعضهم عن علم الله عز وجل ، وتعلمك أن تعتذر من ذلك لثلا بأعظم من اللب ويظهر من أهم والإنكار

أكثر مما كنت تظهر لغيري صدورهم مما ظنوا أو تصوروا فإن أردت أن تعلم أن النفس قد ركب إلى  
 حمدهم أو لم تركس ، فإن تغيروا لك فانظر كيف غمط بروح حمدهم ؟ فإن غمطك بذلك يدل  
 على ركوبها إلى حمدهم ! وإن لم يتغيروا فاعرض على نفسك أن توحيوا لك عن حمد  
 آدم كيف غمطك بذلك ، فإن اعتمدت فليعلم عن قبلك الخوف واعلم أنها كانت في حمدهم  
 ركة ، وإن لم نعم فلا تقطع بأنها صادقة لأنها قد سحر برك نعم ما لم تنزلها منهم ، وقد  
 يكون العهد صادقاً في النبي مع الحمد من العباد فإذا بي بالدم روحه بإخلاصه ومن قبل  
 ما يكون ذلك ، والخوف أولى به أن يخاف أن يكون كادبه في إخلاصه ، إذا عتنت بروح  
 الحمد

## باب في الرجل يدع بعض النوافل إشفاقاً على الناس أن يعصوا الله عز وجل فيه

قلت في نقول إنما فصل أدع بعض الناس إشفاقاً على الناس ب يعصوا الله مني ،  
أو ألقها ؟

قال إن في ذلك أغلوطة منك أن تظن بعد أنه يسىء بك الظن ويضع حيث قد دع العمل  
من أجل ذلك ، فقد جمعت حصتين أسأت به لظن ، وتركت ما يقربك إلى الله عز وجل ،  
وقد ترك أيضاً بعض الواجب لظنك أن تدع يتأثر لغيره خوف امرئهم ، ولظنك ترى فيه المنكر  
فتمتنع أن تأمره لأنه عليك لا يعين ، ولم تعلم ما ذلك ، فتصيح ذلك الأمر ، وسىء به الظن ،  
إلا أن يكون فاسقاً منتهكاً فذلك لظن به ، وقد فصل مع نفسه ، وبخاكت لغيره إذا أمرته فتدع  
كثيراً من الواجب وإسافله ، لكأن يعصى الله عز وجل منك ، رعب ، فإن كنت صادقاً في رعبك  
فقد عيبت وأسأت الظن ، وإن لم تكن صادقاً فإنما حرعت النفس من الدم فحبلت إليك أنها  
تريد الشفقة ولصنع وأنت لم تشفق عليهم في غير ذلك ، لا تدلي في أن يعصوا الله في ديانك  
لا تدعها هم وإن ظنت أنهم يعصون الله عز وجل ، ولا تعصب أن عصيت عليهم ولا غير  
ذلك وهذه الصفة التي تدعى صفة الأنساء الأبدال لرحماء بالخلق ، فظن هل تعرف نفسك  
بالخلق هكذا في أحوالك فإن كنت تعرف نفسك بهذا فقد وضعت الشفقة على حال في غير  
موضعها ، وصداك عن الطاعة سوء الظن ، ولم يستيقن منه بأمر تشفق عليه منه إلا أن يكون امرئ  
لا يفصلك من فرض ولا فصل فتدعه إشفاقاً أن يدخل عليهم الشيطان ، إلا أنهم كدبت في وقت  
ما تشفق عليهم ولكن تقوى لا أعرضهم لفتنة وم تدعهم فصلاً ولا فرضاً فيكون العدو قد أصاب  
منك ما يريد

كما يروى عن أبي بصير عليه السلام قال «إنها صفة» وذلك بها أنته وهو معتكف ، ثم حررت  
استباليها . حلال من أصحابه ، فقال إنها صفة فصلاً ما رسول الله وهل ظن منك إلا حيراً ؟  
قال إن حشيت الشيطان أن يدخل عليكما ، ولم يزل يد دخل عليكما  
وأرد إبراهيم ولأعمش أن يمر في طريق ، فقال إبراهيم يقولون أعمش وأعور ، فقال

الأعمش ما علينا أن نؤخر ويأثمون ، فقال إبراهيم وما علينا أن نسلم ويسلمون  
 فلم تنقص من حير فلا بأس بالإشفاق عليهم عنى عنى قطع عليهم بشره وأكثر ما يكون ذلك  
 حرجاً من لدم وسقوط امرة ، فلا يجلس مدك العد العاقل اللبيب !!

## باب إظهار العمل ليقندى به

قلت : فما تقول في إظهار العمل ليقندى بي فيه كعمل الأنصاري الذي جاء بالصورة فتتابع الناس بالعطية لما رأوه ، فقال النبي ﷺ :

« من سرَّ سئة حسنة فعمل بها كان به أجرها وأجر من اتبعه فيها » ٢

قلت : فهل تجرى الأعمال هذه لخبري من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيره ؟

قال : أما الصدقة فإن الناس فيها متقاربون في القدوة لأنها عطف ورحمة وإعانة للملهوب ، فإذا أظهر العبد ذلك لميره كان فيه حصص بغيره ورعيته في الصدقة ، إلا أنه لا ينبغي لعبد أن يتعزز بإظهارها حتى يعلم أنه قد أراد الله عز وجل بذلك وأنه لم يجرع من أن يسرها ، ولا أحب إظهارها لقلة القسوع يعلم الله عز وجل ومحنة من أن يعلم للناس بصدقته ونكس جرعاً أن يعوته عظيم الأحر أن يصيبه في غيره مع أحقره على صدقته ، ثم يقع بأحر الصدقة وحدها حتى أحب أن يحض بصلة عليها غيره ليؤخر فيه مع أحقره على صدقته

وفي الصدقة معنى آخر خاصة سرها خير من القدوة إذا كان المتصدق عليه يؤديه ذلك ويكرهه فترك أدى المؤمن أفصل ، وقد احتلف في قول الله عز وجل .

( لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى )

فقال بعضهم : هو أنك تحدث عما تصدقت به عليه ، فبطله فيؤديه

وقال أكثر العلماء : هو أن تؤديه بملكك ، فإذا لم تجد من نفسك قوة عزم لله عز وجل في إظهارها للقدوة لا لغير ذلك فسرها أفصل وإن سبقت في إظهارها من الرياء ، أم تسمع إلى ما يروى عن النبي ﷺ ؟ يرويه عنه سلمان وغيره أنه قال :

« سبعة في ظلّ عرش الله يوم لا ظلّ إلا ظله » وذكر أحدهم فقال : « رجل تصدق بصدقة

بيمينه فأحباها عن شماله » ، وقال في حديث آخر : « فلو قدر أن يحبها من شماله فالصدقة أفصل سرّاً » إلا أن يظهرها بقدوة » ، وقد يروى حديث « إن العمل سرّاً أفضل من سعيه صعباً

علانية ، وإب السمل علانية للقدوة أفضل من السر سيعين ضعفاً

قلت قد أجد القلب يقوى على ما تقول ، ويريد ، ويحب زيادة الآخر ، ولا تعزى النفس من 'خطرات العدو' ، ومن هواها أن تنازع ، فما الذى يفرق بين صدق الصغير بذلك وبين الخدعة فيه من النفس ؟

قال ان تعرض عليها ان لو أصيب الأجر فيهم من غير علمهم أكسب تعين يعلم الله عز وجل وحله وتصيبين هذا لأجر؟ فإن رأيت القلب يصح بذلك فهو صادق ، وإن رأيت لا يقع بذلك فإما هي خدعة ومحنة من النفس أن تظهر عملها ، لتظهر محمدهم ، وتحيل للمخدوع بذلك أنها تريد الله عز وجل صادقاً تستكثر من الأجر

قلت : فالصوم والصلاة والخيخ والغزو ؟

فان : أما ذلك فلا أحبه لأحد ولم أجد عامة الناس يفعلونه ، إلا الرجل القوي الصادق الإرادة القوي على رد الخطرات في العمل بعدما يهرع من العمل ، وقد يتبعه السوء فيحظر له في حال عمله فيصرعه ، فلا بأس بإظهاره للقدوة ، والذي أمر به الناس ان يتفوا ذلك ما استطاعوا لأن النفس خدوع ، والشيطان مرصد مكيده

وقد كان الرجل يرفع صوته ليحرك بعض جيرانه في خوف الليل وذلك إذا قوى عمره ، وهان عليه حمد من يسمعه ، وليس له رعة في عملهم به أكثر من أن يصيب نواب الله عز وجل في تحريكه إياهم على طاعة ربهم

فأما الغزو فذلك عمل ظاهر فإسارعه فيه للقدوة به أفضل إذا قوى العزم أن يشد الرجل

قل القوم ، ليحصن على القتال ويبحث من معه على الشدة معهم فذلك

أفضل ، لأنه لم يخرج من سر إلى علانية ، وإنما خرج من علانية إلى علانية ، لأن مقامه ذلك علانية ، فكيف حص عبره لعمه كان أفضل ، ولو حب له اشد و لكر على العدو وكان ممن وهب الله عز وجل له القوة على بي خطرات وهو من المعروفين عند من حصر ممن يقتدى به ويحركهم فعله كان أفضل أن يظهر ذلك ولا يخفيه ليحصن على قتال العدو ، وينصر الله عز وجل بذلك على الأعداء ويعز به الدين



## باب العبد يحدث إخوانه ببعض ما يقوى عليه من العمل ليحضرهم على ذلك

قلت قال الرجل يحدث إخوانه ببعض ما يقوى عليه من العمل ليحضرهم بذلك ؟  
قال قد تقدم في ذلك رجال صالحون منهم سعد بن معاذ قال ما صليت صلاة منذ  
أسلمت محدث نفسي بغيرها ، ولا تمت حنزة محدث نفسي إلا بما هي قائلة وما هو مقول  
في . ولا سمعت رسول الله ﷺ يقول قولاً قط إلا علمت أنه حي  
وقال عمر ما أمانى أصحاب علي عمر أم علي يسر ؛ لأن لا أدرى أي ذلك خير ، وقال  
ابن مسعود ما أصبحت على حال فتعيب أن تكون على غيرها ، وقال يا حنذا المكروهان  
الموت ، والفقر وإما هو العناء والفقر وما أبالي بأيهما انتسب وقال عثمان ما تعيب  
ولا تمت ولا مسست ذكرى يميني منذ نابت بها رسول الله ﷺ . وقال شداد بن أوس  
ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت حتى أرمها وأحطمها غير هذه الكلمة فكان قال بعلامه يسا  
بأسفرة نصت بها حتى يدرك العناء

وقال أبو سفيان بن الحارث لأهله لما حضرته الوفاة لا تبكوا عني ما أحدثت حدثاً منذ  
أسلمت ، وقالت عائشة قال أسيد بن حصير وكان من أفاضل الناس ثلاثة أكون عديين  
لو كنت في سائر الأشياء كذلك ما تبعت جارة قط محدث نفسي بغير ما هي صائرة  
إليه ، وإذا قرأت القرآن وإذا سمعت النبي ﷺ

وقال عمر بن عبد العزيز ما قصي الله من نقباء فسرى ب يكون قصي لي غيره ، ولا صبح لي  
هوى إلا في مواقع قدر الله عز وجل

فقد فعل هذا هؤلاء الأئمة ولا يظن بهم إلا خير والخصم لغيرهم على الطاعة ، وليس ذلك  
إلا لم قوى وكان يعلم أن الذي يظهر ذلك له يصعب موضع لقدمه ، وإلا كان قد وضع القدوة في  
غير موضعها وب قوى عزمه وم يرد به الرياء ، لأن قد رأينا وحرماً من العباد أن الإمام كالخليفة  
والعالم إذا أظهر الصوف ، أو دياناً شعاً من النقشب ، أو تكلم في العامة أو حصصهم على خير  
يعملون به اتعظوا بذلك وحصصوا ؛ لأنه إمامهم وهو موضع قدوتهم ، ورأينا غيره ممن لا يعرفه

العامة أو يعرفه بعضهم بالعلم والفصل ولا يصعونه موضع قدوة ، قد فعل ذلك فسيهرأ به ، من لم يكن للعامة إماماً فذلك غلط أن يصعونه في العامة ، من كان لهم إماماً فجائر له إذا كان قوياً ، كما روى عن محمود بن مهران أنه رأى في السوق مخلوق الإزار ينادى لا إله إلا الله ألا ترى إلى هؤلاء (احسبوا نعمتهم إماماً) ، فان يقتدوا به ، فأنى بذلك عيهم لرعيتهم في أن يطاع الله بهم وعباد إبراهيم عليه السلام (اجعل في لسان صدق في الآخرين) وقال عز وجل (وَتَزَكَّكَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ)

معناه تركنا عبه الشاء لحسن فكل الأمم من يؤمن بكتب أوبى يقول إبراهيم ما وقد فعل ذلك الرجل من العوام فسيهرأ به ، ويقال فيه القبيح ، ويرمى بالرياء والصب للديار والحنون والحمق ، لأنه ليس بإمامهم ولا يصعونه في ذلك الموضع ، وإنما يريد العدد القوي أن يحصهم على طاعة ربهم عز وجل ويسبهم لها ، فإذا كان ، وبن قوى عزمه ، إنما يحصهم على انصيابة فيه فكيف تصح له الإرادة فيهم ولا يرى فيهم موضع أمل أن يردادوا ، عما يحدثهم عن عمه أو يظهرهم من طاعة على العدد المريد أن يعرف ذلك ويصعونه حيث وصعه الله عز وجل وقد يحدث الرجل القوم عن نفسه فيصعونه على الرياء منه ، لأنهم لا يقتدون به ، من الناس من يقتدى به أهله ولو لم يجرائه أو يظهرهم خيراً ما اقتدوا به

ومن الناس من يقتدى به خيرة ، ولو لم يجاورهم إلى أهل سوقه ما اقتدوا به ورموه بالرياء لو حدثهم بعض عمه أو أظهر لهم الذكر والري من الصوف وغيره ومن الناس من يقتدى به أهل حيته وسوقه ، ويظهر للعوام ما لا يصعونه العوام ظاهراً ثم سئى ما لما اقتدت به ولا ردعها ولأهرح بعض من لا يعرفه منها على سوء النظر والاستهراء به حتى يعرف بعضها بعضاً بالشاء عبه وذكر عليه وعمله ومن الناس من إذا أظهر من ذلك شيئاً فحين سمي للعامة بل لا تكاد يحى عليها حين تمر به أن هناك هو فلا كالخلقة إذا مر أو كالحديث المشهور أو كالمقولة المشهورة عند العوام ، فذلك مام للعامة من يسمع باسمه - وإن لم يكن رآه من قبل - حصص واقتدى بما يكون منه من خير ، حتى بعد رأسا من العوم من يقتدى بركة العام المشهور بالعلم ، والفاضل المشهور بالسنن ، فإذا كانت لذة منه يسارعون إلى القدوة بها ولا يسارعون إلى القدوة بكثير من الخير من غيره ، فكيف عما يظهر من الخير ؟

على العاقل المريد أن يعرف في أي موضع من الناس وصعه الله عز وجل فيه فيمكنه الحسة بما يظهر من القدوة إذا قوى ولا يجاور قدره وإن حسنت نيته ونوى عزمه وهذا حمد المخلوقين

عليه ، وكذلك روى عن الحسن أنه قال الرجل إمام أهله ، والرجل إمام حيته ، والرجل إمام  
 لعائته فالذي أمر به في السنة إحياء العمل لطلب لئامه وعصل لئره . لأن السر أحرر  
 للعالمين وأبعد بهم من كثرة الخطرات وفنوه . وقد روى عن الحسن رحمه الله أنه قال لقد  
 علم مسجون ب عمل سر أحرر للعالمين ، فلا يسمى سميرك المعروف أن يجده نفسه وما حرب  
 منها أن يتعرض للسلا ، ويترجم لعاقبه ، وإعنا منه مثل سباح رجم العرق ليحرقهم فتشبهوا به  
 ففروا ، ولنته يعرف كعرق الماء ، ولكن يكون منه ما يتعرض به للمقت من الله عز وجل  
 ومن هوى عمره ، وهانت خطوات العدو عليه في قبول الرياء ، ولم يحمله عن إظهار العمل  
 برادة غير الله عز وجل ، أو ظهر وهو لا يريد إظهاره لئرا عما ظهر للناس . ثم يهجه على ذلك قلة  
 لقنوع بعلم الله عز وجل وطلب عنهم ولكن أحاجه فله الصواع بطلب لآخر في عمله وحده حتى  
 أن دأب تقرب بحصهم على طاعة الله عز وجل فيكون له أحر ذلك مع أحره على عمله ولم يجاور  
 سره فمن يقتدى به إلى من لا يقتدى به فهو أعظم أحر

وقد اختلف الناس في ذلك فقد طائفة من أهل العلم . عمل السر أفضل من عمل  
 العلانية للعدوه وعبرها ، وعمل العلانية للقنوة أفضل من عمل العلانية لغير القنوة  
 وقالت فرقة عمل السر أفضل من عمل العلانية لغير العدو . وعمل العلانية للعدوه أفضل  
 من عمل السر وبولا أن عمل العلانية للقنوة أفضل لما حصص النبي ﷺ على ذلك ! وإنما  
 حصصهم يفعلوا ما يسئ لهم ، وذلك لا يكون إلا علانية

حصصهم على عمل العلانية هذا معنى وأحبرهم أن لهم أحرهم وأحر من اتبعهم . بهذا دليل  
 على أنه أحرهم بالخص والشرع من عمل السر إلى عمل العلانية ، بكثرة الأحر لا إلى الرياء به  
 وأحبرهم أن هم أحرهم وأجر غيرهم ! وقد علموا من قبل أن عامل السر له أحره وحده وذلك  
 بين أن عمل القنوة أفضل من عمل السر

وقد روى في بعض الحديث « أن عمل السر بصاعف عن عمل العلانية سبعين صاعف ،  
 وبصاعف عمل العلانية إذا استمر معاملة عن عمل السر سبعين صاعف ، وإنه ليكون أفضل  
 بأصعاف لا تحصى » يقول النبي ﷺ : من ستر سنة حسنة فعمل بها كان به أحره وأجر من  
 عمل بها إلى يوم القيامة ، فقد ستر الرجل السنة فيعمل بها إلى يوم القيامة

## باب عمل السر والصعف عن إظهار العمل خوف العدو وحذر الشهرة

فصل عرر كان فصل عمل السر كما ذكرت على عمل علانية وسب من رجال عدوه  
ولا يظهر عملاً ولا يعمل إلا سرا ٤

قال ذلك عطف وحيد من العدو ، لأن الله عز وجل مدح السر وعلانية فصل عرر من  
فائل

(الَّذِينَ يَنْفَعُونَ لِمُؤْمِنِهِمْ بِالْخَيْلِ وَالْفِئَاءِ وَالْأَنْبِيَاءِ)

وعرر عز وجل

(إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَعَمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)

فالسرا فصل من العلانية ، وعلانية أفضل من البطالة وتر : العمل ، فالسر فصل ما أمكن

سر فإذا لم يمكن السر فاعمل علانية مع الإخلاص لله وحده فصل من سر

قلب عهد كره المعرفة والشهرة بالخير قوم : ثمه قوب ، منهم إبراهيم ، ستادن عليه رحن وهو

نمرا فاصب المصحف فصل لا يرى هذا إلى آخر كل ساعة ، ومنهم إبراهيم يسبي ، قال اد

عحدث الكلام فاسكت ، فإذا تحدث السكوب فتكلم وقد حس ، ب كان أحدهم يتر

بالأدى ما سمعه من لغة لا كرهية الشهرة ، وفي ذلك آثار كثيرة ، وكان أحدهم يأتيه المكاء

فيصره إلى لصحت مخافة الشهرة ، وكان أحدهم يبيت عدة الزوار فمدح تمام الليل مخافة

الشهرة

قال إسمهم حمهم لله ثمه ، وما في جميعهم قدوة ، وبعضهم ل بعض الخب أخرى من

بعض ، فيموى هذا في حب يصعب فيها حر ، ويصعب هذا القوى في حب أخرى يموى فيها

بلى صعب ، فإذا سألت عن الفصل آخر الفصل والفصل في من قوى وبقي وم يرك

ما فتح الله عز وجل له من العمل كما جاء الحديث : « إذا فتح لك باب من الخير فانهزه » ١

ولكن ما ذكرت من لأحدث مصاد من قوى ، وإن كان الذين صعبوا عما قوى عليه غيرهم

عما أرادوا الإخلاص وسلامه لا فترة عن العمل فأحو ألا يحسبه الله عز وجل من ثواب ذلك وإن كان الآخرون أقوى منهم ؟

فأما، فعلى إبراهيم رحمه الله أن المصحف فإنه يروى عن بن عباس أنه دخل عليه رجل وهو يقرأ فقال هذا حرقى قاتلى البارحة وقال عثمان رضى الله عنه إني لأسحى من ربي عز وجل أن يأتى على يوم ولا أنظر فيه إلى عهد ربي نبي وأنحر أنه يقرأ في المصحف كل يوم وقال عمر رضى الله عنه ودخل عليه عبد الرحمن وهو يصلى عند الزوال فقال هذا حرقى من الليل قاتلى وكان عكرمة بن أبي جهل يقرأ في المصحف ثم يأخذه يضعه على وجهه وهو يسكى ويقول كلام ربي كلام ربي ! والذي رواه عنه قد ظهر له ذلك منه

وأما قول إبراهيم التيمي فيحصل تعيين أحدهما صحيح ، والآخر ضعيف وحلاف ما أمر به الصادق ! وإن كان يدري به بعض العمال أنه عتة للإخلاص ، وغيره أقوى منه فأما المعنى المصحح فإن كان ذهب إلى أن أعجبه الكلام من كل شهوة النفس للعصب والنعو والحرم كما يقول القائل إنه يبعثني من الطعام كذا ، وكذا ، فصحيح معناه وبذلك أمر الصادق ، وكذلك إذا أعجبت السكوت أى أعجبت النفس أن تسكت عن الذكر كسلا ، أو عن القرب في الحق بين الخلق لشهوة استبقاء مودتهم فتكلم حيث يشاء وحالف إعجاب نفسك في لسكوت ممكنه قال - لا تتكلم بكل شيء ، ولا تسكت عن كل شيء ، ولكن بطرما تهوى نفسك فحافظها لأن هواها لا بدعو إلا إلى امر الدنيا فحالف دعاء هواك وتبع أمر الله عز وجل في الكلام والسكوت . وإن كان أراد ، إذا أعجبتك ، من قبل العجب به أو من قبل الرياء بعجبتك ن يحدوك على سكوتك أو قوتك فاسكت وتكلم . فإن كان أراد من قبل العجب بانعمل الصالح والقبول بالخير فلم يؤمر العباد بالترك . ولكن أمرو أن يدكرو أن ذلك نعمة من الله عز وجل . وأن أنفسهم قد كان هواها خلاف ذلك فيلموا بملوهم الاعتراف له بذلك في ذلك ، وإن كان من قبل الإعجاب بحمد الناس . فإن كان الإعجاب هو الذي بدأ أولا فأولى به السكوت بذلك ويترك ما أراد به لرياء سكوتاً كان أو كلاماً كما قال إبراهيم . وإن كان لعقد الله عز وجل أولاً ويرى حطر بعد الإخلاص الإعجاب بحمد الناس فلم يؤمر الناس في ذلك بالترك ولكن بالنبي لما حطر وانتمم الأعمال لله عز وجل

وأما قول الحسن رحمه الله فقد يكون ذلك منه حصاً ببعض نصصه ومنى طر أنه يريد أشهره ، وحكى عن قوم صعبوا في بعض لأحوال عن إرداء الإخلاص والخير وقوله هذا

وحكايته قد ندى بعضهم أشهر من رفع الأذى ومن الكفاء ، وقد نصب نفسه للفتيا والعظة ،  
 وذلك أشهر من كل ما ذكرنا ولكن حصراً على الرشد في طلب الشهرة واحتار هو لروم العظة  
 والذكر والفتيا ، لما وجد من القوة وذلك أشهر وأرفع من جميع ما ذكر عن من ذكر من رفع  
 الأذى والبراءة

وقد شهد النبي ﷺ وأصحابه الحائز ، وتطوع العلماء في الجمع ويساعد ، واجتمعوا  
 للذكر والعلم ، ونصبت العلماء أنفسهم وذلك يدل على أن أعمال العلانية أفضل من التزك لها  
 وأما إبراهيم النخعي فقد قوى في غير ذلك فيما هو أشهر وأرفع ، نصب نفسه للفتيا حتى شهرته  
 العامة وقول عثمان في إخباره عن نفسه من قراءة في كل يوم أقوى في الفصل من إطناف إبراهيم  
 المصنف وقعد ابن عباس رضي الله عنه يكي وهو يقرأ في مصحف حين ذكر أصحاب البيت  
 حتى سألته عن بكائه فأخبره ذلك ١١ فالسر أفضل وعم العملانية أولى مع الإخلاص  
 والمجاهدة لا يعرض إذا لم يمكن عمل السر وإلا أصاب العلو حاجته وأطبع في تضييع الطاعة

## باب هل يجوز ترك العمل من أجل الرياء ؟

قلت مهل أترك العمل من أجل الرياء ويكون ذلك أولى في ؟  
قال . نعم إن شغرات الرياء ثلاث حشرات في ثلاث أحوال . يحطره قبل العمل ولا يمتدح معها . الغيب العمل لله عز وجل . فذلك الخطرة لا تقاطع ولا يعمل لعمل على ذلك إلا أن يسحو قلبه به لله عز وجل ويبقى ما سوى ذلك . وحطره قبل العمل مع العبد لله عز وجل . فذلك العمل يدخل فيه ويبقى الخطره . وخطرة بعد الدخول في العمل بالإخلاص لله . عز وجل فثبت في عن القلب ويحصى العبد في العمل على ما بوى أولا

قلت مهل من العمل ما يندب العبد إلى تركه وإن أورد الله عز وجل . بذلك ؟  
قال . نعم . إن الأعمام على قسمين . أعمام عامة . كالصوم والصلاة والعرو . والجهاد . وذكر . وأمر والهي . وما أشبه ذلك . وأعمام خاصة للحرص كالعصاة والخلافه والإمرة . والانتصاب للحلق بالدعاء إلى الله عز وجل . ولتوى . ومن ذلك صرت عمر رضي الله عنه شيئا حين أتى قوماً يشعرون به في غير ذلك يقول : به سيد السمر . وقال أيضاً : هـ .  
أي سيد لقراء ؟ وقد كان عمر . رضي الله عنه . يقوم يعظ ويخطب وكطلب الدين بعد القوام لستق في أمر الآخرة . فيؤمر القوام بذلك كله . إذ كاذ لا يصوم به . لا . الخواص الأقوياء الذين لا عيبهم الدنيا ولا يسهرهم الطمع . والله عز وجل في صدورهم أهدى من حلقه . والله في قد لزم قلوبهم بحقيقة البصائر . نعم . ومكانة عدوهم بقوة . عودهم الله عز وجل من لرد عليه ! من أخطأ صريح وذلك دخل عنه من الصبر في تلك الأعمال أكثر من اسمه . وكذلك رؤسهم بأمرهم بترك الخلاف وترك الحرص لها . وكذلك الإمارة

ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن سبرة أن النبي ﷺ قال : يا عبد الرحمن لا تنسب للإمرة عيباً . سألته : أي عيب ؟ قال : عيب . أي أوتيتها عن غير مسألة أعنت عيباً . وقال ﷺ : لا يولى بها أحد . من سألناه . وقد تعرض بصلاة والصيام والعرو وغيره قلوبهم وصعقتهم . وقد سأل قوم النبي ﷺ أن يعزهم . ونكوا ما لم يجدوا ما يفتون . فأثنى الله عز وجل عليهم

بدلت ! فلم يجعل النبي الإمارة كذلك ، وقال : « يكتم بحرص على الإمارة ، وإياها حسره يوم القيامة وبدامة إلا من أخذها بحقها »

وقال : يجب برصعة ونسبت الدطمة وم يدهم أن يحرصوا على الصلاة والعرو ولصيام »

وقال أبو بكر رضي الله عنه لراعي بن غنيرة لا تُفَرِّقْ على اثنين . ثم ولى الخلافة صدم بها . وهذا فان به رايع ألم تمل لي لا تأمرن على اثنين وثت قد وبت أمر أمه محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال بن ، وأنا أنون ذلك بك . فس لم يعدل فيما فعله بهله الله . يعني لعنه الله عر وحل وقار يصب لما قصص لبي صلى الله عليه وسلم ولم يدرى أصحاحي لمار رايع بن غنيرة . فم معتدري حتى عذرته

وقال عمر رضي الله عنه من بأجدها نبي تماهيا <sup>٩</sup> وودت ذلك لأن القوم من لبي صلى الله عليه وسلم قد مضى بها . وما من وبي بن عشرة إلا جاء يوم يقامه معبوه نداء إلى عنقه ، صدقه بعدد وبقه لخور . روه عنه معقل بن سار ووي عمر رجلا فقال له يا أمير المؤمنين . شر عني فقال احسن واكتم على

وروي الحسن بن رجلا ولاء أبي صلى الله عليه وسلم فعلا لبي صلى الله عليه وسلم حرني فقال احسن . وروي هذا الحديث عن غير الحسن متصل الإماماد بن لبي صلى الله عليه وسلم قال لمرحل الذي قال له حرني قال احسن

ونها عني عمر بن عبد العزيز حين جاء في سر حر دابة وسبلى دموعه من البكاء . وكذلك القصص لم يرب الناس بنفوه ويعروب منه لما تقدم من لبي صلى الله عليه وسلم من لونه القصاة ثلاثة . اثنان في النار ، وواحد في الجنة . يرويه عنه بريدة

وهو عليه السلام : « من استعصى فقد دبح بعير مكين »  
ودلت الدنيا مروا بأحد القوم ' منها . وسوا عن طيب الفصل لأنه محرم . ولكنه لا سلم في طيب ادب إلا الأنطار . ترهدون لعالمون بالله عر وحل . وأيمه  
وقد روي عن الحسن به سئل عن حل طيب القلوب ثم أنست . وحر طيب فوق قوته ثم بصدق به فقال انقاعد أفضل مما يعرفون من فئة سلامته في طيب الدنيا . وان من الزهد

(١) قوم الأمر بفتح القاف وكسرها ملاكة الذي يعوم به ويرد هذا أخيه ما يكل أو ما يقيم الأود



تركها ، إلا للقرنة لله عز وجل ، فحشوا ، ب بردادو بعد من لله عز وجل . إذا طلبوها لفسنها  
وشغل القلب بها

وقد نزل الدرداء : ما سمى أتى قلب على دوح مسجد دمشق أصب كل يوم خمسين ديناراً  
أنصدق بها ، أما إلى لا أحرمه لبيع والشراء . ولكن أريد أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة  
ولا بيع عن ذكر الله عز وجل !! وفي حديث آخر : ثلاث تشعلن عن الذكر ، وكلا العيين  
واحد . وقار : كتب نحر قل أن يعف النبي ﷺ . فما أسمع أردت العبادة والتجارة . فلم  
يجمعوا في ترك التجارة . فأخبر أنه لا يمكنه التجارة إلا أن يهب عن ذكر الله عز وجل ،  
ويشغل عنه . وم يعمل لا يعجزني أن أنحر فأصيب كل يوم خمسين ديناراً وأنصدق بها  
ولا ينهي ذلك عن ذكر الله ، عز وجل ، ولا يشعلني

وعد أجمع مسلمون على أن من وثق أخلاقه أو لإماره أو لفصاه أو قام بالدعاء إلى الله عز  
وجل ، واثبتنا فلم أن ذلك أفصل من جميع الناس |

من ذلك قوله : « يوم من إمام عادل خير من عبادة الرجل وحده ستين عاماً » وقال النبي  
ﷺ : « أي دعة دعا في هدي فأتبع عليه كان به أجره وأجر من تبعه »  
وقال النبي ﷺ : « أول من يدخل الجنة ثلاثة : الإمام يفضي أحدهم ، وروى أبو هريرة  
عن النبي ﷺ أنه قال : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام لعادل أحدهم ،  
وقال : « أقرب الناس مني محباً يوم القيامة : إمام عادل » رواه عنه أبو سعيد الخدري  
وقال معاذ : « لأب يهدي الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها »  
والخاصي كذلك . إن عادل وأصاب الحق كتب رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « في  
الجنة » يعني الذي قصي وأصاب الحق

وقد اختلف في الطلب لطلب . بعد القوت : إن طلب وسلم وتصدق به . فكانت هرقه  
الترك الفصل وأهد

وقالت هرقه : إذا سلم وصدق به فهو أفضل من تركه ، لأنه قد اكتسب من العمل ما لم  
يكتسب غيره ، وإنما يسأل عن ذلك كما سأل عن الصلاة والصيام ، يثاب عليه . وأمره بالترك  
حرفاً ألا يسلم |

## باب ما يجوز للعبد من محبة لخبه الناس له

قلت . هل يجوز أن أحبه أن يحبني الناس ؟

قال أما على طاعة بعينها بخدموك عينا فلا تحب بالطاعة إلا إلى الله عز وجل ولا مرد حمد غيره . وأما أن تحب أن يحبك لغير طاعة بخدموك بغيرهم . ولكن لنخف على قلوبهم ، وبحبورهم ، وأما أن تحب أن يحبك بخدموك عينا ، فلا بأس . لأنهم لا يحبك على الطاعة إلا حتى يعرفوا فضلك وبخدموك بغيرهم ، ثم يحبك وبخدموك ويرونك ، فلا يجوز لك طلب ذلك منهم بطاعة الله عز وجل

قلت فقول النبي ﷺ حين قال له رجل دلي على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس قال « ارهد في الدنيا بحك لله ودع أو أفسد إليهم هذا الخضم يحبك » وقد قال النبي ﷺ « إذا رهدت في الدنيا أحبك الله عز وجل ، وأحبك الناس »

قال صدق ﷺ لأنه إذا ترك ما أنعم الله عز وجل وهي الدنيا وآثر الله عز وجل بها وهي شهوته أحبه . من ترك شهوته لربه عز وجل أحبه الله عز وجل . فلا يتمتع المخلوق أن يحوا من آثرهم على نفسه . فكيف بأكرم الأكرمين

ومن رهد في الدنيا لم يكن على أحد منهم أدنى ولا مؤنة ، والناس يحبون من كان كذلك ، وقد يصدق الله ، عز وجل . بالجنة في قلوبهم من تحب إليه ، ولم يقل نه دلي على أمر أريد به حمد المخلوق وحمد الله ، عز وجل . ولم يقل النبي ﷺ ارهد في الدنيا وأرذل رهدك الله وحيف . ولكن أمره بالرهدة عز وجل . وحده ، وأخبره أن الله عز وجل يحب ربه ويحبهم لصدقه ، لأنه أرده وحده حل ذكره ، ودله على ما يعرف على الناس أذاه ومؤنته ، فلا يتمتعون من حبه

قلت أليس قد أظهر السائل والنبي ﷺ لزغب في محبة الناس ؟

قال لا بأس بالرعة في محبتهم من عند الله . عز وجل . بعد الصدق منه لله ، عز وجل وحده . ألا ترى أن هوى « ارهد في الدنيا » ، وحب محمدتهم من أكبر الرعة في الدنيا والزهد في حب محمدتهم من أكبر الزهد في الدنيا ؟

فقد ننظم له <sup>١</sup> ن يرهدي حمدهم وغيره من الدنيا حتى يكون الله عز وجل - هو لدى يورث  
 قلوبهم الشحة به <sup>٢</sup> ومع ذلك به حديث منقطع لا تصاد بالآثار في الهى عن طيب بمحمد  
 الخلق بطاعة الله عز وجل

## باب ما يصح لعمد من غمه عندما يظهر للمخلق من ذنوبه

قلت هن يصح إذا اطلع على بعض ذنوبه أن أعتم بذلك ، ولست أجد العم يكاد لا يمرى به أحد ؟

قال : العم من الطع إذا ورد عليه ما يخالف طعه فعرفه عنه ذلك بعينه هاج العم . فالعم من الطع والطبيعة الحريه على ما وامن وم يخالف من قول وعمل وغير ذلك ، فإذا هاج العم عن الطع كان لإخلاص والصدق أو الرأ ، ولكذب عند ذلك حيث يدعو العدو والنفس إلى الخرج من روال المبره عندهم ، وسقوط الشهاده وترك المآ وتتعظيم لخطئه ، فإن قل ذلك وخرج بذلك فقد استعمل عمه لما ينقصه في دمه ، وإن كان عمه خوف أن يهتك ستره في عيانه لعون النبي ﷺ « ما سر الله عز وجل » عني عند في الدنيا إلا سر عليه في الآخرة » . أو اعتم بما يعارضه طبيعه مما متح به خوف أن يشغل ذلك عفه عن الله . عز وجل ، فقد أخلص وصدق وإن لم يستعمل واحدا من الأمرين ، وبرز للعم مدى هو فعل لطبيعة ولم يستعمله ، لم يصره ، ومن شعبه العم يعلم الله ، عز وجل ، بذلك الدب عن نعم علمه ، فذلك أو و فصل ومن شعبه العم بعنهم عن العم نعم الله . عز وجل ، فذلك

خاتمة

## باب في ستر المعاصي عن العباد وإن اطلع الله عليها

قلت قامعناه في تشده أن يظهر معصيته للعباد وهي لله عز وجل مادية ؟  
 قال لقد كان ولي بالعباد ألا يحكي شيئاً سوى ما يظهره للعباد من الخير ، وأن تكون من برئه  
 مثل علانيته بل أفضل ، كما قال عمر ، رضي الله عنه . لرجل عليك بعمل العلانية  
 قال : يا أمير المؤمنين وما عمل العلانية ؟  
 قال : ما إذا اطلع عليك لم تستح منه  
 وقال أنومس الخولاني ما عملت عملاً أبلى أن يطلع الناس عنه إلا تبتى أهلي والول  
 والعائط

ولكن الصادق إذا بُس بالندب ستر لدلت ! حياء لعير طلب الرياء ، ولما جاء عن الله عز  
 وجل أنه : لا يحسن إظهار المعاصي ، وعلى ما أجمع عليه المسلمون أنه من أظهر سوءاً فهو  
 المبتدئ وهو أعظم عند الله ، عز وجل ، من استتر ستر الله ، عز وجل ! وأمرني إنما يسر ذلك  
 ليحمد على الورع وليس بورع ، وأن يوهم أنه لله ، عز وجل ، حائف تصعفاً منه للعباد ورياء  
 لا ورعاً لله ، عز وجل ولا حياء من العباد

## باب ما يستحب فيه الحياء وما يكره فيه

قلت قد أكثر الناس في الحياء ، فكل مداهن ومراء يدعى حياء ، والصادق يدعى الحياء ! فهل من أخياء صعب ومنه خبير ؟

قال أخياء كله خبير ، كما جاء عن أبي بصير عليه السلام ، وقول من قال منه صعب إنما يروى في بعض الكتب ، لا يدري ما ذلك

وقد غصب من ذلك عمر بن حصين حين قال رشيد بن كعب إنه يقال في الحكمة ! إن منه ضحاً ! فقال والله لا أحدثكم حديثاً اليوم ، أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعبدنوني عن الصُّحُف ! فما كان عن أبي بصير عليه السلام فهو أولى ، وقد قال « أخياء شعبة من الإيمان »  
وقال عليه السلام « إن الله يحب الحيى الخيم »

فأخياء فعل من الطيعة الكريمة ، يختص به من يشاء من عبده ينفع العاصي والمنطع ؛  
فما انقطع بعد ذلك كل خلق دىء ، وأما لفاسق فلم يجمع مع عبده إلا فسوقاً وتهتكاً  
وقد جاء الحديث « إن العصاة إذا تركوا الحياء وتهكوا علم يعير عليهم عاب الله ، عر وحل ، العامة والخاصة »

قال أبو بكر عن أبي بصير عليه السلام أنه قال « إذا ظهر السوء فلم يغيره الناس أو شئت أن يعصم الله عذاب »

وقالت أم سلمة « أنه ليدك يا رسول الله وفيما لصاحون » قال نعم إذا ظهر السوء فلم يغير » ،  
وآثار كثيرة

فالحياء عريضة كريمة ، فعبدها بحد العدو الدعاء إلى الرياء فإن أصدغه العبد اعتقد الرياء  
وعن أخياء وصدق قد نهجه أولاً خياء ، ثم حصر عدو الرياء فعبده ، فكان مرائياً إذا فعل  
من الحياء إلى الرياء وقد يبيحه خياء على أن يريد الله عز وجل ، فصم إلى الحياء الإخلاص لله عز  
وجل ، فإن عبده سبحانه أو تركه لغير ذكر الإخلاص ولا رياء ولا يكاد يكون ديث - فهو خير  
بقول أبي بصير عليه السلام « خياء خير كله وشعبة من الإيمان » ما لم يكن شىء أولى به فيه الحياء من الله  
حل وعز

بالحياء من كل خلق دىء في دين أودىء

ومثل ذلك كمثّل رجل في رجلين صال أحدهما قرصاً أو صله ، فكان أحدهما ليس في قلبه حياء ، فردّه ، ولم تمسح بفسه بالإعطاء ، والآخر مثّل مالا تسخو به نفسه ، فيمنعه الحياء من المحل من أن يردّه ، فأمسك عن رده الرّد ، ودر بعض + فوجد إنليس موضع دعاء ، وليس فقد أعطه ، لا يهور ما أخله إن تعطه ! أو أعطه ليثني عليك به ، يعطيت به ، أو أعطه بيك فت عيه ؟ وهذا أسره ، فعنه ديت ، وأعطه ، ولا يشك أنه أعطى لئلا يحد نفسه ليسو هيجان الحياء من طبعه

وسأل آخر مالا تسخو به نفسه فلم يقر أن يردّه ما هاج في قلبه من الحياء ، فحظر خطر الرياء عنه وقال لا ، بل لله عز وجل ، أو رآى هسه تمتع من لرد من أجل الحياء ذكر في ذلك بوقب باب الله عز وجل ، فأاده ، وبولا الحياء برّد صاحبه ، ولا أمسك حتى يورى الإعطاء لله عز وجل ، ولو أنه شخص بالإعطاء شكر من جعل عريته تبيع بالحياء ، أو من وهب له الحياء ، ولم يجعله كمن لا يستحق دون طلب الثوب ، لكأن الله عز وجل ، يستحق ذلك فكيف يعطيه الثواب ؟

وآخر سأل أشياء ، فهاج من حياء مالا يمكنه ، فأعطه بعم عيه ولم يفل حظرة رء ، ولم يذكر ثواباً ، وما قر ذلك أن يعطى عند ، ويعمل ، أو يترك إلا لرعه أو ربه ، فمن أعطاه على ذلك حياء أو أمسك عما لا ينبغي أعطاه مع الحياء ، فهو خير عن خلق كريم ، ماء يعتقد الرياء

ومن جمع مع الحياء إادة الله ، عز وجل ، وثوابه ، فذلك أفضل ، لأن حياء عريرة كريمة ، لا يعطاه كل أحد ، ولا يبرع بحياء إلا من قلب شق ومن ذلك ما يروى عن النبي ﷺ أن رجلاً من أهل اليمن أراد أن يشرب سوباً عند النبي ﷺ فاستتر شوبه من الناس ، فقال رجل ما هذ ؟ فقال النبي ﷺ هذا الحياء يعطيه الله قرماً ومنعه آخريه فإد حاجت نك العريرة فعدها يعتمد الإحلاص أو الرياء أو يعمل عليها بغير عقد رياء ولا إحلاص

وكل مرء يمكنه أن يعتل بالحياء

وقد يجمل لي بعض المرءين أنه مستع ، وما هو مرء لا يستحق من تصحيح العرص وسحى من أشياء مباحه كاستعجال المشى ، لأنه حروح إن خلفه ، وكثرة الصحت ، ففصر

رياء وجرعاً من الزوال عن الخشوع عندهم

وقد أتى الشئ استحياء منه من الخلق ، والحياء من الله عز وجل في ذلك أولى ، فهو كحبر  
فصل من غيره من الخلق كالرجل يرى من شيخ مسلم مسكراً فيريد أن يأمره فيستحي من شيبته ،  
فالحياء من دى الشبه ويوقر الكبير خيراً

وحير من ذلك ألا يدع أن يأمره ! ولو كان مستحيًا من شيبته ؛ لأن من الدين والأخلاق  
الكرامة إكرام دى الشيبه ، وكذا ثبت رواه أبو موسى عن النبي ﷺ أنه قال « إن من إحلال الله  
عز وجل إكرام دى الشيبه المسيم » والحياء من الله عز وجل أولى ألا يصح الأمر من أن يقوم فيه الله  
عز وجل ! وإن استحي منه فليؤثر الحياء من الله عز وجل ، على الحياء من الخلق  
فإنهم ما وصفت لك من الحياء فإن كثيراً من الناس يغلطون في ذلك ويكذبون على الحياء ،  
ويرون ذلك أنه حياء

وكل ما يستحي منه العبد لا يعقب رياء فلا بأس به كحياته من وسع ثوبه ووسع جلده ،  
والسواد على ثوبه وعلى جلده ، وما أشبه ذلك ، فلا بأس به ماء يعقب رياء في الدين ؟



## باب من أين ينفي للعبد أن يكره ذم المسلمين له ومن أين لا يكرهه ؟

قلت : ليس ينفي للمسلم أن يكره ذم المسلمين له ؟

قال : بلى ، ولكن قد يكرهه على وجه

قد يكره دمهم خشية أن يكون ذلك دليلاً على دمّ الله ، عز وجل ، له ، لقول سي  
عليه السلام : أنتم شهداء الله في الأرض ، هذا ما لم يظلموا في دمهم ولم يكذبوا ، وكرهه أيضاً أن  
يمسوا فيه فيشعلوه عن الله عز وجل ، أو يحيي ، من إليهم ما لا يحل ، فيعصى الله فيهم ، بقلبه ،  
أو جوارحه ، أو إشفاقاً عليهم أن يعصوا الله فيه

والذي هو أقل ذلك ، وهو مناح أن يكره أن يعصم عما سمع أو يشقّ عنه ؛ لأنه يخالف  
لنطق فلا يكاد أن يمتنع أن يبيع العلم لسمعه ما يكره من القول فيه ، فليس عليه في ذلك حناح  
أن يكره ما يشقّ عليه فيما يبيع من أجل طبعه ؛ وألا يحب أن يعصم وإن دمه فاعلم ما هاج من  
الطبع ، فلا بأس به ما يكره الدم ويعتد له حرماً أن يروى عنه أحمد بالطاعة ، ومحنة أن  
يشوا عنه بالورع ويروى على الورع وبأكل ماله ، ولا يحسن أن يقولوا عليه غير ذلك ، فيروى عنه  
الثناء بعينه والبر عن طاعته ، فإذا كان ذلك فقد نقص في دينه ، وإن هو لم يرد بطاعة الله ، عز  
وجل ، من أجل ذلك ولم يخرع من ذلك لأن يتم له الشاء على طاعته لله عز وجل وسلم من  
ذلك ، وشعته مع إسلامه من الرياء عم دمهم ، إذا كانوا صادقين فيه عن العلم لله ، عز وجل  
فقد نقص وعين ، بل ما يرضى كثير من الناس بالعلم بروايل لثناء بالدين ، حتى يتندى أعمالاً أحرم لم  
يكره عملها ليريل ذلك الدم عنه والخروج إلى الاعتدال بالكذب والتقصع والمؤمن لا يطلب  
مصادقة الله ، عز وجل ، حمد المخلوقين ، ولا يكتسب دمهم ولا يحسن ، لأن فيه شغل قلبه ومحنة  
له ، لعنه أن يخرج إلى ما لا يحل له وعصيان مسلمين فيه بالطاعة ؛ فالطاعة يرد الله ، عز وجل ،  
بها ولا يرد بها العباد ، ودمهم مصاد لا يحسن ، ولا يكتسبه ، ولا يظلمه ، ويجب ألا يعصم الله ، عز  
وجل ، فيه ولا يشعلوه عن دينه ، عز وجل ، وأن يسلم دينه ، وأن يسلم عليهم

قلت فإذا كان لا يحب دمه ولا حمدهم على طاعه ربه وليس يسهى مبره ، فإذا لم يحب دمه أحب حمدهم ، وإذا لم يحب حمدهم فهو يحب دمه

قال إن عبه بدتهم على طاعه ربه عز وجل ، ليس يجرع منه ، لسقوط منزله ، ولا حب ثناء ، ولكن لشغل قلبه ونعصياهم فيه ، فكذلك ، لا يحب حمدهم على طاعة الله عز وجل قلت هيحت حمدهم لسقوط الشغل عنهم ولطاعتهم به لربه ، عز وجل

قال إن شغله حب الحمد ، وطلبه تسكين الشغل عن قلبه ، بحبه الثناء والتعظيم على طاعة ربه ، عز وجل ، فقد تعطل ثواب ذلك ، وإن كراهته شغل قلبه بادم ومحبتة أن يروى الشغل عن قلبه طلب السلامه ، لا أنه معتدل للشغل يحب حمدهم ، ولكن كراهة أن يجاهد طبعه ، فلهذا أن يعلم في حاب عقولته ، فكلا دفع ذلك عنه أن يمتحن به عدها بعه من ربه عز وجل قلت فالحمد ، أيضا ، يحبه حمله بغير طاعة ، لئلا يعارضه محبه دم على طاعة يجاهد عنها طبعه ، فيشغله ذلك ، ولعله أن يزول

قال : إن في وقوع الدم غار لصع ويس في دفع الحمد إذا لم يعقه دم غار الطمع إلا حرعا حب منزله . وطلب الحمد منه لا يكون من قلبه إلا رجاء أن يحمده على خير وطاعه ، فإذا دعت لنفس الحمد عن حمله فقد علم أنهم لا يحمده إلا على خير وبر قلت : وكيف جورت حب الحمد بعد العمل للسر عليه ؟

قال لم أحور لهم إلا سروره بعمه السر بعد ما مضى العمل حالصا . وبين الحمد والدم منزلة

قلت : وما وهي ؟

قال أن نحو قلوبهم من حمدهم على طاعة الله ، عز وجل ، ومن الدم كقلب من لا يعرف ولا يدمه ولا يحمده ، وكقلب من يعرفه فيسي إحسانه ، فلا يحمده ولا يدمه أو يذكر إحسانه ذلك ولا تنزع قلبه حمد ولا دم ، فهو لا يحب أن يدموه كره الشغل . ويحب ألا يحمده على طاعة ، لكراهية الرياء والزهد في المنزلة ، ويحب أن يحمو من ذلك جمعا . فلا يكون منهم حمد فلا دم على طاعه . ولو اعتقلوا دمه بعد أن لا يعلم به طار عليه . إذا لا تقع فيه ائمة ، إلا به لا تحه هم ، وإن لم يعلم به . ألا يعصو الله عز وجل فيه ، وفي الحمد هم مصعبون

قلت أليس الحمد ودم منزلتين إحداهما قبل الأخرى ؟

قال إنه ليس بين الفعل وبترك منزله . لأن بترك لمفعول فعل ثابت ، فمفعول ضروري فيكون

بعد يفعل فعلاً آخر ثالث ، لا حمه ولا دم ، وبصره قلبه من الحمد والحمد للعلماء بعد ، فهو  
يجب أن يكون ذلك العبد يعيش حمرة لا محمده أحد على طاعة ، ولا يدمه أحد ، لا لا يشغل  
قلبه عن الشغل بالآخر ، ولا آمن أن يحيى مع إليهم ما يأثم فيه ، ومحنة ألا يعصو الله ، عر  
وحل ، فيه ، ويب كآ من يدمه محس لم تحت الدم فيه ، خسية أن يرد دليلاً أيضاً أن به كرههم  
عما لا يحل له ، وأدى ذلك . أن يشغلوا قلبه عن ربه عز وجل !

## باب كيف يكون قلب الصادق عند كراهية المردة عند المخلوقين وحبهم لإحسانهم ذكره

قلت كيف يكون قلب الصادق في ذلك ؟

إن تكون نفسه مسخرة ، أو يكون في الخلق ما عاش ، لا يحظر بقلوبهم حمته ولا معرفة قصته ، ولا تنظر بذلك السهولة بالمرء في سره . سحاً بدت رفته ، عز وجل ، دور حلقه . قلت أم نحو بعد أن يحب رفع شغل عنه ، ولعنه عن غيره ، بغيره ، وبها كانوا دمر به . من قبل العصب لله ، عز وجل ، بدمونه في وجهه ، وبصوره ولا يعنونه . قال يعتمد لذلك من أجل هتك السر . وبما يوجب الله ، عز وجل ، له من يوظفه ويعطيه ، وبما مع ذلك ، الله عز وجل ، كان سر عليه . ويعطيه من قلبه ، ولم بكل عظمته وتأديبه إلى غيره هتك سره .

قلت فإذا كان آدم إذا وقع كرمه للشغل وبالعصية ليعاد إذا كان بما لا يحل لهم ، لا حار أن يفرح بالحمد منهم ، إذا كان يدفع الشغل عنه ، وحب طاعتهم ؟

قال حائر إذا كان يدفع الشغل عنه ، وحب طاعتهم ، وكان لعير قديم مرله ، إذا حمدوه بعد ما يفرح من العمل ، وحمدوه قبل ما يفرح من العمل ، وحمدوه على حمته على غير عمل يسمونه كمثل عاده الله وحره خبر . أن يعلما بعمه إذ ستر القبح ، وأظهر الحميل ، وحبته إلى خلقه ، وهو يتعص إليه ، ويفرح بهم بأن يطيعوا الله ، عز وجل ، فيه ، وأن يمدو به . إن كان موضع قدوه هو ، منقذ نفسه مع ذلك ألا يكون فرحه حباً لمردة عنهم ، وسحر مع ذلك أن يكره أن يصير منه مره بعد ذلك فيعصم ، ألا لا تتعروا له عن حمدهم ، ويتسدى في عمل وهو معتقد بقلبه أن حمدوه عنه ، إن اعترضت له محبة لله ، وتعظم بطاعته ، أو بالمرء وبه . في ذلك شكر يمدى سر عليه ليحبه ، وأظهر حمته معاملة وحده وأخلص به قلبه .

قلت في معنى إذا قوب عند الله ، حتى يكون حامداً ودامته في الحس سواء ؟

قال ذلك صحيح بسوى حامده ودمه في نفسه للإخلاص والصدق لله عز وجل والمراد في حمد من لا يصير ولا يصح ، لأن خلق عبيد ، لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً . فهم

نبيهم أولى ألا تملكو له صبراً ولا معاً ، عزه في حمدهم ، فلم ينالو مدحهم واستوى دنت  
عنده لنفسه ، إذ الأمر في المنفعة والمنصره واحد ، وأن دمهم لا يوجب صبراً ، وأن حمدهم  
لا يوجب سمعة كما روى عن النبي ﷺ قال له رجل ، وهو شاعر يبي تميم يا رسول الله ، إن  
حمدى رين ، ودمى شين ، قال .

كذبت : ذاك الله ، عز وجل

فلم يستيقن المؤمن ، وعلم وصدق بأن الله ، عز وجل ، له واحد ، وكل ما سواه مألوه  
مربوب مدبر مصروع ، لا يحدث في ملك مولاة ورثة ، عز وجل ، ما لا يريد ، ولا يكون  
إلا ما أراد ، خلق من قبله رجا من لا يملك له صبراً ولا معاً وخوفه ، واستوى عده حمد  
مخلوقين ودمهم ؛ إذ كانوا بهذه المبرلة ، ولم يسبق عده حمد لخالق ودمه ، إذ الملك كله له ،  
والسمعة والمنصره من مدبره ، عز وجل ، وصعبه ، فحمد الله عز وجل ، من يعمل أمل فيه  
الثواب معاجل الدنيا وآجل الآخرة ، وذلك أعظم المنفعة ؛ وما دمه عليه الله عظيم عليه ، وحاف  
عقابه في الدنيا والآخرة ، إذ لا مالك لما غير مولاة وإله ، وما حمد لخلق أو دموة سوى  
عده ؛ إذ لا ملك لهم في سمعة ولا في منصره في الدنيا والآخرة ، لم يرد مولاة ولم يشأه

## باب استواء الحمد والذم في قلب العبد والفرق بين حبه لنفسه ولربه . عز وجل

قلت : مثل أي شيء يستوى ؟

قال : كرجل أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، محمده من العباد حامداً ، ونظراً ، فإذا حمده لم يرد في ررق ، ولم يؤخر له في أجل ، ولا راد في صحة ، ولا دفع عنه سقماً ، ولا رجب له ثواب في الآخرة ، فكان عبده كأنه لم يكن ، ثم دمه تسرح من أمره وسبه ، فقال : مؤاخذ مكلف ! فنظر فإذا دمه لم ينقصه من ررق ، ولا من عمر ، ولا أراح عنه صحة ، ولا أخل به سقماً ، ولا وحب به عليه حقبة في الآخرة ، فكان الدم منه لم يكن ، فاستوى ذم من دمه وحمده من حمده لنفسه ، إذ لم ينل محمد الحامدين منعة ، ولم يصب بدم الدائمين له مصرة ، فاستوى لنفسه ولا يستوى لربه ، لأن الذي حمده قد أطاع الله ، عرو وجل ، فيه حمده للحق ، وحبه لنفسه به ، وحبه لمن أطاع الله عرو وجل ، والذي دمه على الحق قد عصى الله به ، وأنقص الحق ، ولم يحسن عليه ، فيعصه على معصيته الله ، عرو وجل ، في دمه للحق وأهله ، فلا يستوى لربه ويستوى لنفسه

قلت : هذا معنى غامض دقيق لا يعقله مثلي إن لم يكن تشرحه لي ، كيف يميز بين ذلك وطبعه ينارح إلى الحمد ، ويمر من الذم ! وكيف يستويان لمعي ، ولا يستويان لمعي آخر ؟  
قال : هو معروف موجود إذا قررت أن الحامد للحق مطيع لله ، عز وجل ، والذم للحق وأهله خاص لله ، عز وجل ، فقد ثبت الفرقان بينهما في الحب والبغض ، وثبت المساواة بينهما لنفسه ، لا لربه عز وجل ، إذ لم ينفع بالحمد ولم يضر بالذم  
قلت : لا بد من معنى تنصه لي أعرف به كيف أفرق بينهما وأستند به على ما يكون من طبع ، لما أجد في الحمد والذم ؟

قال : إن لدى يسوى بينهما لنفسه قد يخالف بينهما للمنازعة لنفس وحظر العدو ، ولكنه كاره لذلك ، راد على هوه وعدوه ، وقد يقوى ويعلوق الإخلاص ، حتى يأتي عليه بعض الخيال بدم وحمد فيها ، فلا يكاد أن تتغير طبيعته لما قد قهر الطبع من قوة عزم العقل وصور الإخلاص ، وقد

ينارخ طبعُ هذا الصوى في بعض الحالات ، إلا أنها مزارعةٌ ضعيفة ، تعبئة الصدق على قلبه ، ومن ثم بقو قلبه لمجاهدته والرد على دعوى نفسه وعدوه وسوى سبها بعقله وعلمه ، وإن نارخ لطبعُ إلى الخلاف بينها ، حتى يعنو ويقوى ، فتتحف المحن ويضعف دعواه العريرة ويهن ، ولما ثبت أنه إذا سوى بينها بعقله ، لما استورعه الله ، عر وجل ، من العلم بمعرفته الخلق والخلق ، كانا عنده سواء ، كما أمر وكتب إليه ، ولم تضره مزارعة نفسه إياه . وكذلك إذا عرف بينها في الحق وانعص بره . عر وجل ، وصاوى بينها لنفسه سلم وصدق

فت هم يعتبر حتى يعلم أنه قد صار إلى ما قلت ؟ إن النفس عليه وحده أن يكون الفرقان بينها للحق وانعص لنفسه ، وهي تلصق أن ذلك لربه عر وجل  
فإن يحرص على قلبه أن لا يكون المحمود على مصادرة غيره ، والندموم عليها غيره ، كيف كان حقه للحمد ، إذا أحسن الله ، عر وجل ، وبعضه له أم إذا نعصه لله عر وجل ، ونحمل منه على أن يدين الله مثل ذلك سواء

فت ما يمنع لاستوى فيه حمده وحمده غيره ، ودمه ودم غيره  
فإن أحسن ما أفل ذلك ويمكن يتبين بعقله وعلمه أن محبة وتقصه على نحو ما يعص من بدم غيره ونحو من محمد غيره ، ويكون ردًا على هو ، كآراءها لمفضل بينها كما يكره مزارعه لنفس وغالبها بين الحمد والدم ، إذا استوى ذلك عنده . من قبل تنبيه بعقله ربه ، عر وجل ، وكذلك يسوون عنده في حب والبعض للحمد والندم لغيره والحمد والندم لنفسه ، ويكره ما نارخ من الطمع من الرادة والمفضل بينها إلى نارخ الطمع إلى التفرقة بينها ، وقد فعل ذلك فقد دار الله بالحب والبعض للمطيعين والماصين ، ودار الله عر وجل ، بالماصين محمد الخوفين ودمهم فاستوى ذلك عنده . وما خاف هذين بالمزارعة من قبل هو كرهه ولم يركن إليه ، كما أمر بهي النفس عن هوى

فت إن لإخلاص مبره شرفه لا يسلع مثلي إليها . لأنها مبرية الخاصة ، ولما تخلص  
فإن ما أخذ أخوحي إلى الإخلاص من المحبط ! لأن متى لو حبط تطوعه كله لما يتقواه  
والمحبط إنما يكتمل تطوعه مبره فإن حبط تطوعه في مبره نافع فيهلك إلا أن يعفو الله . عر وجل ، بعد أن يلبي الله عر وجل على مبره من الرياء

## باب في الرياء للوالدين ليرضيا ، وللعمماء ليستفيد به علماً

قلت فهل يحور الرياء لمعالم يستفيد منه علماً ، لا يريد بذلك ديناً ، ورياء الوالدين ليرضيا عنه ، يريد بذلك رضاها ولا يريد بذلك ديناً ؟

فإن لا ، هذه أعنونه وحده لأن الله عز وجل ، إنما أمرك أن تعمل له وحده وتريد له وحده ، ورياءك ليرداد عملاً حسراً وجهلاً ، فكأنك قلت أحسر عملاً ليرديد عملاً ، لأن رادتك أن يحمداً العالم صدقاً ، أدت أن يحمداً الله عز وجل ، فذلك يحط عملك ، ولعلك لا تستفيد علماً ، وعملك إن استغنى عن الله ، عز وجل ، به سوء إدراك ، لما راعيت عملك ، وليس رياءك بلادي ليرداد به علماً ، فكان ما بصير إليك من العلم معدوماً ، ربيت وأحصيت ، فإنه لا يصل إليك إلا ما فكر لك ، وما يفكر لك من يصل إليك ، وما علم انعام ، أنك تريد فيريداً علماً ، بل لو علم أنك إنما تريد به نفعك وكسب أخرى أن تمتنع النعم بما صهر له من سوء صميرك ، فكيف تأمن الله عز وجل ، أن يمتنع ما تأمن من النعم ، لما تعلم من سوء صميرك ، وإن أعطاك به مععب السمعة به عقوبة ، فتكون إنما أدت حجة وم تن سمعة ، مع حسرة لعمل وحطه وتعرض للمقت

وكذلك والده ، إنما يطلب رضاها لرضي الله - عز وجل - وفي رضي الله عز وجل ترك الرياء له ، فكأنك قلت أطلب رضي الله عز وجل ، سحط الله عز وجل ، فهذا منافض ومحال لا يقوم في وهم ، ولا يقر به عقل ، ولعله لا يرد إلا سحط عليك ، لأنك إنما توهمه بما يظهر له من أنك في الصمير تطيع الله ، عز وجل ، فيبي الله عز وجل ، كذلك في قلبه عقوبة ، فردد لك مقتاً وبعضاً ، لثقتك على قلبه ، كما لم يهب الله عز وجل ، في صميرك فتخلص به عملك

فإن الله عز وجل فلا هذه حده أن تطيب رضا والده لا لا يرضى الله عز وجل ، وما يريد برضاها ، دعمت ، رضا الله عز وجل ، فتطلب رضا الله بسحط الله عز وجل



## باب الرجل يحضر القوم يصلون فتحصره بية للعمل وإن لم يكن يفعل ذلك في خلوة أو يكون فلا يجد البكاء

قلت الرجل يست مع القوم في منزل بعضهم أو في منزله ، فيقومون ، أو يقوم بعضهم ، فيصنون الليل كله أو بعضه ، وهو ممن لا يقوم وحده في منزله من الليل كما يقومون ، إنما يصلي ركعات ، ثم يوتر ، أو إنما أن يقوم في منزله دون صلاته ، فتحصره بية ونحوه أن يقوم معهم ، ويرتاب بنفسه ، إذا كان لا يقوم في منزله مثل ذلك ، أبدع الصلاة ولا يريد أن ما كان يصلي في منزله ، أو يصلي معهم ؟

وكذلك لو حصرهم بالنهار في منزل أو مسجد ؟

قال إن أسباب الدنيا مشغلة بفترة فاطمة عن العمل ، وإن أسباب أحوال الآخرة محركة مهجة على العمل ، فإذا كان الرجل في منزله قطعت الأسباب من حبّ اليوم مع روحه وأهله أو على هراشه ، إن كان له ممكناً أن ينام عليه ، أو أكل طعام ، أو حديث مع زوجته ، أو شغل بولده ، أو ينظر في حساب أو غيره ، فيمترط هذه الأسباب ونحوها ، وأخرى أن قيامه في منزله ، وإن قل ، دائم ، فلا يقوى على الدوام مع الكثرة ، فإذا صار إلى موضع غير منزله زالت هذه الأسباب عنه الفترة لمشغله له عن القيام ، محصره أسباب تسيجه على ذلك وتحركه عليه ، ودلت رؤيتهم وهم يصلون فيحركونه بصلاتهم ، ويحد العين أن يسبقوه بصلاتهم ، ورأياً لم يأتده اليوم لاستنكار الموضع ، أو لأصواتهم وحركاتهم ، فيستعم دهاب لوم ، فيجعل سهرة في صلاة ، وقد لا يستنكر الموضع ويمكنه اليوم ، ولكن حركوا قلبه للقيام ، ورأيت عنه الأسباب المشغلة له ، وإنما هي ليلة أو ساعة أو ببال قليلة أو يوم واحد ، ثم يقطع ، فيحرف على النفس ، لقلة الشواهد على ذلك ، ويعتم ذلك إذا وجد على نفسه أعواناً يحركونه للقيام بصلاتهم ، فقد تحصره انية بصادقة بدلت ، وقد يكون ذلك حده من نفسه تخيل إليه أنه صادق يريد الله عز وجل ، بدلت ما حركوه بقيامهم ، وإنما هو خزع من دمهم له واسطر به بالنقص أن يقولوا في أنفسهم ليس

هو من يقوم الليل ، أو ما كُنَّ تظنه إلا صاحب قيم بالليل ، أو كُنَّا تظنه يصلي أكثر مما صلى هذه الليلة ، أو جرح أن يكسلوه إذا لا يتحرك محركهم  
قلت : هذا الفرق بين المهمتين ، وبين المعيين ؟

قال الفرقان بينهما أن يعرض على نفسه أن لو كان وحده ، ورأيت عنه الأسباب التي كانت تشغله في موضعه ، أو علم بصلاتهم ، فإهم يصون من حيث لا يرويه ، ولا يعلمون به ، فمحذوف منقبتهم ، إن هو لم يصل كما يصلون ، وعلم بهم من وراء حدار ، أو سائر لهم عنه ، فبهم ولم يعبوا به ، ويحركوه مثل ماحركوه به ، وهم لا يرويه ، أكان قائماً أم لا ، فإن طابت نفسه بدت فليصل ما بدا له ، وإن لم تظف نفسه فلا يريد على ما كان يصلي في منزله ركعة ، وكذلك الصيام إذاحركوه به ، وكذلك إن لم يصل منهم أحد ، ولكن حصر معهم قراءة القرآن أو عظة ، فتحرك قلبه لذلك ، فأمر أن يصلي ما لم يكن يصلي من قبل ، وكذلك إن لم يكن حصر معهم قراءة قرآن ولا ذكراً إلا أن اليوم طارعه ، فليعرض على نفسه - أن لو كان في موضع لا يرويه ، وسمع تلك القراءة أو العظة ، أو طارعه اليوم ، أكان مصلياً ؟ فإن طابت نفسه وسحت بدت فليصل ، وإلا فلا يريد على ما كان مصلياً من قبل

قلت فإن كان وقت ماحركوه وهم يرويه يجد من نفسه حركة للقيام ومسارعه من قلبه فلا يقوم : إما كسلاً من نفسه من تحلل القيام وأن تقول له نفسه : انتعس ، وإما أن يدعوه من قلبه دغراً أن القيام لا يصح لك ، لأنت لا تقوم في مرتب مثل هذا القيام .

قل إن كان كسلاً وفرة من النفس ، والقلب قد سحا بالقيام معهم انتفاء مرضاه الله وحده ، جل ذكره ، لا يجد غير ذلك عيقهم معهم ، فأما الذي أنه لا يصح لك معهم ذلك فقد يكون من العدو ، ويكون من الله عز وجل فإن وجد من نفسه الغالب على قلبه حب القيام لله وحده ونفسه سخية أن لو خلا وحده وحركوه مثل هذه الحركة ، من حيث لا يرويه ، قام فليقم ، وإلا فلا يقم إن وجد الأغلب على قلبه أنه لا يصح له القيام ولا يجد نفسه طيبة بالقيام لو خلا ورتهم يصلون من حيث لا يرويه ، أو طارعه اليوم ، أو سمع مثل ما سمع من القراءة والعظة ، من حيث لا يرويه ، فلا يصلي ولا ركعة

قلت : فإن كان يعرض حب حملهم مع ما حصره من البية ؟

قال إن كان الغالب على قلبه حب القيام لله عز وجل ، وكان كارهياً حب محمدتهم ، راداً على منارح من نفسه حب حملهم ، ونفسه سخية أن لو خلا ، وهو يراهم فمحركوه مثل ذلك

لصلى يصلي معهم ، ولا يدع انصلافة من أحسن تلك شأعه في حمدهم ، أو وحده من قلبه أنه عاب عليه ، ده الله وحده عز وجل . وأنه لو خلا لقام مثل ذلك لقيام ، وقد شهد العبد بعيره كنصلافة يوم الجمعة نزول عن العبد لأسباب شعبة ، ويرى من حوله يصلي فيشهد لذلك ، وهو في سائر الأيام لا يكاد أن يصلي ، فإذا حصره مثل تلك الآية فليصل فإنه لله عز وجل . وكذلك دليل مع غيره إلا أن مع غيره أقرب من جدعة النفس ، فليعرض على قلبه ما وصفت لك

قلت فإن حصر مع قوم يبكون ، ولم يأتيه لكاء ، فوحد نفسه بجرع أن يكون فاسد من بهم ، أيتكلف انكاء بالفكر والله كره ؟

قال بعرض على قلبه أن لو خلا وسمع بكاءهم وراهم ، من حجب لا يرويه ، هل كان حرجاً إن كان قاسياً يراه الله ، عز وجل على ذلك ، وعيره يبكي من خشية الله عز وجل ؟ وأن يكونوا أخوف لله ، عز وجل ، من ، وهو يعرف من نفسه من الذنوب أكثر مما يعرف منهم ، فليتكلف ذلك ، وإن ، حد من فيه ذلك فلا يتكلف ذلك حتى يأتيه ما لا يملك لأبه دمه يجد من قلبه ذلك لا آمن ، يكون قد حرجت نفسه أن يقرب ما أقساه ، وأقل رفته ، وأقل خوفه وحزنه لأن النفس تدارع أن يظهر منها لحروف سكرم به ، فلا ترى إلى قول لقمان رحمة الله عليه يا بني لا تُز الناس أنك تمشي الله بكرمود وظللت فاحر

قلت فالصبيحة تكون من العبد ، والنفس العالي عند الذكر بسمعه العبد ، وعن فكرة منه تكون ذلك ؟

قال : ذلك على ثلاثة أوجه

أحدها يكذب لأن خوف هائج اتعد حمد من بسمعه أو يلعبه عيرد عنه ، أو حرجاً عند الذكر بسمعه - أن يقا - ما أقساه ، وأقل قد فيه عند الذكر أو يهجاه على ديب وتقصير في دين كالمزاح أو الصحك ، أو بعد أنه قد سمعهم عنه ديب ، أو بعض في دمه فسفس أو يصيح حرجاً ليدرس ما كان منه ، وثلاً بعضه ذلك عندهم ، أما لشككهم في كان منه ، أن كان يحصل التشكيك أو مثلاً يصع مرة على له الخوف لله ، عز وجل ، وقفة الورع ، وقفة الحزن ، وأنه منه لأجل خوف في قلبه والحزن فإنه يرجع

والوجه الثاني أن يتعكر أو يتذكر أو يسمع لذكر من غيره ، فيحزن فيه حرجاً لا يعتد على قلبه ، فيتكفف الصالح بنفسه ، ولأن ، مستظماً لما يتفكر فيه ، وما يسمع إذا

أن منه لا يرقى كما ينبغي ، فيصبح ويرى وثنى تحرباً منه واستدعاءً لبحر من قلبه ، ثم يتحقق  
التصنع في وقت ما يبدو ذلك منه أن يستدكر بذلك حتى أن قلبه خائف محروب فإن بعده معاً ولم  
يقبل الخطرة حينئذ ذلك منه ، فإن قلبها بعد ما تقصى ثم يحبط ذلك ، وذلك نقص ، إذاً حجب  
قلبه حمد المخلوقين على طاعة ربه ، عز وجل ، وإن قبل الخطرة مع التصبحة ودهها حط حربه  
فيها ، وإن قلبها معها ولم يتريد فيها حشيت عنه الأثقل منه

**والوجه الثالث** أن يهيج الصباح ، والتنفس ، والزهر ، أو الألبس ، عن الفكر بالخوف ،  
أو عن الاستماع بالخوف ، أو النظر للمحوف والخر ، كالنظر إلى المنيب أو إلى النور أو الشيء  
يعبر به يثبت على عهدة الله ، عز وجل ، أو معنى من معاني الآخرة يهيج ذلك منه عن عبدة من  
عنه ، فذلك يهيج خالصاً لله ، عز وجل ، من خوف تخفيفه في لقلب وقد يحظر العدو مع  
الهيجان بذلك حين يظهر لصباح والتنفس ، حباً بحمده المخلوقين ، أو جرأاً من أن ينظروا إليه  
بالقصور وقله الرقة والخوف ، فإن ماها حجب ذلك إليه ، وإن قلبها هدد تصنع بذلك

قلت وكيف جعلته متصفاً بذلك مراتباً ، وقد ابتداء في الهيجان على غير كلفة ؟  
قال : به تصنع به قبل أن ينقص ، وكذلك الصلاة وغيرها ، يدخل فيه ، ثم يحظر العدو  
بدعاء إلى الرياء ، فيفسد ذلك منه وينصع به ، وأعظم من ذلك الصباح والتنفس والتأوه  
والألبس يهيج عن الخوف ، فإذا ظهر للعباد تصنع بذلك العبد يريد فيه ، حتى يريد في مد صوته  
أو تحريكه ، وكذلك تنفسه وتأوّهه ورفيره وأبيه ، فذلك الذي لا يختلف فيه أنه رياء ، لأن  
ذلك التريد هو كاستدائه تكلفه لطلب حمد المخلوقين ، فإن لم يقبل حتى تقصى صباحه وأسه  
حطرت بقله خطرة حب حمدهم على ذلك فصفاً لم يحبط ذلك ، لأنه قبل الخطرة بعد تقصى  
الصباح ، إلا أن ذلك نقص منه ، وكذلك ليكاء يحل منه هذا العمل في جميع أمورهم قد  
تكلفه تصنع للعباد ، وقد تكلفه يستدعى به اليكاء ، يريد الله ، عز وجل ، بذلك ، ويحظر  
حاضر الرياء مع ذلك فيصنع ، وقد يهيج من الخوف مالا يملكه ، فيحظر حاضر الرياء مع ذلك  
فيصنع ، ويريد عليه من رحيق الشج ، أو تحريك الصوت بالكاء ، أو رفعه ، وقد يقبل  
الخطرة ، ويعتقد حب حمدهم على نكاته ، ولا سريده على ذلك شيئاً ، وهو الذي يختلف فيه  
كالصلاة يدخل فيها فتدعى بها ثم يحظر حاضر ربه فيصنع ، وكذلك التعداد على نفسه يحس  
هد عمل

## قلت سقوط ؟

قال ذلك قد يكون تكديماً ، وذلك فصل الأكاديين يسقط بغير حروف أصحبه فالقاء ، أو دهاب من عقله ، وقد يكون لصحب عب على البدن ، فلم يتألف ان يثبت جالساً أو قائماً والمقل لم يذهب ، وقد يلحقه في ذلك التصنع به يحمد على ما ظهر منه من دلالة الحروف ، وقد يلحقه في ذلك أعظم من التصنع مما ظهر من سقوطه - أنه تخرج منه أن يعطوا أنه سقط لغير دهاب عقله ، فيحتمل جزعها من ذلك أن يوهم أنه ذهب عقله ، وهو صادق في سقوطه مع ذلك من الصنف ، فخرجت منه أن يروه أنه سقط من غير دهاب عقل ، فيظهر دهاب العقل ، فيخرج إلى التكلف له لا لشدة الحروف تصنعاً ورياء ، وقد يسقط من دهاب العقل ، فيعين سريعا ، فيخاف أن يظنوا أنه سقط من غير غلبة على عقله ، ولو كان سقط من غلبه على عقده لأبطأ في سقوطه على الإفاقة ، فيسقط لله عز وجل ، الحروف منه لا يملك ذلك ، ثم وجد العدو موضع فتنة فيدعوه إلى أن يطول المكث ، فلا يتوهموا أنه سقط من غير غلبة على عقله ، ليعظم عندهم بطول مكثه في سقوطه ، ليدل بذلك على أن الحروف العال في قلبه قوى وكذلك إذا سقط لصنف قوى سريعا تخرج منه أن يظنوا به أنه سقط من غير غلبة ، إذ لو كان من عيه على عقله لما أفاق سريعا ، وقد يهين حين يبق ، ولا يتمكن بعد الإفاقة ، ثم يبق ولا يظهر القوة سريعا ويجمعها إن تظهر منه ، فيصعب صوته ويظهر الصنف في بدنه ، فلا يظنوا به أنه سقط عن غير غلبة على عقله ، وكذلك يسقط دهاب عقله ، ثم يبق فيظهر الصنف لأن يربل سوء الظن منهم ، ليستدلوا بما يظهر من الصنف بعد الإفاقة ، أنه سقط من دهاب عقله

## باب ما ينشأ به التصنع للمخلوقين في التصنع والحرور

قلت : هم يسي جميع ذلك في الصباح والتشمس والسقوط ؟  
قال : أما إذا دعته نفسه إلى أن يفعل ذلك تكلماً للعباد ، فليذكر إطلاع الله ، عز وجل ، على بندته وعقله ، وقلبه ، بالوقت له ، إدراكه متكلماً لإظهار الخوف ، مع الأمن ، لله عز وجل ، إذا فعل ذلك يريد العباد ، ولا خوف في قلبه ، وذلك خلق من أحوال المفاقيين ، أن يتكلف الطاعة لا يريد الله عز وجل ، بها ، ولولا العباد ما فعل ذلك ، ويظهر أنه حائب من الله عز وجل ، بالأمن لله عز وجل لأن تكلفه ذلك وقصده لذلك بل العباد من الأمن لعصب الله ، عز وجل ، ومقتنه ، ولو كان تكلماً لله عز وجل ، أو معلوماً عن ذلك لما أتاح الخوف قلبه ، فيذكر بصر الله ، عز وجل ، إليه ، وأنه لا يرضى إلا من فعل ذلك خوفاً منه ، أو تكلماً ليستدعى به الخوف ، وتعطياً لما يخاف منه ، ثم يذكر أنه يستبدل بما يرضى الله عز وجل عنه به ، التبرص لمقتنه ، من غير أن ينال إردباً منفعاً من العباد في دين أو دنيا ، ولا اجتلاباً حمداً منهم ، ولعل الله عز وجل أن يرسل حمده من قلوبهم ويحبل عقوبته في قلوبهم دماً له ، إذا نار الله ، عز وجل ، بما يكره في صميمه ، فإذا حاب الوقت وذكر المعين والخسران أن يستبدل بما كان بدؤه صدداً - يرحو الرضا من الله ، عز وجل ، عنه به والأمن من عذابه - بالتبرص لسخطه وحرمان رضاء بذلك عنه ، فإن لم يكن هذا حاسراً معيونا فلا حاسر أبداً في شيء ولا معبود ، فإن ذكر هذا يعقل عن الله ، عز وجل ، ولم يرد على ما تكلفه الله عز وجل ، ولا على ما أتاح منه ، وهو لا يمكنه ، ولم يحب حمدهم عن ذلك ، ولم يتريد فيه تحزين ، ولا يطول مكثه في سقوطه ، ولا إظهار ضعفه وإفاقته ، وكذلك تكيس الرأس والإظهار للانكسار في مشته وصوته وصلاته ، وعند الذكر ، ولم يهيج من القلب خوف تكسره بكس له رأسه وسكسره به بندته ، ويحشع له قلبه ، ولم يتكلف حياء من بصر الله أو طلب السلامة أن لا ينظر إلى ما لا يقرب إلى الله عز وجل ، ولا يفرح ولا يبطر ، لئلا يبدل نفسه بذلك لله عز وجل ، وذلك حال المنافقين  
كما جاء في الحديث : « تعودوا بالله من خشوع الناق ، قيل وما خشوع النفاق ؟ قال إن يحشع البدن والقلب ليس بحاشع

وكذلك إظهار الاستعصار والاستعداد بالله عز وجل ، من عذابه وعصه  
وقال عمر ، رضي الله عنه لا يريد الخشوع على ما في القلب  
قلت . فبم يبي ذلك ؟

قال . به كثر الله عز وجل ، إليه ، وحيث مقلته ، وفيل ما يرجع إليه من العباد بل  
لا يرجع إليه منهم شيء يرداد به في مسعاه في دين أو دنيا ، فمن يدي تطيب نفسه لا يتعرض  
لغضب الله عز وجل ، ويحفظ عمله في الآخرة لغير مسعاه بها في دين أو دنيا ؟ ما يفعل هذا إلا كافر  
أو أحق دهر يفعل ، أو فاجر على الله متمرد لا يكثر بعصيه ولا يعقده

قلت تعرض لي الخشوع حين ترى بعض خلق وأنت في لذي ههنا استاء  
قال . ذلك قبل أن تخشع في حال أخرى غير خشوع فودد رهمت أبصار أعمار ، فإن أردت  
نعمت أن تعرض من الخشوع التي كنت عنها إلى حال الخشوع ، فانظر ما يدي ثار في نفسك من  
الذكر به " عن طلاع الله عز وجل ، وعن ذكر الآخرة ، ونصحتهم لما رأوا ذلك " فإن كان  
الله عز وجل فامضه ، وحذر أن يركن إلى حمدهم بعد ما كان منك خشوع على صدق ، و  
بعير عن حاله الأبي نصحتهم لأطلاعهم ، فاستحي من الله ، عز وجل ، وحذر على ردت مقبه  
والفصيح عت أن يهتد سترك بعد من كان يرض بك الصدق والإخلاص

ثم سمع إلى ما روى وهب أن أحد ثلاثة أئمة حاجو نوب عليه السلام قال يا أيوب . ما  
علمت أن بعد تصلي عنه علابه لئى كان يحدع بها عن نفسه ، ويجري سريره

ومنه قول بعضهم أعود بك أن يرى الناس أني أحشاك وأنت لي عاقب  
وكان من دعاء حسن بن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه اللهم بي أعود بك أن  
تحشني في لامة العون علابي ، وتقيح بك ما أحلو به برقي ، تحافظ على ربه الله من  
نعمي ، وأصنع ما أنت مطمع عنه مني . نهى للناس حسن أثري ، وأقصى بك بأسوا عمي ،  
تقرأ إلى الناس محسني ، ومرار منهم إليك مستفي . فيحل من مصك ، وحب عبي عصمت ،  
أصلي من ذلك يا أرحم الراحمين

وحذر لقب والفصيح في الآخرة ، وسقوط الخاء عبد الله عز وجل ، وحرمان لإحاده عبد  
لاستعانة ، لأن من ساهون لظفر الله ، عز وجل ، إليه هان على الله ، عز وجل  
ثم سمع إلى ما روى وهب بن وهب ، رحمه الله أن أحد الثلاثة النضر قال لأبيوب  
يا أيوب ، ثم نعمت في الدين حفظوا علابيهم وأصاعوا سر ثوبهم . فعند طلب الخشوع إلى  
لرحمن ، عز وجل ، تسود وجوه أولئك بردد ؟

## باب ما قالوا في علامة صدق الخاشع لله عز وجل إذا رمقته أبصار العباد

قلت ما علامة الصادق فيما يُظهر من الخشوع وخوف إذا رمقته أبصار العباد ؟  
 قال إن الصادق قبل أن ترمقه أبصارهم ، لا يحلو من إحدى مرتبتين إما أن يكون خاشعاً  
 أو غير خاشع ، فعلامته صدقه في ذلك أن يواظب عليه جميع العباد ثم يتغير عن حاله لى هو  
 عليها فينتقل من حاله الى م يكن معها خاشعاً إلى الخشوع ، ولا يردد في خشوعه ، ولا سر  
 باطلاعهم على خشوعه إن كان خاشعاً قبل أن يرمقه أبصارهم من أجل اطلاعهم ، إلا أن  
 يحصره صدق من قلبه يشهد أن الله عز وجل قد علم ذلك من قلبه . فيجبه على ذكر الله عز  
 وجل ، أو ذكر الآخرة ، أو تحرراً منهم إن كانوا ممن يتحرر منهم ، فيخشع مثلاً ينظر منهم إلى  
 ما يليه ، أو يخاف ، إن لم يخشع ، فيباصد عنهم إن استطوا إليه وانسط إليهم بما لا يسلم في دينه  
 أو بعضاً هم لله عز وجل ، أن ينظر إليهم ، إذ عرفهم بالعصيان لربّه عز وجل ، أو بإجلالاً لهم  
 وهيه لله عز وجل ، إن كانوا يستحقون ذلك ، ومع ذلك أن يجد من نفسه سبحانه أنه لو هاج من  
 قلبه هذا بذكر الذي هاج فيه من غير أن يروه الخشع ، فذلك علامة الصادق في خشوعه ،  
 وعلامة صدقه من قلبه ، مع الخدر منه أن يتغير قلبه ، فيميل إلى التصنع لهم بعد الصدق ،  
 فاحذر من نفسه عائب على قلبه ، فإذا كان كذلك كان من خشوع ، وكأنه لا يطلع عليه إلا الله  
 عز وجل ، متقلناً في خشوعه ، كأن ليس في الأرض غيره إلا حظرات تحظر بصعف والقلب راداً  
 ما يصدق قوى وإجلال لله عز وجل ، وخوف منه  
 فإذا كان كذلك ، يكن في طاعة ولا مباح فيتعير ولا ينتقل إلا لا اطلاع به ، عز وجل وأبصار  
 مرضاته ، والمطلب لما عنده من الثواب خيريل ، والعيش السليم ، والعيم الخقيم



## باب الرجل يكون له صاحبان أحدهما غنى والآخر فقير فيكثر زيارة الغنى وبره دون الفقير كيف السلامة من ذلك له ، ومن أين فسادة ؟

قلت قد يكون لى صاحبان - أحدهما فقير والآخر غنى ، فأحد نصي تسارع إلى بر الغنى وإيثاره بالزيارة والعبادة وغير ذلك

قال إن ذلك قد يصح وقد لا يصح في الإرادة لله عز وجل ، فأما الذي يصح فإذا كان الغنى منها أطوع لله عز وجل ، وأتقى ، أو كان أضعف لك في دينك ، أو تكون تجد قلبك معه أريد وأسلم لك في دينك ، أو تستفيد منه عما تستمتع به في دينك ، فآثرته بالإتيان تريد الله عز وجل ، بذلك ، ولا تعتقد بذلك طلب دنياء ، فهو أولى حيث أن تؤثره بالبر والإتيان ، إلا أن تعلم من الفقير جموعاً أو هرباً فتندى بمواساته حيث

وكذلك أن يكون منك قريب المنزل ، فتشغل إلى إتيانه من أجل قرب منزله ، والله عز وجل ، يعلم أن نفسك سحبة أن لو كان الفقير يقرب منزله ما آثرته بالإتيان على الغنى ، إذا كانا مستويين في الطاعة والسلامة والمنفعة والقرب والقرابة ، فإيثارك الغنى للدنيا لا يشك فيه ، إلا أن تكون أنت عالماً ، والغنى يخاف ضيعته ورجوعه وفترته ، وهو أصعب قلباً من الفقير ، فتألمه بالبر ، رجاء أن يقوى في الدين ، فإن آثرته بالبر لذلك ، وأنت تريد الله عز وجل ، بذلك ، فهو أولى حيث بالبر والإتيان

قلت قد تنصرف في إتيان الغنى ، ولا تعرض ل إتيان أح فقير ، ولا آمن حدة نفسي فيم أعرف ذلك ؟

قال اعرض عليها بعض المقراء ، أن لو استوت أسباب وأسباب هذا الغنى ، أكنت تأتبه ، فإن لم تسخ نفسك بذلك ، علمت أنها غير صادقة

قلت فإن ستوت أسباب الغنى والفقير ، فأتيتهما جميعاً ، أكنت تخاف على ؟  
قال - أما في الذهاب فلا ولكن أن تذكر العلم وتشر الحكمة وتظهر المشيوع أكثر مما يكون منك عند الفقير ، فتعقد ذلك ، ثم دع فصل ما بينها

وقد رُوي أن من لسانك قال خارية به ما لي إذا أتيت بغدادَ تصحت لي لحكمة \* قالت به خاريته يُشجّد لسانك الطمعُ وصنعتُ إنَّ العبد يُكثر الكلام بالخير عند العبي ما لم يتكلم به عند لفقير ، يهيجهُ الطمعُ على ذلك ، أو تعظيمهُ لندبها ، وكذلك يُظهر الخشوع وغيره من الطاعات

هذا آخر كتاب الربا ، والحمد لله رب العالمين

كتاب الإخوان  
ومعرفة النفس

## باب في العبد يعزم على التوبة ثم يرجع . وما الذي يقويه ويعينه على التقوى ومخالفة أهوى والشهوة ؟

قلت قد تسحر مسمى بالرعاية حقوق الله ، عز وجل ، وترث الرياء بالطاعة لسياد الله ، عز وجل ، وتحرم على ذلك ، ثم لم ألبث أن أزول عن ذلك حتى أصبح بعض الحقوق ، وأنصت بعض الطاعة من أين أتيت ؟

قال . خوفك ضعيف ، وحذرُك من الله عز وجل قليل  
قلت فكيف في بقوة الخوف وشدة الحذر ؟ قال قد تحدثت عن ذلك بإدماة لفكر  
مالتحويف لنفسك

قلت قد حومتُ مسمى كما أمرتني ، حتى سحت بالعلم ، ورفضت الإصرار على المعاصي ،  
والرياء على الطاعة . ثم لم ألبث أن رُكُتُ ورجعت ، وراجعتُ التوبة والعزم ، ثم رُكُتُ ، ثم  
راجعتُ التوبة والعزم ، ثم راجعتُ اللذات والتصنع في بعض ، ووفيتُ في بعض ؟

قال إنك قريب العهد بالجهالة والربل ، طويلُ العدة والألمة للمعاصي ، قليلُ العناية  
للمراقبة والصدق ، فهو كقوى ، وشهواتك هائجة ، لشدة إلبس نفسك اللذات ومباشرة  
لشهوات ، من ثم أسرعتُ الرجوع ولم تحقق الوفاء بالعلم في حقوق الله عز وجل ، حتى صيبت  
بعضها ونصبتُ ببعض الطاعة

قلت فكيف في يموت شهواني ، وضعف هوى ، وقوة حوى ، وشدة حذري ؟  
قال الزم الفكر فيما سبغ من الدروب وخوف ما وحب عيبك من الله ، عز وجل ،  
والعكر في البعث والمؤل ، وشدة العذاب ، وحرمان الثواب ، فإنك بذلك مستوجب ،  
ومراجعة التوبة ومراجعة لعزم ، والحذر فيما تستعمل ، ومع النفس لستها فيما يكره رُئُها ، عز  
وجل ، فإن رُكُتُ ورجعتُ سريعاً ، وعادوت العزم والتوبة ، فإذا أدمت الفكر بالتحويف  
لنفسك ، قوى خوفك ، وإذا أدمت الرد على نفسك ، والعصيان لها ، وترك استعمال شهواتها

تفطعت لنفس على عدد ٣ ونسبت من ان تعطيا لذاتها ومكنت شهرتها إذا لم تستعمل ، وما استعملت منها عاقبته بالخوف والخر ، فحيث تقوى وتستقيم على الصدق ، وتعلم في المراقبة لله عز وجل ، والإخلاص له

قلت هذا قد يقول بي ، وقد يسرع في الذي أستعين به على ضمني ما دمت صعباً ، حتى أقوى بعد إيمان على الفكر ومجاهدة نفسي كما وصفت ؟  
 قال : يقوى صعبك وتقوى على نفسك بخصلتك .

إحداهما قطع كل سبب يكون عنه روائك وفنك ، إلا ما يجب عليك الاشتغال به والإتيان به أو اتياه أو مساً هو عون لك على طاعتك لربك ، عز وجل .  
 والخصلة الثانية قلبه انكث بعد الرل ، والمساغة إلى الإقلاع قبل أن تألف النفس المعصية ، ويتمكن من قلبه حلاوة الشهوة

قلت والأسباب التي يكون عنها الخطأ والزل ، مثل أي شيء هو من الأسباب ؟  
 قال كالرحل يشكو حباً لنظر إلى ما لا يحل ، وهو يجلس على الطريق يتحدث ، أو يستريح إلى ذلك ويكثر لقاء الإخوان ، فكما جلس على الطريق وهو سوى ألا ينظر فحاشاً ما يهيج شهوته على النظر ، فتعلمه نفسه فينظر ، ثم يرجع فيندم ويتوب ، ثم يعاود الجلوس ، فصبه مثل ذلك و قد قطع حبوس وبره مرة أو مسجده سقط عنه بسبب الذي كان يقسه ، وصار في تلك الخصلة مع صعبه أقوى من القوى الذي يعرض عنه للفتنة بالحبوس ، لأن الضعيف إذا قطع السبب الذي يؤق من قلبه صار أقوى من القوى الذي يتعرض للسبب الذي يعتنه ، وكذلك الخروح في الخواارج لى لا تحب عيه فركها أقطع عنه سبب فتة  
 قلت : من كانت حاجة فيها يروطاه ؟

قال : كانت رجة فليخرجها ، ولا يهني ربه ، عز وجل ، شك لا يدري ، أ يكون أم لا يكون ، لأن بركة لذهاب معصية ، والنظر منه لم يكن بعد ولا يدري يكون أم لا يكون ، بل ان ذهب ، والله عز وجل يعلم منه أنه لو كان لذهاب لرجة عنه ، وحاجة به فيها لذة فادها ، أيقا على ديه ، لكلا ينظر إلى ما كره ربه ، عز وجل ، ولولا ذلك ، وجب حق الله ، عز وجل ، ذهب ، فإذا علم الله عز وجل ، منه لصدق في ذلك من خوفه من المعركة كراهة ، تسخط الله عز وجل ، فذهب لله عز وجل وبولاه ما ذهب ، وبكأن على الله عز وجل . من الله معصية إذا علم أنه لا يذهب من أجل راحته نفسه ، فإذا ذهب عن ذلك ، كان الله عز

وحلٌّ ، نُكْرِمَ من نَحْنُ حُدِلْهُ ، فإن كان حاجةً للديار لا غناء به عنها من العدا ، أو بغياله فهو  
 يقوم هذا المقام . إذا علم الله ، عَزَّ وَجَلَّ ، أنه لو كان يذهب لتكثير ، أو تزياد أو لا تفتحار .  
 ما ذهب ولا أثر يترك . مثلاً يتعرَّض لما يُسْحَطُ رُتْهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، ويؤلا طلب العون على طاعة  
 رُتْهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وأجبر في عياله ونفسه . ما ذهب متوكِّلاً على رُتْهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، به لا يحلله .  
 د عَمَّ نَهْ نَمَّ يذهب للذة نفسه ، رجوبُ ألا يحلله الله عَزَّ وَجَلَّ ، من لا يحلله ويعبئه ويعصمه .  
 ن شاء الله ، فإن كان دهانه حاجةً للديار ، فله عنها غناء ، وهو يعلم أنه لا يسلم ، ما جُزِبَ من  
 نفسه ، فترك ذلك أولى به حتى يعوى ، ولستُ أمره بذلك دهره كله ، إنما أمره بدأونه لذلك  
 قليلاً . حتى يعوى ، وكذلك ، إن كان يشكو لسانه أن يسفه إلى لعيبة والخراج بما لا يحل  
 ولا مستهراً لغيره ، فإذا أُنعم الرويه من أي وجه يؤتى ، ومن أين أكثر ما يؤتى من محالسه  
 الإحسان وغيرهم . ويرى محالستهم حتى يحققه فرص واحد لا يؤدبه إلا بالكبرية معهم .  
 أو معاشراً لا عي به عنه ، ليحالفهم حيث يجد لإقامه الواجب ، أو لطلب العدا ، لا لراحة نفسه  
 نفسه وشهوياً ما كلاً في ذلك على رُتْهُ أن يعصمه . رد عَمَّ انه نالاً لتسحاسة ، الله نفسه  
 وشهوياً ويؤلا داء واجب لله ، أو طلب ما يعينه على داء واجب حقه . لأثر الله ، عَزَّ وَجَلَّ ،  
 ما يترك خوفاً من سكتهم كما يُسْحَطُ رُتْهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، به ، يعصمه الله ، عَزَّ وَجَلَّ ، وعامه ن شاء  
 الله

وما يد عَمَّ به لا يسلم معهم . ثم حالسهم بعد علم وتحرية من نفسه ، بهم مخرجونه خدبته  
 ومحاورتهم إلى الكلام ما يكره مولاه ، ثم ذهب أو حبس لغير واجب ، ولا طلب معاش لا عي  
 به عنه ، وهو يعلم ذلك . فقد أعطى بيده لى الهلكة على عهد منه مباوياً بأمر الله عز وجل

## باب الرجل يخرج في الحاجة أو يجالس بعض إخوانه من يدعى أخونهم في الله ، عز وجل وهو يعلم أنه لا يسلم له دينه معهم

قلت : أريت يا ذهب ، وهو عازم ألا يتكلم بما يكره الله ، عز وجل ، وقد جرت معه  
وجرتهم ، فبم أنه لا يسلم معهم ؟  
قال - بإد حرم على ترك الكلام بما يكره الله ، عز وجل ، وقد حالسهم ، وهو عازم من  
قل ، كبرمه هذا المستقبل ، فلم يسلم ، فقد تعرض للمنة على علم وتجربة ، ويستحق من الله ،  
عز وجل ، ألا يعصيه ، وقد تعرض للهبة بعد علم وتجربة ، ويستحق من الله ، عز وجل ،  
دنت ، وأعطى بيده بعد التجربة من نفسه لقلة السلامة ، وإذا استقصى ذلك من نفسه ، وقطع  
محالستهم ، حتى يجب عليه حق الله ، عز وجل ، أو معاش لا غناء له عنه ، علم الله ، عز  
وجل ، أنه لولاه ما حالسهم وكذلك ريارتهم ما دارهم كان الله أكرم من أن يجذله ، وقد ترك  
محالستهم للذة نفسه وزاحتها ، ولولا ربه ، عز وجل ، لم يحالسهم ولم يأثم ، ولكن لما وجب عليه  
من حقه لم يسلمه الله ، عز وجل ، إلى الهبة ، وقد آثر الله ، عز وجل ، على هوى نفسه  
قلت : فإن كاتب محالستهم على ذكر وحير ، وقد يحرق بين ذلك من الكلام ما يكره الله ، عز  
وجل

قال : يترك محالستهم وبيانهم ، إذ جرت نفسه أنه لا يسلم معهم ، لأن قوم التطوع  
بالمعصية

قلت : إياهم إخوان في الله ، عز وجل

قال : هذا اسم قد يستعيره لكاذب اللعوى على غير حقيقة إن أدب ما يستحق الأحوه في  
الله ، عز وجل ، بل الحق ، عاها دوما من تسلم معه دون أن تغتم معه ، ومن لا تسلم معه فهو  
عدو لك في دنك ، وإن سميت صديقاً وصاحباً وأخاً في الله ، عز وجل ، فكيف يكون صاحباً  
وأخاً في الله ، عز وجل ، من تعرض لمحالسته ومخادته لعصب الله ، عز وجل ، ! لألك لا تسلم

معهُ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِمَا يَكْرَهُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَدْ سَمِعْتَ حَدِيثَ بِلَالٍ بْنِ حَارِثٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ  
 أَنَّ الرَّحَلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ ، مَا يَرَى أَنَّهَا تُلَاحِظُ مِنْ مَسْحَطِ اللَّهِ مَا يَدْفَعُ ، فَيَكُفُّ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ  
 سَخَطَهُ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَاهُ

فَمَنْ أَعْدَى لَكَ مَنْ يُعْرِضُكَ بِمَحَادَثِهِ لِأَنْ تَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ يَعْصِبُ اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَيْكَ  
 مِنْهُ

وَحَدِيثُ هَزْرَيْنَ حَكِيمٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ حَذَفٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «وَيْلٌ لِمَنْ  
 يَخْدَعُ ، فَيَكْذِبُ ، لِيَصْحَبَكَ بِهِ الْعَوْمُ ، وَيَلْ لَه ، وَيَلْ لَه»

وَحَدِيثُ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَارِمٍ ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ : أَنَّ الرَّحَلَ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ فِي الرِّفَافِيَةِ ،  
 قَالَ : بَعَى فِي الْفُطْلِ ، لِيَصْحَبَكَ بِهِ الْقَوْمُ ، فَتُرِيدُهُ بَعْدَ مَا يَرَى لِسَمَاءَ وَالْأَرْضَ ، أَيْ يَهْوِي بِهَا فِي  
 النَّارِ ، فَمَنْ أَعْدَى لَكَ مَنْ كَانَ سَبَبُ هَذَا مِنْهُ ، وَبِهِ

وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ لَا يَرْضَى مِنْكَ إِلَّا بِالتَّصَنُّعِ ، وَلَا تَتَمَتَّعَ بِصَفِكَ مِنْ ذَلِكَ إِذْ كَانَ لَا يَرْضَى  
 مِنْكَ إِلَّا بِالتَّصَنُّعِ ، وَكَذَلِكَ أَنْ تَعْصِبَ لِنَفْسِهِ وَتَصَارِمَ مَنْ صَارِمَ ، حَارَّ أَوْ عَدَلَ فِي صِرْمِهِ  
 وَعَصَمِهِ ، وَهَذَا يَكُونُ فِي الْفُرْطِ ، وَلَكِنْ الْمَحَادَثَةُ أَكْثَرُ ذَلِكَ

فَهَذَا عَدُوُّكَ لَا أَحَدٌ لَكَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

أَلَمْ نَسْمَعْ إِلَى حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَضْرِ الْحَارِثِيِّ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى مُوسَى ، عَلَيْهِ  
 السَّلَامُ بِأَمْرِ مُوسَى ، كَيْ يَفْقَهُنَّ مَرْنَادًا لِنَفْسِكَ أَجْدَانًا ، يَكُلُّ حَذَرَ لَا يَوَاتِدُكَ عَيْنُ مُسَرِّقٍ ،  
 فَلَا تَصْحَبُهُ ، فَإِنَّ لَكَ عَدُوًّا ، وَهُوَ يَقْسِي عَلَيْكَ عَيْنَيْكَ ، لَنْ كَانَ هَكَذَا هُوَ لَكَ عَدُوٌّ ، وَبِهِ  
 سَمِيَتْهُ أُمَامَةُ فِي اللَّهِ ، وَصَاحِبًا ، فَوَضَعَتْ عَلَيْهِ اسْمًا لَا يَسْتَحْفَهُ ، وَاسْتَحَقَّ صَدْرَهُ ، وَهِيَ الْعَدُوَّةُ  
 وَكَيْفَ يَكُونُ أَحَدًا فِي اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَوْ صَاحِبًا فِي اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مَنْ يُعْصِي اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ،  
 بِهِ وَمَنْ أَجَلَهُ ١٢ هُوَ أَشَدُّ مِنْكَ صَرَرًا فِي دِينِكَ مَنْ كَانَ مِنْكَ مَعْصِيَتُكَ بِهِ»

أَلَمْ نَسْمَعْ إِلَى حَدِيثِ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : «مِثْلُ صَاحِبِ السُّوءِ كَمِثْلِ صَاحِبِ  
 الْكَبِيرِ ، يَعْنِي الْجَدَادَ ، إِنْ لَمْ يَحْرِقْ شَرَّهُ يَبْقَى مِنْ رِيحِهِ ، وَكَذَلِكَ هُوَ كَمَا قَالَ إِنْ لَمْ  
 نَعْصِ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مَعَهُ لَمْ نَعْدَمْ مَعَهُ قِسْوَةً فَلَيْتَ وَهُوَ وَاشْتَغَالَ ، فَلَيْسَ مَنْ كَانَ لَكَ هَكَذَا  
 بَأَخٌ ، وَلَكِنْ هُوَ لَكَ عَدُوٌّ ، وَهُوَ أَصَرَّ عَلَيْكَ فِي دِينِكَ مِنْ تَعَادَى

وَمَا لَيْسَ أَرْبَعَةُ رَجُلٍ رَجُلٌ لَا نَعْرِفُهُ ، وَنَعْرِفُهُ وَلَا تَصَاحِبُهُ ، وَرَجُلٌ مُتَدَعٍ ، وَرَجُلٌ  
 فَاسِقٌ ، وَرَجُلٌ عَصِيكَ مُسْتَوْرٍ وَأَنْتَ لَهُ مُصَاحِبٌ لَا تَسْتَدَعِ قَبْلَكَ مِنْهُ نَافِرٌ ، وَالْعَاقِبَةُ كَذَلِكَ .



ولو دعوتك في حق لم عمل نفسك إليهم . فكيف يجوز معها في لا يعينك . ومن لا تصاحبه ولا يعرفه حسب عادته . فلا يؤمنه . هؤلاء كلهم لا يعيش بهم ولا يستريح قلبك إليهم فتعمل بهم حتى تسكنهم يكره ربك عز وجل . وما يؤق من الصاحب الذي هو شكلك ومثلك وأنت تستريح قلبك إليه وبعض معه حتى تعصى الله عز وجل . وتعدل لآتدكر الله . عز وجل . أو تذكره ولا ينال بعد طوى فيه وفي عادته وهو من مكائد إبليس وحياته . تحلث به حتى يوقعك في حياته . لأنه شكلك ونسك . ومثلك وهو رهن من الصناد الرهن

لا يرى أن الصيد لا خيال للعربان . فصنع شكا . ليصيدها به من العصفير . ولا غنى للعصفير بالعربان . فأى خيال فصب لكل طير من صيده وشكله . لأن الشكل «شكل» يأتي . فعليه نعم . وبه نصطاد . أم نسمع في كتاب أبي الدرداء في سبب . رحمه الله عليه ما بعد . فإن لكل سبب من سبب بعيد . فإن الروح من روح قريب . وطير اسمه على شكله من الأرض يقع

وقد صدق . رحمه الله . قد رأيت ذلك . فصيد يخال «الشكل» للسكن من الطير . وكذلك عدوك إبليس . لا علم لك بأمر من أهل سدع . ومن يدساق . ومن مؤمنه العوم . حرك قلبك «سدع» في بي الأشكال والألف بهم . وحب «مخادبهم» . فله التقبيل على الحب ومؤمنه رل عن قلب حذر منه . كما يحذر من امتدح وأفاس . وانس قلبك به . وسراج إليه . عركي . وأما مقربه . عركي لك من القوب ما يريدك به . حتى تشاركه فيه

«الأصحاب» عده «مختفون» . فإن غير إبليس لك حذر حائف في كثير من أحوالك . وبدأ صاحب «الزير» «باعدة» وكذب . «أعلم» لك من ذلك زهر . وبه محاب . ويكن مدحك . حتى يد ذكرك لله عز وجل . وسدست «فلونك» رين لك «فصول» الكلام والرحه في سبب . فإذ حصننا في ذلك رين لك «العب» والكذب

فإن كننا من خائف في كنه من أمور كنه حوى «نعمه» من قبل العصب لله . عز وجل . والتعجب والإعكار أو التوجع من تعابيه

وإن كننا لا نعوذ في خوف ذلك مقام . «حرق» بينكما «العب» من قبل «نصبت» والعيظ «مكافأة» من ذكر كنه أو ذكر «حذرك» «وآخر» راض بذلك . أو لرحه إن ذكر عيوب «سبب» وكذلك «كذب» «ولاسير» . قد رين لك ذلك قبل أن تحرق «سكاشي» «مر» ذكر الله . عز وجل . على قدر ما عرف من صحتها

وقد بُرئ العدوُّ العبدُ على ما يكره الله عَزَّوَجَلَّ . فإني عنه ولا تطب نفسه بـ سَلم مع  
 انعام ، بخير دون الشر فكيف بالشَّر ؟ فإذا عصاه يس به لقاء من يرجو أن يطيعه به . فإذا لقى  
 ربَّه لأحدهم الكلام حتى يفتحه الآخر ثم يربى به نكلمة بعد نكلمة . فعنده يكون عامة مهارة  
 رُخصته ما كتبت قد سمعتمُ أو سمعتمُ في سمعه من الله ثم أو طلب معاشه كما حلَّ به . حتى متى من  
 يرجع به أحد في الله ، عَزَّوَجَلَّ فإذ فيه حري يسبي من الكلام ما أهلهم لا يفتراق ، حتى  
 يلبس حصة

فمن ثم قال عمر رضي الله عنه : واحد صدقك إلا لأبي من لأهوم ولا أمين إلا من  
 حشى الله ، عَزَّوَجَلَّ ، إذا علمت شهك ، فإذا لقنته أرددت سلامة . فإن كنت في امر صرحت  
 في ذكر ، وإن كنت منكماً بما يكره الله ، عَزَّوَجَلَّ ، شهك عن دينك وبهك له ، فإذا بهك لما  
 يعلم أنه لا يحلُّ لك بدمت عنه وثبت منه . وما لم تر أنه مما يكره الله ، عَزَّوَجَلَّ ، لما أنت به  
 جاهل . عرفته واستندت منه غير ما تكن تعلم من دينك . فحذرهما في استنبال وكذلك  
 قال الشعبي : نصف عشت مع حيث ، وصدق رحمه الله . لأنه إذا به عشت كما كنت عنه  
 غفلا كنت كأن عشت كان معه فردة عشت . وكان عشت كله كان معه فردة عشت في الوقت  
 الواحد . فما في جميع أحوالك فكان نصف عشت معه . لأنك قد تقطع به بعض أحوالك عنه  
 فسيه . وبعض أب عنه فبهك ، فأب بعد الله عَزَّوَجَلَّ بعض يد احبها ، ويعرف عبوب  
 دينك بعشت وعمل أحد . فمن لم يحف الله ، عَزَّوَجَلَّ ، من لأصحاب ، وإن كان مصيب ،  
 أو مدمماً بصم ، أو عدياً أو حاجاً فهو عليك وبن ، لأن صلاته ، وصيامه ، وعروه ،  
 وحجه ، وكه ذكره . وكان له . وحوصلك معه وخواصه معك ، مما يكره الله ، عَزَّوَجَلَّ .  
 عشت وبن ، والله مثله كمثل صاحب لك عي موسى وأب فقير محتاج فكلي أناك أنكر  
 صعب لك ولم يؤنسك له ، فبه له وصيره عشت . لأكنه طعمها فكيف به صلاته ،  
 وصيامه ، وعروه ، وحجه ، وبنه . ما يخرجك له من خواص عشت . فإن كنت قد سبت بين  
 أن تلهه أخرجك من العطب في دينك عند فقائه . وإن كنت في خير سبيلت به شر عند لقائه .  
 وبك أنصاً به أه فل ب بدأك ، خواص من لا يحل لك . لأنه موضع واحد عشت ونس  
 عشت . أو بعنك بصم ؟ ركب الله عَزَّوَجَلَّ ، وطاعه . أو بعداد من بعصها على فله  
 قوتكما ، وقد يطمع العدو فيكما . ثم لا تفتراق إلا ما كره الله ، عَزَّوَجَلَّ . من الكلام .  
 فلا يفهم ما تعاوننا عليه من الخير مما تعاوننا عليه من الشر ، لأنكما صبيحتا فرداً ، وتعاوننا على

ناقلة ، وذلك هو الخسار المبين

وكم من صاحب ، قد عصيت الله ، عر وجل ، معه ونصبت به ، قد مات وحدك  
توحده في القبر عك ، وبقى ما عصيت الله . عر وجل ، معه مكتوباً عليك والكلام في  
الأسباب بطول ، وليس هذا موضعه

وسأصف لك إن شاء الله ، عر وجل صميمهم في غير هذا ، وربما أردت بهذا لأسبغ برك  
الأسباب التي ينقص بها عزمك ، ويقل بها صبرك على الوفاء لله ، عر وجل ، بالتوبة ، إذ كنت  
صعباً وعرضت لك الأسباب المريبة لك المنة لم تلبث معها أن تزول ، فإن قطعت غريبت على  
نفسك ، لأن القوى إذا تعرض بالأسباب المنة كان أضعف من الصعيف إذ يتحرر من الأسباب  
المنة ، والصعيف أقوى منه في الترك لما كرهه الله ، عر وجل ، إذا رالت منه الأسباب المزيلة به

## باب ما يستعان به على ترك لقاء الإخوان الذين يتخوف من لقاءهم قلة السلامة في الدين

قلت مِمَّ أَسْتَعِينُ عَلَى تَرْكِ الْأَصْحَابِ ؟ فَإِنَّكَ لَمْ تَذْكُرْ شَيْئًا أُعْطِمُ عَلَى الْقَلْبِ مِنْهُ حَتَّى وَلَا أَغْلِبَ فِي الرَّاحَةِ

قال أن يكون معيًّا بديك ، مشفقًا على بدلك من النار ، فإذا كنت كذلك فتذكر وتذكّر ، فأحسن الفكر ، وأنعم الروية بالبحث والتفكير ، حتى تعلم كنه ما يتصل بك لعازهم وديك ، فإن أنت نظرت في ذلك مخرج قلب ، مع الإشفاق على بدلك من النار ، وعلى دينك من النقصان ، فعرفت كنه ذلك من كلام يحصى عليك ، لا تأمن فيه غصب الله عز وجل ، فلو عرفت أنك لا يكون منك من الكلام عند لغائك للأصحاب إلا كلمة مما يكره ربك ، عز وجل ، ثم أشعقت على نفسك ، ونظرت إليه وإليك بعين اليقين ، وأنت فارٌّ منه في القيامة ، مشغول عنه بما أنت فيه من الخطر العظيم ، وقد حملت أوزارًا كثيرة لم تصبها إلا بصحته ، لم يكن شيء أنقص إليك من لقاءه ؛ وديك إذا كنت مشفقًا حائفاً من الله ، عز وجل ، ولذلك مثل بيني وبينك . أن لو كنت كلما لقيت إخوانك وأصحابك أخذوا من خبتك شعرة ، أو من ثوبك سلكاً ، لقلّ لقاءك لهم ولأبعصهم وأنقصت لقاءهم ، لأنك تعلم أنه إن دام ذلك ذهبت خبتك ، وصرت مشغولاً ، ينظر إليك العباد بالشين والفتح ، وكذلك تمرى من ثبات سريماً فكذلك من كان مشفقاً على نفسه وعلى دينه ، ثم عرف كنه ما ينقص ببقائهم في دينه أنقص لقاءهم ، إلا لقاء الذين يريدونه في دينه ورعا وتحرراً ، فأولئك الإخوان في الله عز وجل ، والاسم بالأبوة لهم حق وصدق ، والاسم لغيرهم كذب وزور

قلت رأيت إن عرمت على ترك كل من لا أسلم معه في ديني ، فلم تصبر نفسي وحاشيت على لقاءه ؟ قال - إن سخط نفسك بتركه ، ثم تحررت من لا تأمن منه ، وتوقيت حتى يأتي عليك بعض النهار وأنت صامتة عما كره ربك ، عز وجل ، قد مرح نفسك بالسلامة ، أرددت رهداً في لقاءه ، ولم يكن شيء أنقص إليك من لقاءه ورؤيته ، إذا وجدت حلاوة السلامة ورحوت رصاً لله ، عز وجل ، بها عك ، فإذا أحسست عن تخاف أن يرينك عنها ثقل عليك لقاءه ، فإن

متعمتة التحرر إذا اهردت من الأصحاب حتى تظهر بالسلامة ويجد ذلك حلاؤها  
يغضب بها من يريدت عنها لأن يريد السامع حته في الكلام ، وعنه في السكوت ، وذلك  
يد كان الأعب على قلبه حراً راحة محادثة الناس ولم يكن طلب السلامة أغلب على قلبه  
فعنه حيث في السكوت ، وبدنه وراحته في الكلام ، فإذا أهم بالسلامة وعلب على قلبه طلبها  
والأهم . ثم عمل فيها بعض مارة حتى سلم ، ثقل عليه الحديث مع الأصحاب والإجماع .  
إذا عرف أن في محادثتهم رواله عما قد من الله ، عروحل ، عليه به من السلامة فإن رأى  
بعضهم ، فأثقلت منه كلمة مما يكره الله ، عروحل . صدقت عليه الأرض برحبها ، إذا كان قبل  
أن يبقاهم ستم لقلب راسد ، برحو صد الله ، عروحل ، مما حسنت عنه مما يكره الله ، عرو  
وحل ، خوفاً منه ، ثم يكتم ما يخاف أن يكون قد سخط الله ، عروحل . منه عليه ، فتصيق  
عليه لأرض . ويلزم قلبه لهم ، إذا رى عن السلامة في العطب ، فيها هو يسكت عن كلمة من  
محادثتهم ، فكاد تصيق عليه الأرض برحبها ، إذا صار ذلك إذا تكلم بالكلمة التي كان يفهم  
سكوت عنها ، وهذا ميراث الورع ، وحادة التي ومعوثة الله عروحل ، وبصره للمريد .  
إذا كانوا له أنفسهم ، وحاهدوا له شهواتهم وأموالهم

قلب ، فإذا عرمت على ترك ما يسهم ، م أعز من لغاتهم ، دعاش في سون ، أو اجتاح في  
حلقة علم ، أو جماعة في مسجد جامع ، أو غيره ، أو حارة ، أو حاجة تعرض لأحدهم إلى ،  
أو معرض لي إليه ، أو يئيب رائز ، أو طمع في أن يفسد من يقطع من يضحك ويعرم على  
مثل ما عرمت عنه

قد ، إنك إذا عرمت على برد مواسمه ، ونفردت بعفت عنه ، ثم لعنت فراك بقرمه .  
مستتر من حديثه ، سحى ، وعبر أن يؤسست ما لا يحب ، وراى عن فلتك اسهر والعينه به  
إذا أُرمت فلتك حدره ، فإذا عرف ذلك منك ، أمسك نفسه عنك ، فإذا نقشته بعير هوى وشهوة  
محادثته وإنما تنفاه لبعض هذه لأسباب أو ما شبهها ، أُرمت الخدر فلتك منه بعفت أن لعدو  
بخطاوت به ، وراى تكلم بشر أو يعصوب قست بعفت ، ما أعرفى من دسه على ليربى عن  
طاعة الله ، عروحل ، فاحدنه غيره ، فإن كان من يحمل بقطه ميه في رفق ، وبسته لما يقوب .  
فبعثك ، أبصاً تنفعه ، فإن كان من يحصل ذلك أو هو من يجادل ذلك إذا بهته ، حتى يخرجك إلى

بعض في ديت ، كرهت ما قال . وعزوب إلا . بقور محرم . فتباه برفق . ولا تحاده . إذا راد  
ديت ميت . إلا . يكون مراد . لطلب الدين فيس له إن كنت بحس ديت . وإلا فسك  
عه . فإن أحد في خصوص ، ولم يقو على سبه . ولم تكن القيام عه . فإن يدرب فادكر الآخرة  
لعلك تصرفه عن ديت فيكون لك أجره وأجره

كما يروى عن إبراهيم التيمي أنه قال : إن الرجل لأني انعم وهم يخصوصون في الباطل ،  
عصرهم إلى الذكر ، فيكون له أجره وأجرهم

وإن بدأك بالخير قلت في بصل . هذا خير . وما أدري ما يكون بعده ؟ فأت حذر وإن  
بدأ بك الله عز وجل ، تطول ما حربت من لأصحاب ومن بصلت قد كنت حذر كنت  
محزرا . وإذا كنت محزرا فحزري في عصب الذكركم حوص في لا يميكنكم . قطت له بالخبر  
بلازم قبلك . فلم يخص معه . و . لم يجربكم شيء . كان حذرنا . راده في خوفك الله . عز  
وجل . وعمت عدتكم بصلت . فبعلك أن تزل في وقت آخر عزى . فذكر . ثم جرى  
عصب الذكرك . وفي حاله . ما لا يميكن . أو ما هو معصية لربك . عز وجل . وكذلك في  
هل سوقك . بكنهم في معاصك أو غير ذلك . وفك حذر باقر سبه . وكذلك إذا ررك أحد  
سبه أو أبنته خاچه . وأتاك الخاچه . أضيت معه عصمت وتركت معه الكلام . حتى يجرى ما  
هو لله عز وجل رضى . فإذا أفصت معه في ذلك . برأيل فسك حذر . تطول ما حربت من  
بصلت . وما أن فانه لتعظه . فيه لم يزل بك ذلك بعد ما تشكو من صبعك أنت . كمن يعلم  
الساحة . فكيف يجرى يعرف من يعلم الساحة . فاشتمل بصلت . إلا أن يتقى بقاءه فحب  
عليك حق تقوم به الله . فتكون في سكوتك بخاف . حشد عليه . بصلت من الله عز وجل . ب  
سكك عه . فنامره ونباه ونبيه . إن قل . والا صميت عه . ولا تحاده . وكذلك بعض  
لغيرك من نورهم الله عز وجل . وبروريت . فلا تأثم بواحة بصلت . واحد إن كنت قد  
مترت بصلت معهم . لخصوص فيما نكره الله عز وجل . وكذلك ما معك ما في مديت  
لا نشت به وإليك به جعلك سهو . وعمل فتحاديهم لا تحل لك . فكس منهم حذرا . وهذه  
أصعب الأسباب عليك ، إذا كنت لا تقدر أن تحاينهم . وبك احذر وأدكم ما وصف ربك عز  
وجل ، عن أهل الجنة ، إذا قالوا ، حيث استمروا ورأوا عافيه الإشفاق . وبجل فقدوا . لا يذكروا  
في في أهل مشفق . بوصف عبده من أهل الله . فكل حل من فائل (سنة كتاب في آتبه  
مرورا) . فكس منهم مشفقا حذرا ، واحد . بصلت عن ديت . وهم أصعب عليك في

لثبوتة ربي الإيكسر فيهم ، فاحذرهم وأدب من وحب عليه الحق منهم بالنسي عن الخوص  
فيما يكره الله ، عر وجل . حتى تقوم بأمر الله ، عر وجل . فيهم إذ أمرك بأدبهم خاصة فقال  
( قُوا أَنْفُسَكُمْ وَهَيْكُمُ نَارًا )

قال علي ، رضى الله عنه أدبهم وعظمهم

فاب محاهد أوصوهم بنفوى الله ، عر وجل وقال قتادة - مروهم بطاعة الله ، وأهروهم  
عن معصية الله ، عر وجل وقال الصالح وأهديكم فليقوا أنفسهم ، ويكون لب مثل  
أحورهم ، ويعرفوا مذهبك ، ويمسكوا عي بعتك ، حين تسهو معهم ، فتعوض معهم . فتخرج  
حيث من خوص في لاطل ، فتخرج إلى الله عر وجل ، بالتوبة الأبرى ما مدح الله عر  
وجل ، به اسمعيل ، صلى الله عليه وسلم في قوله ( وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة )  
وقال الله ، عر وجل ، لبيد ، <sup>عليه السلام</sup> ( وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ )

وكذلك حسب العلم تعلمه مع من لا نسلم معه . ونخالس عبيد من لا نسلم معه فلا تغضه إلا  
وحدك أو مع من تسلم معه . وأما الخاسة بالاجتماع له في بعض ذلك فلا يجوز أن تتركه فتترك  
العلم ، ولكن كن منهم حذرًا ، وأبد لهم التحرر والاشعترار منهم ، وبإ وحب عبيد حتى فيهم  
فقم به . فإسهم م يخلوا من منار ثلاثة إنا ن ينصعوا ، أو ينصع بعضهم فيكف عت .  
وينصع لك فيمسك عت ، أو يستحي منك بعلمه واشتعالك بحديثه فيكف عت ، فتسلم في  
دينك ، ويخلص بك طلب العلم بغير آفة ولا معصية تشوبه . وكذلك الشريك في تجارتك  
أو صناعتك ، والأجير لك ، أو من أنت نجير به ، أو معامل له ، إقطع نفسك عن عاداتها معه .  
واقطع عن عادته معك ، واحذر واحذر ، ولا تستمر به عن صلاح دينك بفساد دينك . فإن  
دلت في جميع ذلك فلا يمسك ذلك من أن تادر لتوبة ، فإنه لا عهد لك عن الرجوع والإبانه  
إلى ربك ، عر وجل ، فإذا كان عزمك قطع الأسباب من العباد وغيرهم - المرينه لك إلى ما كره  
الله ، عر وجل ، فيما قب به ، مما يحب الله عر وجل علك فيهم ، حمدت الله ، عر وجل ، على  
ذلك فإذا دلت ، استعمرت الله عر وجل . وبدمت وحذرت ذلك لنفس . وحررت في  
تستقل من تلك الرثة ، وحذرت أمانها فحشيتك ب شاء الله عر وجل ، مشكورة . إذا فعلتها  
رحم الله : عر وجل ، وحوها منه وذلك معصوم إذا استعته بالتوبة . وصار لك عبره وتحذير في  
تستقل منه ومن أمانه . فلم نمسك ب صدق الله عر وجل . لا قليلًا حتى نقل الله عر  
وجل ، عتت بمعونه وبرحم منك مكانتلك ومحادثتك نفسك له . ونابس نفسك منك

وتأنسُ بمن كان يفتك ويُريلك ، وتقوى على طاعه ربك ، عر وجل  
 فاعمل في هذه الأسباب كي وصفت لك وكل سب يُريلك ويفتك ، فإن ذكر كل لأسباب  
 يطوّر به الكتاب ، والعامل بخبري بالوحي دون التصريح ، وإنما قطعك الأسباب التي تريلك ،  
 وإيمانك حوارحك عي بكره ربك ، عر وجل حمة تختفي بها أن ترتفع فتلك ، كما يحسى أهل  
 الدنيا فيتركون ملاذهم ، رجاء العافية وحوب طول البلاء ،

فتلك في حينك لربك كمثل ملك من ملوك أهل الدنيا ، فكنته الأشياء من الشهوات  
 واللذات ، مرتع في ما يحب من الأشياء ، وأحاطت به الأدوية ، مع سقم من بدنه وخصي فإن  
 يرتج فيما يقدر عليه هلك ، وإن احتفى عاش وشهت ، فقد احى الأطباء ، وحارب انصيادية ،  
 وتحشم شرب لادوية لمره ، وحارب الأطعمة الطيبة ، فمد به برد د هوكة بقلة طعمه ، وسعفه ،  
 كل يوم يقل وصحته يزيد ، وإنما حثار الاحتماء ، وإن سبك بدنه على أطايب اللذات خوفاً أن  
 يرتفع فيهلك ، ورجاء أن يؤذيه الاحتماء إلى العافية ، يبار اللذات بحس صحيح وعافية  
 لازمة ، فتطلب حياته بعير سقم ، ويصفو عيشه فلا يكدر

فكذلك الخوف المرید التي احصى عن كل مهنت من الدنيا في آخره ، فتبين عيبه  
 السحول ، ولتفتش ، والموحشه ، وروال الأنس بالعباد وظهور الأحرار ، وروال لأفراح ،  
 فاحتار ذلك كله كراهية لرتوع في بدنه ، فحل به عصب ربه ، عر وجل ويحب عبه عدائه ،  
 ورجاء أن يرصى الله ، عر وجل بذلك عبه ، فيسخر من عدائه ، ويحل في حواره فيصيب  
 اللذات ، في الحسد ، بعير سقم ولا تنقص ، ولا تنفع في ذلك يخاف فيه انفسك مع الفاء الدائم  
 به أنسا ، ورضوان ربه الأعلى

فانرم الحمية ، وتذكر سوء العافية في الآخرة وأمل طيب عيش الآخرة واستعن بالذي  
 يحتمى له بطلب مرضاته ، فإن الله عر وجل الذي يرب للمريدين عوناً ، وعظيم متحداً ،  
 وبو شاء لأعنائك في أول بدئك عن الحمية ولكنه زاد أن يعلم من صدق بطلب مرضاته ،  
 بالمجاهدة والمكانة حتى إذا صفت في بطلب ، وحشت مكانه بملك وبجاهد ، أقبل  
 عدت بالمعوية سهل عيبك ترك ما تهوى ، وبعمك بطاعته ، لأنه بكره بعير تكلف ، والحود  
 الذي لا يعتره الحبل ، وإنما أحب من عبه يريد أن يصدق في طلب مرضاته ، فيكاد به نفسه  
 وبجاهد له هواه ، فمد بك يحقق الله ، عر وجل ، عنه يحس ، ويحب منه أهوى ، وبس ساسه  
 وتقوى حين رآه حاداً في طلب مرضاته ، عر وجل



ونحو من عند من عبيد أهل الدنيا أهل إلى مولاه ، وهو ضعيف في ماله فاقبل إلى مولاه  
صعقه نعم ماله في مشبه ، ونعموم أخرى ، فكان ذلك منه مراراً . عطر إليه مولاه ، فعلا إليه  
مك مكنو توجهه لصعقه ثم يقوم فلا يسهه وقوعه من الإقبال إليه ، يطلب القربة منه ومرصته ،  
فراه نصسه ذلك في الإقبال إليه مراراً وعنده روات كثيرة ، ثم كان به أدنى كرم أو رحمه ما  
ودعه كرمه ولا رحمه إلا أن يرسل إليه به نأته عليه . مستريحاً من الوقوع ، ويسرع علي إلى  
بغاه والله عرو وحل ، أولى بذلك ، رأى عبده يريد عاهدة نصسه ، برام لا يجمعه ذلك أن  
يعود إلى طلب مرصته عاهد من نصه ، معتمداً برواه أعظم من عم لسقط على وجهه فإد  
ه كذلك حطب عنه طلب مرصاته وأسرع به إلى معدي درجات لقرب منه حل من لا يشبه  
حد في جوده وكرمه ورافته ورحمته ونحسه ولطفه

كتاب التنبية على معرفة  
النفس وسوء أفعالها  
ودعائها إلى هواها

## باب التحذير من هوى النفس

قلت : قد وصفت لي الرياء وأسبابه لمن أين أوتيت ؟

قال . من نفسك من قبل هوا

قلت وكيف أوتيت من قبل نفسي . ولى عندو يكيلى ويرين لي . وديا تعسى  
قال . فإنه لم يبال منك عندوك ما يريد إلا من قبل هوى نفسك ولولا ذلك نكت قد ارددت  
لدعاء عندوك قرنة إلى ربك . إذ كان سبب القرية دعاؤه لأنه حين دعاك عندوك فأبى أن تحببه .  
كنت بامتناعك مطيعاً حين عصيت من دعاك إلى ما لا يحب ربك . عز وجل . وكان اعتصامك  
به حقاً من الله . عز وجل . ورجاء ثوبه . فامتنعت . واستعملت الخوف والرجاء حيث  
أمرت . ولو لم تكن نفسك إلى الدنيا لارددت بريتها قرنه . إذا امتنعت بالدنيا وعزورها .  
ثم تركت إلى عزورها . وأردت الآخرة ورعت فيها . وامتنعت أن ترتع في الدنيا أو تميل إليها  
تتحرم الآخرة<sup>١</sup> أو تنقص منها فأضحت بها امتنعت به . فكان سبب ذلك الدنيا . إذ يقول الله .  
عز وجل

(إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَتَلَوْهُمُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)<sup>٢</sup>

يخبرك أنه يريد حسن العمل في الآخرة وإما حسن زينة الأرض ليطر من الذي يحسن له العمل  
فيها . ويد أحسن لعمل فيها . الزهد فيها . وإشراك الآخرة عليها . من فانتك ذلك فانرك كل  
زينة عليها توجب سخط الرب . حل وعز . ودلت الورع لواح عبك لله عز وجل . وم يصرك  
بعد من أهل الدنيا يدعوك إلى ضلالة وحط إن لم تحبه نفسك . بل توحز إذا امتنعت وأبى  
واستعصمت بقول الله . عز وجل . ورسوله ﷺ . وكذلك من عذرك وآذاك واعتالك .  
وكذلك من تنقص الله . عز وجل . فيه وم تكافئه فكور مثله . م يصرك . من عرصك للسمعة  
وأهدك معه إلا عدواً أمرت بمجاهدته وهم لكمار . فذلك الذي يفسد محاهدته . وعلى أى  
الحالين فانتك الرابع العاشر . إن أن تعب أو تقتل . فانتكك منك فيها أحر عظيم . والقيل شهادة  
لقول الله . عز وجل

(هُنَّ هَلْ تَرْتَضُونَ - إِلَّا أَخَذَى الْحُسَيْنِ )

فوسيته كل علو صرك بمكيدته . نفسك من قبل هوها

قلت - فقد شئت عدى أن سب كل محذور أحافه على<sup>٢</sup> نفسي من بل الهوى . هذلى ذلك  
ن وى محالها مدعه الله عز وجل . وى طاعه الله عز وجل ، صدقه والقسم شحه فشرح وى  
ذلك وعرفيه

قال لا يصدق الله حتى تصدق نفسك ، ولا يصدق نفسك حتى تعرفه . ولا تعرفه حتى  
تفتشها وتعرضها على الملوك ولعروض على الله عز وجل فتعرض<sup>٣</sup> حواها ولا تعرض<sup>٤</sup> حواها حتى  
تنهيها فيما تظنها . محسنة فيه ، وبحكم عبيد فيما ظهر من إيمانها فإذا اتهمت<sup>٥</sup> فتشها فإذا فتشها  
اعترضت<sup>٦</sup> حواها ، وإذا اعترضت<sup>٧</sup> حواها عرف<sup>٨</sup> بصفتها وعددها وكذبها . فإذا عرفها حكمتها .  
فإذا حكمتها تفقدتها ، فإذا تفقدتها أبصرت رؤعاها من طاعه رها ، عز وجل ، وتربها كما لا يجب  
حالفها . لأنها معدن كل سوء ، والدعاية إلى كل بلية تحرك<sup>٩</sup> عي حالفها ، عز وجل . أنها بالسوء  
أماره ، وللهوى المردى شعبة ، فخذ منها حذرك واتهمها عن دينك

## باب سم يعرف سوء رغبة النفس

قلت هذلي على ما أعرف به بعض عيوبها حتى يبرم قبي تهبها فاعشها وأعرمها  
 قال ألفت بربى أن لعزم منها في حب الرضا ممدود على عليم معبده غير متمعة  
 قلت : بلى

قال هكل خلق من كافر أو من مؤمن يحرم عند الرضا يبد عصيت فطشت منها حليم .  
 سمعت منه فظهر منها السوء والخسد وسوء الخلق ، ما لو يظهر من بعض بولداً لكن عيباً  
 قلت بلى

قال من مدد انشئ حيث لا يُحتاج إليه ، ومعه عند الحاجة . ليس بخادعاً وليس  
 صادقاً ؟ يبدلك عند الحاجة ويعتد في العناء . أنه يعتك . فإذا احتجبت إليه أسلمت  
 لهيكته . لأنها وعدتك أن تحم عند العصب . فسوجب بذلك حقه . وبصم من أن تمضي  
 عصيت به بكرة رئت عز وجل حوقاً أن خد لك الد . فلي حجب إليها أسلمت إلى  
 تعرض بوجوب العذاب ، وأعدت عند وشجعتك فيه ، وتعلب عندك التعرض للعباء . من  
 أعدى لك من فعل ذلك بك ، ومن أكذب وأفحر من فعل ذلك بك

وكذلك لإخلاص . تعطيك قبل العمل ، ونسب الإخلاص لأنه لإخلاص . أن يخص  
 عند العمل بشفاقاً ، رعت على العمل أن يحمد في يوم ففرك وفاقته ابه . تعطيك ذلك سحبه  
 غير ممعه . فإذا عرض العمل هاجت هي بالنداء إلى الدحور بها وعدت أن يفر منه . وامسب  
 مما وعدت أن تقوم به ، وهاجت لشهوة نابياء ، وامتنعت من الإخلاص . وامتنعت مما يُقبل به  
 عمتك . ودعتك إلى ما يحبط به عملك في يوم ففرك وفاقته

رايت لوانها وعدت الرباء عند العمل والامسب من لإخلاص عند العمل . فاجرتك  
 أنها تريد بذلك حط عملك . حيث تحتاج إليه في يوم ففرك وفاقته . أنه تكن قد تحرت  
 ، وعدت ؟ وكذلك تُعطيك الورع في حب العدم . وإنما ذلك به الورع فترغم بها ندي ما بكرة  
 الله عز وجل حين تعرض لللاء . حوقاً أن يعصب الله عليك فتستوجب العذاب ونحوه  
 لثواب ، وأنها تمتع من معصيه . ترحو بذلك الأمان من العذاب والطفر نابور والثوب .

حتى إذا قدرت وامتجت ، جاشت لشهونها ، فطلت ما زعمت أنها قدعته إذا عرص لها إشفاقاً  
 عذبت من النار وحرمان الثواب ، ومسعت بما زعمت أنها تقوم به من الورع ، رجاء لأمن من  
 لعذاب والظفر بالنعور والثواب . فهل يعدر أعدى الأعداء لك . إلا أن تعطيت من لأمن ما يعتد  
 به ، لتسكن فطمت ولا يحدره ، وتأنه ، حتى إذا عرص ما وعدك أن تعطيك ، كان هو الذي  
 يطلب هلاكك وعطيت ، ليأكل ما يريد ويذهب

وكذلك الزهد . تعطيت هل أملك ، حتى يحيل إليك أنك من الزاهدين حتى إذا مكنت  
 لذيها أو الصيل منها صاحب منها الرعة ، وكانت هي لطائفه والمناعه إلى الرغبة ، والصدادة عن  
 الزهد ، والمشقة عنه فحطعتك الموعود ، وكانت عيبك في خلاف ما أعطتك

وكذلك الرضا . في حال الرضاء والعافية ، قبل وقوع النقضاء بالبلاء والمصائب . حتى يحيل  
 إليك أنك من الراضين ، وتلك حال يرصى بها كل مؤمن وهاجر ، لأنها حال توازن معه  
 القوم ، وليس عند هذه الحالة أريد منها الرضا ، وإنما ذلك الحرمان منها بية أن ترصى . لا رضاء  
 لأن الرضا بعد انقضاء نزول سلاء والمصائب ، فإذا رلت مصيبة أو بلاء في يده . وصيق في  
 معاشه من شدة من شدائد الداء ، امتعت من الرضا بل كانت هي التي سيج للجرع والنسحق  
 وتشتط عن الرضا وتصد عنه ، فهم تف بما وعدت ، وكانت هي التي تدعو إلى ما يكره الله عز  
 وجل من السخط ، وتصد عن الرضا

وكذلك تعطيت التوكل والتمتع بالله عز وجل ، ما واتتها الأسباب والديا . وكهيت المؤونة فإذا  
 جاءت حال يحتاج فيها إلى النظر إلى الله عز وجل لا إلى خلقه والأسباب التي دور الله عز وجل  
 تعلقت بالأطباع . وهما رجاء المحبوبين وحبهم ، ونرم القلب الاهتمام بالأسباب وظهر التصنع  
 والخلق بلخلق بعدت بك حين احتجت إليها وكانت هي التي تصد عن التوكل وتشتط عنه فإن  
 أبغضت الله عز وجل ها وشاهدتها وذكرها موعدها وما تحملك عليه من نقص موعدها وحرف  
 عزمها جاهلتك وامتعت فإن حمت عليها بذكر الوعيد والوعد . وذكرها بصر الله عز  
 وجل وقيامه عليها وسؤاله عدوها فتدكرت بعقلك ستمان فيه اليقين وعظمت فيه المعرفة  
 واشتدب فيه الصيرة فقهر ذلك هواها وعزيرتها ، خلاف ما انقادت له ، هي رأتك قد حُتت بينها  
 وبين بشر الظاهر والباطل ، طست بشر الحق العامر ، وانتشرب عسل طلب الرياء لتتصنع  
 به ، والعجب لتستريح إليه ، والكبر لتعظم به وتمتحر به ، تريد أن تنال لديها فيما أُحييت إليه  
 كأنها لا يريد أن تصل إلى خير من عمل الآخرة ، فإن صرت إليه جهدت في أن تحطه . وما زاد

بها . ولكنها تخوم على أن تنال لذتها ، لا تنال فيما نالتها كائن ما كان غير مكثرة . فإن حملت عليها ، وتعمدت دقائق منازعتها ، ولصائف حادتها ، فكرهت ذلك ، وذكرت ما قدم الله . عر وحل ، إليك فيه وما توعدك به على قبول ذلك وانركن إليه ، من الحبط والتعرض للمقت مغلب على قلبك الخوف والحذر ، ففادت وهي كارهة ، ثم لا ترصى مع إعطاء هذا العزم . ثم العذر بها أن نبيها ولما عاون على الشر ، حتى تدعو إلى الله عز وجل ، وتكلم بكلام الخائضين . وتقول بقول المؤمنين ، وتظهر نقشب المتواضعين ؛ وتعت آفات الدين ، من العينة والكذب . والرياء والكبر ، والجسد ، والاعترار ، فكنت معترفاً بها بذلك . نظر أنها كذلك لما ظهر منها حتى لما وقعت محر . وبرت النوار التي محتاج فيها إلى تحقيق ما تقول ، وتصديق ما تدعى ومعنى ما تظهر قلبك ذلك كله وأرادت خلاصه

وقد كان يحيل إليك أن الخوف له أصل في قلبك ، والصدق والإخلاص والتوصع والزهد والتوكل والرصد ، مما جاءت الأحوال التي يتبين فيها هل صدقت فيما ظنت أنه قد سكن قلبك من الخوف والإخلاص والزهد والرصد والتوكل والصدق ، هاج أهوى بها ، وجاشت لشهوات في صد ذلك كله ، فوكد ذلك ساكناً قلبك ، لهاج في وقت الحاجة إليه . ولما هاج صدته . فإن هاج صدته فقه ، فعمت أن ذلك إعطاء حصة بلا مؤونة مع دعوى غير محقة . رأيت لوقاد لك عدة من الخلق . بنا معك إذا رلت بك نارلة أو شديدة ، فلما رلت بك النارلة حدودك . وظلنهم هم نخدمهم ، علمت أنهم يسوا معك . ولكهم عرؤك ؟ فينا أنت متعجب من حلالهم وقلة وفاتهم ، إذا وثبوا هم عسك ، يعبون عبيك عدوك ، لظال مهم تعجك ، واشتد مهم حذرهم فيما يستقبل ، ولم تطمئن إلى موعد وعدوك به ، وإن سمعهم لثانية يدكرون بصرتك عند الشدائد مقبهم ، لما عرفت مهم

فاعرف نفسك . فإنك لم ترد حيراً قط ، معك قلب لا وهي تنارعتك إلى خلاصه ولا عرص بك شر إلا أقله ، إلا كانت هي اداعبه إليه ، ولا صيغت حير قط إلا هوها . ولا ركت مكروهاً قط إلا محب ، فحق عبيك حذرهما لأنها لا تفتر عن الراحة في الدنيا والعفة عن الآخرة ، فإن يقطب بالآخرة وتدكرتها وتعمرت بها ، نازعتك في ادب وإلى الراحة والتدكر والفكر بها . وادعى ها ، لما تمت بك قط ركعتان لم تظهر فيها في شيء من أمر الدنيا مما يشعلك عما أنت فيه . ولانمت بك ساعة من أحره النهار بالمكر في الآخرة ، مخاديبها بالك س ديت ، ومذاعبتها في ادب فإن عملت عما ركت واشتعلت ، وإن تيقظت نازعتك لتشعلك عما أنت فيه من أمر

أحزنك ، فهو لها قاهر بعفت . يفعل عفت وهي لا تفعل ، ويذكر عفت وهي تدرعك  
ألا تذكر فلا يحل لك قتلها ، ولا تصد على معارقتها ، وهي هذه المرة من العدة لك ،  
فعرها واحدا ، فابت إن عرفتها رددت منها حدرًا ، وعلى ريك بوكلا ، وبه ثقة ، وبه  
طمانته ، ولها نصف ومقتا ، ولرنك ، عروحل ، موده وحنا ، ومبا إسسا وقبولا ، وريك ، عر  
وحن ، رجا ، وملا ، والله . عر وحن . بالعمه والممة والتفصل كما عبت عرافا وقررا  
وشكر . وأما من بريته لأنت وصحب صاحبين أحدهم لا يحل لك قتله فلا تصد على  
معارفته كالوالده أو الولد ، وله سهم أو يصب بدته وبرؤح بدته ، وإن أعطيت في ذلك شيئا  
ناب معه أو عبت فحاه بصحرة ليصرح بها رأسك ، فيقطعك الآخر الذي معه . وأمسك يده  
حتى قلت إليه فأحدث الصحرة من يده ثم ألقها

وكذلك لو ضيع طعام منه من فسهب الآخر به حتى عرفته . لا رددت له نصف ومقتا ، وبدي  
سبك وقطعت به موده وحنا ، والدي أراد لك لفس حدرًا ، وعلى بدي سبك بوكلا وبه ثقة  
ويقطع رجاءك ممن أراد أن يكذب واشتد أمك رجاءا بدي أنقصت وسبك ، ويقطع  
عك العصب لقطعت به ويخلصك من شره ، وتقرب بالعمه والتفصل بدي سبك ويقطعك ،  
حتى امتعت من مكائد عدوك بدي أراد أن يكيدك

فانعم الذي أراد مكيدك هلك ، وبدي أنقصت وسبك عروحل فكم من لاء  
أرادته بك وبارعتك إليه ، وهمت به أو فعلته ، فسبك الله عر وحن عليه ، فركته ولم يركه ،  
وما ركت منه بدمت عليه وتنت إليه

فإن عرفها رددت لله عر وحن حنا وموده ، ولها نصف ومقتا ، وعلى الله عر وحن بوكلا  
وثقة ، ومبا ياسا ، وبني الله عر وحن صمابه ومبا حدرًا ورحلا . ولا تعبت كما عمته ولم  
تصمه إن هلك إذا كانت محتها في خلاف ما عملت من الخير ، ومحبها فم تركت من الشر ، و  
برك بلى محبها صارب إليها ، فابدي أنقصت وأعدت على خلاف محبها غيرها . وهو الله عر  
وحن وعرفه عر وحن ، وعرفها ، فابت ب عرفها صدقتها وب صدقتها وب مداهنها ولم يمل مع  
هو ب ، صدق لله عر وحن وبهينة وأنت إليه ووليت به ، فاهم ما حب عينا من الخير من غير  
أن يقطع منك الرجاء ، فبدحك إلياس والصمد ولكن أثهم وفش ، وب لم تعلم شيئًا فاحمد  
الله عر وحن وكى ورحلا ب يكرب قد كاب منها ما يكره الله عر وحن فم تذكره بعدة هو  
وحصه مبيكها عليه ، مع الأمل في الله عر وحن ب يصب منك ما عبت ، وب كك ملك أمر



ما يكره فيه عيب رجوب العفو عنه . وهـ برك الوحل والابتعاد من ألا يعفو عنه وترجو  
 بدلت الوحل لعفو عنه والصفح ، لأن من حالف أن لا يعفى عنه يصدق به عفى عنه . ومن  
 أمر واعتز استوجب أن لا يعفى عنه

فاحذرهم وهشها وحاصمها ، كما يحاصم خصم الظنوم الخائن الموارب ، المبيع في حخته  
 المرحوف القوم الماطر بشدة يده ، حتى يهرع عنه سباب العادة ونفته ، حتى يد فامب عنه  
 البيئة أو فتش فأصيب معه السرفه انقطعت حخته ، وأدعن وأقر ، فإن ألبى أن يؤدى الحق إلى  
 اعتراف به أو قامت عليه السه ، رجته إلى موضع الحكم ، محكمه عنه بالحس والصبر ، فإذا  
 نظر إلى ذلك وعلم أنه يمتنع أن يعطى أقل مما يبد منه وأن يؤخذ منه أكثر مما يمتنع منه ، أعطى  
 الحق ورد العلم

وكذلك محاصمها بالكتب والسنة ، وهم عليها الحجة . وهشها عن عيوبها . وذكرها حشها  
 وكلمها ، حتى إذا ادعيت بالإقرار والاعتراف بالحق ، ونقطعت معدبرها ومواربها وحججها  
 الكاذبه ، فإن انددت إلى الحق . وإلا طارفع وهشها إلى . وهى سحر والسعد ، فتوهم  
 شده عد بها واه واحب عليها . فإذا رته نصر العمل وعين ليقين وهاج عنها الخوف ، لم تنالك  
 بالإدعان والندم والعزم ، وانفادت إلى الحق ، لما عانت وعيمت أنه يؤخذ منها أكثر مما تنال  
 ثم حذرهما يصب بعد ذلك أن تناع إلى ما تركت مبرك عذاراً فإن درعتك فاقم عليها  
 حجة وأرهم لعداب ورجحها ما ترك الثواب ، وأرهما إياه بمشاهدة ليقين ، واستمع بالله عروحل  
 عليها ، وتوكل عليه ثقة به ، وأحسن به الطل ، وأناس منها أن يكون منها خير . إن وكنت الله  
 عروحل إليها ، فتوكل عليه ، ومما فليقطع رجائك وأملك

# کتاب العجیب

## باب ما يؤدي إليه معرفه النفس وشرح العجب والإدلال بالعمل

قلت قد عرفني نفسي وحدرتها . فأخبرني ما تؤدي يؤدي به معرفها بعد وصفت الربا .  
وأسمائه . وأمكن بي عنه عني \* وإن عرفها لما يعنى أن عرف عدوى ولا أعرف مكائده  
ولا يكون معي آله شهادته . فأخبرني بالمعجب ما هو وما هو وما يبي ويبى \*

فإن ذلك سأت عن افة في كثير من أبعاد عظيمة . منبه لدنوبهم ومريه لهم حقدهم  
وربطهم . لأن المعجب يعنى نصيب حتى يرى شمعك أنه عمن وهو مسي . وأنه نوح وهو  
هانك . وأنه مصيب وهو محطى . ولا ست صاحبه يستند له أن يركن إلى معرفه . يستصغر ما  
عبر به من دنوبه ورله ويبى كثير \* . ويعنى عيبه كرها حتى لا يطفه دنا . فيكثر  
صمبه . مختر به . مقل خوره . ويشد بالله عز وجل معرفه . بل قد يجرح صاحبه به في الكذب  
على الله عز وجل وهو يرى أنه عليه صادق . وإلى الصلابة وهو يرى أنه مهذب . فالمعجب هلث  
أئمة الفضلاء . والمعجب بكر المنكرو . والآخر يصحرون . وختان مختالون . وبه هلاك آخر  
هذه لأمة

وما يدلك على ذلك قول النبي ﷺ وذكر آخر هذه الأمة فقال لأن لعنه إذا  
رأى شحاً مطاعاً . وهوى معاً وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك بعسك \*  
وقد نو لدرده . ثلاث معجيات . وثلاث مهلكات . فأن مهلكات هوى متبع .  
وشح مطاع . وإعجاب المرء بنفسه \*

وروى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ثلاث مهلكات » شح مطاع . وهوى مع .  
وإعجاب المرء بنفسه \*

وقال عمر رضي الله عنه مثل ذلك . هدتوا بذلك أن فيه الهلاك  
وقال بن مسعود رضي الله عنه أهلاً في أنبي القنوط . والمعجب . وصدق رحمه

الله . فإن الإنسان إذا أعجب لم يعص له دونه . وما عطف به من دونه استصعره . وما لم يعط له لم ير أنه يسعى أن يتوب منه . وما استصعره لم يُقرعه فيعلم عنه . فنعلم على دونه هيئت وإذا عرف كثرة دونه واستعصمها لم يقطع لم ير أنه يقبل منه التوبة . فأقام عليها فأُسست عن العمل لله عز وجل بالطاعة فيهلك

عَدَلُ ابن مسعود بقوله هذا - أن في العجب اهلاك ، لأنه إذا أعجب ركب نفسه ، وإذا ركاها لم يَتَّهَمها ، ولم تعظم عليه مخالفتها أمر ربها ، وظن أنها ناجية ألا ترى إلى قول الله عز وجل ( فَلَا تَرْكُؤُوا أَنْفُسَكُمْ <sup>(١)</sup> )

فيل في التفسير لا يركبوا ، فكيف يَتَّهَمها وهي عده بريئة فإذا لم يَتَّهَمها كيف يعص لعبودها وقوله حلّ ثاؤه « فلا تركوا أنفسكم » قال زيد بن أسلم لا تفرطوها ، وقال ابن جرير يقول لا تعملوا ما عصى وتقولوا بعمل بالطاعة ، وقال مطرف لا أنيت مائماً وأصبح نادماً أحب إلى من أن أبيت قائماً وأصبح متعباً ، فيجمع المعصية حصلاً شقي يعني عليه كثير من دونه ويسى مما لم يعم عليه منها أكثرها وما ذكر منها كان له مستصعراً وتعنى عليه أخطاؤه وقوله بعير الحق ، ويخرجه ذلك إلى الكبر والتعظيم عن العباد . ويعز بالله عز وجل ويدل عليه بعمله وعلمه حتى كأن له مئة على ربه عز وجل ، فيجئد بقطع عن الله عز وجل عصيته . وَيَكِينُهُ إلى نفسه فيرى أنه من المحسنين وهو عدل الله من الظالمين العاصين

ألا ترى إلى ما يروى عن عائشة رضي الله عنها أنه قيل لها متى يكون الرجل مسيئاً؟ قالت إذا طس له محس ، وصدقت رضي الله عنها ، إني يرى أنه محس إذا أعجب بعمله ويخرجه العجب إلى المن المعروفه وصدقته ، لأنه عظم عنده ما تصدق به أو تفصل به . ويسى مئة الله عز وجل عليه . وأنه مصيب لشكره على ذلك ، فمن ما صطع من معروفه فحبط آخره ، كما قال الله عز وجل ( لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى <sup>(٢)</sup> )

يستوجب عذاب ربه حل وعز ، قال النبي ﷺ « ثلاثة لا يكلمهم الله عز وجل يوم القيامة . ولا يظفر إليهم ، ولا يركبهم ولهم عذاب أليم أحدهم لمنان » فاعقل ما سألت عنه . ومهم بجانب إياك وقدم الله عز وجل العزم في بركة بعد معرفته ، لعن الله عز وجل من يفتك بجانبك لك عنه

## باب العجب بالدين

وعلم أن لعجب بالدين بوجوه أربعة بالعمل والعلم والرأى الصواب والرأى الخطأ ،  
فالعلم ما حفظ وفهم من الكتاب ونسخته وقول علماء الأمة  
وأما الرأى الصواب فما استبسط قياساً على الكتاب والنسبة والإجماع ، مشياً بها حكمة مثل  
حكمة

وأما الرأى الخطأ فما كان عن غير استنباط من كتاب ولا سنة ولا إجماع الأمة ، وإما هو تأويل  
بغير الحق ، وانتحال له على سبيل الجهل ، من قبل هوى النفس ، مع اعتراض من الظن أنه  
حق

فأما الإعجاب بالعمل والعلم والرأى الصواب فمعي واحد لأنه كله مئة من الله عز وجل  
ونعمة منه ، وله أول يكون عنه ، وقد ينمرد أوله فلا يكون عجياً  
فأما أوله الذي يكون عنه العجب فلاستكثار والاستعظام للعمل ، والاستحسان للعلم  
والرأى الصواب فمعي واحد ، لأنه كله مئة من الله عز وجل ، فإن استكر لعبد عمله واستعظمه  
تعظيماً للنعمة ، واثمة عليه به أوجاء ثوابه ، وأنه لا يستحق الثواب ولا كان أهلاً أن يمنّ عليه  
به ، ولا هو هل أن يقبض منه ، ولكن عظمت عليه لنعمة به ، ووجاء الفصل بالقبول له لا غير  
ذلك فليس بعجب به ، ولكن إذا امتكز عمله واستعظمه ، واستحسن علمه ورأيه ، فأضاف  
ذلك إلى نفسه ، وحمدها عليه ، وسبى نعمة ربه عز وجل عليه ومثته بذلك ، فقد أعجب بعمه  
وعلمه

فجملة لعجب بالدين حمد النفس على ما عمدت أو عمدت ، وسبى النعم من الله عز وجل  
عليك بذلك ، فحمد النفس وسبى النعم هو العجب بالدين  
بالأعمل الذي يريد أن يقوم به العبد ولم يقدّم به بعد ، فإن في ذلك معنى رائداً ، وهو  
الانكسار على نفسه ، باسسيان للتوكل على الله عز وجل ، وحدث أيضاً من النسيان للنعمة ، لأنه  
إذا نزل ما يناله نعمة الله عز وجل ، علم أنه لا مقوى له ، بيان غير الله عز وجل ، فإن من الله عز  
وجل عليه بذلك ناله وإلا لم ينله

قلت فعلى من يكون ذا كبر، لكل نعمه نعم الله عز وجل بها على في الدين فإن سبب شيئاً  
مها كنت معجب

فإن لا، ليس عيب فريضة به كبر لكل نعمه بها نعمه به كتب معتقد في حمده، عادت من  
جميع النعم في الدين والدينا من الله عز وجل، وبذكر الله عز وجل كل نعمه وعلمت أنها منه من  
الله عز وجل، كان أفضل لك عبد الله عز وجل، وأنت لك على الشكر، وأنت لك من  
العجب، فإن سببت ذكر النعمه فسهوت عنها، ولم تُصِفْ انفع إلى نفسك، مع حمد لها على  
ما أعم عنك من العمل والعلم، لم تكن معجباً، وكنت ناساً تلت للمعجبه كسبك سائر النعم في  
غير عمتك إلا بحمد نفسك على ذلك بأسبب نعمه الله عز وجل، فتكون حينئذ معجباً

## باب إضافة العمل إلى النفس

قلت وكيف يمكن أن أصيب بشيء إلى نفسي ولم يعمل ذلك العمل عيبي ، وبو لم أعلم أن أنا الذي عملته ما أعددت له ثمة ، ولا رجوت ثوابه من الله عز وجل . قال أحل ليس العجب علمك ما علمت وعلمت ، ولكن لإضافة إلى نفسك ما لمحمدها وسبيل منة سولي بذلك ، فإما إذا علمت أن ذلك كان بحمد الله عز وجل ، وإن نفسك لم تتركها وعلمتها تركت إلى خلاف ذلك ، فتصدق الله عز وجل «لمنة في ذلك فليست بمعجبا» قلت ليس لي مرقاً بين معرفتي أن العمل أنا عملته ، وبين إضافتي العمل إلى نفسي (رحمته) بإياها عليه .

قال معرفتك بأنك عملته معرفة قائمه في الطبع بالاضطرار ، لا تصدق أن تجد أنك عملته ، ولا تحتاج إلى ذكر ذلك ، ولا مخاطبة نفسك به ، والعجب ذكر هاتج مخاطبتك به نفسك ، وينزع به حدودك وذلك أن يبيح استعظام عملك واستكثاره على أن تقول في نفسك : لقد قويت وصبرت ومخلصت ، أو جودت أو جهدت أو فهمت ، مستعظماً بذلك ، عرجاً من نفسك بقوتها وعاد بصيرتها ، معظماً لها على ذلك ، وقد مخاطبها بدون ذلك فصول قرأت كذا ، صليت كذا ، لم أظلم من كذا ، ضمت في يوم شديد الحر ، مع سبب لمعة ، فذلك استكثار لعملك بإضافتك إياها إلى نفسك ، وحيلة ذلك إذا هاج فحدث بقوتك على ما علمت ، وكذلك ما لم تقم به من العمل مصيهاً إليها القوة والصبر ، ترى أنك تقوم بذلك ، ناسياً ، لا تنظر منة الله عز وجل بذلك ، ولا تترك الانتكاس على قوتك ، فلو كان الله عز وجل لم يترك عليك بشيء من ذلك أنك تقوى على ذلك ، أنك تقوى في قسك بنفسك ، ويرى لها من القدر في بعده والتماد أكثر من ذلك ؟ فهذا الفرقان بين معرفتك بما من الله عز وجل عليك به من العمل ، وبين العجب من نفسك بعملك وعلمك .

قلت أخذ ما تقوى بعرض لي ، وأخذته رائداً على امرئ يعمل ، لأني توقفت ذلك لنفسي خوفاً من أن تجهل أسرار عملك ذلك العمل ، حتى ترى أن عيبي عممه ، كنت ذهب العقل ، إلى أخاف أن تجهل نفسي أن تكون هي عملته ويرى أنه عمله غيرها ، وأنها كانت كافه

لم تتحرك لعمل ، حتى ترى أنها ؛ إذا كانت مصيبة أنها نائمة ، أو إذا كانت صائمة أنها معطلة . وأن  
عبري صام وصل ، فلما لم يجر أن يكون ذلك مني كذلك ، فقد علمت أني لم أقله لأعرف نفسي  
ما جعلت ، إنما كان ذلك تعجباً من شدة قوتها على العمل . وتخلصها وحسن بصيرتها . فقد تبين  
لي أن ذلك هو العجب لا غيره ؛ إذا أضفت إليها ذلك بالحمد لها ، مع سبب نعمة ربه عز وجل  
ولكن أريد مع ذلك دليلاً من العلم أن ذلك هو العجب ، ليكون أعون لي على نفسي . إن  
عارضني بانتشكيك فيه معارض ويب استدلي عنه مستدل فلم يقع بشي الخطة فيه بالعلم ، كان  
أدعى له إلى القبول

قال نعم ، إن العجب بالخير لا يكون إلا من المطيعين لله عز وجل المرادين له . من ذلك  
ما يروى ابن أبي الزناد عن موسى بن عفة عن كرم عن ابن عباس أنه قال : ما أصاب داود  
عليه السلام الدب إلا بإعجاب أعجبه من نفسه ؛ أن قال .

يارب ما تأني للة إلا ورسا من آب داود قائم وما يأتي يوم إلا ورسا من آل داود صائم  
وفي حديث حجاج : ما تمر ساعة من بيل ولا سهار إلا وعابدا من آل داود يعبدك . ما يصلي  
وبما يصوم وبما يذكرك . فأصاف العمل بالليل والنهار إلى آب داود . وكان هو أولهم في ذلك .  
وثومهم به وداعيتهم إليه ومقومهم عليه . فاستعظم ذلك ، لأن قوله ما تأني للة . مستعظم  
ذلك . لأن العرب لا تعرف في لغتها مثل هذا إلا لاستعظم للشئ من نفسه . فأصاف العمل  
بينا وحمدها عليه ، وقرن الله عز وجل يدين على ذلك ،

وقال ابن عباس رضي الله عنه ، فأوحى الله عز وجل إليه : داود ان ذلك لم يكم إلا لي  
وبلا عوني ربك ما نويت على ذلك ، وسأكلت إلى نفسك . وفي حديث آخر « وعرفني وحلالى  
لأنك كنت إلى نفسك » ؛ فلو كان ذاكرة للعمة في ذلك لما ذكره ما هو له ذاكر . ثم يعاقبه عليه  
فيتركه ونفسه . ولكن ذكره العمة التي كان لها ناسيا وكله إلى نفسه التي أصاف العمل إليها  
وحمدها عليه فكان بعملها معجبا ، وسماه ابن عباس معجبا من نفسه . وأخبر أنه أصاب الدب  
من أجل عوجه بطاعة الله عز وجل

بطاعة الله أعجب بها فأدركته العقوبة على ذلك ، حتى أصاب دبا أثره الندم والحر أيا  
حياته والتبعة في الآخرة . حتى يستوهه الله عز وجل من أو . به <sup>(١)</sup> كي جاء في الحديث ، بأعظم  
بالعجب بلية وأعظم به آفة



ومن ذلك ما قال الله عز وجل في كتابه العزيز في يوم حين لأصحاب محمد ﷺ وهم حير  
عصابه على وجه الأرض ، بل لا عصاة تعبد الله عز وجل غيرهم ومن تبعهم ، غصبت لله عز  
وجل ، ينصرون دين الله عز وجل مستجمعون لقتال أعداء الله عز وجل ، فقال الله عز وجل  
( وَيَوْمَ حُشِرَ إِذْ ضُجِّتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ  
ثُمَّ وَاتَيْتُم مِّنْذِيرِينَ <sup>(١)</sup> )

وذاك أن قائلًا قال منهم إلى ملك اليوم من قلة ؟ فلا أعجو بكثرتهم وتكلموا على قوتهم  
وسوا الله عز وجل في ذلك ، رفع الله عز وجل في ذلك الوقت البصر عنهم يعلمهم أن كثرتهم  
لا تنفعهم شيئاً ، وأن الله عز وجل انصرفت الغالب هم عدوهم لا عددهم ، ثم عطف الله عز  
وجل عليها بالنصر ، كراماً لنبيه ﷺ ، ولهم ونصر دينه ، ثم أنزل بدين قرآناً يعرفهم به ما  
كان منهم ، وما قال من قال منهم ، وهذا هو العجب بالكثرة

ومنه أيضاً ما روى ابن عباس أن أيوب صلوات الله عليه قال : إلهي أني ابتليتني بهذا البلاء  
وما ورد عليّ أمر إلا آثرت هو الله على هوى ؟ وسودي من عماية عشرة آلاف صوت يا أيوب ، آني  
ذلك ؟ أي من أين لك ذلك ؟ قال فأجد رمداً فوضعه على رأسي ، فقال : منك يارب  
أفلا ترى إلى رجوعي عما قال ، ناسياً أن يضيف نعمة لعمل إلى ربه جل وعز فقرع إلى الذكر  
باندل والاستكانة ، والإقرار بالنعمة أنها من الله عز وجل ، فقال منك يارب

وفي هذا أثر حديث داود عليه السلام معنى من الإذلال بالعمل ، سألنيك لك إن شاء الله عز  
وجل عهد ذكر الإذلال بالعمل

## باب الإدلال بالعمل

قلت فأخبرني بالإدلال ما هو ؟

قال إن الإدلال معنى رثا في المعجب وهو أن يعجب بعمه أو غنمه . فيرى أن له عند الله قد عظيماً قد سحى به ثوب على عمله . قال رضاء بغيره مع خوفه بكر الإدلال .  
 وب رين الخوف ذلك فهو إدلال . كما قلت مره مر انها حرب وهي عند عائشة رضي الله عنها . يا معجب رسول الله ﷺ لا أشرك ولا أسرق ولا أرتب ولا أقتل ولدي ولا أتي بهن اهريره  
 بر يدي ورحي ولا عصيه في معروف . فريب لرب عز وجل . ووي لي . فوالله لا يعسني  
 ربي . فأوبت في اليوم فعيل لها . أنت فتأليه على الله الا بعدت ؟ فكيف بقولك فما لا يعك  
 ومنعت ما لا يعيث ؟

وفي حديث آخر : به تاها منك فما ك كلامك ترحين وريث تدين . وحيث  
 مكدي . وحارك تزدن . وروحك يعصين . ثم وضع أصابعه الخمس على وجهها فقال خمس  
 خمس و دت لردك : قال فأصبح رثر لأصابع في وجهها . وهذا الإدلال على الله عز  
 وجل . ويحب الثواب عليه على العفة والسيان والجهل عليه

قلت فما الدليل أنه قد رأى أن به بذلك عند الله عز وجل قدراً عظيماً ؟

قال عني دلت دلائل كثيرة من الله وسببه . فمن ذلك أن ساجي الله عز وجل استعصم  
 عمه كما قال داود عنه السلام . أو يسكت أن يزل به بلاء . أو ينهر عنه غيره . أو يرد دعوته  
 وهو يعمل مثل دلت العمل

ومثل ذلك ما وى عن به صوب لله عنه حين قال . هي نبي سبيي به سلاء وم  
 ورد عني مر لا ثرب هو ر على هوى ؟ فإذا استكر عامن أن لا عاب دعونه . أو ألا يعن به  
 ما يحب . أو يسي . وسلم عدوه ونهكه من مهات لذيها . فقد معجب بعمه . مد  
 به . كأن له عني الله عز وجل مئة تما عمل . يحب على الله عز وجل مكفاته . ولولا تفصيل الله عز  
 وجل عن حلقه ما جعل لهم عملا . لأن العمل منه يفصله وبعته . وشكر من العباد صعب  
 وشكر بعمه نعمة من الله عز وجل . واليسوب كثيرة

أَلَا تَرَاهُ يَهْوِي حُلًّا سَاوَهُ ، وَيَتَوَلَّى تَضَلُّ اللَّهِ عَنْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا كُنِيَ مِنْكُمْ مِنْ حُدِّ  
أَمْدًا ١٠

فصل لبي عليه السلام لأصحابه وهم حبر ساس يومئذ وفي يوم ما ملك من أحد منحه  
عمله « قاتلوا ولا أتت ما رسول الله » قال « ولأننا إلا أن يتعبدى الله منه برحمته » وقال « لو  
بخلق الله أنا وعيسى بن مريم عا نصيب ما بين لعدنا »

« صحابه من بعده فصلهم وبرهم يسمون بهم كانوا حقوا بحر حق لانس عصم  
الحرف بو بكر صبي الله عنه يود أنه لو كان قرأ ، وعمر صبي الله عنه يسمى أنه لو صار سنة ،  
وبو عسبه وعمر بن حصين وغيرهم فله « عرّ وجلّ المحجة النائمة على عبادته ، وله الفصل  
والفصل وندة عليهم ، ولا مئة هم عليه ، وما عملوا من خير فيه وند

فت وما الدليل على ذلك إنه الإدلال ٩

قال ما يروى عن قتادة في يوم الله عرّ وجلّ « « دلائل تستكثر » قال لا يدل بعملك ،  
وقد حنفت في تفسير هذه الحرف فقد نصهم لا تند حتى يهدى إليك إلا أن قتاده ذهب  
إلى أنه الإدلال بالعمل

« فور أتت ودود عديها السلام في الحديث الذي يروى - أن صلاة المدل لا ترفع فوق  
رأسه ، وقال لأن تصحك وأنت معترف بلنبي حير من أن تكفي وأنت مدل بعملك  
لهذا العجب بالإدلال

فإن هذا مجرد العجب ولا شاملة الإدلال فهو ما أحرقتك من حمد النفس وسنان لعم -  
وسئل روح نفسي فليس له - يا أبا محضر « ما الذي قسد على أعمال أعياهم ؟ فقال حمد  
نفس - وسنان لعم

## باب العجب بالرأى الخطأ

قلب والعجب بالرأى الخطأ ، لم أسمعك أدخلته في هذا الجواب  
قال إنه ليس بعممة فيوصف بسيات النعم فيه ، ولكنه بلاء وحدلان ونقص ، إنما ما كان في  
الصلال والبدع قبلية وحدلان ، وما كان في الأحكام فقد يكون حدلانا وإثما وقد يكون نقصاً في  
الدين دون الإثم

فإذا كان الرأى على غير الكتاب والسنة والإجماع فمن لعجب كان ، وهو الذي أهلك عامة  
العباد ، حتى ضلوا وكفروا وابتدعوا وأخطأوا في دين الله عز وجل  
وقد دمه النبي ﷺ وأحبر أنه يعلب على آخر هذه الأئمة ، وعنده يكونون قد ضلوا وضلوا  
فلا يستمعون لموعظه ، فإن يؤثمه أحشي سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل  
( عَيْبَكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَّا بَصُرْكُمْ مِنْ صَلَّ إِذَا هَتَمْتُمْ )

فقد يا أبا ثعلبة ، ائتمروا بالمعروف وتجاهلوا عن المنكر ، فإذا ريت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً  
وذي مؤثره وعجاب كل ذي رأي برأيه فحيث نفسك ، فأحبر أن مضاهي إذا عتب على أهل  
الدنيا إيتار الدنيا والعجب بأرائهم

وادم أصحاب النبي ﷺ العجب بالرأى والعناء بعدهم ، وأحبروا أن فيه الهلكة ، ألا ترى  
إلى ما وصف الله عز وجل ، من قال عليه غير الحق ؟ فقد  
( وَهُمْ يَخْشَوْنَ أَنَّهُمْ يُخْشَوْنَ خُفْعاً )<sup>(١)</sup>

وقال عز وجل ( أَقَمْتُ رِيْقَ نَا سُوْهُ عَمَلَهُ عَرَاهُ خَسَنًا )<sup>(٢)</sup> ؟

فأحبر أن القوم معصون بما يديسون به من الصلال والكفر والكذب على الله عز وجل ،  
وكذلك جميع أهل البدع لولا أنهم معصون بأرائهم ما اعتقدوا البدع ولا أقاموا عليها ،  
فالإعجاب بالرأى الخطأ هلك عامة الكفار وأهل البدع من أهل الإسلام وأهل الخطأ والفساد ،

(١) ١٥ ٨

(٢) ١٥ ٨

(٣) ١٥ ٨

لاهم تأوبوا ، فأعجبوا بتأوبهم ، وظنوا أنه الحق اليقين ، وفاسوا عن غير القياس فأعجبوا بناسهم  
وظنوا أنهم قد أصابوا الحق وقد تركوه ، ودانوا بغيره وخالفوه

قلت قد أعظمت صرره ويئت كثرة الآفات فيه ، فأحبرف ما هو ؟

قال لاستحسان بالرأى الخطأ من قبل هوى لنفس ، مع اعراض من الطعن انه حق يعنه  
بغير يقين

قلت مِمَّ كان ذلك ؟ فإنه لا يمكن أنه كان ، لا عن إعدل وجهل

هنا : أحل

قلت مِمَّ كان ذلك ؟

قال من ترك تهمة لنفس ، واستحسان الرأى بغير علم وصح له ، ولا دليل عليه من الله عز  
وجل وتلك بليّة عظيمة لا نعمه ، ولو ذكر النعمة عند ذلك لما انتفى العجب بذلك . بل  
يستحكم العجب بذلك فيعلم عليه . وإنما أعجب حين رأى أنها نعمة ولم يعدّه بليّة فيسرع عنها .  
أو يظن أنها بليّة فيتهم نفسه . فيثبت حتى يتبين له العلم فيعتقده أو نعمه . وإنما أعجب به حين  
عدّه نعمة

## باب ما ينبغي به العجب بأعمال الطاعة

فصل في حق العجب بالذين حتى يسلم منه العبد؟ قد أما العجب بالحق والطاعة من العمل لعلم وادري نوافي الحق والصواب . فيذكر نعمه عليه . ذلك أنه لله عز وجل وفصله . وبولا مثله بذلك لما قال ذلك أحد أئمة من بعده . لأن النفس لو بركت . ففعلت ذلك . ولا . منها . لأن محبتها كمال في خلاف ربك حتى به لله عز وجل العقل فقهر به هوى النفس وعزم له على إرشاد . محافل محبة النفس وشهوات . لأن العبد لا يكاد يأمر إلا وشهواتها في صيده . إن قام الليل شهواتها في راحتها من التمتع وفي يومها فرراً من السهر . وكذلك في صام شهواتها في الإفطار . لما سيب عليه من حب . من طعام . من شراب . وحشها لرحمة في الكساح وغيره . وكذلك جميع أعمال الطاعات . فلم يكن لتعممه ببركة فيذكر ويعترف . بعد العمل من الله عز وجل نعمه انعم بها عليه . لا يتدبر من نفسه . وإن عليه في ذلك شكر . وأنه غير قائم بالشكر على ذلك . مقصود عن شكره . يستأنس مامن عليه به . بل يستأنس أن يسببه . لتصفحه شكر نعم الله عز وجل عليه .

فصل في حق ما لا يعجب عبيد به . كالسكوت عن الخوص في الباطل . وكعصم النصر . وترك العلة . في آثام والمصوب . والفكر في القسب والذكر . قد . إن ذلك كله مثل عبيد . لأنه وإن . يذكر . كما معاً فإنه مسع عن محبة وهوها . لأن . حبها في محادثة خلق وسر حبها . لسجوح ما يحول في القلب . وكذلك عصى نصر عن انصر إلى ما هوأه وشبهه . وكذلك الفكر والذكر بالقلب للأحرة . شاعل عن النظر في راحة يدب والفكر . فذلك مثل عبيد . وشغلها عن حبها ومحبة . فقد صبح لأولى الهوى أن ما انت من البر والطاعة . كالحلف محبة . للتع الذي يدخل عبيد . أو منعها من حجة أو ردة . تساهل . فقد دليل بر وشهد وأصبح عبيد . الذي أدبها في خلاف محبة غيرها . وهو مسكها . لتفصل عليها بذلك . لله الحمد والشكر وحده . فإن رجعت إلى صاحبها بالدعوى منها . هي . هي غمته وسجنه . محبة . على صبره . قوتها . فخرج إليها بهد لمعرفة حتى يخلد في نفسه وطعمه . وكفى بإحبا الله عز وجل عبيد . ما د بالسوء . لا ما رحم لرب وعصل به



فكذلك نفسك قد كاسد حريصة على الركود من قبل إلى الدنيا وإيثارها على الآخرة  
فكأنك جاهدته أن تستأسرك هواها ، فتكون به عاملاً ، ولطريق نجاتك إلى الآخرة ناركاً ، فأبى  
الله عز وجل إلا أن يوفقك ويسددك . فعوى صمعتك ، ونور قلبك ، وأعانك عليها . حتى  
رفضت كثيراً مما هوى ، وتركت كثيراً مما أحب . وما عادت إلى خلاف ذلك إلا ماكره والخير .  
ثم وحب لك رحرها ومعانيها ، وقوى عملك على هواها . وعملت على جهدي ، ووفقت لدوام  
ترك إجابتها . حتى أيسر منك أن تناب محبتها . وبكسرت عما كنت عودتها ، فأحدثت مسرعة  
على غير انقلاب من طمعها . ولا تعبير عن عيوبها ، وأنت مع إجابها لك متوقع لرحوعها .  
تسأل الله بربى معونتك عليها ، وقهرها حتى انقادت بك طائفة ، بعد امتناعها أن يديم ذلك  
لك . ولا يسلطك هو حشية أن يترى منك ، فشب عيبك فخرج بك إلى جميع ما تحب وتبوى  
فكأن في ذلك هلاكك في ريبك وآخرك ، فهل تجد بينها وبين الأسير فرقاً ؟ بل هي شد ملاه  
من الأسير وأعظم قتلة

قلت قد أجد بينها وبين الأسير فرقاً ، لأن الأسير لا يرى أن الخير فيها يراد به وهي قد علمت  
أن ما يراد منها خير لها

قال قد ماوت الأسير في مخافته وفصلت عليه في الشر إليها أنت وعصت عن معرفها  
وبيان ، والأسير في وعصى عن جهالة وعمى ، ولعله لو علم ما يراد به من الإسلام والفرق بينه  
وبين الكفر ودار الحرب التي أهلها محاربون لله عز وجل ودينه . لأجابك طائفاً ، وأنقص الرجوع  
إلى بلاده ، فهي شر وأعجب عصبية وإساءة من الأسير ، إذ عصت بعد العلم بأنك إنما تدعوها إلى  
الحسنة ونجاتها هلكتها ، وقد تجد بعض الأسراء مشبها لها في جميع أمورها ، لأنه قد يكون  
الأسير يعرف الإيمان وفصله ، كما وصف الله عز وجل به بعض أهل الكتاب ، وهم يعرفون الحق  
وبجاسوه بعد العلم ، فقال

( فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَفْرُقُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ، لَقَدْ خُذُوا  
الْحَقَّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُنْتَرِينَ )<sup>(١)</sup>

ووصف إبليس أنه اعترف له بالربوبية ثم عاد بعد علمه ، وقال عز من قائل

( وَإِنَّ فِرْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ تَكَاوَرُوهُمْ تَكَاوُلُوتُكُمُ فِي الْحَقِّ نَعَدُ مَا نَعِدُ )<sup>(٢)</sup>

(١) ١ ٩٤ ، زاد من هذا ٢ إليها جامعهم ما عرفوا كفروا به ١

(٢) ٨ ٩٥



فكذلك هي نأى بعد علم وبيان ومعرفة ، فهي سدوى شرّ للأسارى وتوفى كل سائر جاهل  
أو عالم ، جلا فرق سهاى فى الله من قبل الإياء والعصيان ، فاحمد الله وحده ، والحمد له ، والخير  
والخوف سها ، وترك الضمائية إليها لمعرفتك سها ففى عرف الله ران عنه اعجاب وعظم شكر  
الرب عز وجل واشتد حدره سها والله وانظمائيه إلى عروى عز وجل رانعت سها . والحب  
للمتفضل المحرم

أرأيت لو صحبتك صاحبين فأراد أحدهما . وأنت دائم أن يروح رأسك بصخرة فأنقظك الآخر . وقد أمسك يده عن الصخرة وهو رافعها ليرميك بها . فأراك ما هم به وما أراد أن يعتالك به . أو لو صنع لك سمًا في طعامك يفتنك به . فأراك الآخر بالتجربه عن بعض انبهاهم ما أراد أن يقتلك به من السم . حتى عرفت أنك لو أكلت ما هي لك من الطعام كان في ذلك عصفك من قتله بذلك السم طليعة الى حرب عسها . لم تكن تردده به مقتاً وبعضا . ولدى أنتدك من مكيدته حياً ومودة واستؤمة . ولدى أرد بك لسوء حذر . ولدى حذر منك وبين ذلك ثقة وطمأنينه . رجاء أن يفتدك من أمثال ذلك . وحقاً من الآخر أن يعتالك بمثل ذلك فإن ادعى المريد لك بالسوء انه هو الذى يفتدك منه . هل كنت راسياً للذى أنتدك ؟ ومصيباً عما كنت إلى الذى أراد بك المكيدة بالسوء ؟ كلا ما كنت فاعلاً لذلك ما صنع لك عصفك . فكم من بلية قد أردها بك نفسك فعزم الله عز وجل لك على تركها . وأنقظك معصمت منها وقد كان بها عصفك بالنار أعظم من الميتة بالحجر والسم . وكم من حق لله عز وجل قد هممت بتصحيحه فأبى الله عز وجل إلا أن يفتدك بخلاف ما هممت به . فقد وحى عليك الفتى لنفسك وخبر منها . وترك إضافة العمل إليها ما حمد لها . راحب ترك عز وجل . وانظمائيه إليه . وثقة به . والحمد له حالصاً وحده . والشكر له على مته بكل ما ملت من بر وطاعة فلت قد تبين لي بوضعت هذا . وقد كان عدى في الحملة هكذا - أن نسي نو تركها رضى عز وجل لأهلكنى . وأن الدين يولى دينك به لأنه على بذلك . حتى يد ما ملت من بر وطاعة . هو وحده لا شريك له

## باب ما ينشأ به العجب بالرأى الخطأ

قلت أنفأيت بنى العجب بالرأى الخطأ إذ كان ناس من عباده قد ذكر الله عز وجل بسبب ، ولا أصيب ذلك إلى نفسى هم أنفيه ، إذ بينى لي أنه بليّة وحذّار أو نقص في الدين ؟  
 ون . هو بينى العجب بالرأى خطأ يتهمه نفسه ، ويرك لاسحار شيء من رأيه إلا  
 بسبب بنى وحجّة ، وصحة من لكتاب والنسبة أو قس عليها واستناده حكم في بازنة  
 قلت وكيف يتهمها ؟ وما الذى ينادى به تهمتها ؟

قال بعرفته ما سبب عنه في خلقه ان من شأنها السهو والجهل ، ولما حرب منها من كثرة  
 عطشها ، وكثرة رذلها ، وسوء تأويله ما لا يحصى مراراً كثيرة ، في كل ذلك يرى أنه مصعب  
 لا يشك عند نفسه في ذلك ، ثم يتبين له بعد انه قد كان عمل وعط وكان سبحانه لذلك من  
 قبل هوى ونزيب الشيطان ، وبو لم يفت على سببها إلا ما يعرف من عامه هذا الحق من عطشهم  
 وفولج في دين الله عز وجل بعد الحق ، وكلهم برغم ما يدعى حق وهو على باطل ، وهو مع  
 ما هو عنه من لاصل لا يشك أنه بحق صدق ، وأن من حاضره مظل كادب ، من جميع أهل  
 الأديان ومن أهل البدع من المسلمين ، وكثير من أهل الفتن والرأى  
 وقد علم أن الدعوى طبعها بعض غريب من بعض ، بل كنها لا تغرى من لسهو والجهل ،  
 وما يفسد إلا من نفس الخلق من ولد آدم عليه السلام بيته كسيتهم وعريته كعثرتهم ، ومع  
 ذلك فإن امرئ لهم واحد ، وهو الشيطان لمصدهم بعداوة ، والدعى لهم الزلل والعصيان ،  
 فإذا أثبت في قلبه هذه المعرفة بنفسه سببها ، ولم يعجل بما يستحسن دون النظر في الكتاب والنسبة  
 أو حساء له أهل العلم والبصيرة . ولم يرل ذلك شأن الصالحين العارفين بأنفسهم ، ولم يرلو  
 منهم لآرائهم ، حائف من أنفسهم ، ومن ذلك من مسعود ، اختلف إليه شهر في مسألة عن  
 امرأة مات عنها زوجها ولم يدحل بها ولم يسم لها صداقاً . فلم يحجم شهر محامه لخصاً في إحاطة  
 إياهم عن سألوه عن ذلك ، همة بنفسه وحشية خطتها . ثم قال لما لم نجد بدا من لقول فيها  
 ما أقول فيها برأى ، فإن كان صواباً من الله عز وجل وإن كان خطأ فمر نفسى  
 وروى عن أبي بكر رضى الله عنه مثل ذلك

وقال عمر رضي الله عنه إن المرأى كان من رسول الله ﷺ صوتاً ، لأن الله عز وجل كان يريه ، وهو من الظن والنكف

وقال نوسعيد رضي الله عنه قال الله عز وجل هم وهم أصحاب نبيه ﷺ  
(لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَمْرِ لَعَسْتَ)

فكيف فهم دوسهم من الناس ؟ وقال قتادة في قوله عز وجل لو يصعصعكم في كثير من الأمر

لعمري . فأنتم أضيض خللاً ، فلمهم رجل . أيه وبتصح كتاب به عز وجل

وقال نوسعيد الخنزي رضي الله عنه يقول الله تعالى نبيه ﷺ لو يصعصعكم في كثير من الأمر لأمر بعنهم وقال ونحن أصحابه فأنتم أعجز رماً

وقال بن مسعود رضي الله عنه أنها الناس هم المرأى وهم أنبي وأما أنهم أن ضرب سبي في معصية لله عز وجل ومعصية رسوله ﷺ وقال سهل بن حنيف أيها الناس هموا آراءكم وقال عمر رضي الله عنه أنهم رجل رأه ، ونقد رأتى يوم أبي حنبل وبوا قدر بردت على رسول الله ﷺ ، معى يوم صانع لى ﷺ فرشا يوم الحدييه في حاشه إياهم . والأحاديث في ذلك كثيرة ، وترك ذكرها كراهية التطويل

قلت فإن ثبتت المعرفة بذلك فأنهم رأيه ، كيف يثبت حتى لا يحطى ؟

قال نعم إن من كتاب الله عز وجل آيات محكمة قد اجمع المسلمون على تفسيرها ومما يشبه ويمكن فيه التأويل ، وذلك الذى احصى فيه ومما يشبه . ومما يختلف فيه إلا أهل لربع الذين حزن الله عز وجل أنهم يسعون بناوويه بعد الفقه في دوسهم من لربع ولصلاله وكذلك سنة النبي ﷺ بيده الشريفة .

فدعلم العبد انريد لنصواب لئليس الله عز وجل به . أن من الكتاب والسنة محكمات بين التلاوه مفسره بإجماع ، وأن ذلك وصح لا يحتاج فيه إلى النظر والبحث ولا يجب على انفس انهممة في قبولها واحتسابها إياه ، وأن الذى يمكن فيه الخطأ والصواب لصعف من آدم وسهوه وعقله وعده هواده . وتريين عدوه به ما اختلف فيه أو حادثة يحتاج فيها إلى تمثيل والعباس على الكتاب والسنة والإجماع . فعد ذلك بهم نفسه . وثبت ولا يعجل . إذ كان خطأ في ذلك منه ممكناً . فاحظه وترأ انشأ عرور وخطأ وبرك التقفد لئليس وأسحر من ليعون على الله

لمير اخن ، فلا يعجل ، ويسب ولا يجترى ، ويعجب ولا يقل ولا يعتقد ما يستحسنه قلبه  
وركن في عقله إلا من كذب أو سه أو ما جمعت عليه الأمة أو تأويل مما يختلف فيه مشي  
بلكتاب والسنة والإجماع أو قياس مساو لذلك . إذ كان ممن يجوز له التماس النظر وإن لم يكن  
ممن به أن يعيس ولا ينظر سأل العلماء ونظر في أقوالهم وإن ما ذهبوا إليه ، وإن كان ممن لا يحسن  
أن ينظر ويميز من الدين لا يعرفون خلاصاً من حرام ولا يحسون التمييز بصعف عقولهم ، فليس على  
أولئك إلا التمسك للعلماء إذ سألوهم عند الحاجة . وذلك كالأعجمي وبعض النساء ممن  
لا يحسبون التمييز . وإن كان من المثانة البدي وحب على المؤمنين الإجماع به . ووكل علمه إلى الله  
عز وجل . وقف وعلم أنه ليس له تأويله . وبذلك وصف الله عز وجل الراسخين في العلم والإيمان  
به ، وبرك تأويله . وحدثت فيما لا يجب على العباد فيه حكم يعمنون به . فهذا من عملك  
العجب بالرائي خطأ . حتى لا تعجب إن شاء الله بخطأ في دين الله عز وجل . من عبط تأويل  
ولا قدس

قلت : ما عمل الذي لم يمس به على كيف يعجب فيه ؟

قال : الاتكان على قوتك وصبرك ، حررت من نفسك . وسيايلك انتظار منة الله عز وجل

ذلك

وقد روى الأحنف بن قيس عن أبي عبد الله عليه السلام أن داود عليه السلام قال : يا رب إن بني إسرائيل  
يسألونك يا إبراهيم وإسحاق ويعقوب . قال ابن عباس في هذا الحديث : إن داود صلى الله عليه  
وسلم حدث عنه أنه إذا اتلى يستعصم . وقال محمد بن كعب والمفبري في هذا الحديث : إن الله  
عز وجل قال : إن اتلستم فصبروا . قد يا رب وأنت إن اتلثيت صبرت . و أما ابن  
نليتيم ولم أحرمهم نأى سيء اتلهم ، ولا في أي شهر ولا في أي يوم . وأما مخبرك في سنتك في  
شهرك هذا ، ولكن داود لم يصبر على الابتلاء ، فاحرر نفسك

## باب العجب بالديا والنفس

قلت : فالعجب من قبل الديا ماهو ؟

قال العجب بالنفس ، والعجب بأهل ، والعجب بالحب ، والعجب بالكرة من الخدم وانولد والمولى والعشيرة والأصحاب .

قلت : فالعجب بالنفس ما هو ؟

قال هو العجب بالخيال والجسم . يعظمه وعنده والقوة والعقل والعمل وحسن الصوت ، فأما بالخيال والجسم فاستحسان ذلك من نفسه ، وسبيل ما يلزم المد من الشكر لله عز وجل على ذلك ، وسبيل القدر في الذاءة وما يتقلب فيه من الآفات ، ومصير الخيال والجسم إلى الفناء والبلل ، حتى يتكبر وشجر ويتعرض بحاله للعجز ، وتفتخر به على غيره .

قلت : هم يبق ذلك ؟

قال بذكره العمة وما وجب عليه من الشكر ، وما صيغ منه ، للمعم مما يستحق بخلافه وتصيغه لشكر ، ان يعبر حبه بالشين باثار عذاب الله عز وجل وأن النار تاكل جس الجسم وتنامه ، وعرفته فله مما كذب بدايته من التراب والطعم ، وما يتقلب فيه من الأقدار لئلا لا يمتنع منها من عاظم والبر ، ومصير جسده وخاله إلى التراب ، وأن التراب سيمحو صورته ويبيد جسده ، فإذا عرف نفسه وقدره ومصيره ، وما عليه من لشكر ، وما صيغ منه ، وما وجب عليه نصيبه الشكر من العذاب ، ران عنه العجب وهتم بالشكر وتواضع للمعم

قلت : فالعجب بالقوة ؟

قال استعظامها وسبب الشكر والابتكار عليها ، وسبب الابتكار على الله عز وجل ، كما حكى عن قوم عاد حين قالوا : من أشد منا قوة فأعجبوا بقوسهم واتكلوا عليها ، وظنوا أنهم بها تحلصون من عذاب الله عز وجل وكما بكل عوج على قوته ، فافتطع من الخيل قطعة ليصقها على عسكر موسى عليه السلام فشقها الله عز وجل حتى صارت في عنقه وقد يتكل لمن أيضاً على قوته كما وصف النبي صلى الله عليه وسلم قول سليمان عليه السلام لأطهر اللثة نائة امرأة مما يمل إلى شاء الله م يكن م ر د م الولد ، فيتكل للمد على قوته ويسوق التوكل

عنى به عز وجل ومنه جود دود عليه الصلاة والسلام . ب . تلمس صبر . وقد جئى .  
نصاً ب . عطى من القوة على الحروب في معاصي الله عز وجل . وسارع بالصبر والقدار إلى من  
دارعه . ما عرف من قوته . عجباً . بها وبكلاً عينا . ويُعز غيره بصحة ومسحر عنه قوته  
قلت . فيم نبي محمد بها ؟

و . معرفته . من الله عز وجل نعمه . قصته . بسطر كيف استعمله طاق طاعته . وأن عنه  
يشكر . ب . فصله بها على غيره من بصغاء . وأن الله عز وجل هو الذي قواه . ولو شاء  
هدى بعده . وسفه . وضعف قدر نفسه وحوب بسكم عنه . وعاف إن استعان بها واستعملها  
في معصية الله عز وجل . مهده . وكسره بعبوة منه . فود أنزه عنه ذلك نبي محمد . ب  
واهم بأداه . الشكر فيها

قلت . طاعته بالعقل والذهن وبفضله ؟

و . سبحانه دنت واستعظمه . وسيداً لنعمه بالتفصيل به . ولا تكب عنه أن يترك به  
مادته . ومن يؤمن . من عمره . رأى . أو أحكام دين الله عز وجل . أو دنا . وترك التوكل على الله  
عز وجل في جميع ذلك . حتى كرحه دنت إلى قلبه . لتشت لإعجابه بعفته . حتى كصى في دين  
الله عز وجل . وقوى عنه بعد الحق وخرجه نصاً في بركا . تفهم من عنده . وأمره . وأطوره  
حتى خرم الفهم بحق وياق . لا يكون بالخطأ . وعط . وخرجه ب . حققة من دونه . ممر .  
يعط من الفضة مثل ما عصى . و . ب . ك . و . ح . مه . وفصل عملاً . حتى تُسنى كنه من هو  
و . مه . وفصل منه جهلاً حمى . وبره . كالحسب نبي لا تعمل . ب . فصل عليهم بالفضلة  
و . ب . ويستطعن عليهم . ويرى اب لا قدرهم . ويستصغر ما عملوا من خير ويرى أنه خير  
منهم وإن صنع العمل لعطته وعمله

قلت . فيم نبي ذلك ؟

و . تعرفه عهده مه . عطى من العطف . وسهوه وعفته وقلة ما يرى بعقله . و . كان  
مه عطى من الفضة أكثر مما عطى غيره . فقد وجب عنه في ذلك الشكر . وإعنا فصل بالذهن  
سعظم حجة عنه . وبوكيد بطاعه بالبروم . بسطر الله عز وجل كيف استعمله لعفته في  
تفهم عنه ولا شغاله به . و . ما أعطى من العمل مد الله عز وجل . لو شاء أن يعيره ويريله  
بعض لأفان . كما رآه قبل ذلك من هو منه ومن هو فوقه لمعل فلا يأمر من أن سله الله عز  
وجل عمله . عاد عرف صحفه وجهه وفه ما يترك بعقله . وأن ما فصل به مه عنه .

شكر وعظم الخجة ووجوب الحق وأنه بدليل مصحح ، فإذا عرف ذلك علمنا من م نوب من  
 القصة مثل ما ترى ، 'حسن' خلاصه . . . . . يسكن الله عز وجل على ما قصته به عنه ، و  
 الخجة عليه أعظم منها على من روي

وقد يرى كثيرا من هو دونه في بعضه أصح لله عز وجل منه . وأنه مع ذلك لا يأمّن أن  
 يسلمه الله عز وجل عنه إن صبح الله عز وجل به فيما وجب عليه من التمسك عنه ، ونعقل عنه  
 والعمل به

فإذا لم يكن فيه حدود المعرفة ، إن عنه تعجب ، وحاف عظم الخجة ووجوب الحق وأهم  
 بالشكر وأداء الحق

## باب العجب بالحسب

قلت . والعجب بالحسب ؟

قال . استعظم القدر من أجل الآباء والأصل . فإن كبار من أهل الشرف في الدنيا من الذين شرفوا في الدين بالدين ، يستعظم قدره من أجلهم . ويسى مئة الرب عز وجل إذ خلقه من انكرام الصالحين ، ورفع عنه مئة صبة . القدر . لعله لو جعله وصيماً في الحسب بسخط ذلك ، وانتمى إلى غير آثائه وألف منهم . فيسى ما رفع الله عز وجل عنه من العنة ، وما فصل به من الجنة ، بأن جعله من ذرية أوبيائه وأهل طاعته فيفعل ما عليه من الشكر وما وجب عليه من المحبة . وأنه مأخوذ بعمله ، فيعجب إذا استعظم قدره من أجل آثائه ، وأفعل لشكر ووجوب المحبة . حتى يحيل إليه من قد يقطع بعضهم أنه ناج بغير عمل . وأنه معصوم له . وإن كثرت دونه ، وإن لم ينت منها فيستطيل بذلك ويتكبر ، ويبتخر على غيره ويحقره . ويألف منه إن كان ذا قرينة أو جاراً أو غيره ممن هو دونه في الحسب . ويخال في مشته . ويرى أن الخلق شبيه بالعبيد ، بل قد يرى بعضهم أن الأمة عبيد له . فيحالف آباءه في معاليهم ويريد أن يكون عبد الله عز وجل مثلهم . وذلك الاعتراف بالله عز وجل والجهل بأمره

قلت : فبم يبي ذلك ؟

قال . عمرته ما وجب عليه من شكر الله عز وجل عن مامن به عليه إذ جعله من ذرية من تولاه وأحبه وأنه محرم بعمده دون عمل آثائه . وأسلم أي بجوا بالطاعة وشرفوا بها ، وقد ساء لهم في الحسب غيرهم فلم يؤمنوا ولم يطيعوا ، وكانوا عند الله عز وجل شرّاً من الخنازير والكلاب ، وأنه وإن خاف طريقهم فحكمة أن يحالف به إلى غير دارهم وهي النار ، لن يسجو إلا بعمله ، وأورحمة الله عز وجل ، من ذلك قول الله عز وجل

(إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ<sup>(١)</sup>)

وذلك أن الخارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وحالد بن أسيد لما أدن نلال يوم الفتح على



الكعبة أنكروا ، وقال الحارث بن هشام هذا العبد الأسود يؤذن على الكعبة ؟ فأمر الله عز وجل : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » رواه ابن أبي حنيفة

ومنه قول النبي ﷺ إن الله عز وجل قد أذهب عنكم جهالة الجاهلية يعني كثيرها ، كلكم يو آدم وآدم من تراب

يعرف أن أصله وأصل بني آدم كلهم واحد ، وأنه حصل عليهم بالحسب والصلاح في الآباء ليظهر كيف شكره ، وأنه إما ينفعه عمله دون عمل آبائه ، ومن ذلك قول النبي ﷺ « يا معشر قريش لا يأتي الناس بالأحباب يوم القيامة وتأثون بالديار المحبوسها عن رقابكم ، تقوون يا محمد يا محمد فأقول هكذا » يعني أعرض عنكم

وقال حين أمره الله عز وجل أن ينذر عشيرته الأقربين « ما دام مطنا مطنا حتى صار إلى أن قال « يا فاطمة بنت محمد ، ويا صمعة بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ اصملا لأنفسك فإن لا أغنى عكا من الله شيئا » رواه أبو هريرة وعبيد عن النبي ﷺ

ملزم ذلك قلبه ، فإدراك من ذلك ولزمه قلبه عرف نفسه ، ورأى فيه اعتزله وعجبه ، وانهم بالشكر وخاف من النسب وخاف أن يكون من دونه يسجو ، ويهلك هو ، إذ كان أتى الله عز وجل منه ، فإذا عرف منه هذه المعرفة ، وأنزلها بهذه المنزلة ، قل منزه وحيلوه وحقرته غيره ، بل تتواضع لهم ويتشبه بآبائه ، فإن الله عز وجل إنما رخصهم بتواضعهم له في خلقه ، وعفافهم على أنفسهم

قلت فقد جاء الحديث عن النبي ﷺ أنه قال في عقب قوله يا فاطمة ويا صمعة اصملا لأنفسك فإن لا أغنى عكا من الله شيئا إلا أن لكما رحما سائها ببتلاها ، وقال : « أيرجر سلهم شعاعى ولا يرجوها يو عبد المطلب ؟ » فقد دنا بهذا القول أنه سيخص قريته بالشعاعة ، فكذلك كل صالح على هذا القياس يستمع لأقربائه

قال : إن ذلك يسمى به أن يرجوه ، ويعلم أنه لا يستمع إلى النبي ﷺ ولا أحد من الصالحين ، إلا لم لم يغضب الله عليه ، وأراد أن يكون سب رحمة له شعاعة بيه ﷺ . وبعض أوليائه . ومن غضب الله عز وجل عنه لم يؤذن لى ولا لأحد في الشعاعة له ، ألا تراه حين ذكر ملائكة لال ولا يستمعون إلا لمن أرنهى ؟ قال قتادة يوم القيامة . وقال عاهد إلا لمن رضى عنه . ومن سفع فيه بعد علم أحبر أنه قد غضب الله عليه ، ألا ترى في قول النبي ﷺ فيؤمر قوم من أصحابي ذات الشهاب ، فأقول يا رب أصحابي ، فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فهو

و ن رجا الشفاعة فهو خائف أن يعصى الله عز وجل فيغضب عليه . ويكون قد غصب عليه ما كان منه ، فلا يشفع له شافع ، ولا يؤمن لأحد أن يشفع به ، ومع ما يرحو من شفاعة النبي ﷺ . فإن جميع المسلمين يرحون شفاعة النبي ﷺ . وإن كان قد خص بالشفاعة أفراداً .  
ويكر لا تأمن الغضب والمقرب من الله عز وجل

فإن ألم قلته هذا خاف ورجا . فلم يعجب ولم يعز ولم بهتخر ولم يتكبر . وكيف يعجب ويتكبر وهو لا يأمن أن يكون عبد الله عز وجل معصون عليه . شر من العردة والخماير ؟ وكيف تأمن ذلك وما تمه أهل الحب في اللبس والديا . وحير الخلق بعد النبي ﷺ . حين غبطوا إليهم وتمنوا أن يكونوا مثله في الخلق ، خوف عذاب الله عز وجل وعصيه ؟ وإنما يعجب بأنه مهم جداً خافوا هم هذا الخوف وهم السابقه والفصل ولا سابه به ولا فصل عنده ولو كان عنده فصل كان أولى به الخوف من الله عز وجل كي كانوا حائزين من ربهم عز وجل  
قلت رأيت من كان له الحب في الدنيا وليس له آباء صالحون أكثر من الأصل عبد الناس في الغضب ما العجب به ؟

قال العجب به استعظام القدر حتى يرحه لي الكبر وخيلاء . ونعم والاستطاعة على الناس . والحقرة هم حتى يغيرهم بحاسبهم . ويغضبهم ويقع فيهم . ويرى لنفسه الفصل عليهم

قلت : هم يبي ذلك ؟

قال يعلم أن أصله في الدابة أصل الناس كبهم . وحقته كحلتهم . وم فصل عنهم في الخلقة شيء ، يد الخلق واحد والأب واحد والأم واحد . والموت وسلاء في رفته . والغضب عليه ، ولثواب والعقاب أمامه . وأنه قد اسوحت بعدات بسبه . وأن عليه شكر إذا جعله في موضع لا يشبهه فيكون عبد الناس وصيماً . فعليه في ذلك الشكر . وأن آباءه من عدم مهم في الشرك غير معجب بهم . ولا يبق بهم الإعجاب . ولا لهم عبد الله عز وجل قدر من الكلال عبد الله تعالى خير منهم . كما قال النبي ﷺ : يدعن يوم الفجر بأنهم وقد صارب محمداً في جهنم . أو ليكونن أهول على الله عز وجل من الخليل النبي قدوق بأنهم القدر .

وأحدث عن النبي ﷺ أنه قال : افتخر جلال عبد موسى عليه السلام . قال أحدثهم فلا من فلا حتى عد عشره معه . فسأب ؟ فأوحى الله عز وجل في موسى عليه السلام من نلدي افتخر بأنائه تسعة من أهل النار أنت عاشهم ؟

وإن كان من آياته من به صلاح ودين فهو على ما وصفت لك :  
قلت فإن كان آثؤه ليس هم أصل في العز ، ولا سابقة في الصلاح والطاعة ، إلا أن لهم  
الشرف في الملك والسلطة المتقدمة ، ما استجب بذلك ؟

قال استعظام القدر ، وبيان ما صار إليه آثؤه من العذاب ، وأن ما كانوا فيه عا عليهم  
عند أهل لعن . وشي عند الله عز وجل . ويرى أن له الفصل عن غيره ومحضه وسكر عليه ،  
وبسبب عاقبة ما كانوا فيه ، وبصريح الشكر ، وأخرجه الله عز وجل منهم ، وحضه بالإسلام ، وبنه ،  
وأبدله بشرهم شرف الإسلام . وحمل دية الإيمان ، فيكم ، وبفتحه . ويخبر من دونه في  
الحسب ، حتى يرى أنه خير من تقدمت له السابقة في الصلاح . وروى أورثه ذلك عشا  
للإسلام ، وعداوة للذين وهم ، لأنهم هموا آباءه وعلبهم ، وورثوا أرضهم وديارهم بأحسن  
وبصرة الدين

قلت فيم يبي ذلك ؟

قال معرفته بما كانوا فيه من السلوة على عباد الله عز وجل ، والفساد في أرضه والكفر  
والمجده ، وما صاروا إليه من لعدب واهوان ، وما من الله عز وجل عليه به ، إذ أخرجه منهم  
ولم يجمعهم ، وأبسه شرف الإسلام ، وريته الإيمان ، لأنه لا محزن أهل النار ولا مكثرتهم  
وإن كان هم مع ذلك كرم في الدنيا والرأي والقول وحسن المداراه من أسرعه ، حمد الله تعالى  
بدر منه أن يجمعهم من يجره ، كالرجع وغيرهم . وعليه في ذلك الشكر ، إذ لم يعرضه  
لنتته الصعة في قدر الدنيا ، ومع ذلك إن استجبت بآياته عند رائل ، للمعرفة بقدرهم عند الله  
عز وجل وعند أولائه من المؤمنين ، لا أعظم ، لا من عظم عند الله عز وجل . ولا أعظم إلا من  
صغر عند الله عز وجل

## باب المعجب بكثرة العدد

قلت فالمعجب بكثرة العدد من الولد والخدم والموالي والعشيرة والأصحاب والأتباع ؟  
 قال الاستكثار بهم ، والانتكال عليهم بالنحرر بهم ، والغلبة لغيرهم ، والترس بهم ،  
 والانتكال على عددهم ، وسياك الانتكال على الله عز وجل ، كما فعل بعض أصحاب النبي ﷺ  
 يوم حُبي ، فأنزل الله عز وجل : ( إِيَّاكُمْ كَثَرْتُمْ )<sup>(١)</sup>  
 إذ قال قائلهم لن يفلح اليوم من قلة فانتكل على الكثرة واعمل ذكر الله عز وجل ، هتوبوا  
 على ذلك وعلى الافتخار بالكثرة والمرة بهم  
 وقد يكون ذلك من المؤمنين ومن الكافرين ، كما قال الكافرون : نحن أكثر أموالاً وأولاداً ،  
 فيستطيل المعجب بالكثرة على الناس ، ويحترق على المشائخة والقتال والمهرب لغيره ، متكلاً على  
 كثرتهم لينصروه ويمسوه ، ويعمله ذلك على جحد الحقوق والحر والظلم ، بالانتكال على الكثرة  
 وبالمعجب ظلم أكثر من ظلم واستطال  
 قلت هم أنى ذلك ؟

قال عمرتك بصحتك وصحتهم ، وأن من لم ينصره الله عز وجل فلا ناصر له ، ومن لم يقو  
 الله عز وجل فلا وافي له ، وأن الانتكال عليهم دون الانتكال على الله عز وجل يستأهل به صاحبه  
 الخذلان من الله عز وجل ، حتى لا يتفقه جمعهم ولا كثرتهم ، وقد يجعل ذلك له ، فإن لم  
 يجعل ذلك له لم يعتد وتوقع ذلك سريعاً أن لم<sup>(٢)</sup> يقينها أهل حبي ، وهم خير عصابة على وجه  
 الأرض ، وكيف يقلها العاصي الظالم المسرف على نفسه ،<sup>(٣)</sup> وعمرته أن الجمع سيتفرق عنه وأنه  
 سيخلو ببرع الموت وحده ، ثم يموت فيسلموه إلى البلى ، ولا يمول عنه من الله عز وجل شيئاً  
 وأن كل من استعان بهم فأعانوه عليه ، أو استطال أو ظلم بقومهم أن ذلك كله مشى عليه محرم  
 به ، حين يفر المرء من أخيه وأمه وبنيه ، وصاحبه وبنيه ، ومن يعجب بهم جميعاً بل يتمي يوم

(١) يعني يتن ذلك أي يبره

(٢) ٩ ٢٥

(٣) أنى لم يتجاوزها أهل حبي

لقيامته . إن لم يعرف الله عز وجلّ عنه . رأسهم قدأواه من لئار . وأن الشكر عبية فيما أعطاه من  
 كثرة . وجعله من أهل الكثرة . وأنه إن صيغ الشكر أغضب الله عز وجلّ بذلك . ولم يقصوا عنه  
 من الله شيئاً ولم يدعوا عنه ما قدر في دين ولا دنيا . فإذ ألزم قلبه هذه المعرفة زال عنه العجب  
 بذلك . واهتمّ بالعمل . وحاف المقتور . وانتكل على الربّ عز وجلّ لا على غيره .

## باب العجب بالمال

قلت فاعجب بالمال ما هو ؟

قال استكثاره والاتكال عليه . حتى يخرج إلى الاستطالة به والاصحار به كي قابو . أكثر أموالاً وأولاداً . ويجفر به الفقير . ويطلب له شهوات حتى لا تحمل . يجترى به على انظلم ويعظم على الفقراء . ويتقدمهم . كما روى عن النبي ﷺ أنه رأى رجلاً عبياً قد قبض ثيابه وكفها أن تصيب ثياب رجل فقير إلى حسه . فقال له النبي ﷺ أحشيت أن بعدو فقره على صاده ؟

قلت ثم يني العبد ذلك ؟

قال معرفة أنه إنما تنى به نفسه والامتداد . ون الحقوق عليه أكثر وأوجب منها على العبد وأنه قد عرّض للعطب . بل أن يشكر ربه عز وجل . فيرحم نفسه من كثرة . ويشفق بها . ويرى للعبد فيه مصلاً . إذ أزيلت عنه الفتنة . ووحوب كثرة الحقوق عليه من صلح والبركة والصلة للرحم وإقراء الصيف ومواساة الخار وغيره . وقد أشفق الصالحون من كثرتها وأشفق عبد لرخص بر خوف وحآب وغيرهما من ذلك . وقال النبي ﷺ يرويه عنه أنودر ما يسرى أن ي مثل حل أحد دعا أمعه في سبيل الله تأقى عليه ثالثة وحدى منه فربط أو قباطان فراراً من الكثرة . لمعرفته بها . ورهداً فيها . وقال النبي ﷺ لأكثرهم هم لأقلون إلا من قال بين عباد الله بالمال هكذا وهكذا من يميده وشيانه وبين يديه ومن خلفه

فإذا أرم ذلك فنه حقر نفسه وخاف عليها . وعظم الفقر لأنه أقل بلاء منه . ألا ترى إلى ما لقي من أخرجه العجب بالكثرة إلى مالا يحل له . من ذلك ما وصف الله عز وجل به قارون في حبه واختائه . حين خرج على قومه في رسته . فحسف الله عز وجل به الأرض

وعال لى ﷺ « بها رجل يتجحر في حلة له . أو قار في بردين له . وقد أحسنه نفسه . إذ أمر الله الأرض فأنخذنه فهو متجحر فيها إلى يوم لقيامه » . فيحاط ما يؤدي إليه لعجب بالمال والرسنة من العفوة . فأوصع من يرى عبده حبراً منه . إذ م ينل مثل ما أمسى به . ألا ترى إلى حديث أبي درقان كتب مع النبي ﷺ فدخل المسجد فقال في « يا أمار » رفع رأسه

« فاطرُ أرفع رجل نزل في المسجد » فرفعت رأسي فإذا رجل شبحز في حُلته . قلت هذا . فقال  
 « أرفع رأسك فانظر أوصع رجل في المسجد » فإذا رجل عليه حلقات له . قلت هذا . فقال  
 « يا أماند هذا عبد الله خير من قرأت الأرض مثل هذا » لأنه ليس يرفع عبده إلا بطاعة لا بالمال  
 وغيره

فإذا أرم قلبه هذا . خاف من كثرة ماله . ورأى ابن صغير خير منه . وأنه إنما فضل عليه  
 باللاء والفضه وكثرة وأحب الحقوق . وعلم أن الله عز وجل قد من عليه نافع ليظهر كيف  
 شكره . وأنه لا يعرف أنه شكر الله عز وجل كما يحق له . فيشمن من ذلك ويرون عبد المحب  
 بالمال إن شاء الله

قلت فقد رتب أكثر العلماء سمي من تكرر معجاً ويصف المحب بصفة الكبر  
 قل إن أول نسي الكبر لعجب . من يعجب يكون أكثر الكبر . منه سمي بالكبر .  
 ولا يكاد يعجب أن يحو من الكبر . فلما كان المحب هو الذي أخرج إلى الكبر وعنه كان فإنه  
 سمي به وذلك لخلق الكبر عيه . لأنه قد يستعظم ما أعطى من دين أو دينا ولا يتعظم به على  
 أحد . فذلك المحب إذا سى مة الله عز وجل بذلك . فإذا تعظم به على غيره ونف منه فحقه  
 فقد بكر لأنه قد أعجب نفسه ولم يحقر غيره كان معجاً ولم يكن متكبراً فإذا أعجب نفسه ثم نظر  
 في غيره واد في نفسه فما حير منه مختفراً له مردراً به سمي حينئذ الكبر معجاً . من أجل أنه هو  
 هاجه على الكبر

وليس الكبر هو العجب

# کتاب الکبر



## باب وصف الكبر وشعبه وشرح وجوهه

قلت وما الكبر؟ ومن يكون؟

قال إن الكبر عظيم الآفات ، عنه تشعب أكثر ليليات ، يستوحى به من الله عز وجل سرعة العقوبة والعصب ، لأن الكبر لا يحق إلا لله عز وجل ، ولا يليق ولا يصح لمن دونه ، إذ كل من سواه عبد مملوك ، وهو المثلث الإله لقادر ، فعظم عند الله عز وجل لكبره ، إذ كان لا يليق بعبده ، وإذا فعل العبد ما يليق ، لا يملو عز وجل وشدت عصب المولى تعالى عنه ؛ ألا ترى ما يروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :

« إن الله عز وجل يقول : « الكبرياء ردائي والعظمة راعي ، فمن نازعني فيها أدخلته النار » يستحق التكبر أن يضعه الله عز وجل ويحقه ويصغره ، إذ حار قسره وتعاطى ما لا يصلح مملوك ، وكما يروى عن النبي ﷺ وعن عمر رضي الله عنه أنه قال : « من تواضع لله عز وجل رفعه الله هكذا ، ومن تكبر هكذا وضعه الله هكذا »

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من بي آدم أحد إلا وفي رأسه حكمة » بيد ملك ، فإن تواضع لله رفعه الله إلى السماء السابعة ، وإن أراد أن يرفع نفسه وضعه الله في الأرض السابعة

وعن عبد الله بن سلام قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » وعن سلمان الأعرابي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ما يحكي عن ربه عز وجل قال : « الكبر ردائي والعظمة راعي ، فمن نازعني أحدهما قذفته في النار » وعن كعب : « ما من عبد إلا وفي رأسه حكمة بيد ملك فإن تواضع لله رفعه الله وقام انتعش بعشك الله ، وإن تكبر وضعه وقال انتضع وضعك الله »

هستأهل لتكبر أن يضعه الله ويحقه ويصغره في الدنيا والآخرة ، ألا ترى أن الله عز وجل

يقول (وَاللَّاتِكَةِ بِأَسْطُولَايِهِمْ) إلى قوله (وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِي مُتَكَبِّرُونَ) <sup>(١)</sup>  
ثم قال تعالى لأهل النار (ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِيسَ مَقْوِي الْمُتَكَبِّرِينَ) <sup>(٢)</sup>  
ثم أحبر عز وجل أن أشد أهل النار عذاباً أشدهم عتياً <sup>(٣)</sup> على الله عز وجل وأهم المتكبرون .  
ونحمل عليهم أورارهم وأورار الضعفاء الذين اتعوههم ، قال الله عز وجل حين ذكر حثائم حول  
جهنم

(ثُمَّ لَنُخْرِجَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَهْلَهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) <sup>(٤)</sup>  
قيل في التصير بدأ بالأكابر فالأكابر جرمًا ،  
وقال الله عز وجل (فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ)  
ثم قال جل قائلًا  
(لِيُخْلِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُصْنَعُهُمْ يَجْرُ عِلْمٌ) <sup>(٥)</sup>  
وقال عز وجل (وَقَالَ الَّذِينَ سَتَّخِمُوا لِلدِّينِ اسْتَكَثَرُوا كُفْرًا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ)  
وقال الله عز وجل بصف به قوم صالح  
(قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكَثَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لَهُمْ أَسْوَءَ بَيْتِهِمْ أَتَعْلَمُونَ أَنْ صَالِحًا  
مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ؟) <sup>(٦)</sup>

فأحبر أن المتكبرين هم أهل الجحد لله تعالى والخلاف عليه ، وأهل الصد عن سبيله  
للضعفاء ، وأهل الخلاف على الرسل والأنبياء ، وقال الله عز وجل  
(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ ذَاحِرِينَ) <sup>(٧)</sup>  
بعض صاغرين وكذلك يحشرون ، وقال ابن عمر : يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُورِ  
الدُّرِّ يَتَوَاطَّاهُمُ الْخَلَائِقُ .

محمل الكبر أكثر العباد على لرد على الله أمره والجحد به ، وهو إلى عاصي أقرب وأسرع ،  
ولم يحمل الله عز وجل للمتكبرين موضعاً في -و- ، إنما يجاوره من تواضع لخلقة وهيته .  
ألا ترى إلى ما يروى عن النبي ﷺ يرويه عنه ابن مسعود أنه قال : لا يدخل الجنة من في

(١) ١٦ - ٢٥

(٢) ٧ - ٧٥

(٣) ١ - ٦٠

(٤) ٦ - ٩٣

(٥) ١٠ : ٧٦ -

(٦) جرأة

(٧) ١٩ - ٦٩

قلبه مثقال حبة من خردلة من كبره ، وذلك قول الله ، عز وجل  
 (لَيْسَ الدَّارُ لَأَجْرِهِ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَةِ وَالْآيَةِ (١))  
 قال ابن جريج : علوا : تعظماً تكبراً ، فأخبر أن القليل منه لا يدخل صاحبه الجنة من  
 أجله ، وكفى بذلك بليّة  
 ويسأل أهل أيضاً المتكبر أن يزيل الله عنه العمة التي تكبر بها لأنه لا يتكبر إلا بنعمة الله عز  
 وجل ، ومن ذلك حديث خلع بنى إسرائيل حين أتى منهم عابدهم فحبط أجره وغفر للخليع ،  
 ونحو ذلك الغفلة عن رأس الخليع  
 ثم مع ذلك إنه يستحق من الله عز وجل ألا يعظمه العلم ولا يفقهه في الدين ومن ذلك قوله  
 عز وجل :

(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)

قبل في بعض التفسير : سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفسير سأحجب قلوبهم عن  
 الملائكة ، بمعنى عن النظر إلى ما غاب باليقين ، وما شاهدوا من العبر ، وكفى بذلك بلاء  
 وحذانا ، قال ابن جريج : سأصرفهم عن أن يتكبروا فيها ويعتبروا

وروى عن عيسى بن مريم عليه السلام ، أنه قال : « إن الرُّع بما يست في السهل ولا يست  
 على الصفا ، وكذلك الحكمة تعمري قلب التواضع ، ولا تعمري قلب المتكبر ، ألا ترى أنه  
 من شمع برأسه إلى السقف شجرة ، ومن طأطأ أظله رأسه » . مثل ضربه للمتكبر به إن تكبر  
 وضعه الله وأزال عن قلبه فهم الحكمة ، وإن تواضع أفهمه الله ، عز وجل ، حكته وبعده بها  
 فالتكبر ينزعهم للمفت من الله عز وجل ، وسرعة المطجلة بالعقوبة ، ألا ترى إلى ما يروى  
 أبو عمران الجوني ، وفي رواية أخرى عن مالك بن دينار : أن مسلماً - عليه السلام - أمر  
 اربيع ، فقال اربيعنا ، فرمعتهم ، حتى سمعوا رجل الملائكة بالتقديس ، ثم قال لها : اغمصينا ،  
 فحفضهم ، حتى مسّت أقدامهم البحر ، فإذا سار ينادي من السماء : يا الله ، عز وجل .  
 يقول : « لو أعلم من قلب صاحبكم مثقال خردلة من كبر لحسنت به بعد بما رفته »

قلت الكبر ما هو ، ومن يكون ؟ وأبدأ بما يكون منه الكبر ، ومن يشعب ؟

قال الكبر يشعب من العجب ، والحقد ، والحسد ، والرياء ، وأصل ذلك من جهل

معرفة القدر ، فإذا جهل العبد قدره تكبر

قلت قولك تكبر ما معناه ؟

قال إذا جهل قدر نفسه عظم قدرها عنده ، لتعظم على الخلق ، وأنف ، فالكبر التعظم ، وعنه يكون أخلاق الكبر ، وأخلاق الكبر كلها تسمى كبراً ، وقد يكون عن الحق ، والخذل ، والرياء ، ولعجب ، إلا أن أوله في القلب استعظام القدر ، فإذا استعظم العبد قدره تعظم فإذا تعظم أنف وحس ، وتغرز واقتحر ، واستطال ، ومرح واختال فالكبر . التعظم

قال عطية الخراساني عن ابن عباس في قوله ، عز وجل

(إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبِيرٌ مَّا هُمْ بِأَلْبِيهِ<sup>(١)</sup>)

قال عظمة لم يسعوها ، وقال ابن حريج (عُلُوٌّ فِي الْأَرْضِ)

تعظماً ، فأخبر ابن عباس أن الكبر هو التعظم ، وعنه تكون أخلاق الكبر . وأخلاق الكبر كلها تسمى كبراً ، ألا تسمع إلى قوله عز وجل :

(إِنِّي عَدْتُ يَرْبِي وَرَبِّي وَرَبِّي مِنْ كُلِّ مَثَكُرٍ لَا يُؤْمِرُ يَوْمَ الْحِسَابِ<sup>(٢)</sup>)

وقال ، عز وجل (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مَثَكُرٌ حَارِ<sup>(٣)</sup>)

قلت قد أراءت أخلاقه بوجوه شتى ، ويشعب من وجوه شتى ، ففسره في فسره

كل وجه من أخلاقه على جهته ومعناه

قال : إن الكبر على وجهين :

أحدهما بين العباد وبين ربهم ، عز وجل ، وهو أعظم الكبر

والآخر بين العبد وبين العباد ، فأما ما كان بين العبد وبين ربه عز وجل ، ففوقه . عز

وجل

(إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَحْلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ<sup>(٤)</sup>)

وقال عز وجل

(لَنْ يَسْكُفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْكُفْ عَنْ عِبَادَتِهِ

وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ،

ودلت لاف عن الكبر . وهو من الكبر خلق عظيم شديد عند الله . عروجل . قال  
( وَذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟ اسْتَحْذِرُوا تَأْمُرُوا بِذَهْمٍ نُفُورًا )  
وقال أيضًا ( . نُفُورًا اسْتِكْثَارًا فِي الْأَرْضِ )

ومن دلت استكبر بليس على آدم . حتى حرج به إلى لعابده وترك السجود بطاعة ربه عروجل  
وكذلك بروى عن النبي ﷺ : « إن إبليس إذا رأى أن آدم ساجدًا قال يا وبي . امر  
هذا بالسجود فسجد وأمرت أن بالسجود فلم تسجد »

وقد كان لاف من الركوع عند العرب قديمًا يأبون منه من أجل النجبة لأن التحية  
عندهم قبل أن يبعث النبي ﷺ كانت صعة يأبون بها . ومن ذلك قول حكيم بن حرام  
يا يبع لي ﷺ أن لا أحرلًا ناعيًا . هبته النبي ﷺ على ذلك . ثم فقه بعد . رحمه الله .  
وقال أبو سفيان : يا معشر قريش . إن الله لا يصنع تنحيكم شيئًا . وذلك عندهم قديمًا يأبون  
منه . يعرف ذلك منهم . ويعرفونه من أنفسهم حتى إن كان أحدهم ليقع منه الشيء . فيدعه  
ولا يأخذه إلى أن يحمله . ومن الناس ليوم من تعطل عنه قطع . فيألف أن يمسك ساجدًا  
ألف أن يحكي فيكس لأخذه . فأنهوا من السجود . يد كان عندهم صعة من أجل النجبة . ومن  
ذلك ما يروى عن حبيب عن مجي ابن جعدة . قال : « من وضع حبه لله ساجدًا فقد برئ من  
الكبر » يعنى الكبر بينه وبين ربه . عروجل

وقد يجتمع هذا الدس من الكبر بينه وبين ربه برؤ على الرسل فيرد أمره . ويعبده ويخافه في  
أمره فأنهوا أن يسعوا الرسل عليهم لسلام . ويكونوا هم أبعاء عند الله . عروجل . في أمره  
وردوا كتابه . ووجدوا حخته . ومن ذلك قولهم

( أَوْ مِنْ بَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ )

وقال ( وَلَوْ أَنَّهُمْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ لَأَنَّكُمْ إِذَنْ لِحَاسِرُونَ )

فأنهوا أن يكونوا تبعًا لمن هو مثلهم في الخلق . وقالوا

( لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا )

قال الله عروجل . ( لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ) . ( وَفَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ إِلَهُ

مِثْلِكَ لَيَكُونَنَّ مَعَهُ نَذِيرٌ ) . ( وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مَاءٌ غَاسِقٌ ) وقال فرعون

( أَوْ هَاءَ مَعَهُ الْمَائِكَةُ مَقْرَبِينَ )

وقال الله عز وجل (وَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) (١)

فأنف أن يكون عبد الله عز وجل ، يعبده حتى ادعى الربوبية

وقال وهب قال له موسى عليه السلام آمس ولك لحمة ولك ملكك ، قال حتى أشاور هامان ، فشاورة وأحبره بما قال له موسى عليه السلام . قال له ييما أنت ربّ تُعبدُ إذ صرت عبداً تُعبدُ ١١ فأني حبستك إلا المعاندة لموسى عليه السلام واستكبروا أن يحصوا لبشر مثلهم . وأرادوا أن يبعث إليهم من هو أعظم منهم . وأظهر في الخلقة استكبارا ، كما قال الله عز وجل (لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ)

ومنه أيضاً حقيرتهم لمن أتبع الرسل أن لا يكونوا مثلهم . ولا يدخلوا في مشاركتهم . وقالوا

روح عليه السلام

(وَمَا تَرَأَيْتُ اتَّبِعَكَ إِلَّا الْأَذْيَانُ هُمْ أَرَادُوا بِأَذْيَانِ الرَّأْيِ)

قال عطاء الخراساني عن ابن عباس رضي الله عنه «أذى الرأي ما ظهر ، فقال هم يحبر أنهم يأهون منه ، وأنه ليس بالظاهر بصر المباد عبد الله فقال (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ حَيْرًا اللَّهُ أَعْتَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) فأخبر أنهم ازدروهم كبرا واستعظاما عليهم . فلم يشعروا . وردوا على الله عز وجل . وكذبوا رسله ، وجحدوا بآياته

وقالت قریش : (كَلَّا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِثِيِّينَ عَظِيمٍ) ؟

قال قتادة هو الوليد بن المعيرة وأبو مسعود الثقفي . يريدون أن يشعروا من هو أعظم في الرياسة والدينا من النبي عليه السلام ، لأنهم قالوا : علام تنم بشفه الله إليهم ؟ قال الله عز وجل : (أَلَمْ يَقْسِمُوا بِرَحْمَةِ رَبِّكَ) (٢)

وقالوا : ارحمنا لمن اتبعه - : (لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ)

أي إن أكبر منهم ، وأحق بلغير أن نواته منهم ، ومن قول قارون (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ <sup>(٣)</sup> جَنَدِي)

فرأوا بما يقتضون من ارتفاعهم عليهم قبل أن يبعث الرسول عليه السلام أنهم أحق أن يحصوا

بالخير ، وأهم ، من حفرينهم هم ، لا يستحقون أن يخصوا بالخير من يسهم ، قال الله عز وجل  
(يَقُولُوا : أَهْلَاءَ مَنْ لَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نَبِيٍّ)

استكباراً من أجل حفرينهم هم ، وتعظمهم عليهم ، فردوا على الله عز وجل أمره ، وحالفوا  
رسول الله ﷺ استكباراً وأنعاً ، حتى حصد كثير من أهل الكتاب الحق ، وهم يعلمون أنه  
الحق ، كبيراً وأنعاً ، ومن ذلك قول الله عز وجل :  
(فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ <sup>(١)</sup>)

وقال عز وجل (وَحَصَّنُوا بَهَا رَأْسِيَّتَهَا أَنْفُسَهُمْ) <sup>(٢)</sup>  
وقد اختلف في تفسير ذلك ، ثم أحبر الله عز وجل ما الذي حملهم على ذلك فقال  
(ظُلُمًا وَعُلُوًّا)

أرادوا العلو وهم ظالمون في ذلك ، ألا ترى أنه يقول  
(يُنْكَرُ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَحْمَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ  
لِلْمُتَّقِينَ) <sup>(٣)</sup>

وقالت قرش يا محمد يخلص إليك عبيدا في قصة طويلة ، فأنزل الله عز وجل  
(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ  
شَيْءٍ)

إد قوله : (أَهْلَاءَ مَنْ لَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ نَبِيٍّ) <sup>(٤)</sup>  
وقال (وَلَا تَعْدُ عَيْنُكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ رِيشَةَ الْحَيَاةِ <sup>(٥)</sup> الدُّنْيَا)  
يقول ، تريد دعة في الدنيا ، وقالوا حين دخلوا حرمهم يحبروا الله عز وجل عنهم أنهم سيقبضون  
ذلك .

(مَالَنَا لَا تَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعْلَمُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ)  
يحبرون عن أنفسهم أنهم كانوا يحفروهم ويردوهم . قيل أيرجهن ، يعني بقوله عاراً  
وبلالاً وصهيلاً وللقناد رحمتهم الله عز وجل  
وأما الوجه الآخر من الكبر الذي بين العباد ، فهو التعظم عليهم

(١) ٦ ، ٥٢ ، ٢٣

(٢) ١٨ ، ٢٨

(١) ٢ ، ٨٩

(٢) ٢٧ ، ١٤

(٣) ١٨ ، ٨٣

قلت : حبيبة التعميم عليهم ؟ قال : حصنات  
 إحداهما لحقرته هم والألعة منهم . وذلك به يرى أنه خير منهم فهو يظفر إليهم بالأردر ،  
 وحقرته هم

والخلاصة الثانية رد الحق عليهم أن يقتله منهم وهو يعلم أنه حق ، أن أمره يصحهم غير ،  
 أو ماله عن منكر . أو يظن في دين يريد الحق وهو يعلم . كما وصف الله عز وجل عن بني  
 إسرائيل . قال

( وَحَقُّوْا بِهَا وَاسْبِقْنَهَا أَهْلَهُمْ ظَنُّوا وَعُلُوْا )<sup>(١)</sup>

وقاب ( فَلَمَّا حَاوَهُمْ مَا عَرَفُوْا كَفَرُوْا بِهِ )

فإن صدر أحد كتاب هبته الغلبة والرد وبرك الفهم . ثم وتعر أن يعلم من غيره . وحقرته  
 له . وحبا للعبة . كما وصف الله عز وجل عن واحد من . فقال عز وجل  
 ( وَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا سَمْعُوا بِهِدَ لَعْنَتِي وَلَعْنَتِي هَذَا لَعْنَتِي تَفْلُتُونَ )<sup>(٢)</sup>  
 عن أمره غير أنف وأحدثه العرة ، فرد الحق بالعصب ، استعراز كبير الذي في قلبه ، لم  
 يسمع في قوله عز وجل ( وَإِذْ قِيلَ لَهُ أَتَى اللَّهُ أَخَذَهُ ابْعَرَةً بِالْإِثْمِ )<sup>(٣)</sup>

وروى عن عمر أنه قرأها فقال ( إِنْ لَمْ يَأْتِ إِلَيْهِ رَجُوعٌ ) قام رجل فأمر بالمعروف فقتل .  
 وقال

( وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ )

فقتل المنكر من أمره ومن حاله كبير ، ألا تسمع في قول الله عز وجل  
 ( وَإِذْ نَفَخْنَا فِي نَافِثَتِمْ حِبَارِينَ )<sup>(٤)</sup>

وقاب عبد الله بن مسعود كفي بالرجل ثم إذا قيل له أبو الله قال عليك نفسك أنت  
 تأمر ، قال النبي ﷺ لرجل أكل بيميت ، قد لا أستطيع فقال النبي ﷺ  
 . ولا استطعت ما معك إلا الكبر . قال فما ربحها بعد ذلك في فيه . روى عنه سبعة بن  
 الأكوع

فمن رأى نفسه أنه خير من غيره ، مرددنا به حاقرا له أو رد حقا وهو يعلم أنه حق فقد



تَكْبَرُ بِهِ وَبَيْنَ الْخَلْقِ . وَقَدْ يَقُولُ بِهِ هَذَا الْكِبَرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يَتَكَبَّرَ بِهِ وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، كَمَا هُوَ الْإِلَهَ ، قَالَ اسْجُدْ لِرَبِّكَ فَإِنْ قَالَ : أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ، فَلِمَ رَأَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْهُ أَنَّهُ يَسْجُدُ لَهُ ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ مَهْلَكَةٌ ، إِذَا رَدَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَهُ . وَعَالِمُهُ بِقُوَّةِ لَا أَسْجُدُ ، أَنَبَأَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مُعَادُ اللَّهِ سَجْدَةً لِلْأَنْفِ ، إِذَا رَأَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ آدَمَ ، لِأَنَّهُ عِنْدَ نَفْسِهِ كَانَ خَيْرَ أَصْلٍ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِأَنَّ أَصْلَهُ الْبَارِ وَأَصْلُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَطِيفٌ ، وَالتَّارُ أَفْوَى مِنَ الْطِينِ ، لِأَنَّهَا تَأْكُلُ الْطِينَ ، قَالَ ذَلِكَ جَهْلًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَنَّ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَأُخْرِجَهُ الْكِبَرُ عَنْ آدَمَ ، إِلَى أَنْ رَدَّ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَزَّ وَجَلَّ . فَكُفِّرَ بِذَلِكَ ، فَجَعَلَهُ لَعِينًا مُلْعَمًا ، وَيَجْمَعُ ذَلِكَ قَوْلَ الْمُصْطَفِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . حِينَ سَأَلَهُ ثَابِتٌ بْنُ مَسٍّ مِنْ شِمَاسَ ، قَالَ : « مَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَى أَمْرٍ قَدْ حَبَبَ إِلَيَّ مِنَ الْجَنَّةِ مَا تَرَى . أَفَلَا الْكِبَرُ هُوَ ؟ » قَالَ : « لَا ، وَلَكِنَّ الْكِبَرَ مَنْ يَطْعُمُ الْحَقَّ وَيُعْطِي النَّاسَ » يَعْنِي : إِرْدَاءَ النَّاسِ ، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ : « مَنْ سَمِعَ الْحَقَّ وَعَمَصَ النَّاسَ » يَعْنِي : إِرْدَاءَ النَّاسِ وَحَقَرَهُمْ ، مَنْ تَعَظَّمَ . وَأَنَّ أَنْ يَقْبَلَ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَمْرَهُ ، وَأَنْ يَدُلَّ وَيُجْصَعَ لِمَطَاعَتِهِ ، فَقَدْ تَكَبَّرَ بِهِ وَبَيْنَ رَبِّهِ جُلَّ وَعَلَا ، وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَحِبِّهِ حَقَرِيَّةً لَهُ وَإِرْدَاءَهُ ، أَوْ رَدَّ الْحَقَّ وَهُوَ يَعْرِفُهُ ، فَقَدْ تَكَبَّرَ بِهِ وَبَيْنَ الْعِبَادِ ، فَأَصْلُ الْكِبَرِ التَّعَظُّمُ ، وَحَقِيقَتُهُ الْأَنْفُ وَإِرْدَاءُ بَعَادٍ ، وَرَدَّ الْحَقَّ بَعْدَ عَمَلِهِ . فَذَلِكَ جَمَاعُ الْكِبَرِ

## باب الكبر عن العجب وتفسير الكبر بالعلم

قلت : ما الكبر الذي يكون عن العجب ؟

قال الكبر الذي يكون عن لعجب في الدين ، بالعلم والعمل ، فإذا كان من من العلم ، فإن العالم إذا أعجب بعلمه ، أخرجته عجبه إلى الكبر تعظا على العباد ، فيتكبر على العوام ، وإن كان بعضهم أتق الله عز وجل منه ، وذلك الذي حازه عمر رضي الله عنه على العلماء ، حين قال تواضعوا لمن تعلمونه ، ولا تكبروا من حاضرة العلماء ، فلا يقوم علمكم عند الله بجهلكم ، أي لا يركو عند الله إذا تكبرتم به

فإذا تكبر العالم بعلمه حقر من دونه في العلم ، واردراه وأقصاه وأبعده ، واستدله واستبره واستحلله وامتن عليه عما يعلمه ، وتعلم على العوام ، وانقبض عنهم ليندوه بالسلام ، ويتسخرهم ويغضب عنهم إن استخف بشيء من حقه أو لم تقص به حوائجه ، كبرا ، لأنه يرى أنه يستحق ذلك منهم ، وأن ذلك له عليهم واجب لازم ، لعظم قدر نفسه عنده ، وإن حاج أو ناظر أحدا منهم رد الحق على علم ، وإن وعظ عتف وإن وعظ عتف ثعرا من التعظم والكبر ، وكذلك روى معاذ عن النبي ﷺ أنه قال ومن العلماء من إن وعظ عتف وإن وعظ عتف ، ويغضب أن استخف بشيء من حقه أو رد عليه بعض قوله ، ووصف في هذا الحديث أن العلماء سبع طبقات لأنه يرفقهم وهم دونه تعظا وأما أن يقلل منهم إن أمره ، أو علموه أو وعظوه ، ويأنف أن يرفق بهم إن علمهم ، أو وعظهم ، أنها أن يكلمهم بالسوء ، لأهم عنده ليسوا مثله ، محقر لمن دونه في التقى ، ولم يوقه في التقى ، وينظر إليهم كأهم الحمير التي لا تفضل ، لا يرى أن أحدا منهم ينفعه علمه وإن نفعه فهو حقير عنده ، كل ذلك جهلا بالله عز وجل ، وهم أعلم بالله تعالى منه ، لأهم أحرف لله تعالى منه ، لأهم ينظرون إليه بالتعظيم وهو ينظر إليهم بالازدراء بهم ، فهو الوضيع وهم الرفعاء لثو صغور ، لأن الله عز وجل يصح ويحقر من تكبر ، ويرفع من تواضع له ، فيتكبر عليهم حقيرة لهم ، يتسخر عليهم بعلمه ويبرهم بجهلهم ، مصيحا لحقوقهم ، فهو مردوهم ، تمت عليهم ، إن علمهم فهو حار في علمه ، غير متواضع لله عز وجل

ومهم من يتق بعض هذه الخلال ويتكبر ببعضها ، فمن أوفى من العلم شيئاً فقد يحرص له  
 التعظيم على من دونه ، ومهم من يتكبر بغاية الكبر في علمه ، ومهم من يتواضع في خلق ويتكبر  
 في آخر ، على قدر عقله عن ربه عز وجل ، وقدر معرفته بالحجة عليه الله عز وجل في علمه  
 قلت . العلم يريد الصد تواضعاً فقد زاده العلم كبيراً وجهلاً

قال . إن العلم ، كما قال وهب . العلم كالغيث يزل من السماء حلواً صافياً ، فتشربه  
 الأشجار بعروقها ، فتحوله على قدر طعمومها ، فتزداد المرة مرارة ، وتزداد الخلوة حلاوة ويكثر  
 ماؤها بالحلاوة ، ويكثر ماء المرة بالمرارة ، فكذلك العلم ، تحمظه الرجا فتحوله على قدر حممها  
 وأهوائها ، فيريد التكبر كبيراً ، لأن من كانت همته الكبر فهو جاهل ، فإذا حفظ العلم وجد  
 ما يتكبر به فازداد كبيراً ، وإذا كان الرجل جاهلاً وهو يخاف من الله عز وجل ، ويعلم أن حجة الله  
 تعالى له لازمة وإن كان جاهلاً ، فإذا حفظ العلم وفهمه ازداد خوفاً ووجعاً كما قال معاذ . من  
 ازداد علماً ازداد وجعاً ، فإذا ازداد وجعاً لعظم الحجة عليه لما علمه الله عز وجل . ازداد دلاً  
 وتواضعاً ، وبشفاقاً وخوفاً ، وإذا كانت همته وهواه الدنيا والتعظيم . ازداد بالعلم كبيراً وأنعاً ،  
 وحقرية من دونه ورداً من من مثله ومن هوته كبيراً وأنعاً وحباً للظلمة

قلت . لما يحرص للتعامل سواء أكان علماً أو لم يكن عاماً ؟

قال . يختر من دونه ممن لا يعمل مثل عمله سواء أكان أعلم منه أو أجهل منه . إن كان  
 أجهل منه قال في نفسه مضيقٌ جاهل ، وإن كان أعلم منه قال في نفسه . الحجة عليه عظيمة وهو  
 مضيق للعمل ، ويختر من دونه في العمل ، ويظفر إليهم بالازدراء ، أو يتعظم عليهم وينقص  
 عنهم ، ليبدؤوه بالسلام فلا يبدؤهم ، ويبروه ولا يبرهم ، ويروروه ولا يرورهم ، ويهودوه  
 ولا يهودهم ، يريد أن يأخذ بفصله عليهم ، ويتهرمهم ، ويستخدم من خالط منهم ويسخرهم ،  
 ويأنف إن وعظوه ، لأنه هو فهم في العمل ، وهم مضيقون مغرطون ، فان بدأ أحداً منهم  
 بالسلام ، أو رد عليه أو قاومه ، أو داخله ، أو نجابه إلى دعوته . أو أنس به رأى أنه قد صبح  
 إليهم معروفاً ، وأنه قد فعل بهم مالا يستحقونه من مثله ، ولكن يفعل ذلك عنده بفصله عليهم ،  
 فقد تفصل عنهم بذلك عند نفسه ، ويظفر إليهم بالاستصغار وإلى نفسه بالتعظيم ، ويرجو لنفسه  
 أكثر مما يرجو لهم ، ويخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ، بل لا يكاد يدا رآهم أو ذكرهم أن  
 يذكر الخوف على نفسه ، ولا يذكر إلا الخوف عليهم . يرى أنهم هالكون ، كأنه قد أتاه من الله  
 عز وجل الأمان بأنه لا يعذبهم ، وذلك هو الملاك منه

ألا ترى إلى قول النبي ﷺ «إذ سمع الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم» يرويه عنه أبو هريرة ، وصدق ﷺ لأنه متكرر مردد بالخلق معترًا بالله عز وجل . فمن غير حائف فأخرج كبره وحقرته إلى هذه الأخلاق اندمومه عند الله عز وجل

وكذلك قال النبي ﷺ «كفى بالرجل من الشر أن يحقر أخاه المسلم» لأن الخقرة لهم تخرجته إلى هذا كله وإلى غيره مما يطول ذكره ، فإد نظر إليهم بالاستصغار ، وخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ، ورجا نفسه أكثر مما يرجوهم ، وينظرون إليه بالتعظيم ، وإلى أنفسهم بالاستصغار ، وخافوا على أنفسهم أكثر مما يخافون عليه ، بل يظنون أنه ناج وأهم هالكوا ، ورجوا له أكثر مما يرجون لهم . كانوا هم أعداء لله عز وجل وطوع فيه منه فيهم . فقد تعرض لمقت من الله عز وجل وخطب الأخرى والآخرة ، واستحق أن يسلبه الله عز وجل ما تكبر به عليهم من العمل ، وقد تعرضوا هم بمرحمة من الله عز وجل ، بتواضعهم . وحيث به واستصغار أنفسهم ، ومعظيمهم له . لأنه يألف من محاسنهم والكيونة معهم . وهم يتعربون إلى الله بقربه والندوة به . وبولا حب لله عز وجل وتعظيمه ما أحبه . ولا عظموه . فقد عظموه وأحبهه لحب الله عز وجل ورجاء القربة من الله عز وجل به . فقد تعرضوا لمرحمة ولعفوه وأن يفعلهم الله عز وجل في مقامه في العبادة والاحياء . وقد تعرض هو بخط عبثه وأن ينقله من شر الأحوال . إذ تكبر عما من الله عز وجل عليه به من العمل وحقر عباده وألف منهم وأعر بقله عز وجل . وحمل الخوف منه عليهم . وسى نفسه أن يكون عبدا أحرف وأشقى ، فلا يؤمن ذلك عليه . كما روى عن الشعبي وروى أيضا عن أبي الحنفية بن أيوب أن رجلا من بني إسرائيل كان يقاب له خليع بن إسرائيل فخر خليع بالعباد وعلى أمه عجمة تظلمه فقال الخليع في نفسه أن جميع بني إسرائيل . وهذا عابد بن إسرائيل . فترحس إليه بن الله أن يرحمني به . فحس إليه فحب العابد في نفسه . أنا عابد بن إسرائيل . وهذا خليع بن إسرائيل . يحس إلى ما أف منه وقال له . هم عني . فوحى الله عز وجل إلى بني ذلك الزمان ، ثرها فسنأنا النمل فقد عبرت بالخليع . وأحبطت عمل العابد .

وق حديث آخر . فتحول العجمة على رأس الخليع .

وبما رد الله عز وجل من عباده فلوهم . فتكون حور رنهم تنم فلوهم . فإد تكبر لعاد أو العابد وأنت ، وتواضع الخامل أو العاصي ، ودأ حية لله عز وجل وفرقا به . فهو أطوع لله عز وجل من العابد والعالم نفسه في ذلك المعنى . ومنه حديث أن رجلا من بني إسرائيل أتى عابدا

من بني إسرائيل - هوطي - على ريشته وهو ساجد فقال ارفع رأسك فقال له لماذا هو الله لا يعبر الله لك فأوحى الله إليه « أيتها المتأني على ، بل أنت لا يعبر الله لك ، لأنه لما نأى على الله عز وجل ألا يعبر به ، عظيم قدر نفسه عبده - وأن الإسماء إليه عبد الله عز وجل عظيمه لا يعبرها الله لعباده وسجوده لأنه عبد نفسه أنه عظيم القدر عبد الله عز وجل - فجمع عظمًا وكبرًا - واعتزازًا بالله عز وجل

وكذلك المنكبر لردى عباده ، كأنه اساحي من بينهم - كما يروى أن رجلاً ذكر لسيّدنا عليه السلام فأقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرنا لك فقال إني أرى في وجهه شعرة من الشيطان ، فلم يوقف على لبي عليه السلام وأصبحه . فقال له سيّدنا عليه السلام : أسألك بالله حدثتك بهذا أنه من في انعم أفضل منك ؟ فقال اللهم نعم - فيرى كأنه اساحي من بينهم ، لفصله عنهم مستتراً ينفض عنهم ، كأنه بمن عليهم بعمله ؛ كما قال الحارث بن جرير الرزبي صاحب النسي عليه السلام « معجبي من لهرء كل ظليق مصحك فأن الذي يلهو بشهر وينعك بعوس ، بمن عليك بعينه فلا أكثر الله في التسمين مثل هذا ولو كان الله عز وجل يوصي هذا من أحد ، ما قال لبي عليه السلام .

(واخفص حاكك للمؤمنين)

وقال تعالى

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْ تُخْلَىٰ فَطًّا غَبِطًا أَنْفَلًا لَا تَقْصُوهٗ مِنْ حَوْلِكَ )

ورصف أولياءه الذين يحبون ويحبهم فقال

(أَدِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَفُ عَلَى الْكَافِرِينَ )

فلا قدر عند الله عز وجل لمن تكبر على عباده ، عبداً كان أو عبداً

ومن العباد قوم صلال ، قد جمعوا إلى بصلال الكبر ، لا يروون أن أحدًا يقول - الحق عن الله عز وجل غيرهم ، وأنه لا مهتدي في الأرض غيرهم ، وهم الذين يقولون إن القرآن مخلوق ، وهم الذين يقولون بالوقف - والذين يقولون باللفظ - والذين يكذبون بالقدر - والذين يسكرون أن الله عز وجل يرى في الآخرة ، والذين يعطون الموارس ومنهم الرافضة ، ومرحته ،

والحرورية<sup>(١)</sup> ، والذين يكذبون بالشهادة ، ويشتمون أصحاب رسول الله ﷺ ، والذين  
 يشتمون عائشة أم المؤمنين ، امرأة من الإهت رحمة الله ، ولولا ما ذكره أن يطول الكتاب  
 بذكرهم لذكرتهم فكل هذه العرق ابقة حائرة عن الطريق . لا يرون أحداً يقول بالحق ، وأنه  
 لا مهتدي في الأرض غيرهم جهلاً بلفظ عز وجل . وتكثراً على صاده . كما روى العباس رضي الله  
 عنه عن النبي ﷺ أنه قال

يكون قوم يقرءون القرآن لا يحاور حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن . من أقرأ مثلاً ؟ ومن أعلم  
 مثلاً ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال : أولئك منكم أيها الأمة أولئك هم وقود النار .

## باب ما يكون من الكبر عن الرياء وما يورث من الأعمال المذمومة

قلت : لما يكون منه من الرياء ؟

قال يرد الحق على من ناظره أو أمره ، وإن كان عند نفسه دونه أو خيراً منه ، فبرد الحق أنما أن يخطأ فتضع مرسته ، أو يقال فلان علب فلاناً أو عطاءه أو قهره فيخرجه الرياء إلى أخلاق الكبر ، وإن كان يعلم في قلبه أن الذي ناظره أو أمره خير منه ، ولكن يظهر الأثرة والتعزُّر رياء لا كبراً من قلبه

قلت فلا الذي يخرج إليه الحق من الكبر؟ قال : يأتي أن يستحل من حقد عليه إن ظلمه أو سته أو صارمه أنما أن يبدأ بالسلام ويرد عليه الحق عداوة وحقدًا ألا يراه أنه قبل منه ، أو يرى ذلك أحد منه ، فيحمله الجهد والعداوة على أن يستعمل الكبر في رد الحق ، أو يؤدي حقه ، فما كان من الرياء والحمد فقد يتحلق بأخلاق الكبر وهو يعلم أنه دون من يرائيه ومن حقد عليه وعاداه

إلا أن العجب هو الذي يكون عنه الكبر بالقلب ، فيأبى ويرى أنه خير من ثم يؤت مثل ما أوتى ، يرد ربه ، ويجمع ذلك الدين والدنيا ، من العلم والعمل ، فكلما فصل نعمة على غيره أعجب بها وتكبر ، جهلاً وتصميماً لشكره ، فلا يأمن السكوت ذلك على أنفسهم ، لأن العجب والتكبر إنما يعزى من قبل السم ، فكلما كثرت النعمة وعظمت كان العجب والتكبر إليها أسرع ، ولا سيما ما كان منه على العامة يعلم أو عمل كان الكبر إليها أسرع

ألا ترى إلى ما رواه ابن بريدة عن ابن عباس أن عمر قال : ما زال يعرف في طليحة بأواه مد أصيب إصبعه مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، ولبأواه عند العرب هو الكبر ، وكذلك يروى عنه ابن عباس حديث حميد بن عبد الرحمن عن ابن عباس ، أن عمر رضى الله عنه قال وقال له ابن عباس أين ولبأواه عند العرب هو الكبر ، وكذلك يروى عنه ابن عباس حديث حميد بن عبد الرحمن عن ابن عباس ، أن عمر رضى الله عنه قال وقال له ابن عباس أين أنت عن طليحة؟ قال : ذاك رجل به نخوة ، وعندهم واحدًا ووحيدًا ، وذلك أن طليحة يوم أحد

كان على اصحاب رسول الله ﷺ يدوى رسول الله ﷺ نفسه . حتى صربت كفه تتحلى عن  
 النبي . فحدث اصعبه تحت قلعه ، ثم اُكبت على رسول الله ﷺ فأخبره عمر أنها عرفت فيه بعد  
 ذلك ، وما بلغنا أن ديث أخرجه إلى حقيره مسلم بحق معرفه ، ولكن . إذا كان الأحبار لا يعرفون  
 منه فحق المساكين دوى أن يحسره في كل حال وإلا هلكنا . يد قال النبي ﷺ  
 ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حردنة من كبر .

كذلك هم يظهر من اللباس ، ليس ارجل الصوف ، يتكبره على من هو دونه في لباس .  
 ألا ترى إلى قول الحسن حتى إن صاحب الصوف أشد كبراً من صاحب مطرف الخمر في حرّة .  
 وصدق رحمه الله ، إنما يتكبر لاس لخر على من دونه من أهل الدنيا ، وتتوهم لأهل الدين .  
 والذي تلبس الصوف على الدين قد يتكبر على صاحب خمر . وصاحب الخمر إذا رآه عرف به  
 انفصل عنه ودل في نفسه به . لا يرى عليه من لباس الصالحين وأثار الرهدين في الدنيا  
 فالعجب والتكبر لا يأمنها عاقل على حال فكل ما دون به انعد على غيره كانت العنة إليه  
 أسرع ، ومن ذلك أن عمه اندارى أستاذ عمر في لقصص فإني أن يادون له . وقال له إنه  
 أصبح . واستأذنه رجل كان يمام قومه أنه يدعى وصي وسم من صلاته ذكرهم فدعا بدعوات فإني  
 أن يادون له . وقال إني أخاف أن تنتهك حتى سلع الثريا . فحشني عنه الكبر ، وصلى حذيقه  
 بقومه فلما سلم قال لتلمس إماماً غيري أو تصلوب وحدانا ، وقبل في حديث آخر إنه قال إني  
 رأيت في نفسي أنه ليس في القوم أفصل مني

فما أقبل من يخص سعمه بيني وبين غيره إلا غلب عنه الكبر إلا من هو الله عز وجل  
 وسدده . والله عز وجل الاعتصام



## باب الكبر بالدنيا

قلت قد وصفت الكبر بالدير فما تكبر بالدنيا ؟

قد الكبر بالدنيا الكبر بالحسب . والجهل . والنفوة . والناز . وكثرة العدد .  
فأما الكبر بالحسب فإذا نعظم بحبه حقر من دونه في الحسب . وإن كان فصل منه عملاً  
حتى يسع التكبر ببعضهم لي أن يرى أن العامة له حوال كالعبد . وبأنف أن مخالطهم . ويصغر  
عظيم . ويعبرهم عند لعصب . وقد يعزى ذلك لرجل الصالح إذا كان حسب عد عصمه  
ومن ذلك ما يروى عن أبي ذر أنه قال : قالوا رجلًا عبد النبي ﷺ فقالت له يا ابن  
السوء . فقال النبي ﷺ

يا أبا ذر طفت الصانع . طفت الصانع . ليس لاس بيضاء على ابن سوء . فصل  
وذلك أنه رأى حيرته بأن كاتب أمه سوء . وم في در بصر . وقول النبي ﷺ  
« إنه ليس لاس بيضاء على ابن سوء » فصل « يدرك أنه رأى أنه حيرته . تنعظم عنه . قال  
أنور فاصططعت ثم قلت للرجل . قم فطأ على خدي . ليدرك بدلاً مما قال له  
بعد يعزى ذلك الرجل الصالح عند عصمه وعند عملته من دونه في حسب . حتى يعتابه  
ويذكره بحسه . يضعه بذلك . وينقصه بذلك . كقول الرجل خوري وسندي وبطي .  
ينقصه بذلك . وقد يعبره بذلك ويعتخر عليه مع التعيير . فيقول أنا خير منك وأكرم أصلاً .  
وأنا ابن فلان ابن فلان ومن ولد فلان من ست ومن ثوب . وإعانت كذا وكذا . ويعزى  
به تحزري أن تكلمني « أو عنك نظر إلى » أو مثلت يصح منه معنى : ومن ذلك ما يروى . أن  
رجلًا راحر عبد النبي ﷺ فقال أحدهما للآخر « أنا فلان ابن فلان من ابن » لا أتم  
بك . فقال النبي ﷺ

فمحر رجلاً عبد موسى عليه السلام فقال أحدهما : يا فلان ابن فلان حتى عدت سبعة  
فأوحى الله عز وجل إلى موسى أن قل لبيد افتخر بأبائه سبعة من أهل الدار أنت عاشرهم  
ومن ذلك قول النبي ﷺ « ليدع قوم الفخر بأنسابهم وقد صاروا فحماً في جهنم .  
أو ليكونوا أهوا على الله عز وجل من الخلال لبي يدوي بأنفسهم العدد »

ومن ذلك قوله : « إن الله عز وجل قد وحن قد أذهب عنكم عية الجاهلية فلا تعاجروا »  
وكذلك التكبر بالجلال ، يحقر من دونه ، ويغيره ، ويقبحه ، ويفتخر عليه ، ويعيه من  
خفيه ؛ ومن ذلك ما يروى أن أم المؤمنين عائشة قالت : « دخلت امرأة على النبي ﷺ . فقلت  
بيدي هكذا . فقال لي النبي ﷺ : اخشعها  
صعب من دونه في الجلال ويسخر منه ويحكيه  
وكذلك القوة ، يتكبر بها ، ويحقر الضعيف ، ويعيره بضعفه . ويفتخر عليه بقوته .  
ويستطيل عليه بضعفه

وكذلك المال ، يستطيل به ، ويشخر به ويغتر به ، ويشتر بالرتة في لباسه بطراً وكبراً  
ومرحاً ، بكثرة ماله ولباسه ؛ ومن ذلك ما وصف الله عز وجل عن قارون فقال عز وجل  
( فَخَرَّ عَلَى قَوْمِهِ فِي رِيشَتِهِ )  
فقال قوم ( يَا لَكَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ )  
« إن قوته تعالى : ( يَنْسُطُ الرُّزْقَ بِمَنْ يَشَاءُ )

وكذلك الكبر بالولد والخدم والعشيرة ، يتكبر بهم ، ويستطيل بهم ، وعمر من قلب عشيرته ،  
أو قل مواليه ، أو عبيده ؛ وذلك كنه ميذاه العجب ثم يصير كبراً  
قلت قد أراك نسى الكبر بما تسمى به العجب ، فافرق بينها في الدين والدنيا ؟  
قال أما في الدين فقد يعجب بعمه ، فحمد نفسه عليه ، ويسى مثله ربه بذلك ،  
ولا يتكبر على أحد ، وربما أخرج العجب إلى أن يرى أنه خير من غيره ، فيحقره ويرد ربه ويأنف  
منه فيكون حينئذ متكبراً معجباً وأما بأمر الدنيا فقد يعجب بجماله أو ماله أو حبه أو قوته .  
ولا يتكبر ، وما أقل ما يفرد العجب بالدنيا دون أن يُفخر صاحبه إلى لكبر والمرح والخيلاء  
ألا ترى إلى قول النبي ﷺ : « بينا رجل يشترق يردن له قد أعجنته نفسه » فوصفه بالعجب  
في تحيزه وحيلائه

فيجمع المتكبر بالدين والدنيا خصالاً بعضها الله عز وجل حَسَّ العلو والأف من الخسوع  
سحق ، والنفور من قوول الصواب ثم هو دونه فلا يكفر من دونه إلا بالذير ، ولا ينظر إليهم  
لا شراً : ينظر إليهم بالاختقار ، ويجاورهم بالاستصعار

## باب نفي الكبر وتعريف العبد لقدرة

قلت فبم ينق العبد الكبر ؟

قال بمعرفة بقدره في الدين والدنيا

قلت فبم يعرف قدره ؟

قال : يعرف قدره بمعرفة يدياته وحياته وعاقبه

أما يدياته فقد مضت الدهور ولم يكن فيها شيئاً مذكوراً ، وأوجدته الله عز وجل بعد العدم إذ لم يكن شيئاً مذكوراً ، فأوجدته الله عز وجل ميتاً وبدأه بموته قبل حياته ، لأنه خلقه من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقة ، ثم من مضغة ، ثم جعله عظماً ، ثم كسا العظام لحماً ، فبدأه بموته قبل حياته ، وبصطفه قبل قوته ، وبجهده قبل علمه ، وبماه قبل بصره ، وبصممه قبل سمعه ، وببكمه قبل نطقه ، وبمحوه قبل شبعه ، وبعره قبل ستره ، وبصلاته قبل هداه ، وبفقره قبل غناه

ثم أحياه بعد ما كان ميتاً ، وأسمعته بعد ما كان أصم ، وبصره بعد ما كان لا يبصر له ، وقواه بعد أن كان ضعيفاً ، وعلمه بعد أن كان جاهلاً ، وأغناه بعد أن كان فقيراً ، وأشبعه بعد أن كان جاعاً ، وكساه بعد أن كان عارياً ، وهناه بعد أن كان صالاً ، فأتدأ بهذه الأحوال الدنيا ، ثم نقله إلى هذه الأحوال الربيعية ، فصار موجوداً بعد العدم ، وحيّاً بعد الموت ، وناطقاً بعد الخرس ، وسميحاً بعد الصمم ، وبصيراً بعد العمى ، وقوياً بعد الضعف ، وغنياً بعد الفقر ، ومهتئياً بعد الصلابة

فالأحوال الأولى ابتدأ بها يعرفها بها نفسه ، ليشهد عليها بالبلية ، والضعف والقلّة والحاجة والمسكنة ، ليعرف بذلك صغر قدره ، ولتزدعه معرفة ذلك عن الكبر والعمر والبطر والخيلاء والمعجب بنفسه ، فبدأه من صغر القدر ، وصعقة المنار ، عليه فيها من الله عز وجل ، نعمة سابعة ، إذ عرّف بها نفسه ، فزدعه ذلك أن يحور قدره ، وحججه - إن عقل - عن الكبر والعمر والبطر

والنعمّة الثابتة عليه من الله عز وجل سابعة إذ عرّف بها ربه الذي نقله من الأحوال الدنيا

الدمومة . بن الأخوان لرفعة ، فكلا المعتمدين سابعة من الله عز وجل ، بالأولى عرف نفسه وبالثانية عرف ربه عز وجل ، وبالأولى يصغر قدر نفسه عنده ، وبالثانية يعظم قدر ربه عنده ، فيحضع ويدل لمولاه شكراً يدفع حسسته بعد الصفة وصغر لقدر والمهابة ، فمن كان تدو هذا لسو ، وأنجوانه هذه الأخوان فإنه عن الكبر معزول ، كما قال لقمان لابنه يا بني ما أنت إني وليكم ؟ ! صدق رحمه الله من كان نفسه مما يدا من بالأقدام ومع ذلك إنه حمير طيبته حتى صارت حملاً مسوياً - كيف شكير وأصله دني وصبح عبد الخلق ؟ لأنه إذا أراد أن يصغر بقدر غيره ، قال لأنت أهون علي من التراب الذي أخطؤه بقدمي ، ولأنت أنس من الجمأة وأصل ابن آدم من لترات الذي يوطأ بالأقدام ، وحملاً مسوياً قد أنس فأنس ثم صار بعد الأصل من قطعة فبرة ، ومنها فصله ، وإد غير الرجل الرجل ، ورذات يصغر بقدره قال لأصل لك ولا فصل ، والأصل عبد العرب الجد والفصل الأب ، فكان أصله التراب وفصله النطفة ، لأن جدّه هو التراب وأبيه هو النطفة وهو بعد آليه من نطفة ، فالأصل يوطأ بالأقدام والنطفة تعس منها الأجساد والشباب فخلق من دناءة وضعف وأقدار ، ثم تسمع إلى قول الله عز وجل

(قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْثَرُ ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ؟ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ) (١) وقال عز وجل ( من ماء مهين ) (٢)

وقال النبي ﷺ يقول الله عز وجل : أيعجزني ابن آدم ؟ وإنما خلقتك من مثل هذه ، ورفق النبي ﷺ في كنهه ، فخلق الإنسان من قدر وسكن في أقدار ، وخرج من أقدار ، لأنه خرج من ضئف ، ثم من ذكر من محرى اللب إلى الرحم ، ثم خرج منه من محرى القدر ، كما قال نس من مالت كان نوبكر رحمة الله عليه يحطسا فيقول في خطبته خرج أحدكم من محرى ابول مرتين ، حتى بقدر إلى أحدهما نفسه

فأول ابن آدم من راب ، ثم من نطفة مواب ، ثم من عنقه موات ، ثم من مصغه مواب ، ثم من جسم مواب ، لا يسمع ولا يبصر ولا يطق ولا يحفل ولا يتحرك ، لما به من الذلة والمهابة ، ثم نفع فيه الروح ، ثم أخرج إلى الدنيا بعد بقده من هذه الأخوان ، فأخرجته حباً صعباً صبيّاً صغيراً دبلاً ، ثم وكل به الأقدار الرحيم في نطفة ، رسول في مشائته ، والمخاط في أمه .

(١) ٨٠ ، ١٧ ، ١٨ ، ٩ .

(٢) ٧٧ ، ٢٠ .

والبراء في هه ، والتوسع في أدبه ، ثم الدن والأقدار تسرع إليه ، إن تهاون بنفسه أن يعسلها أو يظفها ، صار أنش من اللوات ، وركلت به الأمراض والطبائع المختلفة المتصادمة ، لا تفارقه ، من الميرة والبلغم والريح والدم ، وهو مع ذلك عبد دليل أمره بن عبده ، يحجوع كرهاً مقهوراً ويعيش كرهاً مقهوراً ، ويتببه البرم كرهاً مقهوراً ، لا يملك لنفسه في ذلك صراً ولا معاً ، يُعَلَّب في المكروهات ، يريد من نفسه ما لا يقدر ، يريد أن لا يحجوع ولا يعطش ولا يظلم ولا يمرض ، فيرون به من ذلك حلافاً مرده ، ويريد أن يذكر الشيء فيسأه ، ويريد أن يسئ الشيء فيذكره

ثم هو مع ذلك لا يأمن أن يكون نفسه فيما يريد ويحب ، ونعمه يكون ثلغه في شبعه ونبوه فلا يقوم منه

عبد ممنوك دليل ، يقلبه غيره ، ولا يأمن في لينه ونهاه أن يُسَلَب ماله وبصره وحسب جوارحه وعقله ، أو يحبس ذلك ، حتى يرد إلى بعض أحواله في بداهته من العمى أو الصمم أو النكس أو الجهل ، حتى يذهب عقله ، وقد رأى الله عز وجل فعل ذلك بكثير من خلقه ثم هو مع ذلك لا يصبر بقلبه ، ولا يتحرك خارجه من حوارجه ، ولا يكتسب ولا ينفق ، ولا يأكل ولا يشرب ، ولا وعليه من يحصى ذلك كله عليه ، حتى يحاسب به ويظفر فيه ثم هو مع ذلك لا يأمن أن يسلب منك ، فعليه في منك ماله ، وليس هو بنفسه مالك ، ولا على ما يراد فيها بقادر ، وهو مع ذلك مخالف للملكة ومولاه غير شاكر له ، وبأس غير ذاكر به ، وقد ركب كثيراً لما قد نهاه عنه ، وصيغ كثيراً مما أمره به ، قد استوجب بذلك من العذاب ما إن لم يُعَف عنه كانت الخنازير والكلاب خيراً منه وأفصح وأنظف وأصهر وأطيب وأرفع منه ، لأن الخنازير والكلاب تصير ترباً ، وهو يصير معساً ندأ ، لو وَحَدَ الخلائق من ربحه ماتوا من تنه ، ولو رأوه لصعقوا من وحشة خلقته ، ولو قطرت قطرة من شره الذي يشربه ويقرع إليه لُسُكِر به عطشه على جبال الدنيا لأذانتها ، مخلد في غاية الدن والخصوع والمسكنة والخوان والعذاب

ثم هو في الدنيا بهذا الوصف وأعظم منه قد وحب في رفته واستحققه وحكم عليه به كيف يكون دمه وبواضعه ؟ كيف سبى من كان هذا الوصف قد وحب عليه أن يتقلب بين العباد ؟ وهل نسج هذا إن عقر أن يكون في نفسه دنساً مهياً ؟ أأنت من وحب عليه حكم ألف سوط وهم في سجد ينظر أن يخرج إلى العرض فمعه له من يصرب به قد حكم عليه به في دنه و

السجن ، وتوقه في كل وقت ، إلى أن يخرج إلى العرص فيقضى فيه الحكم ، أفليس هو في الدنيا وهو في السجن وقد وجب عليه العذاب ، لا يدري متى يخرج من الدنيا إلى العرص ليحكم عليه بالعذاب ؟ إلا أن يعفو الكريم

وهو مع ما قد وجب عليه بنوع الموت ، عالموت خاتمة حياته ، لأنه قد علم أن آخر حياته إلى الموت ، فيعاد كما كان بدء خلقه ، ميتاً بعد أن كان حياً ، ألم تسمع إلى قولهم ( رَبَّنَا أَمَتْنَا انْتَبِهْ وَأُحْيَيْنَا انْتَبِهْ ) ؟

أي كنا أمواتاً في أصلاب آلائنا ، ثم أحييتنا ، ثم أمتنا بعد الحياة ، فيصير ميتاً كما بدأ الله عز وجل خلقه ، فيعمى بعد البصر ، وصمم بعد السمع ، ويبكم بعد النطق ، وتقطع أوصاله ، ويصير جيفة نمدره الدواب و خلاتي ، ثم يتلى فيبخر عظمه ، ويصير تراباً ، إلا عجب الدب ، كما قال النبي ﷺ ويلى من ابن آدم كل شيء إلا عجب الدب ،

فيصير تراباً ، فيرجع إلى أصله لدى خلق منه أبوه الأول . فيصير معذباً بعد أن كان موجوداً ، كما كانت الدهور منه ولم يكن فيها شيئاً مذكوراً ، ثم يحييه الله عز وجل بعد طول البلى ، فيخرجه إلى أهوال القيامة فتصدق به كلها من سماء ممزقة وأرض مبدلة ، وجبال مسيرة ، ولحوم منتثرة ، وشمس وقر مطموسين ، وفي جهنم في سمعه ، وركوب الصراط لا بد له أن يركبه بصعفه ، ثم يعرض على مولاه ، فيسأله عن كل عمله ، ثم يحكم الدي واجب عليه أن يصرفه من بين يديه بعد السؤال إلى عذاب لا يقطع ، في عابه المود والدل والخصوع ، يصرفه إليه إن لم يعف عنه

فإذ يذكر العبد وتذكر كيف كان بدوه ، وما أصله وفصله ، وفي صعفه ومسكنته وصبر قدره في نفسه مما يتعلم فيه من المكروهات ، من غير مؤامرتة ، ومما لا يكاد أن يتفك منه من الأسقام والغرم ، والوجع والجوع والظما ، وما وجب عليه من العذاب والهوان ، وما يصير إليه من الموت والبلى ، وما بعد الموت مما يعاين من الأهوان وما يخاف أن يصير إليه من العذاب ، زاب عنه الكبر ولزمه الخضوع والذلة والتواضع للموتى عز وجل ، والشكر للمسم تعالى ، والانكسار لمخوف من العقاب

فإذا عرف ذلك عرف قدره وصبر قدر نفسه في الدين والدنيا عنده ، وأمثال ذلك كثيرة ،

وليس كمثلته في صعر القدر مثل بدو ابن آدم إذا تفكر فيه ، فصعر قدره عند نفسه كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم ، أحبره بذلك والده وكذبته في خبره ، فكانت نحوه الهاشمية في نفسه ، متعظم متكبر محسبه ، يحضر من دونه ، ويصغر عليه ، لأنه لا يشك أن الذي حدث به والده عن أصله وحسبه قد صدقته فيه ، فيما هو في نحوه وكبره وتعظمه ، إذ أتاه رجلا أو عدة رجال ممن يثق بهم ، ولا يشك في صدقهم ، أصدق عليه وأبر من والده عن علم ، يجربونه عن كبر أسائهم ، وقديم معرفتهم بأصله ، وأحبروه بينه وبينهم أنه من الخور أو السط أو السد ، تصدقهم ولم يشك في قوطم ، وإن أتاه صدقته وأحبره بأباطل ، هل كان يسمع أن يدن في نفسه ، وتشكرك تلك النحوة من نفسه ؟ وإن أظهر غير ذلك إذا أبى أنه على خلاف ما كان يرى ويظن وكذلت أس دم ، يتكبر ويتعظم ، حتى كأنه ليس أصله لثراء والطفة والصعف ونهاية والدته والمسكة والفصر والزمانة ، فإذا تكبر وصدق نفسه عن الخبر بالتدكر عن بدوه وأصله وما هو وكيف كانت أحواله ، لم يمنع أن يدن في نفسه ويتكبر عن نحوه وكبره

ومثل حياته وصحته وما ينقلب فيه من مدكه وعده ، مثل رجل كان عند نفسه حراً لا يشك فيه ، ثم مات والداه ، وأورثاه مالا كثيراً ، فكان يتعظم ويتكبر ، يشانه وحسن جسمه وهيئته وعناه ومدكه ، وهو مع ذلك في سعة من المنازل والصفاة والطيب والمنعة والحر والأمن ، فيما هو كذلك متكبراً متعظماً في نفسه ، إذ قدم عنه قادم من بعض البلدان ، فأجده وأقام عنده البيعة العادلة بأن أئوبه كاملاً مملوكين له ، وأن ما كان في أيديها من ما كان فهو له ، فحكم عليه الحاكم بذلك ، وعينه أيضاً صدق ذلك ، وأطمأن قلبه إلى ما شهد به الشهود ، هل كان غش في نفسه بأن تروى عنه نحوه وكبره إذ علم أنه عبد مملوك ، ليس لنفسه مالك ولا ما بيده من مال ، وأن مولاه إن أراد أن يحدده أحده منه ، وأنه لا يقدر أن يفعل شيئاً إلا بإذن مولاه وإرادته ؟ ومظن مع ما أبى به من العبودية ، فإذا في مرله من هوم والحياة وغير ذلك مالا يأمن أن تنصف نفسه

أعقل ما يكون ولا بد له من سكي ذلك امرئ ، لأن مولاه ألزمه ذلك لكلا يصح ذلك انزل وما فيه كيف يرى كان يكون في نفسه بدالة العبودية والاخلع من ملكه وما يحاف من تلف نفسه - أعقل ما يكون - وم يكن ذلك سر أحد إلا كان حرم نصيره إلى التلف ، هل كان يعد لنفسه مالا وهل كان يعد لنفسه ميراً ؟ وقرراً ؟ فكذلت أس آدم إذا تكبر وتعظم وهو رأس حالته إلى وضع عيها ، وناسر بصعته لى وضعها ، فتدكر وتتكبر في العبودية أنه عبد دليل مملوك ، لا يملك نفسه ولا ماله ، متوقع لمتالف أن يعترض بعضها له أعقل ما كان في بدته وتقلبه ، وإن

آخر مصيره إلى أن يتلف فيخرج من الدب ويرون عنه كل ما عوفيه ، هل كان يتمتع إذا صدق  
نفسه عن الخير بالذكر والتفكير في ذلك - من أن يدل في نفسه ويخضع لمولاه ، ويخضع له ،  
وموصيه الذي وصحه به من الخوف للمتألف

ومثل العاصي لله عز وجل ، الذي يحب عليه العذاب في حياته ، كمثل عبد مملوك ، له سيد  
شديد التقه ، شديد السطوة ، وهو يملك الأرض ، لا يأمر بأمر إلا بعد ، وقدر عليه ، فوكله  
سده بعمل ، وسهه عن أشياء تفسد ذلك العمل ، وأعطاه مالا ينقذه عن عمله ، فعمل وسهه  
وحمل ، فصيح أكثر العمل ظم بعينه ، وعمل قليلا منه فأدخل فيه من الفساد والنقصان مما ساه  
عه مولاه ، وأنفق المال في لذة نفسه وشهوتها ، وتفرق ذلك مرح فرح نظر أشد متكرر يتقلب في  
لداته ، غير مكثرت لما صيغ من عمل مولاه ، ولا ما أفسد مما عمل به ، ولا ما أتلف من المال  
الذي أعطاه ، فأنه خير صادق أن مولاه مرحل إليه من يخرج من كل ما هو فيه ، عريانا  
دليلا ، حتى ينقيه على بابه في الشمس والحرق رمانا طويلا ، معذبا بالشمس والحرق ، حتى يد بلغ  
ذلك من عانة المجهود ، دعا به معرضه عليه ، وأمره برفع حسابه ، ونظر في عمله ، ما صيغ  
منه ، وما أفسد منه ، وما أتلف من ماله ، ثم يأمر به إلى سجن صيق وعذاب دائم ، لا يروج عنه  
ساعة ، ولا يخرج من سجنه ذلك أبدا ، وقد علم أن مولاه قد أخرج كثيرا من عبيده إلى العذاب  
والهوان ممن فعل كمعله ، وقد عني عن بعض هل كان يتمتع مع هذا الحظر إذا بلغه هذا الخبر  
فتمكر به وتذكر ويرم قلبه تصديقه أن ذلك كان إلا أن يهو عنه مولاه وأن ذلك واجب عليه  
والعقوبة لا يدرى أيكون أم لا ؟ ألم يكن يكسر عن شره وبطشه وكرهه حتى يكون أدل  
الناس في نفسه ، وأشداهم خضوعا وذلا ومسكنة لما قد حاكم به عليه مولاه ، وما يتوقع في  
السرعة والمعالجة أن يؤخذ بعتة حتى يمضي فيه كل ما حاكم مولاه عليه به ، فما كان يتمتع من ذلك  
كله أن يدل ويخضع هكذا أن دم ، إذا تذكر في تصيغه كثيرا من عمل مولاه مما فوجبه عليه  
وما أفسد مما عمله به مما أدخل فيه من الرياء والعجب وغير ذلك ، وما ذهب من عمره بها فده  
من اتباع هواه وسياه مولاه ، وأن غوت نارل سر بيا عاجلا ، فيخرج إلى قبره ، فيبل فيه ، ثم  
يخرج إلى القامة فيوقف ، حتى يبلغ به عاية المجهود فيعرضه مولاه ، ثم يحاسبه بكل ما عمل  
وصيغ وأقوى من عمره ، ثم يأمر به إلى عذابه الذي لا يشه عذاب الدنيا ولا عقوبتها لا يشك أن  
العذاب قد وجب عليه ، وإنما يروح العفو على شك لا يدرى أهمل ذلك به أم لا ، فإنه إن عفا  
عه فهو لأشك أنه ميعرض ونحاسب ، وبوقف عن ما صيغ من العمل وأفسد ، وما أتلف من



عمره ، وما أنفق فيه ماله : أترأى كان يتمتع من أن يدل في نفسه ، ويروى عنه تعظيمه وتكبره ،  
 ويدلت بروى الحديث في لسانه عن النبي ﷺ أنه قال : « لا تروا قلما ابن آدم من بين يدي  
 الله عز وجل حتى يسأل عن أربع : شأنك مع أهلك ، وعمرك مع أميت ومالك من أين اكتسبته  
 وقيم أميته وعملك ماذا صنعت فيه ، فإذا تفكر في ذلك العاقل اللبيب ذلَّ وحصع ورس عنه  
 الكبر والفخر

ولو لم تكن إلا حصلة واحدة من هذه الخصال التي يبي بها الكبر من البدو ، ومن لسانه ،  
 وما وجب عليه من حصته ، ولو خلق من خير الأشياء ، وساعدته الأقدار ، فلم يسقم ، ولم  
 يمرض ، ولم يعتوره قدر في جسمه ، ولا فاقة مالية به ، ولا يحل به موت ، ولا عذاب عليه في  
 الآخرة ، ما كان الكبر مع هذه النراة والطهارة يصح للعبد ، ولا يليق به لأنه عبد مملوك ، هذه  
 العبودية ضد الكبر ، فلا يليق بالعبد الكبر ، وكيف وهو مع العبودية صغير القدر في البدو تعتز به  
 الآفات في حياته مستوجب للعقاب مد عصى ربه ، ثم إلى الموت مصيره ، والحساب أمامه ،  
 والعذاب جرائمه ، إلا أن يهو عنه مولاه ، ولو لم يتذكر العبد هذه الخصال ، كان تذكره أن الله  
 عز وجل ساء عن الكبر ، وأنه يمقت عليه ، كفى ببلدك باعياً للكبر فكيف إذا ذكر هذه الخصال  
 مع حرمه ثقت الله عز وجل أن يطلع على نفسه ، وقد عقد على الكبر فيمقتة بذلك

وما يدلك أن الله عز وجل يمقت عليه ، قول الله عز وجل :

(إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ)

ومن م يحبه الله فهو له محض ماقت

وقول النبي ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر » وإنما يحرم

الله عز وجل حورّه من يمقتة ويخصه عليه ، هو واحدة من هذه الخلال يبي المد اللبيب الكبر

## باب التكبر بالعلم والعمل خاصة

قلت قد ثبتت بما وصفت من ذلك أنه نافي للتكبر بالحسب والجاه والجسم والمال والكثرة والعمل والعمى ، إلا أن أجد للعمل والعلم جنساً تفرص عن مع ذكر صغر قدر ، فقد نسب عن العلم وعامل حتى يكثر ، مما لدى يدفع به تلك الموارد التي تبثه عن الكبر<sup>٩</sup> قال إن العلم والعمل كذلك ومن ذلك ما يجده العباد من أنفسهم لأن منها أعظم الص ، لأن قدرها عند الله عز وجل وعد العباد أعظم من قدر الحسب والمال والجاه ، بل لا قدر بحسب ولا لجسم ولا لجاه ولا لجمال عند الله عز وجل إلا أن يكون مع ذلك عمل وعلم ، وكذلك العباد العامل والعلم في صدورهم ، أكبر قدرًا من كل حسب ومن كل مال وجاه ، عظمت عنها إذ عظم قدرها عند الله عز وجل وحده لبياد ، ألا ترى إلى قول حذيفة رضي الله عنه تفوا عنه العلم العاشر وعابد الخامل ، فإن منتهى منه بكل مفتون بمعظم قدر العلم والعمل عند العباد أكثر الخامل ، حتى لقد اتبع لعالم في ربه والعابد في خلقه وقال لي عليه السلام « ثلاث كائنات رلة العالم ، إذا رل رل برله الناس » وقد روى عن عمر أنه قال لعم لداري ما رلة العالم<sup>٩</sup> قال « إذا رل رل برله عالم من لخلق » وقال « ثلاث بهن يهدم الزمان إحداهن رلة عالم » وقال معاد « حذروا رلة العالم ، فإن قدره عند خلق عظيم ، يفلدونه ويتبعونه عن رلته » ، وروى عن كعب أنه قال « للعلم طبعان كطبعان لسان ، فكما أن قدرهما<sup>١٠</sup> عند الله عز وجل عظيم إن تمياه ، فكذلك إنهم عند الله عز وجل عظيم إن لم يتقباه ، لأن لعامل إذ م ينق الله عز وجل ، فأراد العباد مما يعمل من طاعة الله عز وجل ، كان عند الله عز وجل أعظم بليته من صبيح العمل ، لأنه صبيح العمل إذ م يُرد الله تعالى به ، لأنه لا يعصيه الله عز وجل . وإعاده عنه لغيره ، فشارك المصبيح في تصبيحه ، وعصيه في الشكر بريائه وكبره وعججه وحسنه ألا ترى إلى المصبيح<sup>١١</sup> أنهم في القدر الأسفل من النار ، وقد تركوا الإيمان ، مع صائر الكفار

(٩) يعنى قدر العالم والثرى

وأظهروا رياء للعباد ، فجعلهم في الشرك الأسفل من النار ، فكذلك المقصد للحمل شر من صبيح العمل ، وأما العلم فكذلك الحامل للمعلم المصيح لأمر الله عز وجل أشد بلاء وأعظم إثمًا من صبيح أمر الله عز وجل على جهل

ألا ترى إلى إبليس لما علم أمر الله عز وجل ، واعترف له بالربوبية ، ثم عاند أمره ، بعد علمه وبيان وإصراف ، لعنه الله عز وجل إلى يوم الدين ، وصار شر الخلائق ، وقطع رجاءه من التوبة أبدًا

أولا ترى أن يهود اليوم لا يدعون لله وبدلًا ولا شريكًا ، وهم عند جميع أهل الإسلام شر من النصاري الذين يدعون لله الولد والشريك ، لأن الله عز وجل وصف عامهم بالحمد بعد معرفته ، فقال عز من قائل :

(يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ<sup>(١)</sup>)

وقال جل وعلا : (لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ<sup>(٢)</sup>)

وقال تعالى : (لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)

فكانوا عنده أعظم بلاء إذا جعلوا حق بعد علم ومعرفته ، كما قال الله عز وجل

(فَسَاءَ جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ<sup>(٣)</sup>)

وند عصى الله عز وجل من جهل ولم يعرف أمره عالا يحصى فلم يصرب له الأمثال لتق صربها للعالم الذي يعرف أمره فصرب المثل للكافرين المشركين ، من العرب الذين لا علم لهم ، فقال (إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ)

وصرب مثل من آتاه العلم وعرف الحق ، ثم حابه بعد علم ومعرفته ، كمثّل الخمار والكلب ،

فقال

(مثل الذين حُمِلُوا الثَّورَةَ<sup>(٤)</sup> ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْخَمَارِ)

وقال في بلم بن باعورا

(وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا)

هذا ذكره بأنه قد آتاه آياته حتى ملغ

( فَكَلَّمَهُ كَمَا كَلَّمَ الْكَلْبَ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ )<sup>(١)</sup>

قيل في التفسير : إِنْ عَمِلْتَ عَلَى الْكَلْبِ بِالْحَالِ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ فَلَمْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ لَهَثَ ، يريد أنه يلهث على كل حال ، فصره مثلاً للعالم الذي أوقى العلم بضيق أمر الله عز وجل ، كما صيغه الجاهل ، وقال ابن مسعود : يعلم من يوق ، وقال ابن عباس : لم يصر ، أوقى كثناً فأخذ إلى شهوات الأرض «ولو شئنا لرفعناه بها» قال : بطنه ، وقال مجاهد : إذا مثل من يقرأ الكتاب فلا يعمل بما فيه ، وقال ابن عباس في حديث عكرمة عنه : أخذ ركن إلى شهوات لأرض ونداء وأمواها ، لم يسمع مما جاءه من الكتاب

وقيل في قوله عز وجل ( إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ )

قال يوصي الله عز وجل سواء على هذا العبد آتية الحكمة أو لم آتية ، يضرب الكلب به مثلاً

ثم قال ابن عباس عليه السلام : يحير أن العام يعذب عذاباً يطيف به أهل النار ، استعصاماً بهم لشدة عذابه ، يحير أنه أشد عذاباً منهم ، وقال أسامة بن زيد : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «يؤتى بالعالم يوم القيامة عياض في لمار فتندلق أفتابه ، وقال بعضهم أفياده فيلدور به كما يدور الحجر بالرحى ، فيطيف به أهل النار ، فيقولون : مالك ؟ فيقول كنت أمر بالخير ولا آتية ، وأنهى عن الشر وآتية »

وروى عن أبي الدرداء أنه قال : «ويل للذي لا يعلم مرة ، ولو شاء الله لعنمه ، وويل للعالم سبع مرّات »

فإذا عرّض للعامل أو العالم ذكر عظم القدر والتكبر ، رذ على نفسه أنه على خطر أن يكون قدره عند الله عز وجل وعند خلقه أصغر قلماً من المصع بالعمل ، وجاهل بالعلم ، إذا كان أعظم بليّة ، فإذا رجع إلى نفسه إلى كما عرّضت لأعظم الآخر وأكبر القدر ، فكذلك عرّضت لأعظم الإثم وأصغر القدر ، وإن تكبرى يا نفس تكوّن أصغر قدرًا من الجاهل والمصع بالعمل ، فهو كرحل قبل له : إِنْ لَكَ قَدْرًا مَا لَمْ تَرَلْنَسْكَ قَدْرًا فَإِنْ رَأَيْتَ هَذَا قَدْرًا لَكَ عَدَدُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وهو كذلك ، لأن الله عز وجل يضعه ويبدله إذا تكبر.

فإذا عقل عن الله عز وجل ، علم أنه إن تكبر وضع قدره ، وإن لم يزل الكبر ودنّ رفع قدره ،

وإذا أُلِمْ نَعْدُ قلبه ذلك ، انتهى الكبر عنه عاملًا كان أو عائمًا ، لأن خطرها جميعًا عظيم . أما العائد فكثير آفاته ، وكثير أخطاؤه في عمله ، وكذلك العالم ، وهو أعظمها خطرًا وأشدّها بلاء .  
ألا ترى إلى ما روى عن أبي ذرٍّ . أن مولاه حمل يسأله عن العلم ، فقال له أبو ذرٍّ : أما إنك لا تسألني عن شيء إلا زادك الله به بلاء .

وصلى رحمة الله عليه ، تعظم عليه الحجة عند الله عزّ وجلّ ، ويعظم منه الذنب ، وتكثر آفاته ، ومع عظم حجه وكثرة الآفات إنما يؤجر عليه إذا عمل به سيرة قلب أو فعل ، ألا ترى إلى قول معاذ بن جبل : « اعلّموا ما شئتم أن تعلموا ، فإن الله عزّ وجلّ لا يأنّركم على غير حقّ تعملوه » .

وننته للعمل به عند طلبة العلم عمل ، فيمعرته بعظيم الخطر بدلًا وسكسر ، ومعرته بعظيم حجه عليه يروى عنه الكبر ، أن تكثّر عن من دونه . ولو لم يعظم خطره ولم يعظم حجه عليه ، ويصر أن الله عزّ وجلّ قد رفعه بعده على من دونه ، لكان حريًا . إن كان بالله عزّ وجلّ عالمًا ألا يسكر عن من دونه ، فيقول عن مرلته ، ويتصع عن رفعتة ، إذ علم أن الله عزّ وجلّ واضح بالكبر من تكثّر على من دونه ومدلّه ومصره .

وإنما كررت هذا عليك لتفهّمه . ويعرف أن لكبر لا يليق ولا يصلح ولا يسعى لأحد سوى الله عزّ وجلّ . إذ كل ما سواه مملوك ذليل لربه عزّ وجلّ ، كما يروى عن أبي هريرة أن رجلاً كان لا يُعدي عليه ، وكان يمرّ بداره لا يبطل رأي أحد ، فعرض له أبو هريرة فاحد بلجامه ، وقال له : « ما ربك إلا شيء لا يصلح إلا الله عزّ وجلّ نجعله لنفسك ؟ » قال فانكسر الرجل وما رأى منه بعد ذلك إلا حياءً وتواضعًا .

قلت : قد تدكّر هذا وتذكّر فيه حتى يدرم قلبه معرفته ، فدلّت نفسه بصغر قدرها عنده ، وإن الكبر عن الله . حتى لا يرى أنه خير من دونه من المسلمين ، ولا يردريه ولا يأنف منه . هل يجرى ذلك معه فيما يستقبل من عمره ؟

قال : لا ، لأن النفس قد تعطى العزم على التواضع وترك الكبر . إدعاءً منها للحق ، إذ هرّ معرفته ، فعرف العبدُ صغر قدر نفسه ، فم عرف صغر قدر نفسه دلّ وحجج ، فتعطى النفسُ عزمًا عند هذه المعرفة . ثم تسهو أو تعص في غير ذلك الوقت فتتكبر وتتعظم ، فتقصّر ما أعطت من العزم وتعيّر عن حالها تلك ، من الخسوع والذلة فتكبر وتعظم .

## باب م يعلم العبد أن نفسه قد تركت الكبر على الصدق ولا خدعة بها ؟

قلت ميم يعلم أنها قد دعت بعرومها ، أو أنها ناقصة لها ؟  
قال تصعدا عند الداعي من لقب إن الكبر ، وعند الأعمال لى يألف بها المتكبرون ،  
وينعصمون عنها ، فأما الدعي من القب إلى الكبر ، مثل الخطرة تبيع بالإعجاب بالنفس ،  
تدعو العبد إلى أنه حير من أخيه المسلم ، وأن ينظر إليه بعين الأدر - ونصعة ، فعند خطرة لدعي  
بذلك ، يكون حذرًا متيقظًا ، وإذا لما خطر بقلبه من ذلك ، فإن أنت نفسه ذلك ذكرها صغر  
قدرها ، وما وحب عليها ، وخاتمة حياتها ، وما تخاف من سوء عاقبة الآخرة ، وأنه لذلك  
مستوحب ، وأما بالخوارج ، فإن مرة أمر ، أو ساء ناه ، أو ناظره ماطر ، فينبئ له أن الحق  
عاقب من مرة أو ساء أو ناظره ، مع نفسه الرذ لقوبه ، وحملها على القول لقوله ، والخصوع  
لحقق بذمير له

وكذلك يألف من كساب الخلال من لأسباب لوضعية حملها على ذلك فإن أنت  
ذكرها ما وصفت لك ، من صغر قدره وغيره

وكذلك إن أنت حمل ما سمعها مما يألف من حمه المتكبرون ، كالشيء يحمله لنفسه أو لأهله  
حمها على حمه وذكرها صغر قدره

وكذلك إحمه دعوه أرحل مسلم ، وإن كان عبداً أو فقيراً أو ديني محسب ، وكذلك لمشي  
معه لحته أو رباره أو عيادته أو معاملته ، كان قريباً له أو بعيداً ، حملها على ذلك إذا كان ذلك  
دعماً له في دين أو دنيا ، وكذلك تعيم الحق أو سؤا عن لمن دونه ، وكذلك الانتماء إلى أصله  
ومواليه ، لأنه قد يخرجه الكبر إلى أن يتعمى إلى غير أصله ، أو يدعى إلى غير مواليه ، أنها وكبراً  
عن أصله ومواليه ، وذلك عند الله عز وجل عظيم

وروى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : « من دعى إلى غير مواليه فالحنة عليه حرام »  
وقال أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه : « كفر بالله ثرلى من سب وإن دى » ، وكذلك

يأتى من لس الثوب الذى ، مبدع ماوح عليه كالصلاه وغيرها ، أو يتبدى حق من قرابة أو غيرهم

وقد روى ، أن أبا موسى رحمه الله صلى عليه قيل له ، إن أقواماً ينحلفون عن الجمع من أجل ثيابهم ، فليس عباءة فصلّى بالدس فيها

وهذا الباب كله قد بجامع الكبر الرياء فيه . فذلك يحقق حُمة ما عزم عليه من بى الكبر لا ترى ما يروى عن النوى <sup>عليه السلام</sup> قال : « من اعتزل العز وفسس الصوف فقد برىء من الكبر » وقاب

إعما أنا عبد ، أكل بالأرض ، وألس الصوف ، وأعتقل القر ، وألقى أصدى . وأحب دعوه امسلوك ، فمن رعب عن صفى ليس متى ، والحديث : « إنه من حمل لأهله انما كفه والشئ » فقد برىء من الكبر والحديث عن أبى ساد أنه قال له رجل هات حتى أحمل عنك هذا اللحم ، فقال لا ، ثم قرأ ( إنه لا يحب المستكبرين )

ولا يرضى أهل العلم والمعرفة عما أعطت أنفسهم من اعزم على ترك الكبر دون أن يتوبها ويحتبروها عند الأعيان ، حتى يظنوا ، يحقق ذلك أم بقصه ، ومن ذلك ما يروى أن عبد الله بن سلام حمل حرمة من حظ ، فقيل له يا أبا يوسف ، قد كان في عيالك وسبك ما كفوتك ، قال أجل وكفى أردت أن أحرب نفسي هل تذكر ذلك ؟ فلم يقع منها ما أعطته من العزم على ترك الألف حتى يجربها ، اتصدق في ذلك أم هي كادة

وقد يعترض للعد مع الكبر في مثل هذا كله لرياء ، فيجامع الكبر الرياء ، وهو ما تحيرتك في قول الخواص عن مسائلك أن الكبر يعرض من الرياء ، فيعرض في ذلك الرياء مع الكبر ، أما أن يقولوا فقير أو وصيفاً أو مسكيناً ، فيظنوا إليه عين الارداء من الفقر أو لكسب الدين ، أو صحبة الرجل الذى ، أو رباره من القرابة وغيره ، أو أن يقلل الحق من غيره ، فيقال فلان حطّاه أو عذمه ، أو يقول من علمه في نفسه حطّاه . أو عذمه

فإذا اعرض الرياء مع الكبر ، فليقارب بالعكر بين صغر لقدر ، وما وجب عليه من العقاب ، وكراهة الرياء المخطئة بعمله في يوم فقره وفاته ، إلى صاى الحسبات ، بسجوها من عذاب ربه عز وجل ، ويستحق بها ثوابه ورضوانه ، فيذكر صغر القدر وما وجب عليه من العذاب ، ويدكر مصيره إلى الموت والحساب

وبالحكم بالحراء يبي الكبر ، وبالكراهة للرياء يبي الرياء ، لأنه قد يبي الكبر إذا عرض له الألف من الأعمال التي تقر به إلى ربه عز وجل ، لضعة أسبابها ، فينواصح ويعلم أن الكبر لا يبين به ، وتخرج نفسه بعد معرفته بصغر قدرها ، أن تُدَمَّ ، وينظر إليها بالازدراء ، فهو في نفسه وصحيح ، ولا يفت مع ذلك أن يكون عند الناس وصيماً

ومما يدل ذلك أنه قد يكون من بعض الخلق أن العبد يدعي إلى حسب شريف ، كاذباً عنه من أهل بيت النبوة ، أو من قريش ، أو العرب ، وهو عالم أن أصله غير ذلك ، فهو عند نفسه وصحيح الأصل ، وهو يفت أن ينظر إليه الناس بعين التعظيم ، ويكره أن يعلموا بأصله وينظروا إليه بالازدراء ، وكذلك يظهر أنه عني وهو صغير ، فدل الأمر في قلبه معرفته أنه لا شيء عنده ، وهو يفت أن ينظر إليه بالحق ، ويكره أن يرى بالفقر ، وكذلك يوهم لعادته أنه يحس من العلم ما لا يعلمه ، ويكره أن يعطوا بجهله فيردوه ، ويجب أن ينظروا إليه برفعة العلم ، فهو عند نفسه دنيء حسب قبل المال جاهل ، وهو يوهم العاد أنه على غير ذلك ، لحس الحمد وكراهة الدم

وكذلك هذا الذي اعرض له الكبر مع الرياء ، قد يبي الكبر ويستعمل الرياء ، فيدع ما هو أولى به وأقرب إلى ربه عز وجل ، ولعله أن يعلظ فيرى أنه بنفيه الكبر قد يبي للرياء ، فيكون عند نفسه مخلصاً متوصفاً ، وهو عند ربه عز وجل مرء ، ودل نفسه عند ذلك أن يحيل إليه أن ذلك حياء منه ، وإنما تركه للحياء ، ولم يتركه للكبر ولا للرياء

وكذلك قد يبي الرياء فيعلم أن العباد لن يضره دهمهم ، ولي يسمعه حمدهم ، فيكره ذلك ، وتأتي نفسه أن يفعل شيئاً من ذلك ، كبيراً في نفسه ، وبه لا يصلح ذلك مثله ، ولو رجع الناس بذلك

وقد رأيت من قد يتكبر بالحسب مع الناس ، كمن هو من أهل بيت النبوة أو من قريش ، يرجع نفسه أن يصلّي حنف العامة ، فيدع الجماعة ألقاً وكبراً ، وقد علم أن الصاد يمتونه ، يعلم ذلك منهم ، ويبلغه عن بعضهم ، ويسمعه من بعضهم ، ونفسه تأب إلا كبيراً ، وأنه لا يصلح له في قدره أن يؤمنه غيره ، فقد لزم قلبه الكبر مع معرفته أن ذلك يريل حمد العامة له ، وهو متكبر لا مرأى بذلك ، وكذلك لا يختلف إلى العقهاء والمحدثين ألقاً وكبراً أنه أحق أن يتعلم منه ، من أن يتعلم هو من غيره ، لأن العلم إنما جاء من أصله وأمانته ، ولعله جاهل لا يحسن أن يقيم صلاته أو بعض غرضه



فقد تبين بهذا أن العبد إذا قارن الرياء بالكبر أنه قد بقي الكبر ، ويعتقد الرياء ، وقد بقي الرياء ويعتقد الكبر ، فلا ينبغي إذا تقارنا أن ينهى أحدهما عما بقي به الآخر ، إلا أن يكون عندنا قوتاً حائفاً ، فيذكر اطلاع الله عز وجل على ما في قلبه ، فيصرف عنها ، وذلك إذا كان عارفاً بها وبما ينفيان قبل المعارض ، فإذا من لم يكن يعرف ما ينفيها به فلا عي به عن معرفة ذلك عند اعتراضها ، وذلك إذا كان يعرف - من قبل أن يعرضها - ثم إن لم يكن عنده خوف وقوة يقين وإجلال لله عز وجل لم يكف أن يحرثه ذكر اطلاع الله أو ذكر عقابه ، لقلة الهوى وضعف العزم واليقين ، حتى يخاصم نفسه ويعاتبها ، ويورد عليها أصداد ما ادّعت من عظيم القدر ، ويرد عليها ما أرادت من رياء المخلوقين ، يذكر سوء عاقبة الرياء في معاده ، أفقر ما يكون في أن يقس الله حسنة

فإذا بقي الرياء والكبر إذا اجتماع في القلب كما وصفت لك من ذكر صغر القدر ، وما وجب عليه من حياته ، وما تكون حاتمة أمره ، فينتج بذلك الكبر ، وينفي الرياء بالكراهية والإباء له ، لخوفه من حبط عمله حين لا ينبغي إلا الخالص من العمل ، فقد بقي الكبر حينئذ والرياء جميعاً ، وسلم معها يادن الله عز وجل

## باب ما يجب من التواضع للمطيعين والعاصين لينفى به العجب والكبر

قلت : قد أمرت بالعصب واليغصة للعاصين ، والمحانية لهم والمقت لهم ، ومعرفة النعم لى بها عُصمتُ من كثير من أعمالهم ، فقد يمكن أن أدن وأتواضع للمطيعين ، وأعرف لهم قدرهم وما رزقهم الله عز وجل به على ، وأنى دورهم ، فكيف يمكن أن أدن وأتواضع من أمرت بمقتة وبعضه ، ومجانبته ومعرفة النعمة التى بها فصلتُ عليه

قال لا يمنعك ذلك من التواضع لله عز وجل ، والدن فى نفسك ، مع القيام بذلك كله قلت ما أجلى أحسن أن أمير بين هذين أن أتواضع لمن أنا به مبعض ، وعينه عصبان وه محاب ، أحمد الله على العصمة من مثل عمله ، وكيف لا أرى أنى خير منه وقد قضى الله عز وجل عليه ؟ قد التمس على معنى ما وصفت فى بنى العجب فإنى لا أمتنع أن أعظم أن الله عز وجل رزق قدرى هو به وأنى قد علمت ما لم يعلم ، وتوزعت عي لم تتورع ، وما ما وصفت من بنى الكبر فليست أمتنع منه - إذا كنت أعلم أن الله عز وجل قد فضلى عليه بأمر كثيرة أن أنظر إليه بعين المقت واليغصة كما أمرت وبديت

قال إن ذلك ليكتسب على من هو أعظم منك وأقوى ومن ذلك أوى كثير من البداني ، حتى أعجبوا وتكبروا ، وظنوا أنهم قد طاعوا الله عز وجل بدنك ، لأن الكبر على المطيع شر مقرر به ، لا يكتسب إلا على العاقلين ، والكبر على العاصين يدرجه ويشويه العصب لله والمحانية له ، والاعتزاز بالنعم التى فصل بها عنهم ، والتبس واشتبه هذه الشائبة حتى خدع بها كثير من المتعدين ، وظنوا أنهم بذلك مصيون لله عز وجل مطيعون

وسأبنيك ذلك حتى يمر بسبها ، فتغصب ومقت وتجاب لله وتعرف ما فصلت به من النعم ، وتزبد بالعجب والكبر ما تعلم ، وما يمكن فى النظر من عقل عن الله عز وجل أمره ، فإن ميرت بسبها بجوت من الكبر والعجب ومقت الله عز وجل بالغصب له وعرفان نعمه ، وإذا لم تميز بسبها خدعتك نفسك وعدوك بالطاعة ، فألقنك فى المعصية لما شأها من الطاعة

شرح المسألة المتقدمة اعلم أن الناس عندك فرقان فرقة مستورة لا تعرف منها سوا

ولا جرماً ، فقلت العرقه أفضل منك عندك ، إذ لم تتبين منها مكرهاً  
والعرقه الثانية مختلفون في ذلك ، فهم من هو عندك مهتوك في ديب أو دبيب أو أكثر من  
ذلك إلا أنه قلّ مما تبين لك من نفسك من الديوب في طول عمره هؤلاء أفضل منك عندك ،  
بكنت تعرف من نفسك أكثر مما تعرف منهم

ومرقة قد ظهر لك منها من الديوب أكبر وأعظم مما قد ظهر لك من نفسك  
فما الكثرة فلا تقدر أن تخصبها من غيرك كما تخصبها من نفسك ، لأنك حالاً نفسك في كل  
حال في عمره كله ، ولا تقدر أن تصحب غيرك في طول عمره فلا تفارقه ، كما لا تقدر أن  
تفارق نفسك ، ولا تطلع على سرائره وضميره كاطلاعتك على سرائر نفسك وضميرها ، فدوبك  
عندك أكثر من ديوب غيرك

فأما الأعظم فقد يظهر لك من غيرك ديوب عظمه كالقتل والسرقة والربا وغيره من غيرك فقد  
يكون بعض ماظهر لك ذلك منه ليس عنده من المعرفة والعلم ، ما عندك ، فالحجة عليك أعظم  
منها عنده ، والحساب عليك في سؤا القيامه بالعلم أشد ، فأنت تخاف على نفسك العدا ، عن  
قدر تصيبك مع العلم والمعرفة ، حتى عليك الكبير بذلك وقد يكون لبعض من ظهر لك ذلك منه  
من العلم مائل أو أكثر ، وقد ظهر لك من الديوب أعظم مما أثبت به ، فهو أعظم عصيانياً منك  
بهذا الذي سأنت عنه ، إن عصفت وأردت التمييز بين العصب لله عز وجل والحق من العصب  
والكبير

فألدي عليك فيه أن تعرف بعمة الله عز وجل عليك ، إذ عصمتك من مثل عمله ،  
وتعصت لله عز وجل وبحابه ونعموه ، عصياً لربك تعالى ، فلا تنس الخوف على نفسك حتى ترى  
أنك باع وأنه هالك دوبيك ، وأنت لا تدري بم تحتم لك ولا عما تحتم له ، وإما وكنت بالخوف  
على نفسك من ديبك ، ولم توكل بالخوف عليه من دبه ، لا من طريق الإشفاق عليه ، فأما  
ما أدبت إليه ، ووجب عليك أن تخاف لله عز وجل وبره وتوكل إليه ، وتخاف ألا يعزل منك  
صالح عملك ، ما سبغ من دوبيك ، ولا تخاف أن يكون قد دخل عليك في عملك من الآفات  
التي تعسده ، وأن تخاف من سوء عواقب الخيانة ، وسابغ العلم منك ، فاما أمرت ووجب عليك  
الخوف على نفسك ، لأنك المأخوذ بديبك لا بسبب غيرك ، ألم تسمع الله عز وجل يقول

(وَلَا تَبْرُوا وَارْزُقُوا وَرَّأَى آخِرَى)

(مَنْ عَمِلَ ضَالِحًا فَلْيَنفُسْهُ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا)

(وَلَا تُكْسِبُ كَنْ نَفْسٍ إِلَّا عَيْنَهَا)

فَأَنْتَ لَا تَدْرِي لِمَ لَعَلَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونُ قَدْ عَصَبَ عَلَيْكَ ، فَأَنْتَ عَمْدُكَ شَعْلٌ مِنَ الْخُوفِ عَلَى عَيْرِكَ ، وَلَا تَدْرِي مِمَّ يَجْتَمُ لَكَ ، وَكَمْ قَدْ رُبْتَ رَاحِمًا لَعِيرَهُ مِنَ الْمُسْرِفِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَدْ رَجَعَ إِلَى الْمَعَاصِي وَتَابَ الْمَرْحُومَ عَسَاءَهُ وَرَجَعَ هُوَ حَقٌّ مَاتَ عَلَى شَرِّ أَسْوَاقِهِ ، وَمَاتَ الْآخِرُ عَلَى الطَّلَاعَةِ وَالتَّشْمِيرِ لِأَنَّ اللَّهَ قَدْ غَيَّبَ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ وَأَعْمَالَ الْعِبَادِ عَنْهُمْ ، فَلَا يَدْرِي أَحَدٌ مِنْهُمْ إِلَّا الرُّسُلَ الَّذِينَ بَيَّنَّ لَهُمْ ، فَلَا يَدْرِي الْعَبْدُ عَلَى مَا يَمُوتُ ، وَبِأَيِّ حَالٍ يَجْتَمِعُ لَهُ سَهًا ، فَالْخُوفُ عَلَى نَفْسِكَ أَوْلَى بِكَ مِنَ الْخُوفِ عَلَى غَيْرِكَ

فَإِذَا مِمَّ تَرِكَ الْخُوفَ عَلَى نَفْسِكَ لِمَا سَلَفَ مِنْ دُوبِكَ ، وَمِمَّ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ ، وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ عَارِفٌ بِعَمَّةِ رِمَكِ الَّذِي عَصَمَكَ مِنْ سَرِهِ فَعَلَّ عَيْرَكَ ، وَغَضِبْتَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَحَسَبْتَ وَأَنْتَ عَيْرٌ بِأَسْرِ لِلْحَدَرِ ، وَلَا تَارِكٌ لِلْخُوفِ عَلَى نَفْسِكَ ، فَلَسْتَ بِمُسْتَكْبِرٍ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا تَكُونُ مُسْتَكْبِرًا عَلَيْهِ إِذَا بَطَلَ إِلَيْهِ بَعْدَ الْإِدْرَاءِ وَالْحَقْرِ ، وَقَدْ عَلِمْتَ عَلَى قَلْبِكَ أَنْتَ السَّاحِي ، وَأَنْتَ حَيْرٌ مِنْهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَلَا تَذْكُرُ مَا سَلَفَ مِنْكَ ، وَلَا مِمَّ يَجْتَمِعُ لَكَ ، فَحِينَئِذٍ تَجْمَعُ عَصِيانًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكِبْرًا ، إِذَا بَطَلَ إِلَيْهِ بِالْإِدْرَاءِ ، وَأَنْتَ حَيْرٌ مِنْهُ ، غَيْرُ حَائِفٍ عَلَى نَفْسِكَ ، أَوْ أَنْتَ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُ حَقًّا أَوْ تُوَدَّى إِلَيْهِ حَقًّا أَوْ حَقَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ عَلَيْكَ ، وَقَدْ قَطَعَ قَلْبُكَ عَلَيْهِ بِأَهْلَاكَ ، وَعَبَّ عَيْنُكَ الْحِجَاةَ لَكَ فَحِينَئِذٍ قَدْ تَكَبَّرْتَ عَلَيْهِ وَأَعْجَبْتَ بِنَفْسِكَ ، كَمَا صَحَّ عَابِدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَحْلِيهِمْ

فَلَا تَدْعُ ذِكْرَ الْعَمَّةِ الَّتِي بِهَا فَصَلْتَ ، وَلَا مَحَاةَ الْقَاسِمِينَ ، وَلَا تَسْأَلُ دُوبَكَ ، وَعَظِيمُ الْحِجَةِ عَلَيْكَ فِي عَمَلِكَ وَعَمَلِكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعْرِفَتِكَ ، وَمِمَّ يَجْتَمِعُ لَكَ ، حَائِفًا أَنْ يَجْتَمِعَ لَكَ بِشَرِّ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ تَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عِلْمِهِ شَقِيًّا ، فَقَدْ عَظُمَ حَطَرُكَ ، وَفِي ذَلِكَ شَعْلٌ لَكَ عَنِ الْكِبَرِ عَلَى عَيْرِكَ ، وَلَا تَأْبَى أَنْ تَقْبَلَ الْحَقَّ مِنْهُ ، وَلَا أَنْ تُوَدَّى الْحَقُّ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ قَرِينًا أَوْ عَيْرًا

قُلْتُ : فَأَنَا أَيْضًا لَا أَدْرِي مِمَّ يَجْتَمِعُ لِي

قَالَ أَهْلٌ ، وَإِنَّمَا وَكَلْتَ بِالْخُوفِ عَلَى نَفْسِكَ ، وَالْإِشْعَاقِ مِنْ سَرِهِ الْخَائِفَةِ لِنَفْسِكَ وَلَوْ حَمَلَ لَكَ وَلَهُ بِأَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ عِلْمًا جَمِيعًا مَا كَانَ لَكَ فِي الْخُوفِ عَلَيْهِ رَاحَةٌ وَلَا مَرَحٌ ، فَالْغَمُ لِنَفْسِكَ وَالْحَدَرُ عَلَيْهَا أَوْلَى بِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، لِأَنَّهُ يَوْكَانَتُ بِكَ قَرَحَةٌ تَضْرِبُ عَلَيْكَ وَغَيْرُكَ أَكَلَةٌ ، كَسَتْ لِمَا بَكَ مِنَ الْقَرَحَةِ أَشَدَّ عَمًّا وَهَمًّا مِنْكَ بِعَيْرِكَ ، لِمَنْ كَانَ عَنْدَكَ مُسْتَوْرًا أَوْ مُهْتَوَكًا

يدون " ما عندك به ، فقد تبين لك أنه خير منك ، ومن كان عندك مهتوكاً بأعظم مما عندك به  
في ما عندك شغل عن المراجحة لمقرينه وادرائه والخوف عليه ، وخوف سوء الخاتمة على نفسه  
أولى أن يغلب على قلبك ، لأن البلاء إليك يصل إن لم يرض الله عز وجل عنك ، ولعلك أعلم  
به ، فالحاجة عندك أعظم ، وعلى أي حال عندك من الدروب في الدين - من الكبر والمحب  
والرياء والخسد في الدين فليس عنده

وفد روى عن وهب بن منبه ما يبين هذا ، أنه قال - ما تم عن امرئ حتى يكون فيه عشر  
حصال ، فقد تسع حصص حتى بلغ العاشرة ، فها والعاشرة ، وما العاشرة ؟ هي التي ساد بها  
محلّه ، وعلا بها ذكره ، به يرى الناس كلهم حير منه وأنه شرهم حالاً فقال يرى ، ولم  
يقطع ، ثم سر ذلك فقال وإنما الناس عنده فرقان أو رحلان ، فرقة هي انفصل منه وأرفع ،  
وفرقة هي شر منه وأدنى ، فهو يتواضع للفرقتين جميعاً نقله . إن رأى من هو خير منه شكره ونسى  
أن يلحق به ، وإن رأى من هو شر منه قال لن هذا يسجو وأهلك أنا ، أفلا تراه حائفاً من  
العاقة ؟

ثم قد واصل بهذا ناص ، عدلك خير به لا يسرى فعل عنده حقاً كريماً في بينه وبين ربه  
حل وعلا بشكره به فيرحمه به ، فتوب عليه ، ويحتم له بأحسن الأعمال  
ثم قال ويرى أما ظاهر عدلك شرى ، فلا يأمن ألا يكون سلم فيما أظهر من الطاعة أن يكون قد  
دخلها من الآفات ما يحبطها

ثم قد وجدت كمال العقل وساد أهل زمانه ، وصديق ، لأنه يتواضع في جميعاً نفسه مقراً  
معترفاً أن من لم يند منه أعظم مما يعرف من نفسه ، فهو خائف على نفسه الهلاك وأن يحتم له بشر  
من عمله ، أو لعله لم يتقبل له حسنة ، وأنه عند الله عز وجل شر منه مما سلف من دونه ، ولعله  
يحتم له بشر الأعمال ، فهو متواضع للمريقين جميعاً ، غير متكبر على واحد منها ، غير تارك  
للعصب لله عز وجل والحاجة من أمر عجايبه والعصب عليه ، يد م يسر الخوف على نفسه ،  
خائف أن العداوات واصل إليه ، ولعله شر من يرى وسيجحو ويحتم له بخير الأعمال  
ألا ترى إلى حديث أن عائداً كان يتعمد في جبل ، فأث في اليوم فقيل له رب فلا  
الإسكاف فأسأله أن يدعو بك ، فأبه فسأله عن عمله ، فاجبره أنه يصوم النهار ، ويبكس

فبصفتي بعضه ويطعم عباده ببعضه ، فرجع وهو يقول : يا هذا حس ، فأما كنت تخرج لصدقة الله  
 عروحل فلا ، فأنى في اليوم فقيل له : يا الإسكاف فاسأله فعل به ما هذا ، انصاري  
 وجهك ؟ فأما فسأله ، فقال له الإسكاف ، ما رفع لي أحد من الناس إلا طلب أنه سيذهب  
 وأهيك أنا ، فقال له العبد : بهذه بحوث

وهل وصفهم الله عروحل ، فقال

(يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ)

وقال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَّقُونَ) (١)

ولم يصممهم بالإشفاق والخوف على عيهم ، وهل يبلغ أحد من المرافقة من الدنوب ، ودواء  
 الدنوب والاحتياط ، بعير فتره ولا سآمة ، ما صنعت ثلاثك ، وقد أحبرنا الله عنهم أنهم يسبحون  
 الليل والنهار ولا يفترون ، وأنهم من خشية ربهم مشفقون ، فلي رابل الإشفاق والوجل قلنت ،  
 ونظرت إلى عيرك بالاردراء ، والحقرية والأفعة مه ، وأنت خير مه ، من غير حذر ولا خوف  
 لسوء العاقبة ، وسابى العم ، أو رددت عليه حماً ألقاً أن تقبل مه ، أو صنعت حقاً يجب له  
 عليك ، كصه رحم وغيره ، ألقاً أن تأتيه أو تعلم أنه لك قريب ، ردد ، به وألقاً منه ، فقد  
 تكبرت عليه ، ومنى ذكرت بعينه الله عروحل ، التي عصمت بها مما أن عيرك من الدنوب ،  
 وأنت عير تارك للوجل والإشفاق ، حالف على هسك ، لا تقطع لك بسجاء وعيه بالهلاك ،  
 وأنت مع ذلك عصا لله عروحل ، محاب له ، فقد بحوث من الكبر ، وقتك ما امرت فيه ،  
 ولم تسأل الله عليك ، ولكن أخاف عليك أن تُجحد بذكر العنة ، فخطر إليه وأنت لا تكاد  
 تشك أنك الناحي وهو المالك ، وإن جلس إليك أو قاربت في موضع خائبة ، ريد المراهة  
 والعصب لله عروحل ، وأنت مع ذلك معظم بنفسك ، تأنف من مثله أن يقارب مثلك ، وأنت  
 خير مه ، لا تذكر الخوف على نفسك ، كأنك لا تشك أنه معصوب عليه وأنت مرضى عدك ،  
 ناح لا عمالة ، فتجمع مراهة الدين وكراً ، فتجحد باسم العصب لله عروحل والمراهة . فتكبر  
 وأنت لا تعلم

ألا ترى إلى قول عول بن عبد الله ، ووصف المؤمن فقال ليس دونه جدعة ولا حلابة .

ولكن دونه ليعم (٢) ، ولا ديه (٣) عس فأى عه كبراً ، ولكن مراهة مه ليسم

(١) أي ابتداء

(٢) ٢٣ ٥٧

(٣) ليعم ثواباً أو ليعم رفاً الله

فاحملو العدو ان يرى لك السر ليلقك في الإثم ، أو من الله عز وجل عليك بضاعته فيحسدك  
 العدو عليها ، فربّ لك إثمٌ يحبط به لظاعمه فتكون حينئذ عيباً شاكراً من به عيبك من  
 طاعته ، فاحذر إذا ذكرت النعمة التي حصلت بها عليه أن تجمع مع ذلك كثيراً ، فادكر النعمة  
 وأنت من الحواشي مشفق وجل . ونفسك عما حالت مولاك مستصبر معص ماقت

## باب في بيان الكبر على أهل البدع وغيرهم من أهل الكفر والشرك

قلت قد سِرَّ في كيف أحاط الكبر في أهل المعاصي من المسلمين ، فأخبرني عن أهل البدع الذين يندسبون بغير لئنة ، ويصنّون العناد عن الله عز وجل ، أعداء لرسول الله ﷺ ، همَّهم إطفاء نورها وحياء الضلالة ، ومدَّة أهل الحق وإعزاز أهل الأبر ، والكذب ، بالتأويل على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ

وإن أهل البدع يحب عيبك لبعضهم والمحاسة إلا من وجب له عليك حق يؤدبه إليه فتؤدبه إليه وقلبك له ببعض ومنه بافر ، كائن من كان إلا أن قلبك لا يسبي ما في رقتك من الذنوب وما تقدم فيك من علم علام العيوب ، بالشقاء أو السعادة أو سوء الخاتمة ، وتعلم مع ذلك أن الله عز وجل قد فصلك عنهم ، مما عصمت منه من التلبس بأديابهم غير عاجل حتى تقطع أنك خير منهم في الآخرة ، ترى أنك ناح وهم هانكول قد عيب الله عز وجل عيبك النعم فيك وفيهم ، لا يدري أحد منهم على أي حال يموت ، وعلى أي حال تموت ، ولعله أن لا يعمر لك ولا له فتدحلا النار جميعاً ، فإذا كان عاقبة أمرك دحول النار فعندك شغل عن استصغاره والظن في نفسك أنك خير منه ، فإذا دبت الله عز وجل ببعضه وخالفته ، وعصمت ما من به علمك مما عصمت مما يلين ولم يعمل قلبك حتى يعيب عيبك أنك ناح وهو هالك ، فقد نحوت من الكبر ، وإن علب على قلبك أنك ناح وهو هالك ، فقد تكبرت في نفسك واعتزرت بربك عز وجل

فهذا بيان ما سألت عنه من الكبر ، وفيه عيبك في أهل البدع

قلت إن أهل البدع وإن كانوا ضلالاً فهم معتمدون للتوحيد ، ولكن أرأيت من لاشك فيه أنه عدو الله عز وجل ، كاهربه ، إن مات على كفره فهو في النار ، لا يرحمه الله عز وجل أبداً ، لا يجمع قبي من أن أعظم نبي خير منه ، وأنه هالك لا محالة ، وأنه ليس عنده من الخير بما يرضى الله عز وجل به ، أو يقله مثقال حردلة ، وأنه لاحسنة له عند الله عز وجل في الآخرة قد هو كما ذكرت إلا أن يس الله عز وجل عليه بالتوبة ، فإن من الله عز وجل عليه بالتوبة



قبل لموت والله أُنقذ بالتفصل فيه ، وإن لم يكن الله عز وجل عليه بالتوبة فهو الظلم الظاهر ، فأما  
 التكبر على أحد من الناس فلا يجوز ذلك . ولكن لك ولكل مسلم حائر بل هو فصل وحير وفرة  
 إلى الله عز وجل . أن تعلم أن الله عز وجل فصلك عليه ، وأنه لا خير عنده ، وأن الحكم عليه من  
 الله عز وجل بالعداوة والعصب . إلا أنك قد عيّب الله عز وجل عدك عاقبتك وعاقبتك على  
 ما يموت وعلى ما يموت ، فعليك وإن كنت عارفاً بصلاته وكفره ، وأن الله عز وجل فصلك  
 عليه بأن عصمتك من كفره ومن عليك بوجبه ، أن تكون شاكراً في عاقبة أمرك لا تدري على أي  
 حال يموت وعلى أي حال يموت هو ، وأن تكون حائفاً من العواقب التي يجتم بها العمل للعباد ،  
 فأنت لا علم لك لعلة يموت أعبداً أهل زمانه ، وتموت أنت ككفر أهل زمانك ، فكذلك  
 متحوراً

وما يذكرك على ذلك . أن الله عز وجل امتعث سبه عليه السلام أفصل ما صلى على أحد من خلقه  
 فأجابه في أول ما دعى إلى بوجبه قوم ، وتأخر عن الإجابة آخرون ، فكان ممن أجابه أبو بكر  
 وعبي وبلا وحيات رحمة الله عليهم وغيرهم ، وعمر وعمره كفاً ، وقد كان ممن أسلم مع النبي  
صلى الله عليه وسلم مثل عمر بن عتبة وبلا وعمرهما ، ينظرون إلى عمر ، ويعرفون أنه صال كافر ، لا يدرون  
 سم يجتم به ، فوجد الله له الإسلام حتى غاف كل من أسلم قبله إلا أنا بكر وحده ، فلم يكونوا  
 يعلمون ما بكره الله عز وجل به ، وكانوا مؤمنين وكان هو كافراً ، ثم أسلم فصلهم وكذلك غيره  
 ممن تقدم إسلامه وتأخر إسلام آخر بعده إلى عصرنا هذا

وقد ارتد قوم أسلموا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقتلوا كفاراً يوم الردة ، وأسلم من كان كافراً وهم  
 مؤمنون ، فحس إسلامهم ، ثم قتلوا مؤمنين شهيداً

فإذا كنت متحوراً على نفسك لعاقبة واختاتمه ، لا يطلب على قلبك نجاة ألبتة ولا أنه مس  
 على كفره ، فقد نصبت الكفر ، ولم تعد ولم تأمن على نفسك من لعن والزوال أبداً بورثات

# كتاب الغيرة

## باب العزة بالله عز وجل

قلت : ما العزة بالله عز وجل وممّ تكون ؟  
 قال : إنا العزة بالله عز وجل تكون من الكافرين ومن العاصين من المسلمين ومن النبايين  
 النساء ، وكل من اعترض شيء من الأشياء عند صبيح أمر الله عز وجل ، أو قل حذره منه وحوه  
 فاعزة بالله عز وجل إنما هي خدعة للنفس بصيغ الله عز وجل بالعبد ، أو باسم رجاء الله عز  
 وجل ، أو بحسن العادة والعلم ، فيغتر كثير من العباد بحسن ذلك ، حتى يعصى الله عز وجل ،  
 وهو يرى أنه من المحسنين ، أو يكفر بالله تعالى وهو يرى أنه من المهتدين ، أو يغتر ببعضه على علم  
 وهو يرى أنه معذور له ناح لا يلدب ، فأما العزة من الكافرين فهي خدعة من أنفسهم وعدوهم  
 بظاهر الدنيا عن الآخرة

قلت : فم يغتر ؟

قال : إن لعزة غريب عزة بالدنيا عن الآخرة ، وعزة بالله عز وجل وبالأخرة فأما العزة  
 بالدنيا عن الآخرة فإثارة الدنيا والاشتغال بها عن الآخرة ، وهو قول الله عز وجل  
 ( فَلَا تَعْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرِّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ <sup>(١)</sup> )  
 وقول الله : ( وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ <sup>(٢)</sup> )

قلت : عن العزة بالله عز وجل أسألك ، وما الذي يغتر به العباد ؟  
 قال : أما ما اعتز به الكافرون عن الله عز وجل ، فهو ما رأوا من فعل الله عز وجل بهم من  
 إكرامه لهم بالدنيا ورفعها وسعها ، فظنوا بذلك أن ذلك م يكن من الله عز وجل إلا لمرتهم  
 عدله ، وأنهم أحق بالخير من غيرهم ، ثم هم بعد ذلك على وجهين : مرة منهم شكّاك في الآخرة  
 يفعلون في أنفسهم وبألسنتهم ، إن يكن الله عز وجل معاد فحق أحق به من غيرها ، ولنا به  
 النصيب الأوفر ، اعتزوا بما ظهر لهم من حيل الدنيا وكرامتها ، ألا تسمع ما حكى الله عز وجل عن

الرحلين سدين محاوراً ؟ عقاب الكاهن مهباً للمؤمن المحذور به

( وَمَا أَطْرُقُ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَأْسِي لِأَجِدُنِي حَبِيرًا مِنْهُ مُتَّقِبٌ )

أى لا أومس بأن الله عز وجل يمكّن ونوائماً وعقائناً ، فإن كان فإن في عبده خير مما أعطاني في الدنيا . عزة بالله عز وجل ، وطناً أن الله عز وجل لم يكرمه في سبب إلا وهو كرم عليه . فإن كان لله عز وجل نعمت ودار فيه ثوب وعقاب . فسبحيره من العقاب ، ويكرمه في الآخرة كما يحاربه من الفقر والضيق في الدنيا ، لمحاور المؤمنين الكهان بذلك

وفي التفسير لما كان يهبط قصة طويلة وهما في يروى في التفسير الله . قال المؤمنين مهب في الآخرة . « أن كان في عريين بقول أتيت من المصدقين ؟ » إلا أن محاوره كانت يهبط في حملة أمرهما أن الكاهن بنى قصراً بألف دينار ، واشترى بستاً بألف دينار ، وخدمت بألف دينار ونروح امرأة على ألف دينار وفي ذلك كنه يعطيه ثوب ، ويعوب به . اشترى قصراً بحرب ، وهي . لا اشترى قصراً في الجنة ، واشترى بستاً بحرب وهي ، وخدمت بموتون ويصوب ، وتزوجت روجه بموت وهي . إلا اشترى بستاً لا يهبط وخدمت لا يموتون وتزوجت روجه لا يموت <sup>١١</sup> <sup>١٢</sup> وفي كل ذلك يرد عليه الكاهن ما هاد من شيء . وإن كان ليكوس في في الآخرة خير من هذا وكذبت وصف الله عز وجل لما قرب العاص بن وائل ، إذ يقول ( لأوتين مالا وولد ) قال الله عز وجل ( أَطْلَعَ الْعَبَسَ أَمْ أَتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ؟ ) <sup>(١١)</sup>

روى عن حجاب بن الأثر أنه قال كنت رجلاً قتيلاً وكان بن عبي العاص بن وائل دبر ، فحدثت أنفاسه فلم يقصني ، فقلت إن أحدهم منك في الآخرة ، فقال لي . إذ صرت إلى الآخرة فإن لي هناك مالا وولدًا ، فأقصيت منه ، فحارب الله عز وجل ( اقْرَأْ أَلْفَ كَهْرٍ مَدَّشَ وَقَالَ لَأَوْتِرَ مَدَّأً وَوَدَّ )

فاعتر الكاهن بالله عز وجل ، وظل أن الله عز وجل لا يبعده في الآخرة وقال الله عز وجل

( وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ رَبِّهِ صَرَاءً مَسْنُوعًا لِقَوْلِهِ هَذَا لِي وَمَا أَطْرُقُ سَاعَةَ قَائِمَةً وَشَرُّ رُجِعْتُ إِلَى نَفْسِي بِأَنَّ لِي عَيْنَةً يَنْحُسِرُ ) <sup>(١٢)</sup>

قال ابن جريج عن مجاهد لعولن هذا في معلى وأنا محقوق بهذا معتر كما أدافه الله عز وجل من رحمته في الدنيا ، ألا تسمع الله عز وجل يقول عز وجل المعبرين بأنعام الله عز وجل عليهم في الدنيا

(وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَنُؤَلَّادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ )

أى أن الله عز وجل أنعم علينا بنعمه لكرامتنا عليه ، فهو لا يعددنا ، وقالوا لو كان خير ما سبقوا إليه ، ويعتزون أيضاً بما حصلهم الله عز وجل نعم الدنيا على غيرهم ، فيرون أن ما حصل الله عز وجل به أهل الإيمان أنه لو كان عند الله هدى ما وفق الصعداء له وتركهم ، فيعتزون ، وعائزون الهدى ، أن لو كان هذا هدى لكنا نحن نحن أن تؤتاه نحن هو دوماً

ويعتز الكافرون بنعم الله عز وجل في الدنيا فلا يرون أن الله عز وجل أخذهم بمعقوبه في الدنيا ، وأنه إنما أعطاهم ما أعطاهم من الدنيا بما علمهم من خير ، وأنهم عنده بالمرله العظمى ، ألا تسمع إلى قول الله عز وجل إخباراً عن فقال داود وموسى عليهما السلام يحويه بأس الله عز وجل فقال .

(إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي )

في فتاده عن جبر عدى ، قال الله عز وجل

(أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ لُغُوبٍ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا )

أى لم يسمع الله عز وجل ما أعطاهم من نعم الدنيا ، إذ لم يعطيه ، أن يعيدهم . فلم يعبر قارون أن الله عز وجل قد فعل ذلك بعيره ، وذلك من الله عز وجل اسمه راجح لمن أراد أن يهلكه ويعيده ليعتر بنعم الله عز وجل

ألا تسمع إلى قوله عز وجل (سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) <sup>(١)</sup>

فيل في التفسير . كل ما أحدثوا دنساً أحدثنا لهم نعمة

وقال (فَتَحْتَ عَلَيْهِمْ نُبًّا كُنْ شَرًّا حَتَّىٰ يَدْعُبَ إِدَا نُبًّا أُخْدَعُهُ نَعْمَةً )

وقال في قارون (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي )

في سبحانه (نَلَّ هِيَ فَتَهُ )

ثم قال : ( قَدْ قَالَهَا آتَيْنِ مِنْ قَبْلِهِمْ <sup>(١)</sup> )

فأخبر أن الدنيا فتنة ، بلوى واختبار ، وأنها ليست بدليل على رضا الله عز وجل عن العباد  
أم تسمع قوله تبارك وتعالى :

( فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذْ مَا اتَّخَذَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَبَعَثَهُ يَقُولُ رَبِّي أَكْرَمِي )  
على قوله ( رَبِّي أَهْلَسِي <sup>(٢)</sup> )

قال الله عز وجل كلاً ، قال الحسن كدسها جميعاً يقول ليس هذا بكرمى ولا هذا  
سوءى ، ولكن لكرم من أكرمه بطاعته على أى حال كان هيباً كان أو عبياً ، وللهما من  
أهنته معصيته على أى حال كان ، هيباً كان أو عبياً ، فاعتز الكافرون بظواهرهم الله عز وجل  
وظنوا أن ذلك من كرامتهم على الله عز وجل ، وكذلك وصفهم فقال

( أَيَخْشَوْنَ إِنَّمَا نُسَخِّرُهمْ مِنْ مَاءٍ وَتَيْنِ سَكَّارُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ كُلِّ لَا يَشْعُرُونَ <sup>(٣)</sup> )  
وقال الحسن إن لنا في أساءتهم ، وإن المؤمن حسن وأشفق ، ثم قرأ  
( وَلَوْ كُنْ يُحِبُّ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ )

وقد بعثى ذلك كثيراً من المسلمين ، حتى يحل إليه أنه إذا وسع الله عليه في الرزق ، فإنه  
لعمل صالح عمله ، فكروا به ، وأن الله تعالى يحبه ، فذلك وسع عليه ، كما وصف به من  
آدم ، فقال

( فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذْ مَا اتَّخَذَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَبَعَثَهُ يَقُولُ رَبِّي أَكْرَمِي )

فقد شارك المسلم باعتز بدلت الذي يظن أن ذلك كرمه به من الله عز وجل وأنه بحلة به عند  
الله عز وجل ، لكافرين في عزرائهم ، وإن لم يشك في البعث والحساب  
ويعز لكافر أيضاً باستنجار العقوبة عنه ، وإن خوفها لم يحف ، فيظن أن العقوبة لم تتأخر عنه  
وهو أهل أن يعاقب ، وأنه على الحق

قال أبو جهل اللهم أقطع للرحم وأنت لا تعرف فاحه بعدة قال الله عز وجل  
( وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عِيدٍ )

( ١ ) ٣٩ ٥١

( ٢ ) ٨٩ ١٥ ٦ وتكلمه المذود من الآية وما رد ، بتلاه هذر صبه ، في محبوب رب أهاس و

٢٣ ٥٥ ٥٦

( ٤ ) ٤١ ٥

ومن ذلك أن قارون دعا موسى عليه السلام إلى أن يلاحظه ، فخرج ، صدأ قارون فلم يُحب ، ثم دعا موسى فأحسب ، فدعا قارون موسى إلى الملاحظة اختزنًا بآفه والفرقة الأخرى من الكفار يفتنون بما رُئى لهم من سوء أعمالهم ، بعبادات يعبدون بها غير الله عز وجل يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فالفرقة من الكافرين خدعة من أنفسهم ، فانظروا أن له عند الله عز وجل قبرا لما أنكره به من الدنيا أو عمل صلال بحسه هدى

## باب الغرة من عوم المسلمين وعصائهم

قال وأما الغرة من عوم المسلمين وعصائهم فهي حذعه من النفس والعدو ، يذكر  
الرجاء والخور والكرم ، يُطَيَّبون بذلك أنفسهم ، فيردون بذلك حرة على السيوف ، فيقيمون  
على معاصي الله عز وجل ، يطئون أن ذلك رجاء منهم ، كما قال وهب بن منبه لانه يا سيدي بك  
والعزة بالله عز وجل ، لأن الغرة بالله عز وجل المقام على معصيته ونمى معصيته ، فيقيمون على  
المعاصي وبسموث المعصية ورجاه ، ويطئون أن الذي طاب أنفسهم الرجاء ، وإنما طاب أنفسهم  
الغرة ، فتمنوا وطئوا أن ذلك منهم رجاء لرجاهم عز وجل ، وإنما أمكن حذهم ذكر لرجاء .  
حتى صار أنه رجاء للتوحيد ، أو لذكر الله صالحين مع التوحيد أو عمل صعب فيعجز ما  
لرجاء ويظن أنه رجاء ، فيقيم على معاصي طيب النفس غير ردم ولا مقنع ، لا يشك أن ذلك  
رجاء منه ربه عز وجل فطيب نفسه بذلك ، فيقبل حذره وخوفه من الله عز وجل ، ولربك ذلك  
رجاء لعدك كان وصح الرجاء في غير موضعه ، وذلك الرجاء الزكاد  
غائرة من الموحّد حذعه من نفسه بنمى المعصية مع المقام على المعصية ، وذلك الرجاء  
الزكاد يظهريه رجاء صادقاً ، كما قال سعيد بن حبيب الغرة بالله عز وجل المقام على معصية الله  
عز وجل ونمى معصية الله عز وجل



## باب التمييز بين الرجاء والغرة

قلت يُس في الرجاء من الغرة ، حتى أعرف أحدهما من الآخر  
 قال الرجاء لله عز وجل في معيين ، أحدهما حسن لظن بالله عز وجل حيث وصفه الله عز  
 وجل ، لأن رجاء المسلمين من عباده ألا يعطوا ، وأن تنوبوا إلى ربهم من ديوهم ، قال الله عز  
 وجل

(عَلَّ يَاعَادِي الدِّينِ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْطُوعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ)

في قوله تعالى (رَبُّيُوا إِلَهِي رَبُّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ)

وقال (وَدُّي نَعَقًا يَمْنُ ثَاب وَأَمْس وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ هَتَدِي) الآية

وقال (وَوَدَّ جَاءَكَ الدِّينُ يُؤْمِنُ بآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ

أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِثْلِكُمْ سِوَا بَهَالَةٍ ثُمَّ ثَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>(١)</sup>)

قال عكرمة - برئت في عمر رضي الله عنه ، حين كلم عتبة بن ربيعة وغيره من المشركين

فما طالب أن يكلم النبي ﷺ أن يطرد بلالا وعمارا وغيرهما فقام عمر رضي الله عنه لو طردهم

حتى سطر ما يريدون ، فلما برئت .

(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) الآية

جاء عمر يعتذر من مقالته ، فنزلت

(وَوَدَّ جَاءَكَ الدِّينُ يُؤْمِنُ بآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) الآية

فرحى الله عز وجل العبد انصرفه على نوبة ووب عظم ديوه وكرب ، ألا يسمعه كثرة

ديوه وعظمها أن يوب في ربه عز وجل ، ولا يخاف خوفاً بضط معه حتى يقول لا تعفون

ولا يصل توبى ، فهم على معصيه خوفاً ألا يصل له توبه ، فبريده فبوطه مداماً على المعاصي ،

فبرر د ببوطه معصيه إلى معاصيه ، لأن تقوط معصية لله عز وجل ، منع من توبه عن المعاصي

(٣) ١ ٥٤

(١) ١ ٥٢

(١) ٢٩ ٥٣ ٥٤

(٢) ٢٠ ٨٢

ويرد د به العاصي عصبياً ، كما قد عذ الله بن سواد : الكاثر أربع أعضاها لقوط من رحمته الله عز وجل »

مرحى الله عز وجل العاصي من عباده المعصية على التوبة ألا يقطعوا من أجل ذنوبهم فيدعو التوبة إلى ربهم عز وجل ، وينقطعوا عن طاعته ، عهد أحد المعصيين ورجى الخصال والمنازل العالية والقرية منه عز وجل في درجاب لعامدين له من عباده . فقال عز من قائل

(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ )

إلى قوله عز وجل : ( أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْاَرْضَ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ )

وقال عز وجل : ( وَلَئِنَّمَا تُنْفُتُونَ أَشْجَارَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ )

فأحبر أن الحرة والثوب أشجار العنن على الأعماق ، ليرحو ذلك الحرة ، فيعموا ذلك الأعمال رجاء أن ينالوا ذلك الثواب

ثم أحبر أنهم الراجون دون المعصين ، فقال عز وجل

(إِنَّ لِلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا ذِي سُلْطَانٍ أَلِيفًا مِثْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ )

فأحبر أن العامدين هم الراجون رحمة الله تعالى لا المعصين

فمنهم من ذكر الرجاء يظن أن العزة منه رجاء ، فهم على معاصي الله عز وجل ، ويظن ذلك

حسن الظن منه ، وليس ذلك بحسن ظن ، كما قال وهب : حسن الظن بالله ما حارب العزة

وقبل بحسن إن هو ما يعنون برحو الله عز وجل ويصيغون العمل . فقال هيات هيات

ذلك ما بهم مترجحون فيها ، من رجاء شيئاً طيبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه

ودخل رحن على مسلم بن يسر ، فقال مسلم : لقد وجدت المارحة حتى سقطت نساى

فقال الرجل : إن مرجو الله عز وجل ، فقال مسلم : هيات هيات من رجاء شيئاً طيبه ومن خاف شيئاً هرب منه

فالرجاء هو ما صاح من الطمع والأمل في الله عز وجل ، فصحا نفس العاصي بالتوبة ورجا إليه

وبين القوط ، وبعث لعد على الطاعة لله عز وجل . والتشهير والاحتشاد ، رجاء ما وعد

العلميين ، وعرّوه خلدعة من أسفس والعدو مد كرا رجاء بالتوحيد أو بالآباء الصالحين . أو بعمل قليل صغيف ، فتظيب نفسه تلك الخلدعة حتى تهوى عنه دنوبه . لظنه أنها معفورة . فيتمشي المعصية فيقيم عليها ولا يتوب . فهذا فرق ما بين العزة والرجاء . ودلت موحود في فطر العباد في دنياهم أنهم إذا صيغوا العمل عدوا أنفسهم وعدّوه منهم تزيطاً . فإن قعدوا عن الأعمال وهم يظنون أنهم يعطون الأجر عدّوا ذلك من أنفسهم حقيقاً وعرّوه

قلت : فإين أصح الرجاء حتى لا يكون عرّة ؟

قال : إن الله عزّ وجلّ وحلّ خوف العاصي بعصه وعقابه ، ليحوّروا أنفسهم بما خوّفهم فتوبوا إلى ربّهم ، ورحى الله عزّ وجلّ التائبين من عبادته على تركهم له ربّ لئلا يقسطوا فيقيموا على دنوبهم ، ورحى العاملين لسخطهم الرجاء على الأعمال التي تقرب إليه

فمضى المؤمن بالله عزّ وجلّ العاقل عنه أمره ، أن يصع الخوف حيث وصعه الله عزّ وجلّ . فإذا هم بمعصية خوّف منه ما خوّفه الله عزّ وجلّ به من عقابه . فإن عساه هو فأتاها فأنت عساه لا لحاقم عليها . خوّف عساه بما خوّفه الله عزّ وجلّ من عصه وعقابه ، ليدع المعصية ويوب منها بعد ركوها . فإذا همت بعصه معصية أو عصت فأبى إلا المقام على العصيان ، غاب عنه وقال له : إن الله شديد العقاب ، وإن عصه لا دواء له . وإن عدايه لا صبر عليه فخوّف عساه بما خوّفه الله ، حيث أمره أن يخوّف نفسه ليقطع وتوب ، وإذا راد التوبة فعارضه القنوط بصاد له عن التوبة ، دكر عساه لخود والكفر ، فرجأها عفو الله عزّ وجلّ وكرمه ومصله ونطقه ورأته ورحمته ، وما وعد التائبين أنه « عفا لمن تاب وآمن » ، وأنه عفو رحيم من أتاب إليه

ألا تسمع قوله لولد صبا

(كَلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ )

صعظمت عيننا بذلك النعمة إذ أحبنا الله عزّ وجلّ به رب غفور ، وإذا أنالنا عثرنا ، وسعدنا لتوبة ، ووعد عليها المعصية . رأيت أن يكون بأحدنا ناول دس أو لا يقبل منا توبة بعد مرّة أو بعد مرتين أو بعد ثلاث مرّات . فإن الناس أكثر ما يردون العسر والتوبة من بعضهم على بعض بعد ثلاث مرّات ، أن يقول أحدهم للآخر قد عفوت عليك ثلاث مرّات ، أو أفلتت ثلاث مرّات ، فلا أكثر من ثلاث ، فلو كان ربنا عزّ وجلّ كدبتك ما هأنأنا عيش ، ونكن لو أدب عده ألب دس

يعود فيه ألف مرة ، ثم تاب توبة بصوحاً يعبر الله عز وجل صديقه من قلبه ، عمره ماضى من دنياه ، ولم تعد له سلف من حرمه ، فيذكر لحود وأكرم وسعة العفو والرحمة إن عارضة قنوط عند إصابة لذب ، يقطع عن العمل بالطاعة عارضة بالرجاء للمعصية والقبول ، لسعة رحمة الله عز وجل ، ولما رضى التائبين من عبادته ، ولما حرم من الإيأس عن التائبين المدسين والمنصرين من الموحدين أن يقطعوا بالقبوط عن العمل ، ويكتسبوا بالقنوط دنياً ، مع نصيحتهم لطاعة ربهم عز وجل ، كما قال رب عز وجل

(وَلَا تُقْنُوا بآيَاتِكُمْ إِلَى اللَّهِ تَهْتِكُوا)

قوله الذي من عارب هو برجل يذب لذب لعظيم فيقول لا يعمر لي . فمست من التوبة في سبيل الله عز وجل . فهو عن ذلك ، فإذا ذكر نفسه لعقاب عند الدنوب ، يحولها لتوبة من الدنوب . وذكرها الرجاء عند التوبة . يردع نفسه عن القنوط . وتسبح بالتوبة لرجاء المعصية عند اعتدال القنوط لمقاطع عن العمل أنه لا ينقل منه . فرجاء التوب وعفوان الدنوب . مسحا بالتوبة نفساً وبالعمل ، لرجاء والرحمة والعفو ونصح ولجأ . هذا وضع خوف والرجاء بالموضع لدى وضعها لله عز وجل به . وأذنب نفسه بأذنب الله عز وجل في كتابه ، ولم يعتز ولم يفت من رحمة ربه عز وجل

ومن قلب هدير يعبر من خوف والرجاء وذكر الرجاء عند الدنوب . وسبي خوف والحذر . فطلب نفسه بذكر الرجاء . فقل خوفه ورر حذره . وقام على معاصي مسياً ، فثبت المعصية لله عز وجل المتأذنب بعز أذنه . والنواصيح لرجاء في غير موضعه . والثبات للاستمرار الخوف في موضعه عند الحاجة إليه . فهذه صفته يعبر من المعاصي الموحدين

وأي مثله في ذلك مثل عدله مولى . إذ عاقب مملوكه عاقبه بأشد العقوبة وأعظمها . وهو مع ذلك رحيم عظيم لرحمه . وهو كثير . ويعاف قلبه في العفوية . يعفونه عن قدر عفوهم فقال عبده مع عظم هذا خطر . يا رب أنتي عبد يوم السبت صيت عبد ، وأعطيتك من ما كد وكد . وأعفتك ورؤحتك وخدمتك . وإن تأخرت إلى بعد غد . يوم الأحد ، فأنتي يوم الأحد لم أعطتك . من دنك شيئاً . وعصيت عبيك وعدتك عدس شديد . وصحتك سحناً طويلاً . فعرفت لمعبد لدة . إن أصابها اشتعل عن مولاه أن تأتيه يوم السبت وتأخر الذهاب إلى يوم الأحد . فاشتعل بدنه . وحتى نفسه عفو مولاه وحمه بأساً مع دنك شدة عفوته . وإن ذكرها ذكرها بعز عظيم ذكر لا يجمع عبر الشغل يوم السبت وتأخير الذهاب إلى يوم الأحد . لما

علب على نفسه ، من حلاوة لدته ، فأثر إصابة لدته على طعنه مولاه ، في إتيانه يوم استت الذي وعده به بالمرصاء والثوب ، فأخر لذهاب إليه في يوم الأحد ، لكلا تقويه لدته ، وقد علم أنه قد توعده في أثناء يوم الأحد أن يقصص عليه ، ويخرجه ما وعده ، ويعافيه بأشد العقوبة ، فتشاعل يوم السبت بلذته ، وهو طيب النفس عما تذكره نفسه من الرحاء ، فقد قطعه ذكر الرحاء عن خوف العقوبة ، تاركاً للذهاب في اليوم الذي وعده فيه الثوب ، ويرجو الثوب والعفو مع التأخير للذهاب في اليوم الذي توعده فيه بالعصص والعقاب ، وهو ناس للعقوبة ، تارك للذهاب ، ليحتر ما وعده من الثوب في يوم السبت ، متمتع لعفوه ، يقول لنفسه ذهب يوم الأحد ، فيعفو عني مولاي ويرصني ، ويعطيني ما وعدني من المال ، ويروحي ويختمي ، قد أساءت هذا الذي ترحيه نفسه خوف مولاه وحذره ، ولم يترك لدته القاطعة له عن طاعة مولاه ، ألم بك هذا معرراً بنفسه ، مخاطرًا ببدنه ، تاركاً للوثيقة والاحتياط بنفسه ، معرضاً بنفسه ههنا ، مصيباً لطلب رصا مولاه وتجز ثوابه ؟

وكذلك لو قال له مولاه : إذا عصب كذا وكذا ، عكنا نأثا أعطيتك ألف دينار ، وإن أفسده لم أعطك شيئاً وصريت لك ألف سوط ، فترك إحكامه للذة شعلته ، وأفسده على عهد لذة أثرها ، لا يبالها إلا بساد ذلك العمل ، فآثرها وهو يعلم أن العمل يصيد - كراهة الشغل عنها بإحكام ذلك ، أو كراهة بحمل مكروه - من تعب على يده ، أو قلة في عدائه - وهو مع ذلك طيب النفس ، يطيبها ويرجئها ألف دينار غير خائف لما توعده به من ضرب ألف سوط ألم بك معروراً قد عرته نفسه ، فوضع الرحاء في غير موضعه ، وأردل الخوف لدى يده على طاعة مولاه عن موضعه ، ولم يصع وعد مولاه وبوعده كل واحد منهما في موضع يتصح به

فكذلك نعتز بالله عز وجل ، أقام على ما أوجب عليه حرمان جوده والخلو في عده به ، طيب نفس واحداً للثوب ، غير خائف من العذاب ، أفتيس هذا مغترّاً مخاطرًا بنفسه ؟ وإن كان مولاه عظيم العقوبة يفعل ذلك به وقد لا يفعل - ألم بك قد عثر وحاطر بنفسه ، وعرته نفسه وخدعته ، لأن العذاب في الحكم عليه بقي لاشك فيه ، والرجاء للمعفرة من غير توبه مع الإصرار شك لا يقين فيه ، فهو تارك للوثيقة ، معرر بنفسه ليس لها حيف - لا تأمر أن يبدو له من الله عز وجل غير ما احتسب ، وذلك أن الذي رآه عليه لا يشك فيه ، كما وصف الله عز وجل المعبرين فقال

(وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ آيَاتِهِ مَا كُنْتُمْ بِمُحْسِبِينَ<sup>(١)</sup>)

فيل في بعض التفسير أهل كانوا يرون أنها حير فصارت شراً . فذلك رجاء كادب  
قلت أليس الرجاء مبسوطاً للموحدين وإن عطمت ديوهم ، والإيأس محرم عليهم ؟  
قال أجل ، وليس هذا موضعه الذي وضع فيه ، ولكنه موضع خوف من الله وقد يكون  
العبد عاصياً معترأً ، فإن عارضه القنوط فعه بالرجاء . من أجل التوحيد ، فصمحه القنوط الذي  
هو معصية مولاه ، لكلا يجمع معصية وقنوطاً فيكونا دسماً ، فإن طيب بعد ذلك فعه بذكر  
الرجاء ، فجزأه على المقام على معاصي الله عز وجل فقد اعتز بالله عز وجل لأن الله عز وجل  
جعل الرجاء مريلاً للقنوط الذي يجمع من التوبة ، والعمل . داعياً على الطاعة والقرينة إليه ،  
وجعل الخوف مانعاً من الأمن والاعتزاز ، مريلاً عن الإقامة على السيئ ، مانعاً لموانعها عند المهم

٣

ألم تسمع إلى قوله عز وجل

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ نُجْحَهُ هِيَ تَمَازِي<sup>(٢)</sup>)

فالخوف مانع من الذنب قبل مواقفه مهج على التوبة بعد إحصائه

فهذا عرق مابين الرجاء والعزة بالله عز وجل

ولقد أعلمنا الله عز وجل على لسان النبي ﷺ أن العزة تشتمل في آخر الزمان على آخر هذه  
الأمّة ، بذكر الرجاء في غير موضعه ، فمهم النبي ﷺ بذلك ، وأحبر أن ذلك عند دهاب  
حق وأهله ، وعلة الباطل على آخر هذه الأمّة ، رواء عنه معقل من يسار أنه قال ﷺ  
« يأتي على الناس زمان يخلق (أي بين) فيه القرآن في قلوب الرجال كما تخلق لثياب على  
الأبدن ، يكون أمرهم كنه طمعاً لا خوف معه ، إن أحسن أحدهم فإن يُثقل مني وإن  
أساء قال يعمر لي » فأحبر ﷺ أن ذلك عند دهاب ، فمهم ولعل عن الله عز وجل من عنوسهم  
حتى يخلق فيها فهم كتابه ، والأحد فيه بأدبه . يقولون دانه فيصعرون الطمع موضع الخوف  
والإشفاق والوجل

وبذلك وصف الله عز وجل البصري في كتابه فقال بعدما نزع من إحذاره عن بني

سرايل فقد

(مخلف من غديهم حنف ورثوا الكتاب بأحدون عرص هذا الأذن ويقولون سيخفر لنا)  
 قال معاهد هم اسصري ، يأحدون ما أشرف لهم من الدب من حلال أو حرام يشتهوه ،  
 يأحدونه ويتمنون المعرفة وإن يحسوا القتل مثله يأحدوه .  
 وقال سعيد بن جبير يعملون بالديوب ويقولون سيعمر لنا وإن يأتيهم عرص مثله  
 يأحدوه ، قال الديوب

وقال ابن عباس رضي الله عنه ألا يقولوا على الله إلا الحق مايتسبون على الله عز وجل من  
 عمران ديوبهم لئلا يرالون يعودون فيها ولا يتوبون منها ، بحرك أنهم يفترون فيصيبون الديوب ،  
 ويمشرون فيقيمون عليها ، ويعاودونها ، يرحون المعرة ، يعلوها أنفسهم مع معاصي الله عز وجل ،  
 وعلى ذلك عامة عصاة المسلمين من غير قطع بالمعرة ، ولكن عثرة تطيب بها أنفسهم ، يظنوها  
 رحاء صادقاً وهي عرة بالله عز وجل ، وحدة عن طريق العجاة ، كما وصف المعري من هذه  
 الأمة هم إن دبوها قالوا ، يعمر لنا ، فلا يقرعون ولا يرهبون فيتوبوا ، وإن أحسوا قالوا  
 ينقبل منا فلا يشعرون ، ولا يوحلون ، فزال الخوف عنهم ، فلم يخافوا عقوبة على ديوبهم ، ولم  
 يشفقوا على إحسانهم فيحذروا على أعينهم ، لتحلص بالقول إلى ربهم عز وجل

## باب الغرة من أهل النسك وأصنافهم واختلافهم ، وغرة أهل العلم

قلت فما الغرة من أظهر النسك وعدّه الناس وعدّه هو نفسه من الديانين ؟  
قال أولئك في الغرة أصناف مختلفون فمعر بالعلم ، ومعتز بالقيل من العمل ، ومعر  
بالبصر بالحجاج والحدال ، ومعتز بالسر والإمهاق ومعتز بالشاء من الناس والتعظيم منهم له ، ومعتز  
بذكر آياته الصالحين

فأما المخترون بالعلم فهم فرق شتى على قدر مدارجهم فيه  
فهم فرقة تعز بكثرة الرواية وحسن الحفظ مع تصحيح واجب حق الله عز وجل ، وتحيل نفس  
أحدهم إليه وعدوه أن مثله لا يعدب ، لأنه من العلماء ، وأئمة العباد الحافظين على المسلمين  
علمهم ، ويعمى عليه أكثر دونه ، فلا يرى أن مثله فيما بلغ من العلم يراني ولا يعجب ولا يتكبر  
ولا يحسد ، وإنما يعمل ذلك لجهال الدين لا يعرفون العلم ولا يحفظونه ، فيقلّ خوفه وحذره من  
عذاب الله عز وجل ويُعْمَلُ بالتعقّد لنفسه ، إذ كان يرى أن مثله لا يعمل بالأحلاق الدنية ، لأنه قد  
ارتفع بالعلم عن ذلك ، فلا يتهم نفسه ، فإذا لم ينتهها لم يتمقّد من نفسه الأحلاق المدمومة عند  
الله عز وجل ، ولم يحذرهما ، لأنه إنما يتعقدها جاهل ، فأما مثله فقد ارتفع بانعم عن ذلك ،  
محصن منكره الله عز وجل من الرياء والعجب وغيره ، ويعتد ويهمل ويستر ، ويشكر على  
العبد ، ويسئ بهم الظن ، ويشمت بالمصائب والسوء وهو يرى أنه يرى من جميع ذلك ، إذ  
لم يصع نفسه موصيع التهمة ، فيتعقدها عند دعائه إلى ما كره الله عز وجل ، فهو تمقّد نفسه غير  
ذلك كله حين تعرض بالدعاء إلى ما كره الله ، عز وجل ، فهو بعدّ نفسه من نوع العبد  
بالله ، عز وجل ، وهو عبد الله ، عز وجل ، من الفاحرين وخجائ به ، الذين لا يخافونه  
ولا يحذرون عقابه

وقد يعلم بعض هذه العرقة بكثير من دونه ، فلا يفرعه ذلك ولا يرهق من الله عز  
وجل ، من أجه ، يرى أنه قد قام مقام من النعم لا يعدب مثله ، فهذه العرقة الفاحرة من حفظ  
العلم وأكثر روايته



قلت فيما يسمى ذلك ؟

قال يسمى معرفة أن تعلم حجة عليه ، وأن الله ، عز وجل ، خلقه ما أعظم به عليه حجة .  
 وشدد عليه به في لقبه المسألة ، فإن صيغ العمل فلم يقيم بواجب خلق الله ، عز وجل ، وترك  
 ماضي عنه في ظاهره وباطنه ، كان عند الله ، عز وجل ، أعظم وأشدّ عدائاً من الجاهل ، و  
 جعل الله ، عز وجل ، العلم وعينه عباده ، ويعرف به ما أوجب عليهم وأحب فيهم الله ، عز وجل ،  
 وذلك ، ويعرف ما حرم الله ، عز وجل ، فيجاسوه ، ويعرف بهم فيحافوه ، وجعل ثوابه  
 في حبه ، وعظيم عداوته في حذره ، فإن لم يعلم الخسر على فعله والخوف من الله ، عز وجل ، فهو  
 جاهل في العلم ، لأن الله ، عز وجل ، وصف العلماء بذلك فقال ، عز وجل ،  
 (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) (١)

قيل في التفسير أعظمهم بالله ، عز وجل ، أشدهم له خشية  
 وقال خالد الربيعي ، صاحبه الزبور ، ورأس الحكمة ، خشية الله عز وجل  
 قال عبد الله ليس للعلم بكثرة الرواية ، ولكن إنما العالم من خشية الله ، عز وجل  
 وقد عبد الله بن مسعود كفى بخشية الله ، عز وجل ، عبد ، وكفى بالآخرة بالله جهلاً ، أي  
 أن العالم هو الخائف من الله ، عز وجل ، وأن المعتز هو الجاهل ، حفظ لعم ورواه أولم يحفظه  
 كما قال في كتابه حين ذكر يعلم من ما عور

(فَمَنْ لَّهُ كَمَثَلِ الْكَذَّابِ : إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ)

قيل في التفسير يقول الله عز وجل سواء على هذا العبد تنه الحكمة أو لم أوتيه  
 وقال دود ، عليه السلام ، أي ما علم من لم يحش ، وما حكمة من صبح أمرك ١٥ ،  
 من صيغ أمر الله ، عز وجل ، بعد علم فهو جاهل بالله ، عز وجل ، إذ كان أعظم حراًة من  
 الجاهل عن الله ، عز وجل ، فهو كان هذا عاناً بالله ، عز وجل ، لما احتز بأعظم من حراًة  
 الجاهل ، فلا علم للمع ، بل هو أشد جهلاً بالله ، عز وجل ، من الجاهل الذي لا يعرف العلم  
 ويعنه لو عرف كما عرف هذا نصر الذي كثر الرواية للعلم ، ما صيغ أمر الله ، عز وجل ، فهو شر  
 من الجاهل

كي روى عن أبي الدرداء ، ويل للذي لا يعلم مرة - ولو شاء الله تعلمه ، وويل للذي صيغ

مرات ، أى الحجة عليه أصعاف ، وكذلك العذاب  
 فإذا تذكر هذا وأمثاله حذر الله ، عز وجل ، وردد مع العلم وحلا وحرا ، كما قال  
 أبو البرداء من يردد علما يزدد وجعا  
 وقال الله عز وجل  
 ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعِلْمِ مِنْ قَلْبِهِ يَدَّ يَتْلَى عَلَيْهِمْ يَجْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُحْبًا ) إلى قوله ( وَيَجْرُونَ  
 لِلْأَذْقَانِ يَتَكُونُ <sup>(١)</sup> )

وقال ، عز وجل ( إِذَا تُلِّيَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ حَرُّوْا سُجَّدًا وَثُكِيًّا <sup>(٢)</sup> )  
 فوصف العلماء من قبلنا ومن هذه الأمة بالوجل والإشفاق ، والدليل على ذلك البكاء مع  
 سجودهم إذا تلى عليهم آياته ، وهى أعظم العلم وأشره ويسى أعززه الذى عمّاه عن دمه حتى  
 يحيل إليه أنه لا يعتد مثله الأخلاق المدسومة عند الله ، عز وجل ، ما حفظ من العلم  
 يسبى عزته بذلك أن نعلم أن حفظه للعلم من يجربه دون معرفة معانيه ، فما دل عليه من  
 المحبوب لله ، عز وجل ، والمكروه ، حتى يعرف معاني العلم من المحبوب لله ، عز وجل ،  
 والمكروه ، وأنه إن عرف معانيه لم تحزه معرفته بذلك دون القيام بما أوجب الله ، عز وجل ، بعد  
 معرفته به والانتباه عما حرم الله ، عز وجل ، عليه ، فإن علم أن ذلك لا يجزئ ، فألزم طلب  
 معرفة معاني العلم ، وحمل نفسه بعد المعرفة على القيام بما أحب الله ، عز وجل ، وترك ما كره  
 الله ، تعالى ، عرف أنه معطل من معرفة معانيه دون القيام به ، فلم يعثر ، وعلم أن ما علم ، عبه  
 وبه ، إذ شارك الجاهل فى جهته بعد معرفة العلم ، وعظم عيبه الخجة ، إذ جهل معانيه بعد  
 علمه بحفظ تلاوته وروايته ، فهو أشد بلاء من الجاهل الذى لم يعرف تلاوة العلم ولا حفظ  
 روايته ، وقد شارك أيضا الجاهل فى تصحيحه لعمل به بعد حفظه العلم  
 فإذا ألزم قلبه انتعت عنه العزة عما حفظ من العلم ، واهتم بطلب معانيه ، ولتفكر فيه ،  
 والقيام به ، فم يعثر عما حفظ ، وعند نفسه جاهلا بالعلم بعد حفظه به ، وأسوأ حالا ممن لم يحفظه  
 ولم يدرسه ولم يروا

## باب الغرة بالفقه

والغرة الثانية يعتر أحدهم بالفقه في العلم بالخلال والحرام ، وبالبصر بالعتيا والقضاء ، فهو يعتر كرهه خافض بالعلم وأعظم كرهه ، حتى لا يرى أن أحدا أعلم بالله عز وجل منه ، لأنه قد علم الخلال والحرام والعتيا والقضاء ، فهو الفائم للأمة بدينها ، ومقرعها إليه ، وبولا مثله صاع الدين . وما عُرِف حلال من حرام ، واستصر أهل الروية والخط ، إذ لم يفقهوا الخلال والحرام . ويعلموا الحكم والقضاء ، فهو عند نفسه لفائم ما دين دون غيره ، وأن الله عز وجل لا يعذب مثله ، وأنه لا يعتد ما كره الله عز وجل ، لأن مثله لا يركن إلى ما كره الله عز وجل ، ولا يطمع الشيطان في مثله ، إنما يطمع فيما حلال الله وحرامه ، فعبر بذلك ، بقل حذره من الله عز وجل ورهسته به ، وتعمى عليه أكثر دونه مما لم يفقه عن الله عز وجل في تركها والقضاء في حبه فيما أحل وحرم

قلت . فيم يننى ذلك ؟

قال . علمته أن لفقه عن الله عز وجل فيما عظم من نفسه ، وأخبر به من حاله وهيبه . وماد قدرته ، وما وعد من بوانه وتواعده من عقابه ، عظم الفقه واشهره ، وأنه من يسمع الفقه في حرام والخلال إلا بالفقه في ذلك ، لأن من علم عن الله عز وجل فيما حرم من عظمته وحلاله ، وهيبه ، وماد قدرته ، وملكه للأشياء في العصر والسمع دون غيره وما وعد من ثوانه وتواعده من عقابه ، هب لله عز وجل ، واجله واستحياء ، وعنده كنه يعاينه ، ليفقه عنه من عظمته وحلاله وعظم ربه . ولما فقه عن الله عز وجل في وعده ووعيده ، حتى كأنه يشاهد هبة وانذار بقلبه ، أشد خوفه من الله عز وجل ورهسته به ، ليا عاين بقلبه من آيم عدده . وأشد شوقه إلى حوارته والقرب منه . لما مستقر في نفسه من عظم بوانه وكرم النعم في حوارته . بحيث يهاب الله عز وجل ويخافه فيرك كل ما فقه فيه من حرامه ويرجو الله عز وجل ويشناق إلى حوارته ، فمحتمل كل مكروه في الصيام بحقه الذي كان به ما وعد من جربل ثوانه . فهو تاردا لما كره الله عز وجل ، عامل بما أحب الله عز وجل ، لما وقرى قلبه من لفقه عن الله عز وجل . لأنه مرجع له عن كل ما كره مولاه . باعث له على الصيام بحقه ، عاد فقه في ذلك عرف به معطل من

المقه ، وأنه إما فقه فيما وجب عليه به المحتجة ، وأنه ليس من الفقهاء عن الله عز وجل نقوله سبحانه . ( إنما يحشى الله من عباده العلماء )

وأن الفقيه الخائف لله عز وجل كما قال تعالى ( قد فصلنا الآيات لقوم يفتقرون )<sup>(١)</sup> وقال النبي ﷺ « من يُرد الله به خيرٌ يعصه في الدين » من أَرَدَ الله عز وجل به خيرًا وفقهه للمقه عنه والفقه فيما أحل وحرم فحماه ورجاه ، فحجاب ما علم من الحرام ، وقام بما علم من واجب لحق الله عز وجل عليه ، ومن صيغ حق الله تعالى وركب ما نهى عنه بعد معرفة به ، فلم يوفق للخير ، ولكن ابتلى بما عظمت عليه فيه المحنة ، واشتد عليه به لبلاء ، وصار به من فجَّار العلماء بالحقم والنفيا مع التعرض لعصب الله عز وجل

وقد طلب ما يقفه الدنيا لا الآخرة ، فإذا عرف ذلك لم يعد نفسه فقيها بعير حشيه لله عز وجل كما روى عن الشعبي أنه قيل به : افتنا أيها العام . يندك هذا أنهم يسمون أنه عالم بالفتى ، فأحاسهم إن العام من فقه عن الله عز وجل ما توعد به فحاه . وقال : إنما العام من حشى الله

وقيل للحسن البصري : إن فقهاء لا يقولون ذلك في شيء استفتي فيه ، فقال لسائله ، وهل رأيت فقيها قط ؟ انعمه انقضى عليه ولصاتم بهاره الراهد في الدنيا ، بحيرك أن الفقيه من فقه عن الله عز وجل فأرعبه ذلك في كل ما أحب به عز وجل حتى رهد في الدنيا فحاسبها بما فقه عن الله عز وجل في عبادتها ، وشده الحساب عليها ، ونقصان من ركن إليها من أوليائه من الثواب ، وعداد من ركن إلى حرامها من أعدائه ، وفقه عنه ما أحبر به من دوم نعمه وجري ثوابه ، فأسهر ليله وصدم ساره ورفض الدنيا ليناله

وروى عنه أيضا أن رجلا سأل عن شيء فلقاه منه بفتيا ، فقال له الرجل : إن فقهاء لا يقولون ذلك ، فقال الحسن . وهل رأيت فقيها قط ؟ انفعيه مدارى ولا يمارى ، بشر حكمة الله عز وجل ، فإن قبلت حمد الله تعالى وإن رُدَّتْ حمد الله تعالى ، بحير أن الفقيه من فقه عن الله عز وجل فحلَّ معظمه نفسه ، وأيقن أنه لا ناصر ولا صائر غيره . فهان عليه شأن الخلق ، فلم يخضهم ، فبداهم ، فيكتم ما عنده الله من حكمته ، ولكن أظهرها ، فإن قبلت حمد الله عز وجل ، إذا أخذ عنه ما يؤجر فيه ووفق عباده لقبول الحق ولم يفرح نعيام امرئ عندهم ، وإن رُدَّتْ حمد الله

عَرَّ وَحَلَّ ، بِدَ وَفَقَهُ ، بَشَّرَ ، بَشَّرَ ، فَاخَرَهُ ، وَابَ رَدَّهُ ، الْخَلْقَ ، مَ يَعْمَ لِسُقُوطِ سِرَّتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَلَا دَقِّهِمْ وَلَا حَافِهِمْ دُونَ رَبِّهِ عَرَّ وَحَلَّ ، قَانَمَ مِمَّا عَلَيْهِ حَامِدٌ لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، مَوَكَّلٌ عَلَيْهِ دُونَ حَلْفِهِ هَذَا عَرَفَ الْعَبْدَ ذَلِكَ وَأَلْزَمَهُ قَلْبُهُ ، أَهَمَّ بِالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ عَرَّ وَحَلَّ فِيمَا فَفَقَهُ وَعَمِمَ ، هَذَا أَهَمَّ بِالْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ عَرَّ وَحَلَّ فِيمَا فَفَقَهُ وَعَمِمَ ، أَهَمَّ بِالْعَمَلِ هَذَا عَرَّ وَحَلَّ فِيمَا فَفَقَهُ وَعَمِمَ ، هَذَا هَمَّ بِطَلَبِ الْخَوْفِ وَالْعَمَلِ لِلَّهِ عَرَّ وَحَلَّ ، أَهَمَّ بِإِنْفِقِهِ عَنْهُ بِطَلَبِ الْخَوْفِ مِنْهُ ، فَحَيْثُ يَعْلُ نَعْسَةً مِنَ الْخَطَالِ مَصْغَبٍ - حَتَّى يَرَى نَفْسَهُ حَائِثَةً رَاجِعَةً بِأَمْرِ اللَّهِ عَرَّ وَحَلَّ ، فِي نَفْسِهِ وَفِي حَقِّهِ ، لِأَنَّ الْفَقِيهَاءَ الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ أَعْظَمُ مِنْهُ عَلَى خَطَالٍ ، لِأَنَّ اللَّهَ عَرَّ وَحَلَّ ، وَجِبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِهِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي خَلْقٍ ، لِأَنَّهُ أَحَدٌ عَلَيْهِمُ الْمِثَاقُ هَذَا عَلَيْهِمْ أَنْ يُبَيِّنُوا لِنَاسٍ وَلَا يَكْتُمُوهُ ، هَذَا عَلِمَ ذَلِكَ رَأَى عَنْهُ الْإِعْتِرَافَ بِاللَّهِ عَرَّ وَحَلَّ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ الْخُشْيُ وَالْخَوْفُ فِيمَا عَلِمَ لِيَقُومَ لِلَّهِ عَرَّ وَحَلَّ بِهِ ، وَبِمَقْصِدِ حَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ ، وَعِلَاقَتِهِ وَسِرِّهِ ، وَأَهَمَّ بِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ فَلَمْ يُعْمَ عَلَيْهِ دُونَهُ دُونَ مَعْرِفَتِهِ ، وَمَ يَقْضِ مَعْرِفَتَهُ دُونَ تَرْكِهَا مِنْ حَشْيَةِ اللَّهِ عَرَّ وَحَلَّ ، فَهُوَ مَهْمٌ بِالْعَمَلِ فِيمَا عَلِمَ وَفَقَهُ ، حَائِثٌ مِنْ أَسْأَلِهِ مِنَ اللَّهِ عَرَّ وَحَلَّ عَرَّ ذَلِكَ ، فَلَا يَكُونُ عِنْدَهُ حَقَّةٌ ، كَمَا يَرَوِي عَنْ أَبِي لَدْرَاءَ أَنَّهُ قَالَ مَا أَحَافَ أَنْ يَقَالَ لِي يَا عُمَرُ مَاذَا عَلِمْتَ ، وَلَكِنْ أَحَافَ أَنْ يَقَالَ لِي يَا عُثَيْمِرُ مَاذَا عَمِمْتَ فِيمَا عَمِمْتَ ، وَسَ يُوْنِ اللَّهُ عَرَّ وَحَلَّ أَمْرًا عَمَّا فِيهِ لَدَيْهِ وَلَا سَأَلَهُ عَمَّا عَمِلَ فِيهِ يَوْمَ نَقِيَمِهِ وَرَوَى أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ إِنْ قَسْتُ عَلِمْتُ قَبْلَ لِي فَمَا عَمِلْتُ فِيمَا عَمِمْتُ ، هَذَا نَا لِحَاجَةِ لِي هَذَا ذَلِكَ سَوَى النُّعْبَةِ الْفَرَّةِ بِرَبِّهِ تَعَالَى

## باب الغرة بعلم العمال لله تعالى من علم الصدق والإخلاص وبني الرياء والأخلاق المذمومة ووصف الخوف والرجاء والحب

ومهم مرقعة علمت لعل وعملت بمعاني في حقوق الله عز وجل التي نحق لله عز وجل من  
عباده من حقه وحبه وخوفه ورجائه وحسن التوكل عليه والرضا بقدره ومعاني ما دُم الله وحسب  
عنه من الأخلاق الدنية والمذمومة منه ، كالرياء والعجب والكبر والحسد وسوء الظن وأشياء  
ذلك من عيوب القلوب ، ومن الكذب والغيبة فحسب عبارهم بذلك ، ويصفون تعظيم الله  
عز وجل وحبه والحب منه وخوفه ورجائه والتوكل عليه والرضا عنه والإخلاص به ، فيدعون  
لأخلاق المذمومة منه من عيوب القلوب والخواارج ، فلا يشك أحد منهم عند نفسه أنه لا يصف  
حقيقاً بما يقرب إلى الله عز وجل إلا وهو قائم به ، ولا حلقاً لله الله إلا وهو محاب له ، لأنه يعلم  
أنه ، بعد بساطته إلا عما في قلبه منظر أنه لم يعظم الله بساطته إلا وهو معظم له بقلبه ، إذ كان إنما  
يؤدى لسانه عن قلبه

وكذلك يحب من الله عز وجل وجميع الأخلاق لكرمة فلولا أن هذه الأخلاق ساكنة قلبه  
لأدبه له معتقداً ما بالعمل بها ما علمها ، ولا أحسن أن يصورها ، وكان وصفه بساطته إنما هو  
رحمة عن قلبه ، ولولا أن ما يصف من حقوق الله عز وجل والقرب إليه ساكنة قلبه وأنه قائم بها  
لما ألزم معرفتها قلبه ولا عبرتها بلسانه

وكذلك ما يصف من تصحيح حقوق الله عز وجل ، وما سبى عنه ، مما دته وأخط العمل  
من خطه مما لا يعرف إلا بشدة اعتقده له ، ولولا أنه تأد محاب له لما ألزمت معرفته ذلك عنه ،  
ولادته بلسانه ، أما المعتر ، فهو يرى أنه من مخالفتين لله عز وجل وهو من الآمنين ، ومن الراجين له  
وهو من المعترين للصعنين ، ومن الراضين عنه وهو من السخطين عليه ، ومن المتوكلين عليه وهو  
من المتوكلين على غيره نفسه بالله ثقتة ، ومن المخلصين له وهو من المرائين ، حتى أنه لقد يصف  
الإخلاص بترك الإخلاص ليقاب المخلص ويصف الرياء بعمال قد فطن إلى عدها لرياء قلبه ،

معرفة حس وصحة ، وبيان عبارته بلسان ومعرفة قلبه بحمله ذلك كله ، وإثبات ذلك كله بمعرفة غيره  
اعتقاد نية ، ولا عمل بصير ولا حارحة ، إلا الشيء اليسير الذي لا يعزى أن يناله عامة  
المسلمين

قلت : وكيف عرف بقلبه ووصف بلسانه ما هو مسلخ من العمل به ؟  
قال : تلك معرفة للسان من الكتاب والعلم ، وحفظ كلام المتكلمين بحر عمل منهم كما  
يقول : فهو يصف الإخلاص بمعرفة عملها ويصف الخوف بمعرفة ما الخوف ، لأنه تكف  
الخوف حتى خاف الله وحلوه ، ثم وصف الخوف بعد القيام به ، وكذلك جميع أخلاق الدين ،  
وكذلك يصف الرياء بحملة المعرفة له ما هو في العلم ، وما دل عليه العلماء ، من غير بعد له من  
قلبه حلوا من الله عز وجل أن يطع على قلبه وهو معتد لربه ، فيمته ويحط في القيادة عنه ،  
فيكون قد تفقد حذر من الله عز وجل وبهاء واتقاء وحاسه ، ثم وضعه بعد حذره من الله عز وجل  
من أحله ، وفيه إياه عن قلبه ولكن يصف ما عرفه من العلم من محبة الله عز وجل وما يكره ،  
من غير تفقد منه لنفسه ولا قيام لله كما يجب في جميع ذلك

قلت : هذه العرة مستحكمة ، كيف له أن يبقى اعترافه بذلك من بعد علم أنه معترف وما الدليل  
عنده أنه معترف بجميع ذلك غير فاهم به ؟

قال : إن الوصف نعم عبر العمل به فليس نفسه عند العمل بذلك فإنه يبين له أنه معترف ، لأنه  
كما خاف من الله عز وجل وسكن الخوف قلبه مما يرى أن يعذبه بذنبه كما قال عيسى رضي الله عنه  
لا يخاف أحدكم إلا ذنبه ، وإن كان الله عز وجل يستأهل أن يخافه العبد وإن لم يذنب دنيا ، كما  
خافه الملائكة وإن لم يذنب دنيا ، لأن أول منازل الخائفين الخوف من الدوب ، فإذا بلى نفسه  
واختبرها عند أول منازل الخائفين فافتقد الخوف منها ، فلم يجد علم أنه عثر كما يصف بلسانه وأنه  
بس من أهله فاد عرص له مرض في باطنه أو ظاهره سرًا أو علانية نظر هل سارع نفسه إلى القيام  
به حلوا من الله عز وجل من نصيبه ؟ وإذا عرص له ذنب مما يسخط منه ربه عز وجل نظر ، هل  
سارع نفسه إلى تركه خوفاً من الله عز وجل أن يحل به عصفه إذا تفقد نفسه عند القيام ، فعرض  
وترك الدوب ، فوجد مصعقة لعرض الله عز وجل غير حائفة ، ور كنة إلى الدوب غير فارعة  
به ، علم أنه لو كان الخوف ساكناً قلبه قائماً به حذراً من ربه عز وجل ، لاشتد هيجانه عند  
نصييع المروض وركوب الدوب إذ ادعت نفسه أنها تخاف الله ، وأن ما يصف من الخوف هو  
ساكن فيها وإذا لاج الخوف أعظم مما كان يجده عند وصفه له ، من غير أن يعرض مرض

ولاديب ، إذ كان في ذلك عصب الله عز وجل ويحب الدر عليه ، مما عتقد ذلك ، ولم ير من قلبه مرعاً من الله عز وجل ، ورأى نفسه متبادية متوفة ، علم أن الأمن هو الساكن في قلبه ، وكان هو المستور عليه عند حاجته إلى الخوف ، والخوف قد ربه عند حاجته إليه ، وأول حال أن يكون الخوف من الخائفين الحار التي توعد الله ، عز وجل ، فيما سحطه وعقابه ، مما فقد الخوف عند تصحيح لفرص ودروب الدب ، علم أن الخوف راقل عن قلبه ، وأن الأمن حب فيه وكذلك جميع ما يصف بلسانه

وإن هو قام ببعض وصيغ بعضاً ، علم أنه لم يلزم قلبه من الخوف إلا بقدر ما حفظ من حق الله عز وجل ، وأن الخوف فيه ضعيف ، بخلاف ما كان يرى وكذلك يصف الرهد في الدنيا ، حتى إذا أوتى منها شيئاً تشاغل به عن نفسه وأثر به هواه ولذنه ، وأخرجه رياء لنعاد ، فعلم أن الرهد لو كان ساكناً قلبه لرخص الدنيا وبيدها عند الظفر بها ، وما أثر على الله عز وجل وعلى الآخرة ، ما هو راهد فيه ومغص له وكذلك يصف الحب لله عز وجل ، وهو عامة ليله وهزاره ، ناس له عند عرص حشنة ، وإن زاد نفسه على الخلوة والأس بره عز وجل استوحش ذلك وثقل عليه فإن خلا غير ، لم يجد للخلوة مناحاه ربه عز وجل ، بوراً في قلبه ولا حلاوه لذكره وإن عرص الأس بالخلوة استرح إلى ذلك ، وملاً قلبه حلاوته

فهل رأيت حبيباً يسي حبيب ويؤثر عنه نفسه عليه ، أو يستوحش من الأس به ويستأس بعيره ، وإن كان حائلاً بينه وبينه ؟ هذا كذب من أحب غير صادق صاحبه ، إلا حب التوحيد الذي لو زال عنه كان كافراً

ويصف التوكل عليه إن واثقه الدنيا وأعطاه الله ما يحب ، فإن تحول هو بصيق العيش . أو عرص له خوف مخلوق أو طمع لما في يديه ، اضطرب قلبه ، صاحف غير الله . وطمع لما في أيدي العباد ، واهتم لإبطاء رقه وتسحط ما قل منه ، هل يتعلق هذا شيء من توكل الواقفين بالله عز وجل ؟ وإنما يحتاج إلى التوكل عند هذه الحار

وكذلك يصف الإخلاص ، فإذا عرص العمل حاج الرياء واعتقد الإخلاص . وإنما يحتاج إلى الإخلاص عند العمل ، ونفى الرياء عند العمل من العمل لئلا يحبط الله عز وجل ، العمل عند الفقر في القيامة إليه ، مما اعتقد الإخلاص عند الحاجة إليه وهدح الرياء عند ذلك ، وعب عليه علم أن الإخلاص لم يكن ساكناً قلبه ، ولو كان ما اعتقد عند الحاجة إليه ، إلا عند معصية ثم



يعزج إلى الرجوع ، كالحائل من الطريق الذي يؤتم المسير عليه  
وكذلك يعرض له عند العمل المعجب والكبر وجميع ما كان يذم بلسانه ، فإذا افتقد عامة ما كان  
يصف من الأخلاق الحمودة المقررة إلى الله عز وجل ، عند موصع الحاجة إليها ، وغلبت عليه  
الأخلاق المدمومة عند الحاجة منه إلى محاسنها ، علم أنه كان معتزاً بما كان يصف بلسانه  
فلب كيف يصف بلسانه ما ليس في قلبه منه شيء ، إلا معرفته فيهر يذم ؟  
فإن من أصول ذلك في قلبه ، في عقد إيمانه ، لأنه يحب الله عز وجل ، حب التوحيد  
الذي لو فارقته كان كافراً بالله تعالى  
وكذلك لا يأمن الله عز وجل ، لإيمانه أن له عقاباً وعدائاً ولو لم يعلم أن له ذلك كان كافراً  
معانداً

وكذلك يخلص لله التوحيد والعرض ، لا بعد إله غيره . عمده على ذلك  
وكذلك يؤمن أنه مالك لنصر والفتح مدير الأشياء ، ولو لم يعلم ذلك كان كافراً  
لما دامت هذه الأصول التي هي عقود التوحيد قلبه ، ووصف معاني منازل الخائمين  
والرحيم ، والهيكل والمتوكلين والمخلصين ، مع معرفته بذلك ، مما وحده في العلم وما وصف عن  
القائمين لله عز وجل ، بجميع ذلك ، ظن أنه لم يصف شيئاً من ذلك ولم يعرفه إلا أنه من أهله ،  
وإذا رجع إلى قلبه لم يجد بهر من أن يدين في عقود إيمانه بجميع ذلك ، فاحتضنت هذه الحسة  
من الإيمان في قلبه مع معرفته أسرار العناية التي كانت من هذه الأصول ، ووجد عدده منها الشيء  
اليسير ، فلما وصفها بلسانه لم يشك أنه من أهلها ، والقائمين لله بها ، دون عوام المسلمين إذ لم  
يعرفوها ولم يصفوها إلا الشيء اليسير منها لدى يباله كثير من عوام المسلمين  
لما تفقد نفسه عند الحاجة إليها فرأها له معارفة لم يبق فيه منها إلا عقود تدين الإيمان ، علم أنه  
من شر عوام المسلمين ، وأنه رذل عما كان يصف ؛ من معاني الدرجات وعظام الأخلاق ،  
ورأى إلى ما كان يصف من الدم ، ويحبل إليه أنه تارك له ناح منه ، يعرف عرته بذلك عند  
تفقد ذلك من نفسه

فإن كان مع ذلك ممن يدعو العباد إلى ما كان يصف بلسانه ويعرفه ، من غير قيام لله عز  
وجل ، به كما وصفت ذلك ، علم حين تفقد ذلك من نفسه أنه أشد بلاء وعرة ممن كان لا يدعو  
العباد إلى ذلك ، وأنه كان معتزاً بما يصف ويعرف ، فيعلم أنه شر منه ، لأنه أظهر لدعاء إلى الله

عر وجل وهو فاز منه ، وأنه كان يخوف بالله وهو له آمن ، وبدكر بالله وبسائه ، ويقرب إلى الله  
 عر وجل ويتأعد منه ، ويخص على لتوكل على الله وهو عر وائق به ، وعلى لرصده عنه وهو  
 ساحط عليه ، وعلى الإخلاص له وهو معامل لميره  
 فحينئذ تعظم حسرته ، وتشتد ندامته ، ويحق له  
 أن تسمع ما يروى أسامة بن زيد عن النبي ﷺ أنه قال : « يؤتى بالعالم يوم القيامة ، فيرى به  
 في النار ، فسلق أفتانه ، فيدور به كما يدور الخمار بالرحى ، مطيف به أهل النار ، فيقولون له  
 مائل : « يقول كنت أمر بالخير ولا آتبه وأبهي عن الشر وآتبه ولا أبهي عنه »  
 وقال النبي ﷺ في حديث أس رضي الله عنه : « مررت ليلة أُسرى بي بقوم تفرص شياهم  
 بالمقاربص ، فقلت خيرائين من هؤلاء » قال هؤلاء خطباء أممك يأمرون الناس بالنار  
 وينسبون أنفسهم وهم يثلون الكتاب ، أفلا يعصون  
 وروى عن الحسن أنه قال مكتوب في التوراة : من آدم أنه كثر لي وتسلاني ، وتدعو إني  
 وتفر مني ٥١٤

وفي حديث غير الحسن : « لئن عدت إلى هذا الثانية لأجعلك بكالا بين العالدين »  
 فاعتبر بحملة معرفته بما يصف بلسانه وإن لم يدع العباد إليه ، عظيم الأيلاء ، إذ حبل إليه بل  
 كان عند نفسه موقفاً أنه قائم بمائة ما يعرف ويصف ، فما تقفد نفسه عند مواقع الأعمال التي يناد  
 بها رضاء الله ، واعتقد ذلك من نفسه ، عزم أنه بالله - عر وجل ، عظيم العزة ، حقيق بشدة  
 الحسرة والندامة

وهذا الذي جمع مع عرته عن الله عر وجل بذلك دعاء العباد إلى ذلك ، حتى قام مقام  
 الدعاء إلى الله ، العالين بحقه عند نفسه وعند العباد هو أعظم حسرة وندامة وتأساً على ما قطع  
 من عمره بالعزة والنفلة عن الله عر وجل  
 وإنما أطلت الوصف في هذه الفرقة لأنها عظيمة عرتها ، قد عيب ذلك على كثير ممن يتعبد  
 ويرى أنه من السالك العالدين لله عر وجل

## باب الغرة بحفظ كلام المذكرين والقصص وأحاديث الزهد وغيره

ورقة بمن يرى أنها من أهل العلم يحفظ أحدهم كلام المذكرين وأحاديث الزهد والدم  
للدينا ، لا يعرف معنى مايقول ولا ما يذكر به من الحديث ، أكثر من أنه قد حُبَّ إليه ذلك  
وحفَّ عليه

فهم من يذكر به ليس

ومهم من يذكره حسنه وإخوانه عبر عارف بما يقرب ، وهو مع ذلك معتزٌ بذلك ، يرى أنه  
من لعاملين لله عز وجل ، ولعلماء به ، والعارفين بدم الدينا ، يرى أن مثله لا يعتدُّ وهو مع  
ذلك تعمى عليه أكثر ديوه . لا عتره بما يقرب ويروى ، ويرى أنه إذا حفظ من الذكر  
ما حفظ ، ومن الأحاديث في الزهد ما حفظ قد جاور مرئيه أهل الدينا والرعة فيها ، وأنه غير مُراءٍ  
ولا متكثر ولا معجب ، ولا يأتي كثيراً من الديوب وإنما بفضل ذلك العوام الذين لا يعرفون ما يعرف  
هو ، فهو معتز بما يقول ويروى ويكتب

قلت : هيم سى الغرة بذلك ؟

قال يرجع إلى نفسه ، فيطر أين خوفه مما يذكر من الخوف والرهبة ؟ وكيف حفظه خوارجه  
ما كره الله عز وجل ؟ وهل قلبه طاهر من كل ما يسخط الله ، عز وجل ، عند دواعيه وبوارعه ؟  
أهو كما يصف به القلوب من الظهارة وبى الأدناس عنها ؟ وهل هو كما يروى من الحديث في  
حشيتها ورقتها ؟ وهل يراء مؤثراً للدينا على محبة ربّه ، عز وجل ، فيما أوجب فعله وأوجب تركه  
وندد إلى القرية به ؟ فإنه حينئذ يرى نفسه تعلقه إلى استعمال حوارجه فيما كره الله عز وجل من  
الكلام بنسائه ، والطر بعيه ، وسائر حوارجه من المشي وغيره مما عليه ولا هو به ، وكذلك  
قنه ، يحده بنارعه إذا تقهده عند دواعيه إلى الرياء والكبر والعجب والحسد وغيره ، وكذلك يجد  
نفسه مؤثرة للدينا على محبة ربّه ، عز وجل ، في أكثر أحواله

فإذا علم بذلك من نفسه ، علم أنه كان يصف الخوف لله عز وجل ، وهو غير حائف منه ،  
ويصف طهارة القلوب ورقتها وقلبه دس قاسٍ ، ويصف الزهد في الدينا ويروى الآثار فيه ، وهو

في نسبها ، غيب ، ولها على الآخرة مؤثر معلوم بذلك أنه كان معترفاً بما يصف ويروي ويكتب ،  
 من حسن القول وآداب الصالحين والزهد في الدنيا والندم لها ، فيقول عنه بذلك غيره ، ولا يقع  
 بذلك من نفسه دون أن يراها كي يصف ، أو العاتب عليها مطالبه ذلك ، ليطهر بذلك إذا علم أنه  
 كان مسلحاً من أكثر ما كان يصف ويقول ويروي ويكتب

## باب الفرقة بالحدل وحسن البصر بالاحتجاج والرد على أهل الأديان

وفرقة جدلة حصمة معتزة بالحداد والرد على المخطين من أهل الأهواء وأهل الأديان .  
يتأول في ذلك أنه لا يصح بعد عمل حتى يصح إيمانه والقول بسنة نبي الله ﷺ . فليس عند  
أحدهم أحد يعرف ربه ، ولا يقول عليه الحق غيره ، أو من كان مثله  
ثم هم فرقان فرقة صالة مصلة لا تقطع صلاتها ، لا تساعها في الاحتجاج ، ومعروف بدقائق  
مذاهب الكلام وحسن معارفه بالرد على من حالها ، فهم عند أنفسهم من لقائهم على الله . عز  
وحل بالحق ، وبرايد لكل صلاة ، لا أحد عليم منهم بالله . ولا يرى به منهم ، وكل لا فهم صالة  
سواهم ، وإن الله عز وجل ، لا يعدب مثلهم ، بل لا يسجدوا أحد في رباهم غيرهم وغيرهم  
من يعزيب يدعي ذلك ويتحمله ويشهد عليهم بالإكهار . فهم فرق كثيره يكفر بعضها بعضا .  
وكل فرقة منها معتزة ، لا ترى أن أحدا يقول عنه بالحق غيرها  
والفرقة الثانية من بعده بالحدل والبصر بالاحتجاج ، تقول بالحق ولا يدين غيره . وقد عدت  
بالحدس ، يرى أنه لا يصح ما هو دون المحقق والبصر وقناه الحق على من حالها ، وقد عثر  
بدلت . حتى قطع عمارها بالاشتغال عن الله عز وجل ، وعصى عنها أكثر ديوها وحفظها وهي  
تضرب دنت أنوارها وأقربها في ربه ، وهي أيضا لا تسم في محادتها من أن حطى في ناولها  
وغيرها . إلا أن عتقدها لست مع عزها  
قلت هم يسيرون بفرقة بدلت ؟

قال أما الفرقة الصالة فإنها تبنى ذلك بأن ترجع إلى نفسها . فعلم أن من لم يبحر بحكم  
ومتشابهها ، وكذبت من الله . فلا يقصى تحتشانه على محكم ، وليقصى بالمحكم على تشابه  
وأن الخطأ في التأويل لا يقصى ، فتتهم نفسها ، وتعي أن الله عز وجل سائلها عما تدس به ، وأن  
الجماعة قد نصت على الهدى وسنة نبيها ﷺ ، ولا يخرج من إجماعها ، وإن حسن ذلك في عصورها  
فإن نشت كما وصفت لك أبصرت صلاتها ، ولم يعتد تشبه حاجتها ، بد علمت أن غيرها ممن  
حالها شديد الاحتجاج بصير الحدس ، وهو عنده حد ملصق ، فكذبت لأنهم أن يكون عند الله عز

وحل ، كذلك ، وإن أنصرت الجدل والخصومات ، فإن همت معها على الآراء والتأويل ،  
وثبتت عند التشابه قصصت بالحكم عليه ، وأوقعت فيما لم يعمل الله لها لطرفيه ولم يخرج من  
إجماع من مضى ، زالت عنها غرورها ، وثابت إلى ربا من ضلالتها

وأما المارقة المصيبة لمحي ، مع غرورها عن الله عز وجل ، بالخصومات والجدل عما هو أولى بها  
فإنما سبى غرورها بذلك بأن يعلم أن الله عز وجل ، بعينه من مضى عما تعبدوا به وقد أدرك كثير منهم  
من أهل بدع والأهواء ، مما جعل عمره ولا دينه غرضاً بخصومات ، ولا اشتغل بذلك عن  
الطريق نفسه ، والعمل ليوم فقره ، إلا أن يرى موضع حاجة يظن أنه إن يكتم بالحق قبل منه ،  
فيكون بالحق ويحذر أن يخطئ على الله عز وجل ، فيرد الباطل بالباطل ، فكانوا على ذلك ،  
ودوا الجدل والخصومات وروؤ ذلك عن نبيهم ﷺ ، روي عنه أبو أمامة أنه قال

« ماضٍ قوم قط إلا أوتوا الجدل »

ودم الله عز وجل ذلك فقال : ( وَهُوَ الَّذِي الْحَضَامُ )<sup>(١)</sup>

وقال تعالى لقريش : ( بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَبِيثُونَ )<sup>(٢)</sup>

هدم المرء والجدل ، فليرجع المؤمن إلى نفسه فيقول : إني تدعي إلى الاتباع والسنة بخلاف ذلك  
لأهل الأهواء ، ودعاؤك لهم بالجدل والمرء ترك للسنة لأن النبي ﷺ سبى سبته عن جدل  
والخصومات ، وعصب على أصحابه ، حتى كأنما فقه في وجهه حب ارباب ، حمرة من  
العصب ، إذ حرج عليهم وهم يختصمون ، وهم كانوا أولى الحق بالفهم وانصرفوا لاحتجاج قلوب .  
« أيها بعثت أم سيد أمرتم : أن تصيروا كتاب الله عز وجل بعضه بعض ؟ انظروا إلى ما أمرتم به  
فافعلوا به ، وما نهيتهم عنه فأنهوا عنه .

ثم هو في نفسه ﷺ قد بعث إلى جميع أهل الأديان ، مما حادهم إلا بما تلا عنهم من  
التبريل ، ولو شاء كنتمهم بالمقاييس ودقيق الكلام ، وبركان ذلك هدى كان هو أولى به وعليه  
أقوى ، فلم يُقم حججه إلا بالتبريل ، وأصررت عن حلهم بالحقائق ، وعلم أن ذلك لله عز وجل  
رضى ورحمة ، فترك الجدل والخصومات من السنة .

ويرجع إليها أيضاً بأخرى من التذكيرة إلى لزجوب وعطبت أهل الأرض من أهل الأهواء  
ماصرى ذلك ، ولو عطبت ونجوا مانعاً ، بإقامتي الحجّة عليهم وتركى أن أقم الحجّة على نفسي

لله عز وجل في يصيحي أمره ، حتى أودى ما أمرى به ربي ، ونسيت عني هاتين عندي ورجع يوم  
 عمري ليوم فصرى وفاقى ، أولى لي ، فقد شعرت عن نفسي وعن العمل في جاني ، ومع ذلك  
 ما يؤمنني أن أقيم لحجته معص الثواب والعقاب ، أرى أنه هدى وهو عد الله عز وجل صلال  
 وكذب عليه ، وقد تبين في ذلك فيما مضى من عمري ، قد كنت أقول القول ثم يتبين لي أنه  
 خطأ ، فأرجع عنه ، فما كان حالي عند ربي لو أقمت على حالي تلك ؟ وكذبت لا آمن مثلها ثم  
 أموت عني هل أن أعرف خطئي ، فإذا أنا قد أنهكت نفسي بطلبي بحاه عيري

ومع ذلك أنه لو كانت المحادلة من أسسه ولم أكن أشتغل بها عن العمل لآخرى وأمت الخطأ  
 في حجاجي ، لما كان كلامهم موضع فيه مردح في آخرى ، قد لم أر أحدا منهم يرجع عن  
 قوله ، ولا تاب من بدعته ، فهو كان ذلك كذبت بكت معيا نفسي ، فكيف وقد بيت عن  
 العدل وهو شعلني عن العمل سبحانه ومع ذلك أنعرض بخطأ على الله عز وجل ، ونكذب  
 عليه أو في دينه وأنا لا أشعر

فإذا رجعت إلى نفسي بذلك ابصر عرته ، واهتم بنفسي وعلم أنه كان في عرور ورجوع من رايه ،  
 وأنه قد مضى عمره برك ، هو أولى به ، فحيث يهتم بالعمل ويتفقد عيونه ويعدم لتوبه منها هل  
 لقد ربه عز وجل

## باب الغرة بالعبادة والعمل

قلت : فالغرة بالعبادة والعمل كيف هي ؟

قال منهم فرقة تتكلف الرضاء والزهد والتوكل وخشب الله عز وجل ، على غير حقيقة ولا معرفة عما هو أولى بها ، يتقبل أحدهم من اللبس والطعام وهذا في الدنيا ، وبعضهم يفرح إلى الجمع غير راد ويدع انكاسه ، يؤم التوكل بدنه ، ومنهم من تحبب إليه نفسه أنه يشاق إلى شدة ، ومنهم من يدعى حب الله عز وجل ، يهيج بذلك ويجالس عليه ويصنع عند ذكره ، وكل هذه الفرق معرفة بالله عز وجل ، تتكلم بما يكره الله تعالى وهي لا تشعر ، وتراعى عما تعمل ، وتتكبر وتعجب ، ونأى كثيراً مما يكره الله عز وجل ، وهي لا تشعر ، ثم تعرف التقوى إلا بالاسم ولم تكلفها في جوارحها وباطنها ولا تعلمها ولم تطبق ، وهي ترى أنها قد قطعت التقوى ، وصارت إلى الزهد والتوكل والرضاء ومعدى الدرجات الكبرى ، وهم عامة قراء زمانك ، الغالب عليهم اتباع أهوائهم في طاعتهم وتقصيرهم

قلت هذه الفرقة أولى بالرحمة من الفرق التي وصفت قبلها ، إذ كانت أهواءها ، وحملت المكروه على أندائها ، ووسم بالتشهير عند لعدد ، وظن ذلك من أنفسها ، لأن كل انفرق اعبرت من غير كثير مؤنة تحملها ، ولا إدحار المشقة على أنفسها ، وهذه قد رفضت الدنيا مما ترى وحرمها أنفسها ، وهي راكبة إلى بعض دنيا وهي لا تشعر فهي أولى بالرحمة من غيرها وقد خشيت أن يكون الغالب على أهل زمان

فكيف ها بأن تعرف غرتها ، وتنذرها وتغلب بعد معرفتها ؟ والى بعد المعرفة على هذا يسر إذ عرفت غرتها ، لأنها قد تحملت من المكروه ما هو أشد من الذي قال لا تفعل فإن محاسة الهوى مع العمل ليسر ، أعظم وأشد على النفس من محس للمكروه والشدائد في الأعمال ، لكثرة إذا كان معها الهوى

قلت - فبين لي غرتها بماها على حال تقى الغرة عليها أسهل قال أجل ، لأنها أسخى المضربين نفسها بالأعمال ، وأشد لهم تحملاً للمكروه في ظاهر لطاعات ، فالحديث يعرف به غرتها أن ترجع إلى نفسها ، بدعائها إلى لمرم على طلب التقوى .



وتعريف النفس أنها أصل نفعات . ولا نذكر الأيمان إلا بها ، حتى يد عرفتها ماهي في السر والعلانية . انحلت أنفسها عند دوعها إلى كل خير وشر في باطنها حتى تعلم

من ظهرت قلوبها من كل مكروه يكره الله عز وجل ؟

وهل ظهرت جوارحها من معصية الله عز وجل ؟

وما الذي هو أولى بها أن تبدأ به في الوجوب من القروض عليها ؟

من كان منها متقلاً من الدنيا ، من غداها ولذاتها ، نظر كيف صحته معاشه ، فإن كان صحيحاً طيباً نظر هل ترك شيئاً يجب عليه فضيحه مع بقله ، وكيف صميره وحركات جوارحه في ليلة وساره ؟

فإن رآه غير فائق بحق الله ، عز وجل في ذلك أو في عامته ، علم أنه قد كان يرى أنه كان من الزهادين وهو عند الله عز وجل من الفاحزين ، فإذا تفقد نفسه علم أنه كان مصيباً للتقوى مع ترهله ، وأنه كان مخلوعاً مغروراً

ثم ينظر ماذا كان يريد تنقله ، وكيف كان زياح قلبه بعم إخوانه وغيرهم تنقله ؟ ويحمدهم حين يسمعه أو يلمه عيهم ؟ وهل كان قائماً على قلبه بنفى ذلك خوفاً من الله عز وجل فإن رأى قلبه أنه قد كان أعمل ذلك ، علم أن العثرة كانت عليه مستحكمة ، قد علق قلبه بأعنى لدرجات فيما يرى ، واشتغل عما هو أولى به منها ، ثم لم يخلصها أيضاً مع ما اشتغل بها عما هو أولى به منها ، حتى الله عز وجل كان عده مصيباً ، وعمه لا يامن أن يكون عند الله عز وجل محطاً ، وقد كان يرى أنه قد من عليه بالزهد أو بعض الزهد ، وبعل عداؤه الذي كان يتقلب منه حرام أو شبهه ، قد كان أولى به تركه كله للورع ، فهو واحد للقلب الذي ينبغي له أن يتركه ورعاً ، وهو يرى أن بأحد القوت ، ويقدم الفصل رهداً في الدنيا ورهصاً

فإذا تبين له ذلك رلت عنه يادن الله عز وجل غرته ، واهتم بالتقوى وإخلاص العمل بربه

عز وجل

وكيف لا تروى عنه غرته بعد معرفته نفسه ، وقد كان بعدها من قبل معرفتها أنه قد حار أهل الورع ، وهو عيهم منقطع ، لأنه لم يك يأت عيهم يوم من أيامه إلا والله عز وجل مطلع فيه على ما يكن في صدره ، بما كره مولاه وهى عنه ، من الرياء وعيره ، وكذلك جوارحه ، قل يوم الآ وقد يكون من بعض ما يكره مولاه ، فإن سلمت جوارحه لم يك يسلم قلبه ، فلا يقيم على العثرة بعد هذه المعرفة عاقل عن ربه عز وجل

وأما المعتبر بترك الأعمال والمخروج بغير راد ، فإن نظر بصحة النظر لطلب الاتباع للائمة الراشدين وحدها من خوف المحدثات ، فلم يعرف أحدًا من السابقين سببه إلى ذلك . وتدبر الآثار فإذا هي تخص على ترك ما تنبئ به من العمل وحمل الرد وأن الفصل في العمل وحمل الزاد مع اليقين بأن الأوراق إلى الله عز وجل ولا راد إلا الله عز وجل ، انما عا لى <sup>تعالى</sup> ولائمة املى ، وقطع عن النفس خطراتها إلى طمع مخلوق ، وأن يكون هو المخير في نفسه عما يعدوها به دون غيره ، فيكون له ذلك الأجر الذي تجز به غيره ، فإذا علم ذلك علم أنه كان لطريق الصالحين وأئمة العاد في تدينه وقوله محذرا

وأبصار أن لو كان ذلك حائرا نظر هل أحكم مسو ه من التقوى في داطه وحوارحه ومطعمه وملسه ؟

وكيف كان إحلاصه فيما كان يظهر من توكله ؟

فإذا عرف أنه كان على مخالفة الاتباع ، وأنه مع ذلك قد كان مصيبا لكثير من حقوق الله في داطنه وحوارحه ، رالت عنه عزته ، واتبع واهتم لما هو أولى به ، فإن كان متقيا في باطنه وظاهره من قبل ، عيم أنه كان على حب قد كان معترا عما كان يتدين به من قوله إذا لا يعرف له إماما مسقه إلى قوله ، وإذا الآثار تدل على خلاف قوه

وكنلت جميع المرق من المتشعشع على غير الصدق ولا التقوى فعلى نحو من ذلك التصقدا لأنفسها ، حتى تعرف عزها فتصاف الله عز وجل بما هو أولى به

## باب الغرة بالورع في المطعم والملبس دون سائر الأشياء في أعماله الباطنة والظاهرة

ومهم فرقة لا ترى أنه يجب عليها من الورع في دماغها إلا الورع في عاداتها من المطعم  
والملبس

في نظرب وحملت نفسها عليه ، ظنّت أنها إذا بيعت أصعب الدرجات من الورع وأعرها في  
دماغها ، قد حُكمت التقوى وقامت به ، فعنى بعض الورع أكثر الورع عنها في قلوبها  
وحوارحها

قلت هيمَ تنى ذلك ؟

قال أن تعين أن الله عز وجل لم يرص منه بالحلال وحده ، وأنه قد يعذب من طاب مطعمه  
إذا لم يحف الله عز وجل في غير ذلك ، وأنه قد يعصب بما يقول أو يصبر أو يستمع إليه أو يحطو أو  
يعطش

فإذا عرفت ذلك رالت عنها غرتها

## باب الغرة بالعزلة والفراق من الناس

وهرة قد علت عليها الاستيحاش من الناس والخلوة ، وهي مع ذلك تنصع لمرورها وتجب أن تشهره ، وترتاح قلوبها بذكر العباد لذلك منها ، مع تكبر عن العامة وعجب بأعيانها ، قد غمى عليها أكثر ديوها ، إذ عدت أنفسها أنها أنيسة بالله عز وجل مستوحشة من خلقه قلت : فممن تنى عزها بذلك ؟

قال تنصغر في عظيم حق الله عز وجل ، ورواح طاعته ، وكثرة عدد ما يلزمها من محاربة ما كره ربها عز وجل وهي عنه ، في طهرها وناصيا ، هي أحصت ذلك كله ، حتى م تصيغ الله عز وجل حقاً . وم ركب بها مما هيى الله عز وجل عنه ، فإذا تعكر أحدهم في ذلك علم أنه م يقيم بحقوق الله عز وجل كلها في طول عمره ، وم يسلم مما كره أن يأنيه بخارحة أو قلب ، وأن القليل من عمله لدى يعتز به ، يعتوره الآفات التي تصده أو تحبطه من الرياء والعجب والكبر والحسد وسوء العدا ، أو بعض ما يفت الله عز وجل عليه فيحبط به لعمل من تصيغ الفرس ويبدل ما هيى الله عز وجل عنه ، وقد تهدد بذلك المؤمنين من عباده فقال

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ )

إلى قوله ( أَنْ تَحْطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ )

فتهتدهم تحط أعيانهم إن جهروا بالقول لمي ﷺ . حتى كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه بكلمه مستعبده الحديث مراراً ، « يفهم عنه النبي ﷺ » وقال « لئلا يفتك بحق لا أكتمك إلا كأتى السرار ، وهو صديق الأمة . خوفاً مما تهدد الله عز وجل به

من يأمن بحبط عمله بعد قوله ذلك لخير الخلق بعد النبي ﷺ وتهتده أياهم بهذا ؟

وقال النبي ﷺ « إن الله طيب لا يهل إلا بالطيب »

وقال : « من ترك صلاة العصر حبط عمله »

من يأمن أن يحبط عمله بتصنيع بعض ما أوحى الله عز وجل وأعرضه

وروى عن ابن عباس « لا تقبل صلاة من رجل في بطنه نقرة من حرام »  
وروى عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال « من اشترى ثوباً بعشرة دراهم فيها درهم من حرام لم تقبل منه صلاة حتى يضعه عنه »

فأي حال يسير في زماننا من أن يخالفه الحرام ؟  
فلو سلم عنه القليل من الآفات التي تفسده ، لم يأمن أن يكون قد عمل عملاً قد يغضب الله  
عز وجل عليه به ، فأحط عمله أو أحط بعض ما مضى من عمله ، وإن لم يغضب الله عز وجل  
عليه هذا لو سلم من الآفات التي تعتمد ببعضها ، كالرياء الذي لا يقبل الله عز وجل لأعمال إذا  
كان فيها

بالكتاب والسنة ثبت ذلك عند أهل العلم والعرفة أن الرياء يحبط العمل إذا اعتقد عامه .  
وإنما عجب كما جاء أن صلاة المذل لا ترفع فوق رأسه ، أو كالحسد الذي جاء إن الحسد يأكل  
الحسنات ، كما تأكل النار الخشب

فحقوق الله عز وجل عظيمه ، والصناعة واحدة ، والمعدنى في الظاهر والباطن كثيره ، التي  
لا تكاد يسميها ، والليل من عمله تعوره الآفات التي تخالفه فتفسده ، وتصيب بعض حقوق  
الواحدة لأناس العبد في تصيغه إياها أن يحبط عمله ويوحلص من الآفات ، وسلم من الذنوب ،  
وم يصبح حقاً ، ولا ركب سيئاً ، ولا غفل عملة يخاف الزلل منها وهو لا يشعر . وذلك يكاد  
يستحيل من مثلك - لكان في عظيم ما يطلب من الحاجة من لعدايات والقور بجوار الرحمن عز  
وجل عمله يسير حقيراً في جب ذلك ما لا يقوم عنه بشكر بعض نعم الدنيا دون نعم الدين ،  
فعمله صغير عندما أتم الله عز وجل عليه ، وعندما يطلب

ولو أن أهل السموات وأهل الأرضين سخرهم الله عز وجل له ، فدأبو واحتهدوا له ، لكنت  
الحاء من عذاب الله عز وجل عظيم وأكبر من عملهم له ، وكذبت الجن في جوار الله عز  
وجل ، فكيف بعمله الضعيف مع كثرة الزلل والخطأ ، وعنه العجلة وليسيان عينه في طول  
عمره ، مع أنه لا يأمن من الآفات التي تعتمد عمله عليه عندك أشق أولونا رحمهم الله  
فانرياء لا يشك أن الله عز وجل لا يقبل العمل إذا اعتقده عامه

وأما العجب وما سواه فاحاف أن يحبط الله عز وجل به لأعمال ، ولا أقطع به  
ولتعرض هذه الفرقة وحدها وشفتها على وجل السابقين : أين وحلهم منه

## باب الهرة بالغزو والحج وقيام الليل وصيام النهار

وممنهم عرقه عُرِبَ بالمعرو والحج وقيام الليل وصيام النهار ، فقد خُيِّلَ إلى أحدهم أنه من  
 عمَّان الله عز وجل ، والمشتغلين به والدائنين عن عمارته ، فقد عُيِيَ على أحدهم ديبه ، فهو غير  
 مصحح نطقه وملسه من لشاب وغير ذلك ، وجوارحه متشيرة عليه في أكثر عمره فيما يكره  
 ربه ، عز وجل ، وهو غير متفقدٍ لنفسه ، لا يُخَيَّلُ إليه أنه يسمى لمثله أن يتفقد نفسه ، وإن علم  
 منها ببعض التعرُّط هان عليه لما عنده من لعبادة العلم والعمل والحج  
 وهو مع ذلك غير متفقدٍ للإخلاص فيما يعمل ، ولا عارف به دون نفسه  
 قلت ، هم ثلثي ذلك ؟

فإن تتفقدُها أنفسها ، حتى تعرف أنها كانت مشغولة بالموافق عن واجب الحق والقيام  
 بالعرض ، فإذا تفقد ذلك أحدهم من نفسه ، علم أنه كان يعدُّ نفسه ممن جاز التقوى ، وعلا في  
 درجات الموافق ، يُخَيَّلُ إليه أنه لا يعدد مثله ، وأنه خاصة الله عز وجل من خلقه ، هو ومن كان  
 مثله ، وقد كان مع ذلك مصيِّبًا للحرف من الله عز وجل فيما أوجب وهى عنه ، فعجبت بهم  
 بالتموى ويردادون قسر على ما كان يعمل ، رجاء أن يكفر ما مضى من التصيب لحق الله عز وجل  
 والتصحيح بضمه

## باب الغرة من أمّ التقوى وأحسن التفقد لظاهره وداخله

ومهم معرفة أهل بصر ونظر وتمقّد خواارجها ، ولكثير من خطرات قلوبها ، يؤمّون التقوى ويريدونها ، ولا يحبون أن يبدوا شئ من الأعمال غيرها ، فهم مع ما حصوا به من بين العائدين في رماهم يفترون بها ، قد رايهم الرجل والإشفاق ، يتجمل إلى أحدهم أن العباد إنما يرفع عن العباد به ، ويدعو الله عز وجل والعائد عليه أنه مستحق للإجابة ، غير رجل ولا مشفق أن يكون من أعداء الله ، لبعض ماسف مه ، أو بعض ما يكون منه في صميمه وخوارجه ، أو بأمر يحتم به ، فيشتق فيموت وهو عدو لله عز وجل على شر أحواله

قلت : فكيف يفترون وهم معتقدون لتقوى ويطبقونها ويؤمنونها ؟

قال : أعجبوا بتفقدهم فطروا لهم باحور ، واستصغروا من سواهم لمعرفة تصحيح العدد لحق الله عز وجل في رماهم

قلت : فكيف نرى عرتها بذلك ؟

قال : تعرض وخطها وشفقتها على رجل السائقين ، فتظهر ابن وحلها من وحبهم . فإياها تحبهم قد تموا مع ما قد قاموا به لله عز وجل بما لم يأت بأقل القليل منه - أنهم كانوا بها ثم - إعطائا للأمر وحقا من الرب عز وجل

وبذلك وصفهم الله عز وجل فقال ( يَبُوءُونَ مَا آثَرُوا قُلُوبُهُمْ وَحَنَّةً )

فليتذكروا وتذكروا أي رب معبدون وأي ثواب يطلبون ، ومن أي عذاب يهربون ، وما بين أيديهم من الأهوال وعظيم الخطر . وما أحصى عليهم من الدروب وسبق علم الله عز وجل فيهم ، فهم إذا تمكروا في ذلك كانوا - مع معرفتهم بتضييع عباد لحق الله عز وجل في رماهم . وفي من الله عز وجل عنهم من الطاعات والتقوى . يرون أنهم شر أهل رماهم ، كما روى عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال لا يسبح عند حقيقة الإيمان حتى ينظر في الناس كالأباعر في دلت الله عز وجل ، ثم يرجع إلى نفسه فيكون عنده أسفر حافر

وكيف لا يكون كذلك والرب جل جلاله لا يؤدّي حقه . ولا يُلح قدر عظمته ولا يحصى

معهم ، وعدائهم عذاب لا بقاء له به ، وثوابه ثواب لا صبر عن دونه ، حتى يوفى أحدهم كشف له  
 عن عبادات لئلا تتركه ، لعلم أنهم معصرون عما يَحَقُّ لله عز وجل وعن قدر يوم القيامة ما هو به  
 ولأدله وشدايد فكيف بضعيف عمل أحدهم ؟ فحشد تروى عنهم عزهم ، ويعذب على قلوبهم  
 مع إحصائهم انشعق وانوجل وانخر وانذر وترك للطمأنينة والسكون إلى شيء من أفعالهم  
 إنما يرحون الله عز وجل ونحوه ، وإن لم يفعل ذلك بهم عطفوا ، إذ الله عز وجل لفصل  
 عليهم عن كل حال ، وأنه قد كان منهم ما قد استوجبوا به العذاب ، وقد هم لا يشهدون لأنفسهم  
 بالسلامة في أفعالهم ، ما يحسون من كثرة منارعه أنفسهم إلى ما يفسد أفعالهم ، ولما يعرفون من كثرة  
 عقوباتهم ، خوفاً من إحصاء الله عز وجل عليهم ما قد كانوا عنه يعفلون ، وبه مسون ، فيسبونهم  
 ما لم يكونوا يحسون ، كما وصف الله عز وجل به يعزبون ، قيل في التفسير أعمال كانوا يرون أنها  
 خير صارت شراً

وبذلك ونحوه ينمون المرء بأعمالهم



## باب الغرة بتقديم العزوم بإخلاص الأعمال والعزم على الرضى والتوكل ومحاربة دناءة الأخلاق

ومهم معرفة الغالب منها تقديم العزوم لله سبحانه بإخلاص يعمل به في كل ما يعمل ، والعزم هو الرضاء والتوكل وما أشبه ذلك : وترك الكبر والعجب وسوء الظن والكذب والعصب . وشقاء يعيظ لا يحل ، قد سحت أنفسها بالعزم على ذلك وعزمه عدت أنفسها من أهله وانقضى لله عز وجل به ، بعزمها على الإخلاص ، فإذا عرض بعمل سهت وعطلت فرائد ، وكذلك سائر ما كره الله عز وجل ، إلا الفيل من ذلك تشبه به فتدعه عزها عزومها ، فحكمت لأنفسها بذلك ، فلم تتفقد أنفسها عند ذلك ، ولم تنه عن نصيبه : إذا رأتها قد سحت بالعزم على ذلك ، فلم يبق عزيمت عليه ولم يصدق في أكثر ما عاهدت ، غفلة وسهوا

قلب فم يبق عزها بذلك ؟

قد تعرضنا أن العزم على العمل ليس بالعمل ، وأن العزم على العمل أقل مؤنة على النفس من العمل ، لأن العزم لأبعد فيه ، ولا مؤنة على النفس ، ولا ترك لذة بعد مقدرة عليها ، وأن النفس قد تعزم ثم تصيح بالعمل ، كرهة بحمل المؤنة والعبء ، وقد تعزم على ترك اللذة ثم تواقعها عند النظر ، لأن المؤنة عند المقدرة أشد على النفس ، لأن شهوتها تبيع إذا أحببت سادها ومحبتها وظهرت بها ، فإذا علمت أن ذلك كذلك ، لم تحكم لأنفسها بذلك دون لوفاء لله عز وجل بالعمل عما أوجب ، والترك لما كره ، وأن العزم المتقدم طاعته فيها ، وإلا يكون العزم عليها من أهلها إذا قدم لله عز وجل ما كره ، فلا يحكم بنفسه أحد منهم بإحتم إلا بعد انصاف ، لأن العزم الأول عن الخلق لله أن يحتم لا يحتم ، ولا بالإخلاص إلا في العمل ، لأن العزم الأول على الإخلاص ، ثمة الإخلاص إذا عمل عملاً أن يحتمه ، لا إخلاص في العمل ، وكذلك جميع الأعمال التي تقدمت العزم عليها ، إلا ما كان من أعمال القلوب التي ليس فيها للحوارج عمل ، كاعتماد السنة والتبني بها وما أشبه ذلك ، فأما العزم على العمل فلا يعمر به ، فبعمل عن نفسه ، فصيح العمل ، ويركز إلى ما عزم على تركه ، ذو ، أن ينفق نفسه ويأخذ بالوفاء عما عزم عليه ، وبذلك وصف الله عز وجل أوبياءه فقال ( رَجُلًا ضَلُّوا مَّا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ )

## باب الغرة بطول ستر الله تعالى وإمهاله لها

ومهم فرقة عتزت بطول ستر الله عز وجل عليها وإمهاله لها ، هذا د م لها لستر فلم يظهر للعامّة منها إلا حير ، وأثبت عليها وعظمتها ، عتزت بذلك ، وظنّت أن ذلك لم يكن إلا ولها عند الله عز وجل منزلة عظيمة ، وأنه يحب لها ، وهي مع ذلك كثير تخلصها ، كثيرة التصنع للعباد ، ولا تعزى من العجب بعملها والتكبر على من دوسها ، قليلة لفظة بكثير دوسها ، سبقة الوحل والاشفاق ، لما رأت من السر وحب الإخوان وثناء العوم ، فاعتزت وظنّت أنها ناجية وأن الله عز وجل عنها راضٍ ، وأنه لو كان محيط عليها لما أسطعت من الدوس ما سر عليها ، ولا حبّها إلى كثير من الناس ، ولا نشرها لثناء ، فهي معتزة بذلك غير منقعدة لأمرها ، ولا تكاد تظن بها أكثر دوسها ، قليل خوفها وخبرها

قلب هم يبي أحدهم ذلك ؟

قال عمرته نفسه وب لستر عنه حجة من الله عز وجل عليه ، ليحميه أنه لم يجعل عليه ولم يهتك ستره لستحي من أنه عز وجل ، الذي ستر قبيحه ، وأظهر له من الحميل ما لم يعمل به ، فالسر عليه حجة من الله عز وجل ، يس معرفة ، وثناء الناس إنما كان لستر الله عز وجل عليه ، ولو أظهر الله عز وجل لهم ما يعلم منه لأعصوه ومفتوه ، وهو لا يحب أن يعلموا منه ما يعلم الله عز وجل من دوسه من دوسه فهمتوه ، والله عز وجل يرى أن يحبه ، أن يكون قد مقتته عما سلف من دوسه ، أو قد مقتته ببعض ما هو عليه مقيم

وإنما أتى الناس عليه لستر الله عز وجل عنه ، ولو علموا منه ما علم الله عز وجل منه ما أتوا عليه ، فنافواهم عليه طاعة منهم برهم عز وجل ، بحس طهم به فهو لأمره ظهم على غير تقير منهم عما عنده ، حتى يسيه ما يعلمه يفسأ أن الله عز وجل يعلمه منه ، فلا يسقى اليقين من نفسه نظر الناس به خلاف ما هو عليه ، ودلت عبادة منهم برهم عز وجل ، وحس ظر منهم به ، فكيف تحب إليه ويرى أنه كما يقولون ، وهو عالم من نفسه خلاف ما يقشرون؟ كما قال علي عليه السلام إذا أتى الناس عليه أو كما قال غيره :

الهم أنت تعلم وهم لا يعلمون ، فلا تؤاخذني بما يقولون

ومر مطرف واسر أود مرجل فقال الرجل من أحب أن يسطر إلى رحمتي من هل الخنة  
 يسطر إلى هديي . فقالوا اللهم أنت تعرف ولا يعرفها . أي أنه يتكلم بالظن على غير علم ، وأنت  
 عالم

وكان أبو الخنري لطيفاً وأصحابه به أنبي على أحدهم ، وضع شقعة نحو الأرض وقار  
 توأصت ربي أي أدب أن يكون كما تقنون . توأص الله عز وجل أن يرى ربه قد أيا سمع من  
 ثنائهم عليه . فلا نسيه طئهم بغيره نفسه ، ومع ذلك لأنهم أن يكون ماؤهم عليه مستدراجاً من  
 الله عز وجل بغير ماشاء ويستأسر في سر والإهمان ، فأجده بغيره بعقوبة ، أو يهت سره عنه ،  
 أو يموت على دبه ولم يصب عنه ، فلا يأمن ذلك ، إذ علم أنه على خلاف مايشون عنه  
 كما يروى عن أبي تيمية الهجيمي أنه قبل له كيف أصبحت ؟ قال بن ديب ، والله  
 ما أدري ما فعل فيه أغفره وعف عنه ، أو غصب علي من حقه ؟ وناء من هؤلاء لأناس والله  
 ما أسأده ولا أنا كذلك

ولا يأمن أن يكون استدراجاً من ربه عز وجل إذ علم من نفسه خلاف مايشون عنه به . والله  
 عز وجل يعلم خلاف مايقنون فيه . فهو لأناس يقته على مايعلم أنهم به علمو به يقنوه وأنقصوه  
 عنه

فلا يعد السز إلا توكيداً للحجة عنه . واستدراجاً له  
 فذلك يبي المرأة ستر الله عز وجل وإمهانه له وثاء العباد عنه

# كتاب الحسد

## باب في ذكر الحسد ووصفه وتفسير محرمه من مباحه

قلت : ما الحسد ؟ وما الدليل عليه من العلم ؟

قال إن الحسد في الكتاب والسنة على وجهين ، وهما موقوف في اللغة فأحدهما غير محرم ، وبعضه محرم ، وبعضه فصل ، وبعضه مباح ، وبعضه يخرج إلى الفص والإحرام

وأما الوجه الآخر لمحم كنه ، ولا يخرج إلا إلى مالا يمن

قلت : فما الحسد الذي ليس محرم ؟

قال : المنافسة

قلت : ما الدليل على أن المنافسة حسد ؟

قال قول الله عز وجل ( وَهِيَ ذَلِكَ فَلْتَنافَسِ الْمُتَنافِسُونَ <sup>(١)</sup> )

وقال تعالى ( سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ <sup>(٢)</sup> )

وقال ( وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ <sup>(٣)</sup> )

ولا تكون المسابقة من العبد إلا أن يسابق غيره

وقال عبيد بن ربيعة السلام ، وذكر لعامل لله عز وجل ، فقال ويباهي لعباد بمادة ربه ،

يعني بآلهتهم ويسامهم ، كما يرى العبد من عبادة أهل الدنيا يتباهيان عند مولاها ألا يحطى

أحدهما قبل الآخر ، جرعاً أن يسبقه إلى محبة مولاها ويقصر هو عنها فتكون مرلته عند مولاها أحسن

من مرلة الآخر ، فهاهنا أن يسبقه إلى الخطوة عند مولاها ، ولا يباين هو الخطوة معه عند مولاها ، كما

بها هو عند مولاها

وقال لبي بن ربيعة <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> لا حسد إلا في اثنين ه هبي عن الحسد وأحبر أنه لا يجوز عند الله عز

وحل ، إلا فيها ، فقوله . إلا في اثنين أى الحسد ميبها جائز  
وقال النبي ﷺ « لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله ، عز وجل ، مالا فسلطه على  
هكمته في الحق ، ورجل آتاه الله ، عز وجل ، علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس »  
ثم فسّر في حديث آخر لأبي كشة الأنصاري عنه كيف دبت الحسد ؟ فقال ﷺ « مثل  
هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالا ولم يؤت علماً ، ورجل آتاه الله ، عز وجل ، علماً ولم  
يؤت مالا ، يقول ربّ العلم لو أنى مثل ما فلان كنت أعمل فيه بمثل عمله . فهذا الآخر  
سواء . ويقول ربّ ما لو أنى مثل عيم فلان كنت أعمل فيه بمثل عمله »  
فذلك هو الحسد الذي هو مباحة ، أحب أن يبحق به ، وبعده أن يكون دونه ، ولم تحب له  
شراً . وقد تسمى اجرب الحسد مخزوم مباحة ، لأنها جميعاً في اللغة حسد ، فيقول الرجل  
لفرجل : نصبت علىّ أى حسدنى

وقال فثم بن العباس والمطلب بن ربيعة لما أراد أن يأتي النبي ﷺ فبسألاه أن يؤمرهما على  
الصلفة يعني وصي الله عنه حتى قد لم لا تدهما إليه فإنه لا يؤمر كي عليها . فقالا ماداً لا مباحة  
ملك والله لقد رجوت استه فابعدنا ذلك عنت . أى هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجت  
فاطمة

قلت فسّر لي هذا الحسد الذي هو مباحة تفسيراً غير به بين الحسد المحرم  
قال هو أن يرى غيره نعمة في دين أو دنا ، فيحتم ألا يكون أعلم الله عليه مثل ذلك  
نعمة ، فيحب أن يبحق به ويكون مثله ، لا نعم من أجل المصم عليه نقاسة منه عليه ، ولكن  
عماً ألا يكون مثله

فهذا الحسد الذي هو مباحة

فإن كان لدى رأى غيره من النعم قياماً بفرص الله ، عز وجل ، وسبى عما حرم الله عز  
وجل ، فحسد على ذلك ، وأحب أن يكون مثله ومعنى ذلك وسأله الله عز وجل ذلك ، كان  
ذلك عليه حرصاً واحداً أن يحاسده على ذلك ليؤدي فرص الله تعالى . لأنه إن يغتم ويحرب بتحققه  
عمن قام بفرص الله ، عز وجل ، عليه واحتب ما بهى عنه ، ولم يحب أن يكون مثله . كان  
عاصياً مقيماً على تفصيل الفرائض وركوب محارم ، ولا يغتم بتركها . ولا يحب أن يطيع الله عز  
وجل ، كما أطاعه الورعون في لقام محقه

وإن كان مارأى غيره من نعم الدين فصلاً تطوعاً فاعتم أن يفصر عن سرته ، وأحب أن

يسحق به ويكون مثله ، وذلك فصل منه ونطوع ، إذ أحسن أن تنقرب إلى الله - عز وجل - كما  
 تقرب غيره ، واعتم أن يقصر عن القرية إلى الله عز وجل ، كما يحب من طاعته  
 وإن كان ما رأى غيره من العلم مساحاً له فيما يتصف فيه من لدنه ويعينه بالقصور في أهل  
 له ، فاعتم ألا يكون له مثله ، وأحب أن يحقه به ، فيوسع عليه كما وسع على من ناهيه ، وأن  
 يسحق به فيكون متبعاً مثله ؛ فذلك مباح له وليس محرم عليه ، إلا أنه بعض من يفصل ومن  
 الزهد ، إلا أن يخرج إلى السخط على الله ، عز وجل ، فيكون السخط على الله - عز وجل - لا يحل  
 له ، لأن السخط مناهيه ، لأنه يحب السعة والتسع بحلال الله عز وجل ، وليس محته تلك  
 سخط وإن كانت محته بعضاً من الفصل

وإن كان ما يرى من غيره محرماً لا يحل له ككسب الحرام وافتقاره من غير ما لا يحل له - والعمل  
 بالمعاصي في التلذذ بها ، فاعتم أن لا يكون مثله - وأحب أن يكون مثله - ويصيب من المال  
 والندة مثل ما أصاب من ذلك ، فذلك منه لا يجوز له ، ثم حسده الحسد المحرم من قبل العشر  
 له ، ولكن حسده حسد مناهيه في الحرمة الذي له كان ما ناهيه فيه حلالاً وطاعة لخال ذلك  
 حسد له ، وإما ألقى ما لا يحل له من قبل محبته للحرام ، لا من قبل أنه حسده حسد عش له وجباً  
 للشراء ، وكراهة الخير أن يره به

وإما كان ذلك الحسد لا يجوز من قبل تنبيهه للحرام ومحته له  
 وكذا يروى أبو كشة الأنصاري عن النبي ﷺ قال : « ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في  
 معاصي الله عز وجل ، ورجل م يؤته الله - عز وجل - مالا فيقول : لو أن لي مثل ما في فلان كسب  
 أعمل فيه مثل عمله ، فهذا في الورد سوء »  
 علمه النبي ﷺ من قبل تنبيه الحرام لا من قبل حسده للمسلم - عش له وكراهة أن يرى به  
 حبراً من لدنا

فهذا أحد الوجهين من الحسد ، وهو كراهة التقصير عن منزلة غيره ومحبة المساواة والحق  
 به ، مع ترك الغنى أن يرون عن من ناهيه حاله التي هو عليها  
 وأما الوجه الثاني فهو إهمر كله ، قد دمه الله ، عز وجل ، في كتبه والرسول ﷺ في سته -  
 واجتمع علماء الأمة عليه  
 قال الله عز وجل

(وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوْكُمْ مِنْ بَعْدِ إِسْلَامِكُمْ كَثُرًا خَدًا مِنْ جُنْدِ تَعْبِهِمْ<sup>(١)</sup>)

وقال (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ؟ ١ ٢ )

وقال (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً)

إلى قوله . (وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ لَهُمْ ، لَتَبَيَّنَّاتُ نَعْمًا بَيْنَهُمْ<sup>(٣)</sup>)

قيل في التفسير حسدا

وقال (وَمَا تَحْقِرُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْلِيَا بَيْنَهُمْ)

فأمر الله عز وجل العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته ، فأمروهم أن يهتموا بالعلم ويتألفوا به ، ولا يتعزوا ، فتحاسدوا واحتدموا وتعزوا حسدا بينهم ، كل أراد أن يكون له الرعية والرياسة ، ولا يكون تابعاً لغيره ، وأن يضل قوله منه ويتبع ، وأحب أن يرون غيره عن الرعية ، وكره رعيته المرسله له ، فرد عصهم على بعض ، وحالف بعضهم بعضاً بغيًا . كما قال الله عز وجل ، فتركوا الحق وعاندوه حسداً بينهم

فان ابن عباس كانت اليهود قبل أن يبعث النبي ﷺ يد قاتلو يوماً قالوا سألنا نالبي الذي وعدتنا أن تومله وبالكتاب الذي تنزله ، إلّا ما نصرتنا ، فكانوا يبصرون ، فلما جاء النبي ﷺ من ولد إسماعيل وعرفوه كفرو به ، بعد معرفتهم به أنه لدى كانوا يستصرون الله عز وجل به فقال الله عز وجل .

(وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَبَدَأَ جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعَنَّ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، يَشْسَ مَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ، أَنْ يَكْفُرُوا بَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ نَعْمًا)

أي حسداً بينهم

وقالت صبيّة بنت حبيّ للنبي ﷺ : يا نبي وعتي يوماً من عندك . فقال نبي صلى

ما تفون فيه ؟ قال

أقول : إنه إلى الذي بشر به موسى ، قال

فما ترى ؟ قال

أرى معاداته أيام الحياة :



وبذلك وصفهم الله ، عز وجل أنهم على علم كصروا به ، قال  
( تَرْفُؤُهُ كَمَا يَرْفُؤُونَ نِسَاءَهُمْ )

وقال ( يَكْسُبُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ )

وروى وهب بن منبه عن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام : الحسد عدو لعمتي : راد

بقصدي ، صاحب لرزقي الذي قسمت لعبادي غير ناصح لهم .

وأما السنة في ذلك فإن النبي ﷺ قال : « لا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد

الله إخوانا » يرويه عنه عبد الله بن عمرو وأبو هريرة ، ثم أحبرهم أن الحسد سيكون فيهم كما كان في

الأمم من قبلهم ، فقال النبي ﷺ

« دَبُّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ : الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ »

فأحبر أنه سيكون فيهم من الحسد ما كان في الأمم ، وأنه داء الأمم من قبلهم ونهم منه أنوا ،

وبه هلكوا ، ولم يزل ذلك في الكافرين من مصي وفي بعض المؤمنين

وقد روى عن الحسن أنه قيل له : أيكون المؤمن حسوداً

قال : لا أباً لك ، ما أنساك بي يعقوب صنعوا بأحبيهم ما فعلوا

وقال أبو قلابة ما قتلوا عثمان ، رضي الله عنه ، إلا حسداً

وروى الحسن عن النبي ﷺ أنه قال « ثلاثة في المؤمن » وذكر إحداهن الحسد

والحسد المحرم لدى دمه الله ، عز وجل في كتابه ، والرسول ﷺ في سنته ، كراهة لعمرك أن

تكون بالعباد ومحبة رواها

قلت وكيف ذلك ؟

قال أن يكون العبد إذا رأى بعد مسلم نعمة في دين أو دني ، أو ملحه أنها به كرهها ،

وساءته وأحب روالها عنه

ومما بين ذلك : قول الله عز وجل

( وَذُكِّرْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُرْذِلُكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ ، كَقَارِئِ حَسَدٍ مِنْ عِنْدِ

أَنْفُسِهِمْ )

فأحبر أنهم يورثون أن تقول نعمة الإيمان عن المؤمنين

وقال . ( إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَةً تَشَوْهُمْ )

قال ابن عباس . هذه في عروء تبولك ، وقيل في التصدير . هذا الجاسد

وإن تصيبكم سيئة يفرحوا بها قيل هذا الشامت ،

وقال . ( مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ

رَبِّكُمْ )<sup>(١)</sup>

قال . ( وَدُّوا أَنْ يُكْفَرُوا كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا سَوَاءً )

ثم حبرك عن بحوة يوسف حين حسدوا فعميروا بألسنتهم عما في قلوبهم من حسده فقالوا

( لِيُيَسِّفَ رَأْيَهُ أَخَاهُ إِلَى آيَاتِنَا مِنَّا وَنَخْرُ عُصَّةً ، إِنْ أَنَا لَهُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، اقْتُلُوا يُوسُفَ

وَطَرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَيْكُم وَتَكُونُوا مِنْ غَدِهِ قَوْمًا صَلَاحِينَ )<sup>(٢)</sup>

فكروهوا حصوصيه آية له بالحب من سهم ، وأرادوا أن يريدوا حب آية له ، وبره به وبفضيله

إياه عليهم ، بأن يعيروه عنه ، فيقبل بالحب عليهم والبر ، ويرول ذلك عن يوسف ، فقالوا

( نَحْلُ نَكْم وَجْهَ أَيْكُم ) ليكون هم إذا غاب حسداً له عن حب آية وبره وتفصله إياه

وقول آية فلا به ماقتلوا عما لا حسداً ، أي حسدوه على الخلافة فأحسوا أن يريدوها عنه

وقال الله عز وجل . حين ذكر الأنهار

( وَلَا يَحْنُونَ فِي صُدُورِهِمْ خِافَةً مِمَّا أُوتُوا )<sup>(٣)</sup>

أي لا تصيق صدورهم ، ولا يفتنون بما أوتوا من خير حسداً هم فأنى عليهم بذلك

## باب من الحسد وليس بالحسد بعينه

ومن الحسد ، وليس به بعينه ، الحسد ألا يصير إلى من يحسده خير  
كما قال الله ، عز وجل

( مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُرْبُوا عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ )  
فاحبة ألا يصير إليه خير والتمنى له البلاء ، جعل من العدا يكون عن الحسد ، فإن طلب علماً م  
حسب أن يتم له ، وكذلك إن طلب خيراً من خير الدنيا والآخرة لم يحسب أن يتم له من ذلك شيء ،  
ودلت قبل نزول النعم بالبعد

وأما الحسد فكراهة النعم وحب رواها ، نعمنا بمن بالنعم على العدا ، فيعلم الحسد بالنعم  
عليه من الله ، عز وجل ، فيغتم لها حيثئذ ، ويحب رواها  
قلت ، فأحيرني عن الحسد الذي هو منافسة من يكون ؟  
قال ما كان في الدين من حسد طاعة الله ، عز وجل ، والعزم على القيام بها لو أعطى  
أساسها التي بها ياب ، وما كان من دنا من حسد الدنا وحسب سعتها والنعم بها  
قلت : فهم يكون الحسد المحرم ؟

قال يكون من الكبر والتمجب ، والحسد للمعدودة والسعداء والرياء وحسب المبررة والرياسة أن  
يعنوه غيره ، وشح النفس بالخير عما يحده العدا على قلبه ، إذا رأى أنعم به غيره في كثير من الناس  
من قرأته أو أشكأله أو أمثاله وغيرهم ممن هو مثله وفرقه ودونه لأنسحو بصره بالخير هم  
قلت : هين لي ذلك كله

قال أما ما كان من الكبر فإنه يأب أن يعطوه من كان دونه أو يساويه ، أو يعنوه من هو مثله  
في دين أو دنيا ، كما قالت قريش علام يتيم

( وقالوا : لولا نزل هذا القرآن عن رجل من القريتين عظيم )

وقال الله تعالى يصف كمد قريش

(لَيَقُولُوا أَهْلَاءُ مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا<sup>(١)</sup>)

فإذا أتى به وإدراة ورثته ذلك الحسد له ، فاحب أن تقول عنه نعمة الله ، عز وجل ، عما  
أن يراها عن لا يستأهلها عنده ، وأنها أن يكون من دونه منه هو فوقه ، فيحب بذلك أن تقول عنه  
النعمة لي فصل بها لكلا نصير في المنزلة التي يعلنها بها أو بساوية ، حقيرة له وإدراة به ، لأنه  
لا يستأهل عنه تلك النعمة ولا تلك امرله ، ويحمله الحسد له أن يرد الحق حسنا ب يمينه ،  
فيرمعه عليه

## باب ما يكون من الحسد على الرياسة وحب المنزلة

وأما الرياسة والمنزلة عند الناس فالعلم ، فإنه يورث ردة الحق وتركه على علم ، كما تفرق أهل الكتاب حسداً بينهم أن يعلموا بعضهم بعضاً في العلم ، كل واحد منهم يحسد صاحبه الرياسة أن تكون له دونه ، وكذلك منزلة عند الناس ، فرد خلق أن يقبضه ويندع فقال بغير الحق ، يتبعه الناس على قول هو خلاف قول من يحسده ، وحطه فيما يقول وإن كان حقاً ، وأظهر أن الحق في غيره ، ليصد الناس عنه ، ويظنوا بوجه ، حسداً أن ترتفع منزلته ، أو يحصع له فيكون عنه رئيساً

كما كهرت علماء اليهود بالنبي ﷺ ، وهم يعرفون أنه قد جاء بالحق من عند الله ، عرّ وجلّ ، حسداً أن يرثسوه عليهم ، وتذهب رئاستهم في اليهود ، فيكفون اتباعاً معلوماً كانوا منوعين وكذلك في العباد يكره أن يرأس بها فوقه ، ويُعظم عليه ، فيقع العالم في العباد والعباد في العباد ، خوفاً أن يرأس عليه ، أو يكون فوقه ، أو يعظمه الناس ويحب أن يهتك الله ستره ، وأن يعصى الله عرّ وجلّ ، فيفتضح بدنك ، وأن يحطى على الله ، عرّ وجلّ ، في ديه ، ويقول عليه بغير حق ، لئلا تثبت به رئاسة وثلاث تقوم به منزلة ، فيحب أن يرسل به كل ما فيه روال الرئاسة عنه والتعظيم من الناس

وكذلك في الرئاسة والمنزلة في غير العامة ، يحسد الصاحبان في الحب والمنزلة عند من يصحابه ، فيحب أحدهما ألا يتصله عليه في عمل ولا علم ، ولا يرهه عنه ، فيحطك فيما يقول ، ونحو أن يهتك سره عند صاحبه ، ويقع فيه ويُعطيه إلى سوء الظنون فيه ، ويصع أمره لئلا يكون أحب إليه منه ، وأن يكون الحب والمنزلة له عنده دون صاحبه وكذلك الشجعان في الحرب يُجسّ أحدهما الآخر ويقع فيه ، لئلا يعلوه في المنزلة عند من يعرفه ، فيعظم بذلك دونه فيقع فيه حسداً ، أو تُعصه إلى غيره ويجهّده عند اللقاء في الغروب

## باب ما يكون من الحسد عن الحقد والعداوة والبغضاء

وأما ما كان عن الحقد والعداوة والبغضاء فهو شدة الحسد ، وذلك ما وصفه الله عز وجل عن الكفار وعداوتهم وبغضهم للمؤمنين  
 فقال (وَإِذَا لَقُواهُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَنْكُمْ الْأَمْرَ مِنَ الْعَيْطِ ، قُلْ مَثُورٌ بِغَيْبِكُمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِنَاتِ الْفُتُورِ ، إِنْ تَسْتَكْبِرُوا فَسَتَكُنْ حَسَةً سَوًّاهُمْ ، فَاحْزِرُوا أَنَّهُمْ مَبْغُضُونَ لِلْمُؤْمِنِينَ ، سَوَاءٌ هُمْ مَا يَرُونَ مِنْهُمْ مِنْ نِعْمَةٍ حَسَدًا هُمْ ، لِبَغْضِهِمْ وَعَدَاوَتِهِمْ ، فَاحْزِرْهُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى الْحَسَدِ وَالشَّاتَةِ ، وَكَذَلِكَ وَصَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُبُورَ الْمُعْصِينَ

وقال : ( وَذُودُوا مَا عَشْتُمْ )

قال ابن جرير : يوذون ما عشتوا في دينهم ، ( قد بدت البغضاء من أفواههم )  
 وكذلك قوله : ( إِنْ تَسْتَكْبِرُوا فَسَتَكُنْ حَسَةً سَوًّاهُمْ )

قيل في التفسير هو الحاسد

( وَإِنْ تُبْغِضُوا سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوهَا بِهَا )

فالمبغض لا يحب أن يرى عن يمينه نعمة عليه من الله عز وجل ، ويحب أن يراه يأسوا  
 الحال في الدين والديار ، فإن بدلت به نعمة ساءته وكرهها ، ولو قدر أن يربلها عنه لأدائها ،  
 فيتمنى من يعاديه ويبغضه للآيا ، وكره ما به من الخير ، ويحب أن يروى عنه ، ويصرح بما نزل به  
 من بلاء أو خير

والمبغض ابغادي لاسلك من الحسد والشائنة ، إلا من عصم الله ، عز وجل ، وقد يكون عن  
 الحسد الذي عن العداوة والبغضاء القتل وأخذ المال ، والسعاية عن حسده وهتك ستره ، وغير  
 ذلك فالبغض حسده أعظم الحسد وأشدّه

## باب ما يكون من الحسد عن حب ظاهر الدنيا

وما كان من حب الدنيا أن ينال ما يرى بعينه من حب أو بر من عرته أو غيره ، كالإحوة يتحاسدون ، أو أخ يحاسد الأخ عند أبيها أو أمها أو قرانها وكذلك الصاحبان أو الشريكان ، فيحسده على ما يرى من حب أبيها أو أمها أو برهما أو من صاحبها أو شريكها ، ويحس أن يؤثر بذلك دونه ، فيحسده فيقع فيه ويغصه ، فيصرف وجهه إليه أو غيره إليه بالبر والحب

وكذلك المرأتان والصربان

ودلت كما وصف عن حوة يوسف حين حسدوه في حب أبيه به دوسهم ، ويثارة إياه عليهم  
 د قالوا (يُوسُفُ وَخُوهُ أَخٌ بِي أَيْمَانِنَا وَبِخُنْ عَصِيَّةٌ)

في قوله

(اقتُلُوا يُوسُفَ وَأَطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهٌ بِكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ تَعْبُو قَوْمًا صَانِعِينَ<sup>(١)</sup>)  
 وكذلك بنو الأم وبو العم ، يتحاسدون ليحصى احدهم دون الآخر

وكذلك الرحلان يجرى عليهما قرارة أو غيره ، فيتحاسدان . وكل واحد منهما يحسد صاحبه .  
 ويحس أن يتصع مرثته عند من يحري عنهما ويصعبها ، وقد مخرج الحسد لدى يكون من حب الدنيا كظنك و شرف حتى تقتلوا فقتل بعضهم بعضاً ، حسداً . ينال من مدب الدنيا أو شرفها أو عرها أو إكرام أهلها مالا ينال صاحبه

وكذلك التاجران والصباغان ، يحسد أحدهما الآخر ويحس أن يرول عنه المبيع والمستاجر فيباعه دون صاحبه ويستأجره . محس أن خرماءه صاروا إليه وتركوه ، وأن من يباعه أو يستعمله يدعه ويصرف إليه ، فيقع فيه أو في متاعه أو صناعته ، ليعقضه في من يعامه فيصرف إليه ويدعه

## باب ما يكون من الحسد عن العجب

وأما ما كان من الحسد عن العجب ، فإحبرنا عن الأمم الماضية فعالوا للرسل عليهم السلام  
( مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا )

وقومهم ( التَّوْبَىٰ لِمَن يُشْرِكْ مِثْلُنَا )

وقومهم ( وَلَئِنِ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ )

فجرعوا أن يحصل عليهم بشراً مثلهم ، فحسدوه وردوا الحق ، وقالوا

( وَلَئِنِ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ )

جرعاً وتعجبوا أن يفصل عليهم من هو مثلهم في خلقه والسب فقالوا يتعجبون .

( أُنْعِثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّمُولًا ؟ )

وقالوا ( لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْبَلَاءَ ؟ ) ( ١ )

نحسب وإنكاراً أن يفصلهم من هو مثلهم

وقال الله عز وجل عن قول نوح وهود لقومهما .

( أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ ) ( ٢ ) ؟

فحسدوه فرددوا الحق وعاندوا الإيمان

وكذلك الحسد في الأشكال والأمثال ، في السب أو في القدر أو في العنا أو في التجارة أو في

الصناعة أو في الولاية يتحاسد سو الأمم والأب وسو الأعمام والإحوة أكثر ذلك دون سائر الناس .

فيحسد بعضهم بعضاً ولا يكادون يحسدون غيرهم من العرباء

وكذلك العالم يحاسد العالم ولا يكاد يحاسد غيره

وكذلك العابد يحسد العابد ولا يكاد يحسد الغاء ، بل يحصع له ويدل . ويحسد المتعبد مثله

لأن العالم ليس مثله فيحسده

وكذلك أهل التجارات ، يسرع الحسد من أهل كل بحارة إلى من شاركهم فيها دون سائرهم



من التبحر ، كاسبرارين ، يحسد البزّر الرار مثله ، يسوءه ويعمّه ما يرى من هاق سوقه وأرباحه ، ولا يكاد يحسد الخزارين والصيارفة وسائر الباعة ومن صامه في سوقه من أهل تجارته كان الحسد منه إليه أسرع ممن تباعد عنه وإن كان من أهل تجارته

وكذلك من دنا منه من القرابة أسرع إليه بالحسد ممن تباعد عنه .

ومن ذلك ما روى أن عمر رضى الله عنه كتب إلى أبي موسى إن الأقرباء يتراورون ولا يتجاورون

ومن ذلك أن أهل بجران أتوا عمر ، رضى الله عنه فقالوا : إننا قد تجاورنا همد مايسا فأحدا عن بلادنا

فأقرب من المجاورة وغيره في الحسد أسرع ، والأشكال والأمثال ، الحسد من بعضهم إلى بعض أسرع منه إلى غيرهم ، يحسد القوم عائلهم ويعظمون العالم الغريب لأنه ليس مثلهم ولا يساويهم في النسب أو الخوار

ومن ذلك ما يروى أن كعباً قال لأبي مسلم الخولاني كيف أنت في يومك ؟ قال

مطاع ، قال كدشني إذا الثروة ، ما من حكيم في قوم إلا حسدوه وكبروا عليه

ومن ذلك ما يروى هشام بن عروة عن أبيه قال كان يقول لنا يا بني إنه كان يقال . إن أرعد الناس في العالم أهله ، فقد يكون ذلك من الحسد ويكون من غيره وقد يرعد القوم في الرجل ، يكون منهم حسداً له فيحسد القوم العالم منهم إكباراً وتعجباً ، كيف يعصلهم من هو مثلهم ومنهم ؟

وكذلك الشركاء ، وكذلك من النساء الصرائر ، ومنه قول أم رومان لعائشة قالت لها د رماها أهل لإهلك يائسة حفصي عليك الشان ، أي هوى عليك هذا الأمر ، فإنه قل امرأة وصيثة عند رجل لها صرائر إلا أكثرت عيبها

وكذلك المشتركات في عامة الأشياء من النسب والتجارة والصناعة والشجاعة والجمال والقوة والصوت والعمل والعلم ، يسرع الحسد من بعضهم إلى بعض مالا يسرع منهم إلى غيرهم هذه مدهاب الحساد

فحمله الحسد المحرم من الحساد كراهة ما يرى من غيره من النعم وحب روائها عنه وحمله الحسد الذي ليس محرم إلا أن يستعمل الحاسد بعضه فيما لا يحل ، كاستناسة في الحرام ، وهي استناسة في حير الدنيا والآخرة أن يحب ما يرى غيره من النعم أن يكون مثله . وأن

بإلله ما دونه ، غبطة منه به ، فأحب أن يكون مثله فيما يعطيه ، وبكره أن يكون دونه في الخير ، ولا بكره له ما يرى به من النعم ، إنما يكره نفسه أن يصغر به دونه ، فيحب للحاق به ولا يحب ردول النعم عنه

وأما شح النفس وفله محاها بالخير للعباد فذلك شر الحاسدين ، ولا يحسد لمعى عداوة ولا غيرها أكثر من أنه لا تسحو نفسه للعباد كما من الله عز وجل عليهم ، عما يجده على قلبه أن رأى غيره نعمه بغير عداوة يعرفها ولا غير ذلك ، أكثر من شح نفسه بالخير مع نعمة منه أن يصل إليهم خير

قلت فم من الحسد تحرّم الله بكره صاحبه ما يرى من نعم بغيره ويحب رواها عنه ؟ قال يسير من الأمر أن تعلم أنك قد عشت من حسده من المسلمين ، وتركت نصيحتته ، وشاركت أعداءه ، يبيس والكفر في محبتهم للمؤمنين رواه النعم عنهم ، وكرهه ما أنعم عليهم به ، وأنت قد سخطت قضاء الله عز وجل ، الذي قسم عباده ، فإذا علمت ما قد دخل عليك من هذه الضرر العظيم بغير منعة في دين ولا دينا ، ردعك ذلك عن حسد ، إن كنت مؤمناً بالله عز وجل ، حائفاً على نفسك من عصبه وعقابه ، فلم تتعرض لوجوب عصبه عليك من غير اجترار منعة في دين أو دينا صارت إليك ، ولا هي إليك صائرة بورلت النعمة عن من تحسده لأنها إرالت عنه لم تصبر إليك ، فلا تتعرض هذه الضرر العظيم الذي يوجب سخط الله عز وجل ، بغير منعة في دين ولا دينا ماها مؤمن عاقل

وأسر من ذلك كله أن لو كان لدى تحسده أنعم الناس إليك وأشدّهم عداوة لك أنه لا ترون النعمة عنه بحسبك له ، لأن الله عز وجل لو أطاع الحاسدين في المحسودين ما بق عليهم نعمه ولكن أنعمى نعمه وقسمه بعده ، ولا يضر إلى حسد الحاسدين ، ولو فعل المحسودين ما أحب الحاسدون هم ، ما بق على السيئ صوت الله عليهم أجمعين نعمه ، ولأضر الأعباء بحسدهم لهم ، ولأصل المؤمنين الحسد الكافرين لهم ، ولكن الحسد على الحاسد ضرره والنعمة جارية على من أراد الله عز وجل أن يتجها عليه في الوقت الذي أرادته وقدره ، ولا يضر إلى حسد الحاسدين

ألا ترى إلى قوله عز وجل

(وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُصِيبُكُمْ وَيَمُوتُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ )

فاحتهم أن يفصل المؤمنين صلوا بدت ، لأن تلك اخته هم صلال لاسم حبوا أن يرجع المؤمنين صلالا ، وذلك هو الصلال أن يكفر بالله عز وجل ، فمن أحب أن يكفر بالله تعالى فهو كافر ، فإرادته كسر عيدهم مع عيدهم لدى <sup>صلى الله عليه وسلم</sup> والمؤمنين

وربما مثل الحاسد حين عاداه أو باهاه أو تكبر عليه أو تعصب عليه أو تفصل عليه ، مثل رجل أراد أن يرمى عدوا له بحجر ، فلما رماه له رجح الحجر على عين الزمى فأصابها ، وأعاد الزمى رجح الحجر يض على عينه فأصابها ، حتى فعل ذلك مررا كل ذلك لا يصيب عدوه ، ويرجع الحجر عليه فيقع بعينه ، وكذلك إب رماه بسهم أو بغير ذلك ، كل ذلك يرجع على عيه ولا يصيب عدوه فلم يك هذا أمدا يرمى عدوه ، وقد علم وبين له أنه لا يصيب عدوه ، وما يصيب نفسه

وكذلك الحاسد قد كان في نعمة قبل أن يحسد من حسده . وهي نعمة السلامة من الحسد ، فلما حسد وأحب روال النعمة عنه ، رأت عن الحاسد النعمة التي كانت عليه ، وهي نعمة السلامة من الحسد ، فتروى عنه سلامته من الحسد ويصحب للمؤمنين ويرى به من المكروه ولا يتم أعظم مما أراد من يحسده وتبقى النعمة على الصود لم تزل عنه

فإذا كنت أردت روال النعمة عن غيرك . وأن يرل به المكروه برواها عنه فلم تزل عنه بآرادتك ، ولم يرل به مكروه لخصتك به المكروه ، وتروى عنه لنعمة بذلك تحبته ويرل بك أب المكروه من الإثم . وبعل الله عز وجل أن يحبط عليك بذلك ، فأرسلت نفسك ما أردت بعيرك . وربما كان أكثر مما أردت به . لأنك إب أردت أن تروى عنه نعمة للدين وينزل به الإثم . فقد يرل بك ما أردت أن يرل به . وسيم هو مما أردت به

وإن كنت أردت أن تروى عنه نعمة دين وأن يرل به مكروه في الدنيا فقد أرب نفسك من لصر أعظم مما أردت به . ولم تزل عنه نعمة ولا تزل به مكروه مما أردت به وكذلك قال الله عز وجل ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا نَعْبُدُكُمْ )

فهل يست وبين أرمى بالحجر عدوه يرجع الحجر على عينه فارقا<sup>(١)</sup> " بل است أعظم نلاء وصررا ، لأنك إذا حسدته فقد تعرضت لحبط الله عز وجل فيه . وأثبت برئوب وم ترل عنه النعمة ، ورجع عليك عهدة للإثم ، فصار في عينك ، فدهت ه . وكنت عليك إثم تؤخذ

به في الآخرة ، وستوجب به غضب الله عز وجل ، فلو رجع الخبث على عينك بدل الإثم كان خيرا لك ، لأن عينك ذهبة ناموت والبلاء لا محالة ، وإن لم تحسد لا يبلى ولا يمحى حتى يوقعت الله عز وجل عليه ، ويسألك عنه ، ثم بعد ذلك يكون آخره نظامه لكبرى ، غضب الله عز وجل عينك من أجله ، فلأن تذهب عينك في الدنيا خير لك من أن تكون لك عين في النار ، ثم لا تلتفت أن يعصها العذاب ، أيها أيسر حالك أو حال من حصد رميته إلى عينه ولم تصب عين عليه ؟ فهو أيسر منك حالا وأنت أشد منه بلاء وضررا ، إذ لم ترل السم عن حسدته ، ورأيت عنك النعمة التي كانت عليك من سلامة قلبك من الحسد للمؤمنين ، فأتركت نفسك ما أردت بعينك أو أكثر ، ولم يترك الله عز وجل ، فيه الذي تحب ، وبقيت النعمة عليه على لرغم منك واخرج منك ، وما دخل عليك من الضر في دينك أعظم عينك ، إذ لم تحصد الآخرة بدون السم بقلبك ، كما رأيت به حسنة أصحمت بها وبعدد قلبك بالعم بها فأن الله عز وجل ينعمه بطاعته أو بالدينا وتعذب قلبك بحسده

فأنت معصوم وهو مسرور ، فعدت نفسك بنعم عينك ، بنعم منعة دخلت عليك ، فأنزلت بنفسك العم بعينك ، وأثمت وتعرضت للعذاب والعقوبة ، ليس يحفل هذا الوصف عقل ، ولا يقيم على الحسد بعد هذا الوصف ليب ، إذا تفكر عقل ما يصرفه مما ينعمه ، إذا كان مؤمنا ، من الكفار لو تدبروا هذا الوصف لردعهم ذلك عن الحسد ، وإن كانوا لا يؤمنون بالبعث والحساب ، إن علموا أن قلوبهم معدة بانعموم نعم الله عز وجل على خلقه ، والنعم على انعم عنه حارية عبر رائته ، فهم أعطوا ما أرادوا ، وعدوا أنفسهم بالعم ، وتنعم أولئك من يتدبرون به فما من كافر لا يؤمن بالبعث يعرف هذا الوصف ، إلا ردعه عن الحسد ، إن كان له عقل ، من أجل دنياه دون آخرته ، فكيف من آمن بالبعث ، وعلم أن في الحسد الإثم الكبير ، وأنه لا يأمن غضب الله عز وجل في ذلك ؟ فذلك أولى ألا يتعرض لحسد بقلبه لخصمه ، فضلا عن القول به ، إذ كان بهذه المنزلة ، فذلك بئى حسد حين يعترض ، ومن كان معتقدا له عرفه ، وأعطى العزم ألا يعود فيه ، ويحذر فيه يستعمل

وأبصر بما يقوى على بئى الحسد من قلبك بعد قبوله ، وردّه حين تعرض في القلب أن تعلم أن الحسد في نية والدين من حسد ، ليس بفساد ، وإن كانت نعمة من الدين بأحد من المؤمنين وكان المعصية عليه بها عوقب في الدين أو مثلك أو دونه ، فإن كان عوقب فم يحصيه بعملك فتعمل مثل عمله أو تعلم مثل عمله كرها وحسداً ، فذلك السحق به في العلم أو العمل ، فتكون مثله ، فكمرة إبليس

ذلك ان تحبه على ما وهبه الله من ذلك ، وحسدك أن تشركه بمحبتك به عن ذلك ، فتصرب  
بشركه معه إذا أحببته عن ذلك ، صعب ، وأحببت أن تكون مثله ، فألقى في قلبك المدعى إلى  
حسده وحب روال العمة عنه لأن لا تصرب معه سهم الحب ، فإفانك لعمل والعم ، فقصه  
إليك وحب روال العم عنه ، لأنه علم أنك إن أحببت على ذلك ، وفرحت به كما نعم الله  
عروحل عليه ، شركته في الأجر ، فألقى في قلبك الكرامة لعله وعلمه ، وحب روال بعبه عنه  
لأن لا تلحق به محبتك ، فعبرت أن تلحقه بمحبته

ألا ترى إلى قول الأعرابي للنبي ﷺ - الرجل يحب القوم ولا يلحق بهم ، حين سأل النبي  
ﷺ عن ذلك ، فقال النبي ﷺ « هو مع من أحب » يرويه عنه صفوان بن عسال  
والأعرابي الذي سأل عن قيام الساعة فقال ماذا أعددت لها ؟ فقد ما أعددت لها كبير  
صلاة ولا صيام ، إلا أني أحب الله ورسوله ، يعني عن طاعتهم حباً لطاعهم ، فقال النبي  
ﷺ « أنت مع من أحببت » قال أنس لما فرح المسلمون بعد إسلامهم كمرحهم يومئذ  
يحبرك : أنه كان أوثق أهلهم عندهم بعد الإسلام

ومنه قول أبي موسى « قلب يا رسول الله ، الرجل يحب النصلي ولا يصلي ، ويحب الصوم  
ولا يصوم ، حتى عد أشياء ، فقال لبي ﷺ « هو مع من أحب »  
وقال رجل لعمر بن عبد العزيز إنه كان يقال إن استطعت أن تكون عالماً أو متعلماً  
فكن ، فإن لم تستطع فأحبهم ، فإن لم تستطع فلا تبعهم ، قال سبحانه الله ، لقد جعل الله  
عز وجل له مخرجاً

فأراد العدو أن يصدك عن أفصل الأعمال لك ، مقصراً كنت أو عاملاً ، لأنك إن كنت  
عاملاً فأحببت من سيقك من النيين والصدقين ضرورت بطاعتهم ، شركت معهم ما أحب وكنت  
معهم ، كما قال النبي ﷺ

وإن كنت مقصراً في العمل فإفانك لعمل ، م يفتك أن يكون معهم بمحبتك ، فصنتك عن  
ذلك لإرادة لا تلحق بهم بمعنى من المعاني ، ولم يرض أن عرصك لحرمان اللحاق بهم حتى دعاك  
إلى بعض فعلهم أن تكون معهم ، ويرى بعضهم ، والعشهم ، وحب روال بطاعات عنهم ،  
فصنتك أن تلحق بمن حسدته ، وازددت به ، وازددت في الله عمداً ، فإفانك لا تلحق  
به وازددت عمداً في قلبك ، صبت من الإثم ، ولكن مع ما فإفانك من اللحاق به أثمت

فاستحققت أن تهدك بها يسجد به من حسدته ، فأنت ولم تكف ورعاً ، ولو كسفت من الحسد ورعاً لأجرت وسلمت ، فأنت على ما يؤثر به من حسدته  
وقد جاء الحديث : « أهل الجنة ثلاثة : المحسن والمحب له والكاف عنه » وذلك أن تكف عنه ورعاً ضجه لك الجنة بذلك  
فليظن الحاسد على من أدخل الضرر ، ومن حرم الخير ورالت عنه النعم ، ومن عيى ، هو أو من حسده ؟

ولو كان يضرب المحسود حسد الحاسد له ميرل عنه حسده له النعم ، لفسحل عليك أعظم لضرر ، لأنك لا معنى أن يحسدك غيرك ، فلو كان الحسد يضرب المحسود ما بقيت عليك نعمة إذ كتب لا معنى أن يحسدك حاسد ، فحب روال النعمة عليك ، فإن أردت ألا يطع ربك عز وجل فيك الحاسدين فأبأ أهل ألا تحسد عباده . انزع عنته وشكره له على ذلك ، ولو لم يكن في حسد إثم لكان أهلاً أن لا يعصيه ، إذ يتم عليك نعمة ويرجع الحاسدون عسراتهم ، منكسرة شهواتهم ، ومحنهم ويزادتهم مردوده عليهم ، مع روال النعم عنهم في دينهم ، تفصلا منه وبكرماً وامتناناً أن لا يعطى الحاسدين فيك ما يحبون ، فاشكره على ذلك

فدع الحسد الذي لم يطع به غيرك فيك لو كان هو الحاسد لك ، فارص بما قسم لعباده ، فإنت إن لم تفعل حاسبت عنته ، وباررته بالخلاف بما أوجب وما آمن أن يرول عنت من اسم في الدنيا والدين سوى ما زال عنتك من نعمه لسلامه وانصيحه قبل أن تحسده فيرون بك ما عنت بعيرك ، عقوبة من الله عز وجل ، لأنه يقول تعالى  
(وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ<sup>(١)</sup>)

وذلك كلما كره ، إنما أراد أن يفعل سوء بعيره ، فحان به ما أراد بعيره ، وكذلك الحاسد لا يأمن أن يتزل به من البلاء وروال النعم مثل ما أحب للمؤمنين  
وقد يروى عن بعضهم أنه قال : ما عنت لعنان رضى الله عنه شيئاً إلا نزل بي ، حتى لو عنت به قتلاً لقتلت

فلو لم تدع الحسد خوفاً من عقوبة الآخرة - إلا خوفاً من عقوبته في الدنيا أن يتزل بك مثل ما عنت من حسدته ، وساءك ما أتم عليه به ، فلا يسم الله عليك مثل ما أتم عليه به إذ

سألك تمصّل الله عزّ وجلّ عليه . فتحوّف بلاد الدنيا ورواها العر فيها . كان يسعى لك أن تدعه يو  
أُمت حقوقه الآسره . ومانك أن تأس ذلك وعد منه الله عزّ وجلّ . والرسول ﷺ وسخطه الله  
عزّ وجلّ . وسخط على من اعتقده . تحريك بذلك في غير موضع في كتابه . يدمّ أهل الحسد .  
ويجربك أن لأنهم ماضية هو الذي فرق بينها ، وألقى الاختلاف في ديبها . ولو لم تحفّ عليك عقوبه  
أخيرة ولا ديبها ولم تكرّ عليك فيه إثم . كان يسعى عليك أن تدعه لتعذب تلك بالنغم من عبر أن  
نصير إلى ما أردت من حسنه . فلو لم ندعه إلا لدنث ، كنت حريّا أن تدعه من أجل دنثك إلا  
أن يكون معترفًا لأعقل لك إذ عدست قلقت بالنغم ولم تترك ما تريد .

وإنما سميت تلك هذه خلال التي بها بقي الحسد . إن عسخّ نصت برك الحسد بالخنة  
الأوى . فعسى أن يسحو أن يتركه بالخلة الثانية ، فإن لم يسحّ بك فيه فعسى أن يسحو بك فيه ، أو  
الرائعة فتدبر ذلك ، وباصبح نصت . فإنه قد شمل عامة أهل الدبر والديب . ولقد عجلت  
بعض عهوة الحسد في الدنيا ، كما لزم قلبك من نعم وصيق البصر وكثرة انهم بغير اختلاف  
ديب . مع دهاب الدبر بعثت بنفسك للعباد وسخطت بسم الله عزّ وجلّ هم وعمك بمرحهم

## باب متى يعمم العدو أنه قد نبى الحسد ؟

قلت قد بُيِّنَ الحسد وعظمت ضرره ، فأحب أن أُنصِّح به بعلم . فما الدليل إذا دُكِّرَت  
بعض ما وصفت مما يُنبى به الحسد أن نعلم أنى قد بعينه عن قبي وحاسنه ؟ وقد أُجِلُّوا أذكر  
بعض بعض ما وصفت ، وما أُعْطِيَ من بعض ما نكرهه لنفسه حتى نعلم الله به عليه وحب  
رواها

قال بل لا تغتر أن تُسَكِّبَ عدوك بلس ، ولا تعير طبعك ، فتجعل حلقه نفسك حلقه  
للتنازعك إن حسد من عادها . أو حنص بشئ ، دوسها ، أو يريد أن يكون لها دوسها . فلا تكدر  
تلك نفسك ، خطر العدو بتدكير حسد ، أو لا يتحرث الطبع . وم تُكَلِّفْ ذلك أن جعل طبع  
نفسك شبه لا يعمل ولا يسهو ، ولا ينارع إن محبوب . ولا مكروه ، فذلك طبع ملائكة وإله  
كُتِّفَ أن بعض عقلك عن الله عز وجل . فلا تمل إن عبر طبعته . فاد بُدب عقلك في  
سودعه الله عز وجل من المعرفة بضرر حسد على مارة طبعك ودعه عدوك . فكيف من  
من عقلك كارهًا لما نا عل إلب طبعك ، نيا نددك ، فلم تركن إليه من قل عقلك كراهه به .  
خوت من الحسد

وكذلك جميع ما نا من روعى لشرى لغلوب ، فإد كست لنفسك كارهًا نيا له من عقل  
عقلك ، فلا تصرط مارة نفسك به وخطرات العدو

وهذا روى عن الحسن بن سفيان صلى الله عليه وسلم أنه قال « ثلاثة في مؤمن ، به مبهل يخرج لطيره  
والحسد و بطن ، انحرجه من الصدر ألا يزد ، وانحرجه من الحسد لا سعى . وانحرجه من نظر  
لا حقد »

فأحذر النبي صلى الله عليه وسلم أن من به بيع فقد حرج من حسد به ، بيع له الشر ولم يحب روال العلم



## باب الرد على من قال إن الحسد بالخوارح وأنه لا يضر إذا كان في القلب ما لم يبد بفعل جارحة ، ويان خلافه للعلم

قلت : لما معنى قول الحسد ، وسئل عن الحسد ، فقال عنه ، فإنه لا يضر ما لم يبد  
قال معنى ذلك صحيح ، لأنه إن عزم ولم يبد ولم يدع [إساءة] ، لا من كراهته به حدث  
إحدى وصفت له من لرد بانكرهته ، لأن لكرهته معته أن يبد ، مستعمله بلسان أو جارحة  
ولو أنه لم يبد أن يبد ، كما قال الحسد ، ولكن لم يجد له موضعاً ولا أحدًا يبد  
إليه ، وقد نكره ويسوء ما أنعم الله به عليه ، ويحث روال ذلك عنه ، فكان حاسداً ، لأن الحسد  
بما هو بالقلب ، وإن يستعمله باللسان أو اليد كان أعظم ، لأنه ، كما فعل إخوة يوسف  
ليوسف

فإذا استعمله بالكذب عليه وإسرية له ، أو الكلام أو الوقوع فيه عند من يقل منه ، فيجرمه  
الخبر من علم بعده ، أو صلة بصره بها ، أو معونة بصره بها ، أو الدعاء عنه ، أو الأذى له  
بالخوارح ، وذلك كله ليس بالحسد ، ولكن عمل عن حسد ، يثب عليه الحسد ، حتى يستعمل  
حورجه بما يكره الله عز وجل ، فمن حده ولو كان هذا هو الحسد لكان هذا الفعل من  
إساءة لربه أو خوف أو طلب دينا حسداً كله ، فكان جميع إساءة لعناد بعضهم إلى بعض  
حسداً ، فكانت معاصي العناد بعضهم في بعض حسداً ، فلم يضر أحد في أحد إلا بحسده ، وهذا  
مألا يقول به أحد يعلم أو يفعل ، بالحسد بالقلب

وكذلك وصفه الله ، عز وجل ، من الحاسدين ، فقال

(إِنْ تَمَسَّكْتُمْ حَسَةً تَسُوهُمْ)

وقال ( مَا يَزِدُّكُمْ إِلَّا كُفْرًا مِنْ قُلُوبِكُمْ ) (١) وقال ( مَا يَزِدُّكُمْ إِلَّا كُفْرًا مِنْ قُلُوبِكُمْ ) (١)

وقال . (وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يُصَلُّوكُمْ)

وقال (وَدَّتْ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يُرْكَبُوكُمْ مِنْ تَحْتِ رِجَالِكُمْ كَقُلُوبِ حَسَدٍ) <sup>(١)</sup>

فوصف الحسد بکراهية القلوب للحسابات التي يمين بها على المؤمنين . من نصر أو فتح أو حير  
وحب أن يزور عيهم إيمانهم ، فأصاف الله عز وجل ، الحسد إلى فعل القلب ووضعه به فهو  
بالقلب دون الجوارح

فإن عمله وترك بداءه كراهية له . فقد بنى من عليه أن يعمل به فأمسك جوارحه عن  
استعماله ، لما بهه بانكرهه ، وإن كان لم يقدر أن يسكت علوه ولا يسكت طبعه أن يبارعه ،  
وكذلك قال الحسن ، لأن العبد لا يقدر على تغيير طبعه ولا إسكات علوه ، فإن عمله وترك  
استعماله كراهية له وآتياً أن يقبله ، فقد بنى حسد عنه ، فكيف الجوارح أن يستعمله فيما نارعه  
نفسه إلى حسده ، لما بهه الله عز وجل عنه

وإنما فسرت ذلك لأن طائفة تقول . إن الحسد إنما يصر إذا استعمله العبد بجوارحه ، ويحتج  
بحديث الحسن هذا ، فيذهب قولها . إن الحسد بالجوارح لا بالقلب ، وقد دلل الله عز وجل أنه  
بالقلب ، واستعمله بالجوارح عمل عنه .

ألا ترى أن الله عز وجل يقول (وَلَا يَحْشُرُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُنْزِلُوا) <sup>(٢)</sup>  
فذلك يدل أن الحسد في النفس دون الجوارح واستعماله بالجوارح عمل عن الحسد لا الحسد

نفسه

## باب هل على الحسد مظلمة للمحسود عند الحاسد إذا أصابه ما تمناه له ؟ أو هو ذنب بينه وبين الله عز وجل

قلت فإن ساءنى ما رأيت من النعم ونعمت روادها ، فيرل به من اللاء ما يروى عنه كالعمى يروى عنه ويروى به الفقر ، أو الصحة ، فيرل به لمصر ، أو العمى ، فيحل به الجهل أو العصمة ، فيحل به الخذلان ، أو السر فيحل به هنت السر ، ثم بدت على ذلك ، أياكون للمحسود عندى مظلمة يحب على التحلل منها ؟

قال أما ما كان من عمل القلب ولم تستعمل به جوارحك فذلك ذنب بينك وبين الله عز وجل ، عصيته به في عبادته بهاك عنه ودمته إليك ، فليس عليك في ذلك للمحسود نعمة ، ولا يحب عليك استحلاله

فإن خرجت إلى عيبة أهاجك عندها الحسد الذى فى قلبك ، أو تكذب عليه ، أو تمناله بعائنة تحرمه بها منعمة ، أو تروى به مكروها أو أحد مال لا يحل لك من ماله ، فعليك الاستحلال من ذلك وما أشبهه

وأما ما لم يعد القلب فهو ذنب عظيم ، لا يجرى مجرى المظالم التى فيها لقصاص بين العبادى عمل الجوارح فى النفس والأموال والأعراض ، وبرز شئ لا قصاص فيه أعظم من كثير مما فيه القصاص

وقد جاء فى الحديث « إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » فالحسد ، كما أحرقت بالقلب ، واستعماله بالجوارح عمل عنه ، ولو كان استنمائه بالجوارح حسداً لكانت العية حسداً ، والكذب والصبر حسداً ، والمقتل حسداً والسرقة حسداً ، وذلك كله معاصى ، وقد يكون من الحسد ، وعص الكبر ، وعص الرياء ، وعص حب الدنيا وعن خوف الفقر ، فقد أخطأ من تناول ذلك ، وخرج من معقول الدين

كتاب تأديب المرئى  
وسيرته، وتحذيره

## باب الفتنة بعد هدايته

قلت كيف يكون سيرى في ساعات ليل وهاري ، وكيف أحسب على قدر احوالى ؟

قال إيا الله عز وجل يقول

(اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ كُتِبَ فِي مِثْقَالِهَا (الآية<sup>(١)</sup>)

قال ابن حريج - روح ونفس في جوف الإنسان ، بينهما في الجوف مثل شعاع الشمس ، فإذا توفى الله عز وجل ، لنفس ، كان لروح في جوف الإنسان ، فإن أمست الله عز وجل ، نفسه أخرج الروح من جوفه ، وإن لم يحته أرسل النفس فرجعت إلى مكانها قبل أن يستيقظ

وقال ابن عباس مثل ذلك ، إلا أنه قال النفس العقل - فأحيرنا ربنا - عز وجل ، أنه يتوفى الأنفس في النوم موجب عليها الخدر من ذلك ، ووجب علينا في الخدر التطهر من الدنوب ووجب علينا في التطهر أن نريد بذلك الله وحده لا غيره وشاهد إرادة الله ألا تنهك ستر لمعصيه ولا تقس خاطراً يدعو إلى مخالفته . يد كان هو المتوكلي لتحذيرنا من بعة الموب على عملة من عند منامنا ، بعة منه علينا ورحمة لنا

وكان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام قال « باسمك اللهم أموت وحي »

وكان ﷺ إذا نام قال حين يصطحب اللهم إيا أمسكت مني فاعمرها وارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها عما تحفظ به عبادك الصالحين »

حائف أن يموت في منامه ، يدعو بالمعزة إن قضى موته في منامه ، والحفظ والتوفيق إن استيقظ حيا

وكان بعض العلماء إذا أراد أن ينام قال لأهل السلام عليكم يا أملاء ، مودعهم خوفاً ألا يستيقظ وأن يتوفاه الله عز وجل في موته ذلك

فحزن على المرشد الخائف من الله عز وجل ، ألا يأمر بعنه الموت على كل حال . وفي مقامه حين بنام . فيحاف ان يموت في مقامه ، وألا يقوم منه . فإذا أُلزم قلبه الخوف بددت حقوق عهده أن يحققه بالحل . أن يقص الله . عز وجل . روحه في يومه وهو مصر على بعض ما كره الله عز وجل ، من ركوب بعض شيء أو تصبغه بعض حقه ، لمعطى الله سبحانه . استم على ما كان منه ، ويعزم على التوبة أنه إن أصبح حيًّا احتب كل ما كرهه الله عز وجل . وداء ما وجب عنه ورد ما أمكنه من المظالم إلى أهلها . من ما أو استحلل في عرص . فإن مات في مقامه بى الله عز وجل معصراً له ذنبه إن شاء الله . وإن أصبح حيًّا كان عزمه على التوبة مهيجاً له على حياة من الله عز وجل . لأن العبد أقرب ما يكون من لعم أشد ما يكون من الله عز وجل حياة إن عقل أن يقرب نفسه بأنفس إنما عاهد الله عز وجل سرحه أنقص عهدك بياض سر يقا لم يق به بعرك يومًا وحلًا ٩ ثم تجد التوبة في القابلة إن عشت بعد يومك

فكلم أصبح حمدت الله عز وجل . إن أهدت وم تتوكل في مقامك . كما كان سى ﷺ يقول . يستيقظ من مقامه . الحمد لله ندى أحيى بعد ما ماتى وم يتوفى في مقامى « ثم تأخذ نفسك بوفاء بالعم . وقد كرها قرب العهد . وتبجحها على حياة من الرب حل وعز فكلمنا مع حدثت بعم وذكرت خوف لعمرة أسوء لأنك كسبت وقد سمأه الله عز وجل وفاة . وتحاف الله عز وجل أن يتوكل في يومك

فإذا أصبحت ذكرت لشور . ولعت وعرض على الله عز وجل لأن الله عز وجل سماه بعث وهو شبه به . وكان لى ﷺ إذا استيقظ ذكر الشور . فقال « اللهم بك احيا وبت موت والبت الشور »

فإذا استيقظت لأمر ما بته به حمد لله عز وجل . إذا يقصك وه يتوكل وبه كمشه ثم إذا أردت أن تصوم أهدت ثوبك هويت به لسركما أمرت بالبروح . من الله عز وجل وملائكته . وبستر من أعين الحر ومصر حصرك من الإنس . ثم تأخذ سواك إن أمكنت . فتستاك سوى به طهاره عت . ومصره ربت . وساع سى ﷺ ثم نعوذ من احتجت إلى ذلك لإيقاء الأذى عت . لئلا تصير وهما بدعت . تتبع بدلت ما أمر به سى ﷺ . فإذا دحيت . خلأ . لحاكتك قلت كما كان لى ﷺ يقول إذا رد الخلاء « سم الله أعوذ بالله من سخت والحيات . أعوذ بالله من لشيطان الرجيم . فإذا خرجت قلت كما كان لى ﷺ يقول « الحمد لله الذى أذهب عني ما يؤذي وأبقى في ما ينفعى »

ثم تروصاً . فتعسل يديك ، اناعاً لسنة بيك ﷺ . يستحى شمالتك نظافة وابعاعاً شحة ربك عر وجل ، إذ يقول

(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (١)

لأنها تروص في أهل قباء إذ استجرو ماءً ثم تروص أطرافك لاداء فرص بوضوء الذي أوجه عليك ربك عر وجل ، لتؤدي فرص الصلاة التي لا يصفها الله عر وجل إلا به ، ولما أوجه الله عر وجل ، ولقول النبي ﷺ « لا تنهل صلاة غير طهور » في هذا دليل على أنها بالظهور مقبولة من رحمة الله عر وجل

فلتتزم ذلك مع أدائك الفرص الأمل والرجاء أن مقبل الله عر وجل صلاتك فتكف استشف . أو تمصصت . أو وضأت طرفاً من أطرافك . أمثلت كفارة ما أصبت من الدنوب بخوارحك . كما قال النبي ﷺ « إنه يكفر عن تعدد المؤمن ما أصاب بمواضع الوضوء من الدنوب » . لأنه قال « إذا غسل يده كفر ما أصاب من الدنوب حتى عد مواضع بوضوء من الدنوب »

فإذ فرغت من وضوءك أتيت مسجدك . وبوب ببابك المسجد أداء الصلاة في الجماعة اناعاً لسنة بيك ﷺ ومعافاة المسلمين على أداء الفرص ورجاء الرحمة بدعاء من يحضر معك من المؤمنين . وأنت راثر الله عر وجل وتأس بريراتك ما قد سببت « من أتى المسجد فهو راثر لله . وحق على الزور كرامة الزائر » فتأمل أن يكرمك الله عر وجل . بوضوئه عنك وحسنه فإذا قصبت صلاتك نظرت أيها أهمل وأوجب لرومك المسجد ، أو دحونك منزلك ، أو علوك لمعاشرتك . أو بير واحب . أو بطوع . فإني ذلك كان أولى بك فإتته

فإن دحيت منرك ذكرت الإشفاق الذي وصف الله عر وجل به أوليائه بدِين يأحهم الله عر وجل حوره . ودخلهم داره . إذ قالوا حيث استقرت بهم الدار « يَا كُنَّا قَتْلُ فِي هَلَاكًا مُشَقِّقِينَ » قد اعطوا في إشفاقهم في أنهم ، بالرم قبك لإشفاق رجاء أن تأمن به في الحنة مع إشفاق من أوليائه . فإن رل أحد منهم بينه بتصى أمر الله عر وجل فيهم ، بأن تقيهم نار جهنم بقوله تعالى (قُوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا) (٢)

عين في التفسير ذبهم وعمومهم

فإن أردت أن محرق في حاحه أو إلى سوقك ، فهدم لبيات من حروحك ، وإن قدرت ألا بدع شيئا مرجو أن ينطبع الله عز وجل في طرقتك أو في حاحتك أو في سوقك أن يوى به فاضل ، فإن أجرك على قدر بيتك

ألم سمع إلى ما روى كعب أنه وجد ثلاثة أسطر في كتاب الله عز وجل ، « أن الشهداء ثلاثة رجل حرج في سبيل الله يحبس ماله ويكثر جماعة المسلمين نفسه ، لا يريد أن يقتل ولا يقتل ، أتاه سهم عرب فقتله ، فذلك تعمر به دينه بأول فطرة تقطر من دمه ، ويشع في سبعين من أهل بيته ، ورجل حرج في سبيل الله يحبس ماله ويكثر جماعة المسلمين نفسه ، يريد أن يقتل ولا يريد أن يقتل ، أتاه سهم عرب فقتله ، فذلك ركنه مع ركة إبراهيم خليل الرحمن في أخيه ، ورجل حرج في سبيل الله يحبس نفسه وعلمه ويكثر جماعة المسلمين - يريد أن يقتل ويقتل ، أتاه سهم عرب فقتله ، فذلك شاهر سيعه في أخيه قتاله عرش الله عز وجل - يشع فيمن يشاء لا تنصي له فيها صرمة يعنى كلمة »

فما روى بين بعضهم وحروجهم وسبب قتلهم ، كلهم أتاه سهم عرب فقتله ، وفصل الثاني على الأول ، لأن الأول لم يرد أن يقتل ولا يقتل ، وراد الثاني أن يقتل ولا يقتل ، وفصل الثالث على الثاني إذ توى أكثر مما توى ، لأنه أراد أن يقتل ويقتل

وقد قال كعب هي ثلاثة أسطر في كتاب الله عز وجل ، فأخبر أن ذلك عن الله عز وجل وروى بعض أصحاب ابن المبارك أنه رآه يمشي في طريق مكة فقيل له ، فقال أسر الحمائل وأرواح عن الجمل

فكنا نويت أكثر كان لك الأحر أكثر ، فإذا حرجت فأوكلها قدرت عليه بما يمكن من لبة ، فإن فعلته أحررت على بيتك وعلى فعلك ، وإن لم تفعل ذلك أحررت على بيتك فإن حرجت إلى سوقك نويت إن مررت ببعض المحالين أن تسلم عليهم ، وإن رأيت مظلوما أن تنصره ، وإن رأيت مسكرا فاستطعت أن تعيره عبرته وإلا أنكرته بقلبك ، وإن مررت بأذى أن يحيطه عن الطريق

وتوى بن لقيت لأصحاب وأما عرف ، أن تسلم عليهم وتسلمهم عن حاحهم لله عز وجل على قدر أقدارهم من نجه لله عز وجل ، أو تعنى به لقربة أو غير ذلك ، نويت أن تسأله عناية منك بأمره ، لتؤجر على سلامك وموالتك وعنايتك به وتحمده به الله عز وجل أو يلزحم وصية له ، ومن كان سريا أن تبشر به إن لم تكن تعنى به ، نويت أن تسلم عليه ، لإدخال السرور عليه ، لتؤجر في



سلامك و تدخلت السرور عليه ، ومن كان لا تعلم به مروراً وكاتب بيت و بينه خططة ، سلمت عليه ، لأن تعرضه للآخر أن يحمد الله عز وجل ، كما سألته ، وكذلك يروى عن ابن عمر أنه قال ما أخرج إلا لأسمه ويسلم على ويحمد الله عز وجل

وروى المفصل بر عمرو ولم يصل الحديث قال : « بنى رسول الله ﷺ يعنى رجلاً فقال كيف أصبحت ؟ قال صالح ، قال كيف أصبحت ؟ قال صالح ، قال كيف أصبحت ؟ قال خير أحمد الله ، قال : هذا الذي أردت »

وقال عمر رضي الله عنه رجل - كيف أنت ، قال : خير وأحمد الله ، قال عمر ياها أردت يحبك أنه أراد منه أن يحمد الله عز وجل ، ومن كان يغم إن أعرضت عنه ولم تأمن عليه أن يعصى الله عز وجل فيك ، نويت أن تسلم عليه ثلاثاً يكون لشيطان عليه سسل ، فتقدم لسان فيهم كذلك ، فكلما لقيت أحداً منهم ذكرت عليك ما قدمت من النية ، وإن لم تذكر كانت النية الأولى محبتك ما لم يعترض لك خوف مدمهم ، أو حب محبتهم ، أو رجاء طمع تناله منهم ، فإن عرص شيء من ذلك فقلت ، بقيت عن قلبك ، ومضيت على بيتك ، وسكنت وأسألت لله عز وجل وحده

وكن حذراً قل الأعترص من الخطرة بدواعي رياء لأن العدو حين تلقى من تسم عليه يحضر بالثبات به يستجيب ، أو يحمدك و يحضرك إن لم تسم عليه يسبق إلى قلبك ذلك فتشعلت أن تحتسب الثواب في سلامك وسؤالك ، فتعقد ما خطر به ، فلا تحتسب الثواب في سلامك ولا في سؤالك ، فلا تدع أن ينوي بإفشائك السلام على المحاسن في لعنة الأجر والثواب ، كما أمرك النبي ﷺ حين يقول : « أفشوا السلام بينكم »

وقال عمار « ثلاثة من جمعهم جمع الإيمان ، أحدهم بدل السلام للعدم » ونوى إن يسلم عليك أن ترد ، فتقوم بالفرص

ومرعى إلى النبي ﷺ رجل ، فقال السلام عليكم ، فقال « عشر حسنات » ثم مر آخر ثم قال السلام عليكم ورحمة الله ، فقال النبي ﷺ « عشرون حسنة » ، ثم مر آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال النبي ﷺ « ثلاثون حسنة » يرويه الحسن ومكحول عن النبي ﷺ إلا أن مكحولا قال قال رسول الله ﷺ « هكذا يتفاضل الناس » وروى إن سئلت عن حالك أن يحمد الله عز وجل ، فإن لم يسلم عليك ولم تسأل عن حالك كنت مأخوراً بنيت التي قفنتها ، وإن سلموا عليك فرددت ، أو سألتك عن حالك فأجبت .

ذكرت أنك بيتك المتضعة طلب الثواب فيهم ، فأجرت في البيت والعمل ، وإن سهوت حسمت  
وسئلت من حالك فأجرت بغير طلب لثواب ، كنت مأجوراً على بيتك المتضعة ، لقول النبي  
ﷺ : « مَنْ هَمَّ بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة »

إذا سئلت أجبت بعقل محسب للثواب ، ولا تكن كمن يُجيباً بغير فهم ولا احتساب  
لثواب الله عز وجل ، فإن الناس قد أُخروا المسألة بينهم بغير عناية ولا حسنة ، فالسائل لا يعي  
ولا يحسب ، والمسئول لا يرى أنه يُسأل لعناية ولا حسنة . ولا يعقل عما يسأل لأنه قد سئل لو  
سأل أن الذي يسأله عن حاله عناية منه به نعمت كيف حاله لأخاه عما يسأله عنه ، لأنه لو قيل  
لمريض كيف ست المارحة ، أو كيف يحدث ، علم بحسب عن حاله بذكر نعمة الله أو بذكر  
ما يجد من الوجع ، لما قُبِح منه بدون ذلك ، لأنه لو قيل له : كيف أنت ، فقال : كيف أنتم لما  
قبوا منه بذلك ، لأن مسألتهم بآية عن عناية به ، فأما للأصحاء فعامة مواهم وإجابهم عن غير  
فهم ولا عمل ، يقول الرجل للرجل كيف أصبحت ، فيقول له كيف أصبحت ، فلو عمل السائل  
لما وقع منه بدئت حتى يحويه عن حاله كيف أصبح ، أو يخبر عن نعمة الله عز وجل عليه ، ولو عقل  
الحبيب عما يُسأل لأخاه عما يُسأل عنه ، يذكر نعمة الله عز وجل وحمله ، والله عز وجل يستحق  
منه ذلك ، فإن قيل بك : كيف أصبحت أو كيف أنت أو كيف أصبحت ، قلت بحمد والحمد  
لله

روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « من سئل كيف أصبحت فقال بحمد والحمد لله  
فقد أدى شكر دينك اليوم » وقال أبو الدرداء : « إذا قال الرجل لأخيه ، كيف أنت ؟ فقد  
بحر ، والحمد لله ، قال الله جل وعز : انني عبي وعبدني »  
ضوى أن يحب بهم وعقل محتسباً بذلك ثواب الله جل وعز ، فإن سئلت فأجبت بعقل  
بيتك التي علمتها على أن يحب بعض محسباً للثواب ، وإن لم تسأل أو سئلت فأجبت بغير فهم ، لم  
حب من بيتك المقدمه التي قلتمها ، حين اردت الخروج من مرلك ،  
وئوى أيضاً إن . ست امرأة أن تعصى بصرى ، وإن سمعت لها أو معصية لله عز وجل لم تصع  
إليه ، وأن تعتبر بما ترى بعينك وتسمع بأذنيك وتشم بأنفك فأنت مأجور على بيتك ، فعلت شيئاً  
من ذلك أو لم تفعله

وإن كنت تريد أن تأتى موثقاً ببيت أيضاً مع هذه البيات أن تأتى سوقك أو سبياً  
معك صبيحة أو وكالة أو عردك لطلب الخلال ، والاتباع للنبي ﷺ ، وللمشواقي بصدك

وعياث . فلاكتساب عليهم ، ولاستصاء عن الناس . وتعتطف على لأح والحا . ود .  
لزكاة . وكل حق فيه وحسب . تأمل بذلك أن يلقى الله عز وجل ووجهه كالقمر ليلة البدر ،  
كما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال

« ومن طلبها جلالاً استعفاً عن الله عز وجل ، وكذا على عباده . وتعتطف على حاربه . في الله عز وجل  
وجعل وجهه كالقمر ليلة البدر »

وتوى الورع في سوقه ، وإن تدع كل ربح وأخوة وإصابة بعرض لك ، وإن كانت الدنيا كلها  
إن عرض لك فيها ما كرهه الله عز وجل

وتوى الإخلاص في ورعه في تجارتك ، إذا ظهر لمشتري منك . ومن تشري أنت منه  
أو تعامله في صفة أو غيره وكافة ، وتوى عوب . وسلم في تجارتك ، استعانت لك أو بصرك  
أو يبيع ذلك ، واعتارك أهل السوق وما ترى فيه  
وأن تذكر الله عز وجل في سوق محتسباً ، لما جاء به الحديث : « أن الله عز وجل يعجب من  
الذي يذكره في السوق »

وحديث أيضاً : « ذكر الله في التعامل كالشاعر بسمة حبيب الفانير . ومن ذكر الله في  
السوق كان له من الحساب بعدد كل مصبح وأعجمي » يعني إنسان وسهبة

وحديث عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى سوقاً فقال لا إله إلا الله وحده  
لا شريك له ، ملك وأحمد يحيى ويمس يده خير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألفي  
ألف حسنة وعادته ألف سنة وبقي له بيت في الجنة » نقول ذلك فإن كنت ما ذكر الله  
عز وجل . وتراقبه ، وتسبحي منه أن يطع عندك في سوقك ولا يرى عندك أثر محضنت به من  
العم كاخجل حوت فلا ترص من نفسك ألا يرك الله عز وجل مقبلاً به . إذا كثر له عند حوص  
اخلائصير . كما قال عبد الله بن مسعود . ويسمى حامل القرآن أن يعرف بوجهه إذا سافر  
خطوب . ونصه . إذا سافر حوصون . فيبذل لله حديث ثم يعم وما يرمث من حوته ، فتوى  
هذه لثياب كلها . استنظعت . فتربح حسابات كثيرة من أن يربح شيئاً من بداه حتى يخرج من  
مرلك . فتزجر على عقد بمانث . كما قال كعبه في المثلثة

وكذلك إن عدوت إلى شري شيء من تجارتك ، أو نقضت ديتك ، أو قصاء ما عندك ، أو  
شري شيء ، لأهدت أو بيع شيء ، ربما يبعه . أو إلى صنعك . يربح كل ما فدت منه . ثم

أمكنك فيه أن تؤمل الله عز وجل به وترجو . فإن الله عز وجل معطي على قدر حسنتك وأمدت فيه روحائك من ثوابه

وكذلك إن أردت الذهاب إلى علم ، لم تدع ما أمكنك من سيرة ومحبة في الطاعات ، فتعصوانت نوى أن تسع بذلك أمر الله عز وجل ورسوله ﷺ ، تطلب العلم وما يملكك في دينك ، لتستدبر به على خير أو نهى به عن شر . وتأمّن أن يسهل الله عز وجل لك الذهاب طريقاً إلى الجنة ، كما جاء الحديث عن النبي ﷺ « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة »

وكذلك تأمل أن تصنع الملائكة أجمعها لك رصاً كما تصنع ، كما رواه صفوان بن عمار عن النبي ﷺ ، وتترحم العلماء في خلق الذكر . وكذلك تنوى أن ترتع في روضة من رياض الجنة ، كما جاء الحديث « إذا مررت برياض الجنة فارتعوا قبل وما رياض الجنة » قال جلق الذكر

وكذلك السلام على من تسلم عليه ومساكنه على قدر ما أمكنك . وكذلك زيارة أخ ، أو قصه ، حاجة مسلم ، أو اتباع جنازة ، أو عبادة مريض ، لا تدع شيئاً من البات مما جاء به العلم وأمكن أن تؤمل الله عز وجل له ، إلا بنوته وحسنه ورحمته . فإن تم ذلك كل ما بنيت ، أحرزت على ما قنعت من البات وعلى عملك . وإن لم يتم لك ما بنيت أن تعمل به ، أحرزك الله عز وجل ببياناتك كلها ، لأن النبي ﷺ يقول عن ربه جل وعز « إن الله عز وجل يقول أنا عبد ظن عبدي في فيض في عبدي ما شاء » رواه عنه واثلة بن الأسقع

فعلى قدر ظنك به أن يتفضل عليك تحفه قريباً محبباً

## باب ما يخاف العبد على نفسه بعد قيامه لله عز وجل حسن الرعاية في ظاهره وباطنه

قلت : فما يخاف على نفسه بعد هذا من طريق العمل بعد الله عز وجل ؟  
قال : أما ما دمنا مشتغلا بنفسك ، متحققا بما كنا أحتث به ، فستأحشى عبثك ، لأنك تؤمن  
من قبل الصبح والرحمة ، فأتيتك بليس من ذلك ، وتنازع النفس إلى محبتها فتزدك برعبها إلى  
ما تركت من حب ثناء العباد وحمدهم من جهة الصبح والرحمة للعباد ، وهي تريد قيام المرأة  
وشرف الرياسة ، فتعبد عبث عملك ، ألم تسمع إلى ما روى كعب بن مالك ، عن النبي ﷺ  
أنه قال : « ما دئنا حائغان أرسلا في عجم أنفسنا لما من حب الرجل لمال وأشرف في دينه »  
قلت : وكيف ذلك ؟

قال : إن كثيرا من المريدين إذا تظاهروا من لدنوب ، وحانبوا الرياء ، واعتقدوا  
الإخلاص ، وسعوا قلوبهم أن تريد غير الله عز وجل : لم يجد بليس موضع طمع وم تجد نفس  
موضع راحة إلى الدنيا ، فبما العبد في إخلاصه وقوته ، قد صبى على نفسه الركوب إلى الدنيا  
لرعبها فيها ، والتشبع في الدين لرعبها في رتبة حياة الدنيا ، فلا يجد موضع طمع تزوج به إلى  
الدنيا ، ولا يجد الموضع طمع يُربى به العبد إلى الدنيا ، فالعبد على انعم والقوة ، والنفس  
قد فُهرت ، فهي طائعة من غير نقالات من غريبتها ، متطبعة من يجد موضع طمع إلى الركوب إلى  
محبتها . إذ نظر العبد إلى الناس صرعى في دينهم تصرع بهم الثلاث : حيارى سكارى مرضى ،  
أصبا ، صم عمى موتى ، فعندت على قلبه الرحمة هم ، إذ كان عبده من الدلالة والعرفة ما يفتح  
الله تعالى به أنصار قلوبهم ، وما تُشعرون به من مرض قلوبهم ، وما يُحسبون به من بعد موتهم ، من  
غير عرامة تدخل عليه ، من به عن ذلك لرجح العظم من الله عز وجل

قد مثله إلا كمثل رجل كانت به علة كثيرة ، قد أسهرته في ليله ، وأقلقت في نهاره .  
كالصرب في العين ، والآكلة في الجسد فمدح بدواء لا عرمة فيه ، بعد ثمن أحده غيره من ذلك  
وصبح ، فنام الليل بعد طول سهره ، وسكن النهار بعد طول قلقه . وصار إلى الصحة والعافية .  
فطامت بها حياته . وصفاها عيشه فمطر إلى عبده من المسلمين لهم من العمل مثل الذي كان به

طويل سهرهم . شديد قتلهم . منعصه خيمهم . في نظر إليهم هاجت الرحمة هم من قلبه .  
ويوحهم رحمة هم . معرفته ما كان ينق . فلما استقرت الرحمة هم من قلبه . ذكر ر دواءهم  
لدى يشي الله عز وجل به سقمهم . هو عارف به قادر عليه غير ثمر ولا عزيمة . فمرهم على ذلك  
وبدنه لهم

فكذلك هذا العبد يريد . لما نظر إلى عباد الله عز وجل معرضين عن الله عز وجل . قد  
مرحت فلوهم . وأعصبل دواءهم . وهو عارف بما يحس . ويحسهم من صرعهم . ويشعهم  
مر منهم فلوهم . بإذن الله عز وجل . عزم على ذلك . فدعاهم إلى الله عز وجل . ونصرهم  
عبوهم وداءهم ودواءهم

فلما رأى العدو ذلك . ووجد موضع دعاه إلى نفسه بالرياسة والتصنع والرياء . وتروحت  
النفس . وعلمت أن العباد لن يمتنعوا من عظمته ونحوه وبره . فانتشر عليه صغرها . وحسب من  
الإصدا من الدنيا والكرامة لأكثر مما عصت من الدنيا . لأنها كرامة ومبرة فوق مرة الأمر .  
فصحبهم عند ذلك وقد قربت نفسه فرحت وأراحته . ووجد عدوه موضعاً لدعاء النفس إلى  
حب عظمهم وبرهم . وديك أنهم قد كانت توتهم وشعاه أمارس فلوهم على بدنه . صر  
أحب إليهم من ناتهم وأمهاتهم فثروهم بأندهم ومواهم . فصاروا له حولا كإخدام . يكرهون  
بذلك إلى الله عز وجل . وحضوه بأشرف المنازل . وعظموه في السلام . وأكرموه وبروه . وكل  
ذلك لخدمته نفسه وعدوه . بذلك يحترهم وتسوقهم إلى الله عز وجل . وقد ركب نفس إلى أكثر  
مما تركت من الدنيا . فلما تعرى من الخس وسود . فلاب اختيار . فلما رُدَّ عنه شيء من قوله . أو  
خطيء في صغره . حاشيت النفس فضلت به وحسب إليه عدوه . أنه عصت لله عز وجل . لأن  
لا يفتطع لمريدون عنه ويدعو طريق الحق . فأخرج العصب إلى لوفية فمن عنه . ثلثا مصدق  
في عنه . فخرج إلى المعصية في العباد بالعب . حد تركه لأكثر خلال له سمع . فإن فر عنه عز  
قدم بين أو صام سهر . أو كانت منه فلتة من صحبت أو غيره . حرعت النفس أن تطيعوا على  
غيره وسهوه . حتى يكلف هم بعض العمل . ويحل به العدو أنه إنما يريد بدنه أن لا يضره  
ويقطعوا عن العمل . فحصل به عنه أنه خرج من أن يركو الصديق بركة هو الطريق . فترك  
صديق الآخرة

وإلى ذلك حذره من النفس . لئلا يداستها . ولا يصرفوا عز عظمها ولا يمتنعوا عز

بجيبها وإكرامها ، مخرج أن يفتشوا لثرتة ، حتى قد يعتذر بالكذب وبالصدق ، كأنه بما كان  
 هم يعمل ، لآلئيه جل وعز

فإذا صل ذلك انقطع من الله عز وجل عصمته ، ورجع عند بؤيقه ، فرجع منحيراً مخرجاً  
 لنفسه من حيث لا يعلم ، غير متعقد بها ، أحد ما ألا يروى عنه ما ظهر لهم منه . وعن تحقيق  
 ما بدعوا به ، ثلاثاً روي عنه ، ولا ينصح مرسنه ، فيرجع إلى معاصي الله عز وجل ، فتصير عنه  
 طاعته لمير الله عز وجل ، فيبقى في الدنيا كدأباً ، يدعو العباد إلى الله عز وجل وهو فار منه ،  
 ويدكر بالله عز وجل وسببه ، وتظهر الرعدة في الدنيا وأنه قد حاربها بظاهرة ، وقد رعب فيها  
 وعصرها ساطه . يتحجب إليهم كما يُظهر وينقص إلى الله عز وجل كما يحجب ، يُظهر إلى العباد  
 الانقطاع إلى الله عز وجل وهو عنه منقطع في باطنه

فعود بالله من الخيرة بعد الهدى ، ومن العبي بعد انصر ، ومن الإغراض عن الله بعد  
 الإقبال إليه ، وسأله السلامة والعود على ما يحب ويرضى

قلت من أين يصح للعبد المريد الصبح للعباد إذا كان كما ذكرت ؟  
 قال إلى من قبل منه لا يصح أحداً ، إلا رجع عن صدق . ولكن حديثك كما نحاف  
 عيبك إن لم تصدق الله عز وجل  
 قلت . فتنى يصح لي أن أنصح بغير روال ؟

قال إذا عرفت لمصك أن الله عز وجل قد من عليك ما فيه ، وصار شأن المخلوقين عندك  
 صغيراً ، وكان الغالب عليك بنى حطرت حمدهم ودمهم والطمع لما في أيديهم ، وسحب  
 مصك بعيهم لك فيما تحمدك الله عليه . من غير محبة عصبان الله جل وعز عليك ، فقلب على قلبك  
 اليقين بالمقدور . فرب طمعهم عن عيبك ، فحرمت على الصبح لهم . بعد معرفه منك ما  
 يصحهم عن كتاب رتبك عز وجل وسنه بسبب <sup>عليه</sup> فانصحهم وأحذر أن يشتري عيبك طمعك  
 فكل خاطر يدعو إلى كراهة مدامة أو حب محمدة أو طمع في دينا فاردده عندك وإن حبل  
 إليك أنك تحبهم بذلك ، فإن ذلك حذرة أن تطلب محنتهم بهلاكك وأنت ترى أنك ماح .  
 فإذا عرفت هذه القوة ، وفقدت هذه الحشرات فلم تنسها . ولم تعصب أن يستحق بشيء من  
 حفت أو برؤو عيبك شيئاً من قولك . ررجع إلى الله عز وجل في ذلك ، ورضى كما قد  
 لك . وتعلم أن ما تطالب من حق الله عز وجل من حمد والثناء عوض من حمدهم ، وروال  
 دمهم ، والطمع لما في أيديهم وأسمهم مع ذلك لا يقصروا أن يوصلوا إليك ما لم يُفكر لك .

ولا يحمذك عما لا يليق الله عز وجل لك في قلوبهم قانع يعلم الله عز وجل وحده ومحمد ، غير  
مكرث بدمهم فما يحمده الله عز وجل . غير طالب منهم ثواباً ولا إكراماً . قانع عما يأمل من الله  
عز وجل من الثواب في الدنيا والآخرة فاصحبهم . وحب ترك تحقيق ما تقول بالفعل . واحذر ثم  
حذر ، وامتنع بالله عز وجل وبوكل عبده . ولا قوة إلا بالله ومنه العصمة وعليه النكال .  
وسأله تدم نعمه عينا برحمته

تم الكتاب بحمد الله ومنه ومشيتة وعونه . وصلى الله على محمد النبي لأمي وآله وسلم  
سليماً

بحمد الله من كتبه ومن قرأه ، وعمل ما فيه ، وجميع المسلمين برحمة الله به هو المعبر  
برحمة ، وكان المصراع <sup>١</sup> منه يوم الخميس في ذي القعدة من سنة سبع وثلاثين وحمس مائة



# الفهرس

## الصفحة

٥	مقدمة المؤلف .
٣٣	المقدمة .....
٣٧	باب الرعاية لحقوق الله عز وجل والقيام بها .
٣٩	باب معرفة التقوى وما هي ؟ .
٤١	باب معرفة ما يبدأ به العبد من العدة بمقام بين يدي الله تعالى
٤٣	باب شرح التقوى .
٤٥	باب في تعريف العبد نفسه وطول عمره
٤٧	باب في أول ما يجب على العبد معرفته والعكس فيه
٤٨	باب في محاسبة النفس في مستقبل الأعمال .
٥٥	باب الرعاية
٥٨	باب ما يبحث العبد على التوبة
٦١	باب ما ينال به خوف وعيد الله عز وجل
٦٣	باب ما يحل به النصر لإصراره ووصف ثقل المكرة على القلب
٦٤	باب ما يخص به المكروه على القلب .....
٦٦	باب ما ينال به اجتماع أهم . . . . .
٦٩	باب وصف مآزل الصبرين وهم يقوى العزم على التوبة ويترك الإصرار
	باب ما يجب أن يلزم لقلب عبد معرفة النفس ومعرفة خلال التي يكون عنها نقص
٧٥	نعم عن الطاعة والاهتمام بالتمسك والخير بتصحيح التوبة . .
٨٢	باب معرفة حقوق الله أساسها وعللها وإرادتها وتربيتها في القيام بها والرعاية لها
٨٤	باب رعية حقوق الله تعالى عند الخطرات في اعتماد القلوب

## الصفحة

باب مدار أهل الزعامة لحقوق الله عز وجل في رد خطرت وفوها في أعمال الصواب	
واخوارح على قدر مدار أهل القوة والضعف .....	٨٧
باب شرح ما يتبادر به من أداء الفروض وترتيبها في الأداء والوجوب .....	٩١
باب مدار أهل الرعاية لحقوق الله تعالى .....	١٠٦
باب مدار منار المصيرين لمصيرين على يدوب وذكر ما يبعثهم على التوبة . وقطع	
تسويق .....	١٠٩
باب الاستعداد لموت وقصر الأمن .....	١١٣
باب ما يوجب على معرفة كراهية الموت وكراهة .....	١١٦

## كتاب الرياء

باب في صفه الرياء وذكره .....	١٢٧
باب حصص العاصي على الإخلاص في عمله .....	١٢٩
باب في شرح الرياء : ما هو ؟ والدين عليه .....	١٣١
باب معرفة الرياء على وجهين أحدهما أعظم والآخر أهون . وكلام	
رياء .....	١٣٤
باب هيجان الرياء والدواعي إليه .....	١٣٧
باب وصف خوف المذمة والطمع له في أيدي الناس .....	١٣٩
باب ما يكثر به دواعي الرياء والحمد والطمع .....	١٤٢
باب مبرأى به من العمل والناس وغير ذلك .....	١٤٥
باب ما يبنى به الرياء .....	١٤٩
باب معرفة ما ينال به الخسر من الرياء .....	١٥٣
باب معرفة قوة الإخلاص على مبرعة النفس عند اعراض وسبق به .....	١٥٥
باب وصف الخسر من عدو الله إبليس .....	١٦١
باب انعطاف في الخسر من العدو إبليس .....	١٦٤
باب منار الرياء وأوقاته .....	١٦٦

- ١٦٩ باب وصف أعظم الرمة وأدناه
- ١٧٦ باب ما يورث الرياء من الاحلاق المدمومة وشرحها
- ١٨٠ باب علامة المرائي في نفسه
- ١٨١ باب ما يجب أن يلزمه المريد نفسه عند عمل السر والعلانية . . . . .
- ١٨٢ باب سرور العبد عندما يظهر عليه من عمله قبل فرعه منه وبعد فراغه . . . . .
- ١٨٦ باب دم الرياء والعجب
- ١٨٨ باب ما يحور بعد أن يقطع أنه خلص لله ولم لا يحور به
- ١٨٩ باب ما يحور من السنة عند ابتداء العمل ، وانيه في العمل . . . . .
- باب العبد يدخل لعمل ، يريد الله عز وجل وحده ، ثم يجد من نفسه نشاطاً
- ١٩١ برودة . . . . .
- ١٩٢ باب وصف اليه ما هي ؟
- ١٩٤ باب معنى توبه لا يحصرني لسنة في العمل
- باب من يدخل في العمل لا يريد الله ، عز وجل ، بذلك ، ثم يندم ، كيف يكون
- ١٩٧ عمله بعد سده
- باب في الرجل يدع عصا يمشي إسفاً على الناس ب يعصوا الله عز وجل ،
- ٢٠٠ فيه
- ٢٠٢ باب إظهار العمل بيقين به
- ٢٠٤ باب أحد حدث بحوائه بعض ما يقوى عليه من عمل يخصهم على ذلك
- ٢٠٦ باب عمل السر والضعف عن إظهار العمل خوفاً بعدو وحذر الشهرة
- ٢١٠ باب هل يجوز ترك العمل من أجل الرياء ؟ . . . . .
- باب ما يجوز للعبد من محنته همة الناس له . . . . .
- ٢١٥ باب ما يصح للعبد من عمله عندما يظهر للحق من دونه . . . . .
- ٢١٦ باب في منتر المعاصي عن العباد وإن اطع الله عليها . . . . .
- ٢١٧ باب ما يستحب فيه أحياء وما يكره فيه
- ٢٢٠ باب من أين يسمى للعبد ب يكره دم مسلمين به ومن أين لا يكرهه ؟

## لصفحة

- باب كيف يكون قلب الصادق عند كراهيه لشره عند مخلوقين ، ووجه لإحسان  
ذكره ؟ ٢٢٢
- باب استواء الخسد والدم في قلب العبد ، والفرق بين حبه لنفسه ولربه ،  
عر وجل ..... ٢٢٥
- باب في الرية نوالدين برصيا ، ولعملاء ، ليستفيد به علما ..... ٢٢٧
- باب لرجل يحصر القوم بصنوب ، فتحصره به ليعمل وإن لم يكن يفعل ذلك في  
حلوة ، أو يكره فلا يجد البكاء ٢٢٨
- باب ما يبقى به التصنع للمخلوقين في التصنع والخرق ..... ٢٣٣
- باب ما قبلوا في علامة صدق خاشع لله عر وجل ، رمته أنصار العباد ٢٣٥
- باب لرجل يكون له صاحبان أحدهما عبي والآخر فقير ، يكثر زيارة العبي ويره دون  
الفقير ، كيف السلامة ، من ذلك له ، ومن أين سادته ؟ ..... ٢٣٦

## كتاب الإخوان ومعرفة النفس

- باب في العبد يعزم على التوبة ، ثم يرجع ، وما أدى يقويه ويبيده على التقوى  
ومخالفة أهوى والشهوة ..... ٢٤١
- باب لرجل يفرح في الحاجة ، أو يخالس بعض إخوانه ممن يدعى أختهم في الله ،  
عر وجل ، وهو يعلم أنه لا يسلم له دينه معهم ..... ٢٤٤
- باب ما استعان به عبي ترك لقاء الإخوان الذين يتخوف من لقاءهم فلة السلامة  
في الدين ..... ٢٤٩

## كتاب التنبيه على معرفة النفس وسوء أفعالها ، ودعائها إلى هواها

- باب التحذير من هوى النفس ..... ٢٥٧
- باب يتم يعرف سوء رغبة النفس ..... ٢٥٩

### كتاب العجب

- ٢٦٧ باب ما يؤدي إليه معرفة النفس وشرح العجب والإدلال بالعمل  
 ٢٦٩ باب لعجب بالدين .  
 ٢٧١ باب إضافة العمل إلى النفس .  
 ٢٧٤ باب الإدلال بالعمل .  
 ٢٧٦ باب العجب بالرأى لخطأ  
 ٢٧٨ باب ما ينشئ به العجب بأعمال الطاعة  
 ٢٨٢ باب ما ينشئ به لعجب بالرأى لخطأ  
 ٢٨٥ باب العجب بالدينا والنفس  
 ٢٨٨ باب العجب بالحسب .  
 ٢٩٢ باب اعجب بكثرة العدد  
 ٢٩٤ باب اعجب بالمال

### كتاب الكبر

- ٢٩٩ باب وصف الكبر وشعبه وشرح وجوهه  
 ٣٠٨ باب الكبر عن العجب وتفسير الكبر بالعلم . . . . .  
 ٣١٣ باب ما يكون من الكبر عن الرياء وما يورث من الأعمال المنهومة  
 ٣١٥ باب الكبر بالدن  
 ٣١٧ باب في الكبر وتعريف العبد قدره  
 ٣٢٤ باب التكبر بالعلم والعمل خاصة  
 ٣٢٨ باب ثم يعلم العبد أن نفسه قد تركت الكبر على الصلح ولا خدعه منها ؟  
 ٣٣٢ باب ما يجب من التواضع للمطيعين والعاصين لينشئ به العجب والكبر  
 ٣٣٨ باب في بيان الكبر على أهل البدع وغيرهم من أهل الكفر والشرك

## كتاب الغرة

### الصفحة

٣٤٣	باب الغرة بالله ، عز وجل
٣٤٨	باب الغرة من صوام المسلمين وعصاتهم
٣٤٩	باب التمييز بين الرجاء والغرة
٣٥٦	باب الغرة من أهل النسك وأصنافهم واختلافهم ، وغرة أهل العلم
٣٥٩	باب الغرة بالفقه
	باب الغرة بعلم الحال لله من علم الصدق والإخلاص ونبي الرياء والأخلاص المفسومة
٣٦٢	ووصف الخوف والرجاء والحب
٣٦٧	باب الغرة بحفظ كلام المذكرين والقصص وأحاديث الزهد وغيره
٣٦٩	باب الغرة بالجدل وحسن البصر بالاحتجاج والرد على أهل الأديان
٣٧٢	باب الغرة بالعبادة والعمل
٣٧٥	باب الغرة بالورع
٣٧٦	باب الغرة بالعزلة والفرار من الناس
٣٧٨	باب الغرة بالفزو والحج وقيام الليل وصيام النهار
٣٧٩	باب الغرة بمن أمّ التقوى وأحسن التفقد لظاهره ودخله
	باب الغرة بتقديم العزوم بإخلاص الأعمال والعزم على الرضي والتوكل وبجانبه دناءة
٣٨١	الأخلاق
٣٨٢	باب الغرة بطون ستر الله تعالى وإمهاله للعبد

## كتاب الحسد

٣٨٧	باب في ذكر الحسد ووصفه وتفسيره محرمه من مباحه
٣٩٣	باب من الحسد وليس بالحسد بعينه
٣٩٥	باب ما يكون من الحسد على الرياسة وحب المنزلة
٣٩٦	باب ما يكون من الحسد عن الحق والعداوة والبغضاء

- باب ما يكون من الحسد عن حب ظاهر الدنيا ..... ٣٩٧
- باب ما يكون من الحسد عن العجب ..... ٣٩٨
- باب متى يعلم العبد أنه قد نفى الحسد ؟ ..... ٤٠٦
- باب الرد على من قال : إن الحسد بالجوارح ، وأنه لا يضر إذا كان في القلب ما لم  
بيده بفعل جرحه وبيان خلافه للعلم ..... ٤٠٧
- باب هل على الحسد مظلمة للمحسود عند الحاسد إذا أصابه ما تمناه له ؟ أو هو ذنب  
بينه وبين الله عز وجل ؟ ..... ٤٠٩

### كتاب تأديب المريء وسيرته وتحذيره

- باب الفتنة بعد هدايته ..... ٤١٣
- باب ما يخاف العبد على نفسه بعد نيامه لله عز وجل بحسن الرعاية في ظاهره  
وباطنه ..... ٤٢١

٢٠٠٣/١٧٣٧٣	رقم الإيداع
ISBN 977-02-6517-9	الترقيم الدولي

١/٢٠٠٣/٥١

طبع بمطابع دار المعارف ( ج . م . ع . )





هذا الكتاب يجي، في مقدمة مؤلفات أبي عبد الله الحارث  
المحاسبي، يتناول فيه رعاية الخلق لحقوق الله الخالق.  
يبدأ الكتاب بالتقوى - تلك الصلة التي ينبغي أن تكون بين  
العبد وربه - ومنها يطرق أبواباً كثيرة متعلقة بالتقوى ومنزلة المتقين.  
ثم يتناول بعد ذلك الرياء باعتباره دليلاً على التفاف وعدم  
الإخلاص لحقوق الله.  
وبعد هذا يتحدث عن الإخوان ومعرفة النفس، والكبر ووجوهه.  
والغيرة، والحسد، وتأديب المريد وسيرته وتحذيره.  
وهذه الموضوعات كلها تتعلق برعاية العبد لحقوق الله في السر  
والعلن.



دارالمعارف

٠٠٠٥٣٧/٠١



دارالمعارف